

النجوم الزاهرة

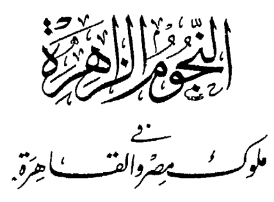
في ملوك مصر والقاهرة

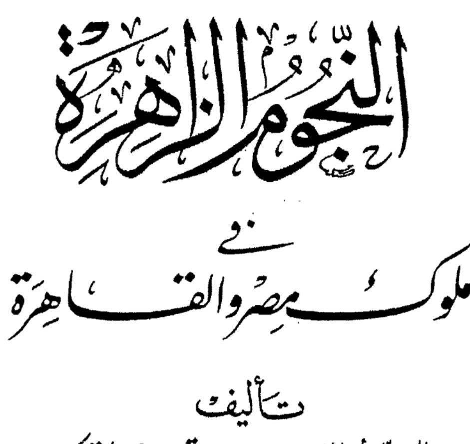
تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي

(٨١٣- ٨٧٤ هـ)

الجزء الأول


النجوم الزاهرة
في
ملوك مصر والقاهرة



تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي

(٨١٣ - ٨٧٤ هـ)

الجزء الأول

وزارة الثقافة

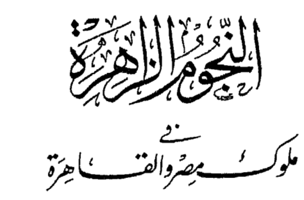


مطبوعات
الحملة القومية للقراءة للجميع

• النجوم الزاهرة
فى ملوك مصر والقاهرة .
• الجزء الأول .
• تأليف : يوسف بن تغرى بردى .
• تقديم : د. قاسم عبده قاسم .
• طبعة :
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة - ٢٠٠٧ م
• تصميم الغلاف : د. خالد سرور .
• المراسـلات :
باسم / المشرف العام
على العنوان التالى : 16 أ شارع
أمين سامي - القصر العيني
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت : 27947897

الطباعة والتنفيذ :
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت : 23904096

ابن تغرى بردى، يوسف بن تغرى بردى بن عبد الله
١٤١٠ - ١٤٧٠
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة
جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى
القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٧ .
مج ١١ ؛ ٢٤ سم .
تدمك ٨ ٥٣٧ ٤٣٧ ٩٧٧
١ - مصر - تاريخ
رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠٧/٢٤٢٨٩
977-437-537-8
ديوى ٩٦٢


النجوم الزاهرة
في
ملوك مصر والقاهرة

نجوم مصر الزاهرة

لا شك فى أن الثقافة المصرية ـ وهى جزء من الثقافة العربية ـ كانت لعقود طويلة من الزمن، المحرك الأول للنهضة العربية فى هذه المنطقة الحيوية من العالم، وما تزال الثقافة المصرية تضطلع بهذا الدور بفضل جهود نخبة طيبة من المصريين المخلصين الذين يرعون المنجز الثقافى المصرى ويواصلون جهودهم من أجل الحفاظ عليه وتطويره.

ويُعدُّ مهرجان القراءة للجميع الذى دخل الآن مرحلة جديدة من مسيرته بالتحول إلى "حملة قومية" تستهدف ترسيخ القراءة فى حياة الشعب المصرى بمختلف طبقاته وفئاته، بوصفها عادة وسلوكا، يُعدّ مشروعًا عبقريًا سيكون له أعمق الأثر فى عقول ووجدانات الأجيال القادمة من جماهير الشعب المصرى.

وحجر الزاوية فى الحملة القومية للقراءة للجميع هو مشروع مكتبة الأسرة الذى ترعاه سيدة مصر الأولى السيدة الفاضلة سوزان مبارك، والذى تشارك فى تنفيذه أكثر من هيئة ومؤسسة من هيئات ومؤسسات الدولة، وتحرص الهيئة العامة لقصور الثقافة على أن يكون لها إسهامها المتميز فى هذا المشروع، ومن هذا المنطلق فإنها هذا العام ـ بالإضافة إلى ما أصدرته خلال شهور الصيف

الفائتة من كتب ودوريات للكبار والصغار، تقدم بدءاً من هذا الشهر - فى ستة عشر جزءاً متعاقبة - كتابًا من أمهات المصادر التاريخية لحقبة مهمة من التاريخ المصرى هو كتاب "النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة" الذى يمثل بحق موسوعةً فى موضوعه (العصر المملوكى) للمؤرخ العلامة يوسف بن تغرى بردى تلميذ المقريزى العظيم.

نأمل أن نسهم بهذا الكتاب فى تعميق مستوى الوعى القومى لدى جماهير الوطن، وأن نعطى من خلال هذا الإسهام المتميز زخمًا قويًا لهذه الحملة فى العام الأول من انطلاقتها النوعية الجديدة.

والله الموفق،

أ.د. أحمد نوار

رئيس الهيئة العامة لقصور الثقافة

تقديم

المؤرخ جمال الدين أبو المحاسن
يوسف بن تغرى بردى
وكتاب «النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة»

د. قاسم عبده قاسم

عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ - ٩٢٢ هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م) صفحة باهرة فى تاريخ مصر؛ إذ بدأ ذلك العصر بهزيمة الحملة الفرنسية السابعة على مصر وأسر قائدها الملك الفرنسى لويس السابع فى المنصورة سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠م، وشهد على امتداد أكثر من مائتى سنة وسبعين تلت، أمجاداً على شتى المستويات؛ فعلى المستوى العسكرى شهدت المنطقة العربية هزيمة المغول وكسر الموجة المغولية الكاسحة فى معركة عين جالوت، ثم تحول المغول إلى الإسلام فصاروا قوة إيجابية فى صالح الإسلام والمسلمين. كما شهد ذلك العصر تقليص اللون الصليبى على خريطة الأرض العربية حتى معركة النهاية واسترداد عكا سنة ٦٩٠هـ/١٢٩٢م، وشهد عدة معارك وانتصارات حاسمة. وعلى المستوى السياسى تم توحيد مصر وفلسطين والشام وأعالى العراق والحجاز تحت سلطة حكومة واحدة مقرها القاهرة التى امتد نفوذها السياسى إلى العالم المعاصر كله.

وكانت دولة سلاطين المماليك دولة قوية فى الداخل، مهابة فى الخارج، وتجلى ذلك فى ثرائها وقوتها الاقتصادية التى تجلت فى جيوشها وأسطولها من ناحية، ومظاهر الأبهة والعظمة التى ميزت حياة السلاطين والأمراء وكبار التجار من ناحية ثانية، والرخاء الذى تجلى فى أسواق القاهرة التى بهرت زوارها من المسلمين والأجانب من ناحية ثالثة. وقد انعكست هذه الحقائق جميعًا فى ذلك النشاط العلمى والثقافى الواسع الذى شهدته مصر فى ظل حكم سلاطين المماليك. وإذا كانت الألوان القاتمة قد حلت محل الألوان الزاهية فى نصف القرن الأخير - قبل سقوط الدولة فى مطلع القرن العاشر الهجرى، السادس عشر الميلادى - فإن تلك هى طبيعة التطورات التاريخية؛ فالحضارات لا تسقط من الخارج أبداً، وإنما تسقط من الداخل أولاً. وتفسير ذلك أن دولة سلاطين المماليك عانت الكثير من أسباب الضعف والتردى فى نصف القرن الأخير من عمرها؛ فكان مآلها السقوط بعد معركتين فقط ضد العثمانيين.

وربما لا توجد فترة فى الدراسات التاريخية لقيت من الظلم ما لاقته فترة عصر سلاطين المماليك بسبب القراءة المنحازة لتاريخها من جانب المستشرقين، ثم الشائعات التى نجمت عن الخلط بين تلك الفترة والمماليك الذين حكموا فى ظل الحكم العثمانى. وعلى الرغم من جهود بعض الأساتذة الرواد (مثل الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور سعيد عاشور) فإن عصر سلاطين المماليك ما يزال مفتوحًا أمام الدارسين الباحثين عن قراءة جديدة وواعية لهذه الفترة. حقيقة إن هناك عدداً من الدراسات الحديثة قام بها عدد من الباحثين الشباب تتسم بالجدية والجسارة العلمية لكن جهودهم انصبت غالبًا على الجوانب الاجتماعية وظل المنظور السياسى كما هو.

على أية حال، فإن مصر والشام وفلسطين والحجاز شهدت فى عصر سلاطين المماليك نشاطًا علميًا وثقافيًا واسع النطاق، كان مصحوبًا بمظاهر التقدم على شتى المستويات الأخرى. إذ إن الظروف التاريخية الموضوعية التى أحاطت بالعالم الإسلامى منذ منتصف القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى قد

أفرزت دولة سلاطين المماليك لتقوم بدور القوة المدافعة عن العالم المسلم على مدى ما يزيد على قرنين من الزمان. وفى ظل هذه الدولة القوية كانت مصر مقصداً للعلماء والفنانين وطلاب العلم من شتى أرجاء العالم المسلم.

وكانت هناك عدة أسباب أدت إلى تمركز النشاط العلمى والثقافى والفنى فى رحاب دولة سلاطين المماليك فى مصر والشام وفلسطين والحجاز. فقد شهدت خمسينيات القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى اجتياح المغول للمشرق الإسلامى والقضاء على الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م مما أدى إلى انهيار الدور الثقافى والعلمى لبغداد، وهاجر الناجون من علمائها وأدبائها إلى الشام ومصر، كما أدى الهجوم المغولى على بلاد الشام إلى نتاج مماثلة. وكانت معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م نقطة فارقة فى تاريخ المنطقة العربية. وهناك فى الغرب كانت الحرب الكاثوليكية ضد المسلمين فى الأندلس قد حققت بعض المكاسب العسكرية للنصارى مما أدى إلى هجرة جزئية فى البداية، زادت وتيرتها بشكل مطرد حتى سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢م. وقد أدت هذه الأحداث إلى هجرة العقول والمفكرين، إلى جانب غيرهم، إلى بلاد المغرب العربى ثم مصر. وكانت الرياح السياسية المعاكسة فى المغرب وراء هجرة عدد آخر من العلماء كان أشهرهم عبد الرحمن بن خلدون الذى عاش فى حماية دولة سلاطين المماليك ما بين مصر والشام.

ومن ناحية أخرى، كان حرص سلاطين المماليك على التقرب للعلماء والمفكرين والفقهاء، وبناء ذلك العدد الكبير من المدارس فى مصر والشام وفلسطين من أهم أسباب جذب العلماء والفقهاء إلى القاهرة وبيت المقدس ودمشق ومكة المكرمة والمدينة المنورة وغيرها. وكانت لهذه الظروف مجتمعة نتائج إيجابية على الحياة العلمية وعلى الثقافة بشكل عام. ويمكن قياس هذه النتائج من خلال حجم التراث المكتوب الذى وصلنا من عصر سلاطين المماليك؛ ناهيك عما ضاع منه بفعل الزمن. وقد شمل هذا التراث جميع فروع العلم والمعرفة آنذاك.

وكان طبيعياً أن يكون علم التاريخ ضمن هذه الفروع التى ازدهرت فى خدمة الثقافة العربية الإسلامية. وهنا يمكن أن نحدد ملامح مدرستين رئيسيتين فى مجال التدوين التاريخى؛ هما المدرسة المصرية، والمدرسة الشامية. وقد تميزت المدرسة المصرية بأنها أكثر تنوعاً من المدرسة الشامية؛ فقد اهتم مؤرخو الشام اهتماماً فائقاً بالتراجم على حساب أنماط الكتابة التاريخية الأخرى التى كان إنتاجهم فيها قليلاً. ويرجع السبب فى ذلك إلى أن معظم من كتبوا التاريخ فى بلاد الشام كانوا من علماء الدين والفقهاء؛ ومن ثم كان طبعيًا أن ينصب اهتمامهم فى هذا النمط من أنماط الكتابة التاريخة. أما المؤرخون المصريون، فقد كانوا ينتمون إلى خلفيات ثقافية متنوعة؛ بل كان بعضهم من أمراء المماليك، وكان بعضهم أيضا من فئة أولاد الناس (أى أبناء المماليك الذين تمصَّروا ونشأوا نشأة مدنية خالصة) ومنهم المؤرخ أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الذى نقدمه فى هذه السطور.

والحقيقة أن علم التاريخ فى التراث العربى الإسلامى قد وصل الذروة فى عصر سلاطين المماليك. ففى ذلك الحين كان الوعى التاريخى قد زاد نضجًا، كما زادت أهمية التاريخ باعتباره علمًا ذا وظيفة ثقافية / اجتماعية. وتمثلت هذه الحقيقة فى اتساع نطاق الكتابة التاريخية، وتعدد أنماطها. كما كان هناك من كتب من مؤرخى ذلك العصر عن فلسفة التاريخ (ابن خلدون) ومن كتب عن تاريخ التاريخ (السخاوى).

والناظر فى تراث التدوين التاريخى الذى خلفه عصر سلاطين المماليك سوف يلاحظ أن ميدان الكتابة التاريخية قد اتسع وتنوعت أغراضه ما بين التواريخ العامة، والحوليات، وكتب التواريخ الخاصة بالسير الملكية، والرسائل ذات الموضوع الواحد، والتراجم والوفيات، والطبقات، والخطط، والآثار، وما إلى ذلك. ومن البديهى أن هذا التراث التاريخى المتنوع الذى وصلنا من عصر سلاطين المماليك كان من إنتاج جمهرة من المؤرخين الذين اختلفت مشاربهم الثقافية، وخلفياتهم الاجتماعية، ومواقعهم الطبقية والسياسية. وعلى الرغم

من أننا لا يمكن أن نقسِّم مؤرخى عصر سلاطين المماليك إلى فئات؛ لأن كل مؤرخ يمثل حالة إبداع فردية شأن أى شاعر أو فنان؛ فإننا يمكن أن نقرر باطمئنان أن الخلفية الثقافية والاجتماعية والسياسية للمؤرخ تؤثر بالضرورة على الزاوية التى ينظر منها إلى الأحداث التاريخية. وقد عرف عصر سلاطين المماليك المؤرخين من أرباب السيوف والأمراء الذين كتبوا التاريخ باعتباره نوعاً من المذكرات حول أحداث شهدوها، أو أسهموا فى صناعتها، كما عرف المؤرخين من أرباب الأقلام الذين تولوا الوظائف فى دواوين الدولة، وكان هناك أيضا المؤرخون الفقهاء وعلماء الدين، وفضلاً عن هذا وذاك كان هناك المؤرخون المستقلون (مثل تقى الدين المقريزى)، والمؤرخون من «أولاد الناس»، أى ذلك النفر من أبناء المماليك الذين تربوا تربية مدنية خالصة؛ ومن هذه الفئة أسهم عدد كبير فى النشاط الثقافى لعصرهم.

ويمكن تفسير ذلك فى ضوء المفاهيم السياسية التى حكمت دولة سلاطين المماليك؛ إذ لم يكن المماليك يعترفون بالوراثة مبدأ يقوم عليه الحكم فى دولتهم التى قامت على أساس «الحكم لمن غلب» وإنما رأوا فى عرش السلطنة حقاً لهم جميعا يفوز به أقواهم وأقدرهم على الإيقاع بالآخرين؛ ومن ثم كان السلاطين والأمراء يرون فى مماليكهم الدرع الواقى والحماية والأداة فى أى صراع على السلطة قد ينشب بين الطامحين والطامعين. وقد أدى هذا، بالضرورة، إلى انصراف أمراء المماليك وسلاطينهم عن حياتهم الأسرية واهتموا بتربية مماليكهم وتوثيق روابطهم التى تجمعهم بهم. ولم يكن أمام أبناء الأمراء المماليك - الذين لم يمسهم الرق - سوى الحياة المدنية والذوبان فى حياة المصريين الذين لم يكن يعنيهم كثيرا الصراع على الحكم، ما دام الحاكم لا يمس لقمة عيشهم أو يقصر فى حماية دينهم وبلادهم. وبعد الجيل الأول كان «أولاد الناس» يصيرون مصريين خالصين.

ومن «أولاد الناس» خرجت طائفة من كبار مؤرخى عصر سلاطين المماليك؛ منهم ابن أيبك الدودار صاحب «كنز الدرر وبدائع الغُرر» الذى جاء فى عدة

مجلدات، وابن خليل الصفدى، وابن دقماق مؤلف كتاب الخطط الشهير بعنوان «الانتصار لواسطة عقد الأمصار»، وخليل بن شاهين الظاهرى، والمورخ الأشهر ابن إياس؛ فضلا عن صاحبنا أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى.

وهذا المؤرخ رومى الأصل (بيزنطى - يونانى) مصرى المولد. فقد كان أبوه مملوكًا من مماليك السلطان الظاهر برقوق، وقد اشتراه هذا السلطان فى بداية سلطنته من أحد تجار الرقيق ثم أعتقه. وحين أسلم صار اسمه تغرى بردى بن عبد الله بن خواجا يشبغا. وقد ترقى تغرى بردى (ومعنى اسمه المحرف عن التركية عطية الله) فى خدمة السلطان برقوق حتى تولى مناصب عسكرية وإدارية عليا. وكان مولد مؤرخنا بمصر سنة ٨١٢ هـ / ١٤٠٨م وتوفى بها سنة ٨٧٤ هـ/ ١٤٦٩م عن عمر يناهز اثنين وستين عامًا. ومات أبوه وهو فى الثالثة من عمره، فكفله زوج أخته «ابن العديم» الذى كان قاضى القضاة الحنفية فى مصر. وعندما توفى سنة ٨١٩ هـ، تولاه بالرعاية زوجها الثانى الذى كان قاضى القضاة الشافعية «عبد الرحمن البلقينى» (٨٢٤ هـ). وكان لهذا الأخير الفضل فى تربية جمال الدين أبى المحاسن يوسف من سن السابعة حتى سن الثانية عشرة فوجهه إلى دراسة القرآن الكريم والحديث والفقه؛ فضلاً عن اللغة والأدب والتاريخ.

وهكذا جمع جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى بين ثقافة أبناء الطبقة الوسطى من المصريين (أى التجار والعلماء والفقهاء)، وثقافة فئة «أولاد الناس» التى كان ينتمى إليها بحكم انتمائه الطبقى؛ فإلى جانب ما تعلمه على يدى عبد الرحمن البلقينى، كان ماهراً فى الفروسية، ورمى الكرة (تشبه لعبة البولو فى الفروسية الحديثة)، والرمى بالرمح والنشاب، وما إلى ذلك. ومن ناحية أخرى، مكنته الثروة التى خلّفها له أبوه من تكوين مكتبة ضخمة، كما يسّرت له سبيل الانصراف إلى البحث والدراسة فى هدوء؛ فضلا عن أن مكانة أبيه الرفيعة جعلته قريبا من الدوائر الحاكمة وصناع الأحداث السياسية بالقدر الذى جعله شاهد عيان لكثير من الأحداث التى كتب عنها.

كما أن أخته «فاطمة» كانت زوجة السلطان فرج بن برقوق الرئيسية (الخوند الكبرى) وهو ما أتاح له فرصة نادرة لأن يكون فى دائرة صنع الأحداث. وقد انعكس هذا بشكل واضح على كتاباته والموضوعات التى اهتم بتسجيلها.

كانت تلك البيئة التى تربى فيها ابن تغرى بردى؛ أما البيئة الكبرى - أى مصر بكل مظاهرها الطبيعية وموروثاتها التاريخية والحضارية - فقد تركت تأثيرها العميق على كتابات ابن تغرى بردى التاريخية. فقد عاش حياته فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى الذى شهد قمة تطور المدرسة التاريخية المصرية على نحو ما أشرنا من قبل، وشهد كبار مؤرخى زمانه مثل عبد الرحمن بن خلدون، وتقى الدين المقريزى - شيخ المؤرخين المصريين وأستاذ ابن تغرى بردى - الذى قال عنه «... أعظم من رأيناه وأدركناه فى علم التاريخ وضروبه...». وكان طبيعيا أن ينهل ابن تغرى بردى من هذه الينابيع كلها، وأن يتأثر بهذه البيئة الثقافية المزدهرة، إلى جانب موهبته الطبيعية التى صقلتها قراءاته وخبراته الشخصية.

لقد كان ذلك، بشكل عام، هو الإطار النظرى لتكوين ثقافة المؤرخ جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى، أما الأساس العملى الذى قامت عليه ثقافته وشخصيته بوصفه مؤرخًا، فقد تمثل فى كونه واحدا من أبناء الطبقة الحاكمة، وقربه من البلاط فى عهود فرج بن برقوق، وكل من برسباى، وجقمق، وخشقدم؛ فضلاً عن كبار الأمراء فى الدولة. وهو ما يعنى أنه كان قادراً على رؤية الأحداث لحظة صناعتها، والاطلاع على أسرار الدوائر الحاكمة وخفاياه؛ فضلاً عن صراعات الأمراء الكبار ومؤامراتهم، بحيث يكون أقرب إلى شهود العيان منه إلى المؤرخين فى كثير من الأحيان. وكان طبيعيًا أن ينعكس هذا بشكل واضح على تكوين عقليته وتوجيه اهتماماته؛ إذ إنه ركز على دراسة التاريخ السياسى ومظاهر حياة الطبقة الإقطاعية العسكرية الحاكمة.

ولكن الخلفية التى قامت عليها فكرة التاريخ عند ابن تغرى بردى كانت هى فكرة التاريخ عند المؤرخين المسلمين بشكل عام؛ وهو الأمر الذى كان واضحًا

فى فهمه لوظيفة التاريخ من ناحية، ومنهجه فى الكتابة التاريخية من ناحية أخرى. أما الوظيفة الاجتماعية / الثقافية للتاريخ عنده، فهى وظيفة تربوية تعليمية / عملية، كما هى بالنسبة للمؤرخين المسلمين جميعاً. فالتاريخ، كما يراه ابن تغرى بردى يمكن أن يكون مدرسة للحكام، وهو ما يقرره صراحة فى مقدمة أهم كتبه «النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة»؛ إذ يقول إنه يورد سيرة كل من حكم مصر، منذ الفتح الإسلامى حتى أيامه، على التوالى «..ليقتدى كل ملك يأتى بعدهم بجميل الخصال، ويتجنب ما صدر منهم من اقتراح المظالم وقبيح الفعال...» وتتأكد هذه الرؤية مرة أخرى من قوله إن السلطان الأشرف برسباى قد استغنى بما كان المؤرخ بدر الدين العينى يقرأه له من أحداث التاريخ، وسير الملوك، عن استشارة كبار الأمراء فى شئون الحكم.

وتزداد رؤية ابن تغرى بردى للتاريخ وضوحاً عندما نتأمل بعض التعليقات التى يوردها كثيرا عقب الأحداث التى يعرضها فى كتبه؛ مثل قوله : «...وفائدة ما ذكرناه هنا من ذكر أصحاب الوظائف من الأمراء وغيرهم يظهر بتغيير الجميع، وولاية غيرهم، بعد مدة يسيرة فى أوائل سلطنة الظاهر چقمق، لتعلم بتقلبات الدهر، وإن الله على كل شىء قدير ...» أو غير ذلك من العبارات ذات الطابع الأخلاقى التى تتخذ معنى العبرة والعظة؛ مثل «... فوا أسفاه على ذلك الزمان وأهله...» أو «...ألا لعنة الله على الظالمين...» أو «... وما ربك بظلام للعبيد...»، وهكذا، فإن للتاريخ عند جمال الدين أبى المحاسن بن تغرى بردى وظيفة اجتماعية / ثقافية فضلاً عن وظيفته الأخلاقية والتربوية؛ فالتاريخ بمثابة مخزن العظات والعبر، يتعرف منه الناس على أحوال السابقين؛ فيكون لهم فى ذلك عظة وعبرة.

وهنا لم يكن صاحبنا ابن تغرى بردى استثناءً بين المؤرخين المسلمين الذين تأثروا بالمفهوم القرآنى للتاريخ.

وتقوم فكرة التاريخ عند المسلمين على الوعى المزدوج بالزمن والحقيقة التاريخية، وهو ما يمكن أن نلمسه بوضوح فى بحثهم عن حقائق التاريخ،

ومحاولة ضبطها على مر السنين والشهور والأيام فى حولياتهم الكبرى من جهة، وفى إدراكهم لوحدة تاريخ الإنسانية من جهة أخرى. ولم يكن ابن تغرى بردى ليشذّ عن هذا الإطار العام لفكرة التاريخ عند المسلمين. بيد أن هذا لا ينفى أن له رؤيته الخاصة التى تفرد بها وصبغت مؤلفاته بألوانها. فهو عندما يكتب تاريخاً محلياً عن حكام مصر منذ الفتح الإسلامى (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة) لا يغفل أخبار العالم المعاصر أيضا، كما أن شخصيته المتفردة، وثقافته الخاصة، تتجلى بوضوح فى نوع الأخبار التاريخية التى اهتم بها من ناحية، وفى نوع التعليقات التى يعقب بها على رواية غيره من المؤرخين من ناحية أخرى.

ولأن أبا المحاسن جمال الدين يوسف كان تلميذاً للمقريزى، فقد كان من الطبيعى أن يتأثر برؤيته للتاريخ، وحاول أن يقلده فى الكتاب الذى أراد له أن يكون ذيلا لكتاب «السلوك لمعرفة دول الملوك» للمقريزى، دون أن ينجح فى ذلك لأنه لم يكن يمتلك موهبة تقى الدين المقريزى. فقد كان يشاطره النظر إلى التاريخ باعتباره سجلاً لأحوال الإنسان فى الماضى بشتى جوانبها، لأنه يقول فى مقدمة «النجوم الزاهرة» ما يدل على هذا: «... بل استطرد إلى ذكر ما بنى فيها من المبانى الزاهرة؛ كالميادين والجوامع ومقياس النيل وعمارة القاهرة...».

بيد أن هذا الاتجاه فى كتابات ابن تغرى بردى انحصر فى إطار رواياته عن السلاطين والأمراء تقريبًا؛ فقد ركز اهتمامه على الأحداث السياسية والعسكرية أساسًا، وعلى مظاهر حياة الطبقة التى ينتمى إليها. ولكن هذا لم يمنع من تسرب أخبار ومظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى مصر آنذاك إلى صفحات كتبه؛ فهو يشير أحيانا إلى حفر الترع، وبناء الجسور، وافتتاح المدارس، وصلاة الاستسقاء فى حالة هبوط النيل عن حد الوفاء، وعبث العربان، واستعراض الجيش أو الأسطول .. وما إلى ذلك. ولكن هذه الإشارات تجيء غالبا فى سياق اهتمامه بأفعال الحكام. ولكن ما يميز ابن تغرى بردى فى كتابه الأكبر «النجوم الزاهرة» هو اهتمامه برصد منسوب المياه فى نهر النيل فى ختام

حوادث كل سنة فى حوليته الكبرى.

أما منهج البحث التاريخى عند المؤرخ جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى فيأخذ مسارين أساسيين؛ أحدهما يتعلق بالمصادر التى كان يستقى منها مادة كتبه، على حين يتصل المسار الثانى بطريقة عرضه للمادة التاريخية.

ويقول ابن تغرى بردى عن مصادره : « ... وأجمع فى ذلك أقوال من اختلف من المؤرخين، وأهل الأخبار وأربابها، وذلك بعد اتصال سندى إلى من لى عنهم رواية، ليجمع الواقف عليه بين صحة النقل والدراية... » ومن خلال دراسة ما كتبه مؤرخنا فى «النجوم الزاهرة» و «حوادث الدهور» بشكل خاص، نستطيع أن نقسم مصادره التى استقى منها مادته التاريخية إلى أقسام ثلاثة :

١ - الوثائق وكتابات المؤرخين السابقين.

٢ - المصادر الشفوية نقلاً عن شهود العيان.

٣ - الدراية والمعاينة الشخصية للأحداث بحكم موقعه الطبقى.

وكثيراً ما يشير ابن تغرى بردى إلى مصادره المكتوبة بعبارات مثل : «قال القطب اليونينى»، أو «قال الشيخ صلاح الصفدى فى تاريخه»، أو «قال الحافظ الذهبى فى تاريخه» وربما يقول : «قال المقريزى رحمه الله» أو «قال الأمير بيبرس الدوادار». وحين تكون مصادره شفوية نقلاً عن شهود العيان يشير إلى ذلك بوضوح فى عبارة مثل قوله : «حدثنى بعض من حضر»، أو «حدثنى الصاحب كريم الدين»، كما أنه يشير بوضوح إلى الأحداث التى شهدها بنفسه.

وقد كان منهج ابن تغرى بردى فى عرض مادته التاريخية منهجَ الحوليات الشائعة فى مجال التدوين التاريخى آنذاك؛ أى ترتيب الأحداث التاريخية وفق تتابع السنين بحيث يبدأ بأحداث أول شهور السنة ثم يتبعها بأحداث الشهور التالية حتى نهاية السنة ليبدأ عرض أحداث السنة التالية بالترتيب نفسه، وهكذا. وكان هذا هو الأسلوب الذى اتبعه فى كتاب «حوادث الدهور». أما فى كتاب «النجوم الزاهرة»؛ فقد رتب الحوادث التاريخية حسب عهود الحكام مع

الالتزام بالأسلوب الحولى. وفى إطار هذا الهيكل العام يبدأ فى عرض الأحداث والظواهر التاريخية بأسلوب عربى لا يخلو من الركاكة، يستخدم فى ثناياه الكلمات العامية والتركية والفارسية أحيانا، كما أنه كثيرا ما يقحم أبيات الشعر بحيث يكسر سياق الرواية، وقد يستطرد خارج موضوعه، ولكنه يستدركُ ذلك بقوله: «... وقد خرجنا عن المقصود ...»، أو «... لنعود إلى ما كنا بصدده ...». وقد يعلق على روايات المؤرخين السابقين أحيانًا، بيد أنه بشكل عام لا يهتم بتحقيق الحادثة التاريخية إذا ما اختلفت مصادره بشأنها، وربما اختار الحل الأسهل؛ مثلما فعل عند ذكر سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الأولى، إذ قال : «... فتكون سلطنته فى أحد اليومين المذكورين، تخمينًا لما وقع فى ذلك من الاختلاف بين المؤرخين ..» كما أنه كثيرا ما يحيل القارئ إلى كتبه الأخرى لمزيد من التفاصيل؛ فهو دائماً ما يشير إلى «المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى» عندما يكون الأمر متعلقاً بالتراجم. ويشير إلى «حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور»، و «مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة» أثناء سرده للأحداث التاريخية فى حوليته الكبيرة «النجوم الزاهرة».

ولكن الأمر يتغير على نحو جذرى عندما يتناول أحداث عصر دولة سلاطين المماليك الجراكسة التى بدأت بالسلطان الظاهر برقوق فى أوائل القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى، فقد كان شاهد عيان لكثير من الأحداث، كما كان عارفًا بأحوال الدولة خبيراً بأسرارها، وعلى علاقة وطيدة بالطبقة الحاكمة فيها. ولذلك فهو ينتقد المقريزى فى تناوله لأحداث تلك الفترة، ولكنه يلتمس له العذر بقوله : «... غير أنى أعذره فيما نقل، فإنه كان بمعزل عن الدولة، وينقل أخبار الأتراك عن الآحاد، فكان يقع له من هذا وأشباهه أوهام كثيرة نبهته على كثير منها فأصلحها معتمداً على قولى...». وكان نصيب كل من ابن حجر والعينى من النقد فى هذا المجال كبيراً.

أما مؤلفات جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى، فالمعروف منها

حوالى عشرة مؤلفات فى موضوعات متنوعة ما بين التاريخ، والتراجم، والرياضيات والموسيقى وغيرها. ولكن قسمًا من هذه المؤلفات ضاع وفقد.

ومن الكتب التى وصلتنا كتابه المهم فى التراجم الذى يحمل عنوان «المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى»؛ وهو نمط من الكتابة التاريخية تهتم بسير الرجال البارزين والمرموقين من الناس فى شتى مجالات الحياة، وكان هذا النمط مزدهراً بين المؤرخين المسلمين بشكل لافت للنظر. وفى كتاب «المنهل الصافى» الذى يبدو أنه كان أول مؤلفات ابن تغرى بردى، نراه يركز على تتبع سير المشاهير من العلماء والأمراء فضلاً عن الملوك والسلاطين على مدى قرنين من الزمان تقريبا (من منتصف القرن السابع الهجرى حتى منتصف القرن التاسع الهجرى / الثالث عشر - الخامس عشر الميلادى). وفى هذا الكتاب الذى يضم حوالى ثلاثة آلاف ترجمة مرتبة حسب الحروف الأبجدية، حاول أن يستدرك ما فات على ابن أيبك الصفدى فى كتابه «الوافى بالوفيات» حسبما يوحى عنوان الكتاب وحسبما ذكر ابن تغرى بردى فى مقدمة كتابه.

وأراد ابن تغرى بن بردى أن يكتب تكملة، أو صلة، أو ذيلاً لكتاب «السلوك لمعرفة دول الملوك» للمؤرخ تقي الدين المقريزى فى كتابه الموسوم «حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور» (الذى نشره وليم پوپر فى أربعة أجزاء سنة ١٩٣٠م فى كاليفورنيا). ويبدأ هذا الكتاب بذكر حوادث سنة ٨٤٥هـ، وهى سنة وفاة المقريزى وانقطاع حوادث كتاب «السلوك». وعلى الرغم من أن ابن تغرى بردى اتبع فى كتاب «حوادث الدهور» منهج «السلوك» من حيث ترتيب الحوادث على مر السنين والشهور والأيام فى نظام حولى يفصل كل سنة عن السنة السابقة عليها والسنة التى تليها؛ فإن هذا الكتاب يقل كثيرا فى مستواه عن مستوى كتاب «السلوك لمعرفة دول الملوك»، وهو أمر يبدو طبيعيًا فى ضوء المقارنة بين موهبة المقريزى وموهبة ابن تغرى بردى، ووعى كل منهما بفكرة التاريخ.

أما أهم مؤلفات جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى على

الإطلاق، فهو كتابه الأشهر الذى يحمل عنوان «النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة» الذى تقدمه الهيئة العامة لقصور الثقافة فى هذه الطبعة نقلاً عن طبعة دار الكتب المصرية التى صدرت فى ستة عشر جزءاً، صدر آخرها سنة ١٩٧٢م.

ويتناول كتاب «النجوم الزاهرة» تاريخ مصر منذ الفتح الإسلامى سنة ٢٠هـ/ ٦٤١ م حتى سنة ٨٧٢ هـ / ١٤٦٨م ويبدأ الكتاب بمناقشة فتح مصر، وهل كان فتحها عنوة أم صلحاً، ثم يصف فضائل مصر ومحاسنها حسبما جرت عادة المؤرخين المصريين، ويتحدث عن ملامحها الجغرافية، وعن نهر النيل، مع نبذة مختصرة عن تاريخها القديم. وبعد ذلك يبدأ فى ذكر سير حكامها منذ ولاية عمرو بن العاص متتبعًا الحوادث التاريخية التى وقعت فى زمن كل منهم؛ سواء فى مصر أو فى بلاد الشام أو فى غيرهما من بلاد العالم الإسلامى والعالم المعاصر.

ويتبع كتاب «النجوم الزاهرة» طريقة وسطى بين نمطين من أنماط الكتابة التاريخية عند المؤرخين المسلمين آنذاك؛ فهو يجمع بين الكتابة التاريخية وفقا لترتيب عهود الحكام، والطريقة الحولية التى ترتب الأحداث التاريخية فى إطار زمنى حسب السنين والشهور والأيام.

فقد رتب كتاب النجوم الزاهرة على أساس الحكام حتى وصل إلى عصر سلاطين المماليك، ويبدأ بذكر السلطان القائم وأرباب السيوف من أصحاب الوظائف العسكرية، وأرباب الأقلام من أصحاب الوظائف الديوانية والمدنية ثم القضاة. وفى بعض الأحيان نجده يذكر من عاصر السلطان صاحب الترجمة من ملوك البلاد وأمراء الحجاز، ونواب البلاد الشامية، والقدس الشريف وغيرها. ثم يبدأ فى ذكر حوادث عصر السلطان تحت عنوان «السنة الأولى من حكم السلطان...»، ثم يتابع ذكر الأحداث التاريخية سنة بسنة مع التركيز على ذكر الوفيات فى نهاية كل سنة. ثم يختتم ذكر كل سنة بالإشارة إلى حال مياه النيل من زيادة أو نقصان، ومستوى ارتفاع مياه نهر النيل.

بيد أن شخصية مؤرخنا لا تتضح سوى فى الأجزاء الأخيرة من «النجوم

الزاهرة »؛ فنحن نجد أنفسنا أمام مؤرخ صاحب خبرة واسعة بالشئون السياسية الداخلية والخارجية نتيجة علاقاته الوطيدة بالدوائر الحاكمة. على أن هذه العلاقات لم تمنعه من توجيه نقده اللاذع إلى الحكام فى مناسبات عديدة. ولعل من أكثر عباراته الناقدة حدة قوله عنهم : « ... غير أن ملوك زماننا كالعميان، يضع الواحد منهم يده على كتف الآخر، فمهما تحرك الأول بحركة تحرك الثانى بمثله... ».

وفى هذه الأجزاء الأخيرة يتخذ كتاب « النجوم الزاهرة » شكل السجل اليومى للأحداث مع التركيز على أحوال السياسة الداخلية والخارجية، وأخبار الشئون العسكرية. وقد يضع فى بعض الأحيان عناوين فرعية مثل « ابتداء مرض السلطان ». وينتهى الكتاب قبل نهاية حوادث سنة ٨٧٢ هـ؛ أى قبل وفاة جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى بسنتين.

وكان من دواعى غبطتى وسرورى أن كلفتنى الهيئة العامة لقصور الثقافة بتقديم هذه الطبعة من كتاب « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » إلى القراء فى مصر والعالم العربى، ولذا وجب الشكر علىّ للأستاذ الدكتور أحمد نوار، وللصديق العزيز الأستاذ محمد السيد عيد، ولكل من أسهم فى إخراج هذه الطبعة؛ فقد كانت فرصة متجددة لى للجلوس إلى مؤرخ نابه من كبار المؤرخين الذين تتلمذت على كتبهم.

رحم الله مؤلف الكتاب وأقرانه، ونسأل الله أن ينعم علينا ببعض مما أنعم به عليهم.

والله الموفق والمستعان

تصدير طبعة دار الكتب

كان الهدف الأول لإنشاء دار الكتب المصرية جمع ما تناثر فى الجوامع من كتب مخطوطة فى مكان واحد ليتيسر الحفاظ عليها وصيانتها. وما أسرع أن فطن المشرفون عليها إلى أن بعض ما جمعوه ذو قيمة جلية تدعو إلى تيسير القراءة العامة له، فرأوا إضافة مهمة أخرى للصيانة؛ بأن يخضعوه لما تقتضيه عملية التحقيق والطبع والنشر، فأنشأوا القسم الأدبى.

وتولى هذا القسم تحقيق عدد من الكتب لاسيما الموسوعية منها، وحرص محبو الثقافة العربية والمتخصصون فيها فى مصر وغيرها من الأقطار العربية والأجنبية على اقتنائها؛ حيث تولى تحقيقها كبار المحيطين بهذه الثقافة، والقادرين على تجويد عملهم.

ثم تغيرت الأمور في مصر عامة، وتغيرت الآراء. فأغلق القسم الأدبى. وسرعان ما تبين أن ما يجب هو التطوير، فأُنشئ مركز تحقيق التراث، لاستكمال ما بدأه القسم الأدبى.

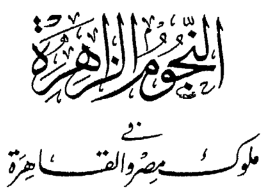
وقد أخذ هذا المركز على عاتقه أن يحقق ما لم يحقق قبلاً، وأن ينشره فى العالم القارئ للغة العربية، دون أن يهمل ما سبق أن أصدره إهمالاً تاماً.

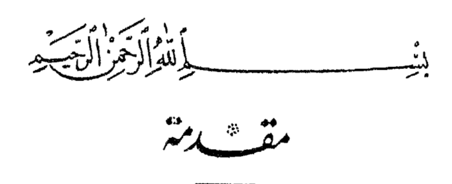
واليوم، وجد المركز أن الفرصة أمامه لإعادة إصدار موسوعاته التى مايزال القارئ العربى محتاجاً إليها، بعد استدراك الفهارس التى حذفت منها فى طبعات أخرى لأغراض لم تتحقق.

وها نحن نعيد إصدار كتاب: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، لابن تغرى بردى عن طبعة دار الكتب التى صدرت مفهرسة، لتعم الفائدة للدارسين والباحثين.

فالغاية التى ينصبها المركز أمامه: الكشف عن الجوانب المشرقة فى الفكر العربى، وحُسن إبرازه أمام قرائه؛ سعياً وراء الحق الذى يجب أن يكون غاية كل تفكير.

أ.د/ حسين محمد نصار
المستشار العلمى لمركز تحقيق التراث
بدار الكتب المصرية


النجوم الزاهرة
في
ملوك مصر والقاهرة



مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم رسله سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
وبعد، فهذا هو الجزء الأول من كتاب "النجوم الزاهرة" لأبى المحاسن بن تغرى بردى الذى تقوم بطبعه دار الكتب المصرية مع بقية الموسوعات العلمية والأدبية والتاريخية فى عهد حامل لواء النهضة فى مصر حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم "فؤاد الأول" حفظه الله. وإنا نضعه بين أيدى القرّاء بعد أن بذلنا الجهد فى سبيل إصداره على هذا النحو خاليا، على ما نعتقد، من التحريف والتصحيف اللذين ملئ بهما أصلاه، وهما النسخة الأوربية والنسخة الفتوغرافية اللتان اعتمدنا عليهما كمصدرين لطبع هذا الكتاب .

وصفه

هو كتاب كبير جم الفائدة فى تاريخ مصر مرتب على السنين ، ابتدأ فيه مؤلفه بفتح عمرو بن العاص من سنة ٢٠ هـ (٦٤٠ م) إلى أثناء سنة ٨٧٢ هـ (١٣٦٧ م) وقد ذكر فيه من ولِىَ مصر من الملوك والسلاطين والنوّاب ذكرا وافيا مع ذكر ملوك الأطراف بطريق إجمالىّ ، آتيا فى كل سِنِيه على ما وقع من الحوادث المهمة، ومن

توفى من رجالات الأمة الإسلاميــة . وقد آنفرد بعد أبى بكر[1] بن عبد الله بن أيبك مؤرّخ مصر بإشارته فى آخر كل ســنة إلى زيادة النيل ونقصانه، حتى كاد يكون كتابه المرجع الوحيــد لحضرة صاحب السعادة الأستاذ أمين سامى باشا فى كتابه : « تقويم النيل » .

ومن الأصــل العربى لهذا الكتاب نسخ فى الأســتانة وبرلين وغوطا وأبسالا وبطرسبورج وباريس والمتحف البريطانى .

ترجمته الى اللغات الأوربية

وقد ترجم هــذا الأثر الجليــل الى اللغة اللاتينية والى لغـات أوروبية أخرى عدّة مرات[2] .

ترجمته إلى اللغة التركية

ولمـا فتح السلطان سليم العثمانى مصر وآطلع على هــذا الكتاب أمر بنقله إلى التركيــة فنقله شمس الدين أحمــد بن سليمان بن كمال باشا قاضى العسكر بالأناضول يومئذ فترجم فى منزله جزءا وبيضه المولى حسن المعروف بآشجى زاده ثم عرضه على السلطان فى الطريق فأعجبه وأمر بنقله هكذا الى تمامه[3] .

---

(١) هو أبو بكر بن عبــد الله بن أيبــك صاحب صرخد مؤرّخ مصر ومؤلف كتابى " درر التيجان " و " كنز الدرر " فى تاريخ مصر، وهو أوّل مؤرّخ جعل افتتاح حوادث كل ســنة مايتعلق بأمر النيل . والذى آستشهد به كثيرا المؤلف فى كتابه هذا .

(٢) انظر قاموس الأعلام التركى لشمس الدين سامى بك (ج ١ ص ٧٥٧) .

(٣) أُنظر الكلام على هذا الكتاب فى كشف الظنون (ج ٢ ص ٥٨٨) وتاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان (ج ٣ ص ١٨٠) .

اختصاره

وقد لخص المؤلف كتابه وسماه «الكواكب الباهرة من النجوم الزاهرة» وذكر أنه اختصره حذرا من أن يختصره غيره على تبويبه وفصوله واقتدى فى ذلك بجماعة من العلماء المؤلفين كالذهبى والمقريزى وغيرهما[1] .

اهتمام علماء أوروبا بنشره

ولما كان هذا الكتاب من أهم المصادر التاريخية ، اهتم بنشره علماء أوروبا فنشر المستشرق جونبل الهولاندى منه مجلدين ضخمين فى أربعة أجزاء بمطبعة بريل فى مدينة ليدن من سنة ١٨٥١ — ١٨٥٥ م ؛ ويبتدئ الجزء الأول من سنة ٢٠ من الهجرة لغاية سنة ٢٥٣ هـ، والجزء الثانى من سنة ٢٥٤ — ٣٦٥هـ . وقد صدرهما بمقدمة وملاحظات باللغة اللاتينية . ونشر المستشرق وليم بوبر العالم الأمريكى منه عشرة مجلدات مع مقدمة باللغة الانجليزية لكل جزء من أجزائه، وطبعت بجامعة كاليفورنيا من سنة ١٩٠٩ — ١٩١٥ ومن سنة ١٩١٦ — ١٩٢٣ وسنة ١٩٢٦ وسنة ١٩٢٩ ، وتشتمل على السنين من سنة ٣٦٥ — ٥٦٦هـ ومن سنة ٨٠١ — ٨٧٢هـ.

ويتبين من هذا أن باقى الأجزاء التى تشتمل على السنين من سنة ٥٦٧ — ٨٠٠هـ لم تطبع بعد .

اهتمام دار الكتب المصرية بنقل نسخة منه

ولذا اهتمت دار الكتب المصرية بنقل نسخة منه بالتصوير الشمسى عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة آياصوفيا بالأستانة تحت رقمى ٣٤٩٨ و ٣٤٩٩

(١) انظر كشف الظنون (ج ٢ ص ٥٨٨) .

وهى محفوظة بدار الكتب تحت رقم ١٣٤٣ تاريخ، وتشمل سبعة مجلدات ينقصها المجلد الثانى، وبيانها كالآتى :

المجلد	القسم			
الأول	القسم الأول —	من	سنة ٢٠	— ١٤٦ هـ
	» الثانى —	»	» ١٤٧	— ٢٥٤
الثالث	» الأول —	»	» ٥٢٤	— ٦٣٧
	» الثانى —	»	» ٦٣٧	— ٦٧٥
الرابع	القسم الأول —	»	» ٦٧٦	— ٧٢٣
	» الثانى —	»	» ٧٢٣	— ٧٤٥
الخامس	» الأول —	»	» ٧٤٦	— ٧٨٢
	» الثانى —	»	» ٧٨٣	— ٧٩٩
السادس	» الأول —	»	» ٨٠٠	— ٨١٥
	» الثانى —	»	» ٨١٦	— ٨٣٦
السابع	» الأول —	»	» ٨٣٦	— ٨٥٤
	» الثانى —	»	» ٨٥٤	— ٨٧٢

اهتمام الحكومة المصرية بطبعه

ولما كان اهتمام علماء أوروبا بنشر هذا الكتاب وطبعه بلغ شأنا كبيرا لأنه خاص بتاريخ مصر وهى أكبر دولة شرقية إسلامية لها من الحضارة والمدنية ما لم يبلغه سواها من الأمم الشرقية الأخرى، كان جديرا بحكومة الدولة المصرية أن تقوم بطبع هذا الكتاب على نفقتها، ولذا أشار رئيس الحكومة وقتئذ ساكن الجنان المغفور له عبد الخالق ثروت باشا على دار الكتب المصرية بطبع هذا الكتاب القيم

ضمن مطبوعاتها، فلبت طلبه وباشرت طبعه بمطبعتها لا سيما بعد أن حصلت على نسخة منه بالتصوير الشمسى .

العناية التامة بتصحيحه

ولذلك قام القسم الأدبى بترقيمه وضبطه وتصحيحه ، متوخّيا فيه تحقيق الأعلام وأسماء البلدان والوقائع بمراجعة المصادر التاريخية المطبوعة والمخطوطة لتحرى الصواب مع كتابة التعليقات وذكر المراجع . وطالما وُفِّق فى مراجعته إلى أكثر الكتب التى نقل عنها المؤلف، لتكون هذه الطبعة أصح نسخة يعوّل عليها .

ويجدر بنا أن نذكر أسماء الكتب التى نقل عنها المؤلف وراجعناها فيما صححناه من كتابه مع بعض المصادر الأخرى التى اعتمدنا عليها فى تصحيح هذا الكتاب :

(١) تاريخ ابن كثير المسمى بالبداية والنهاية — نسخة فتوغرافية محفوظة بدار الكتب تحت رقم ١١١٠ تاريخ .

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي — نسخة مخطوطة تحت رقم ٤٢ تاريخ .

(٣) عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان للعينى — نسخة فتوغرافية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ .

(٤) مرآة الزمان للحافظ شمس الدين يوسف بن قزأوغلى — نسخة فتوغرافية تحت رقم ٥٥١ تاريخ .

(٥) فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم — نسخة طبعة أوروبا رقم ١١٢٩ تاريخ .

(٦) تاريخ الرسل والملوك للطبرى — نسخة طبعة أوروبا .

(٧) التاريخ الكامل لابن الأثير — » » » .

(٨) فضائل مصر للكندى — نسخة طبعة أوروبا .

(٩) الطبقات الكبرى لابن سعد — « « « .

(١٠) المشتبه فى أسماء الرجال للذهبى — « « « .

(١١) فتوح البلدان للبلاذرى — « « « .

(١٢) معجم البلدان لياقوت — « « « .

(١٣) معجم ما آستعجم للبكرى — « « « .

(١٤) ولاة مصر وقضاتها للكندى — « « بيروت .

(١٥) أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الجزرى — نسخة طبعة مصر .

(١٦) الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى — « « « .

(١٧) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى — « « « .

(١٨) مروج الذهب للمسعودى — نسخة طبعة بولاق .

(١٩) الخطط للمقريزى — « « « .

(٢٠) وفيات الأعيان لابن خلكان — « « « .

(٢١) صحيح مسلم — « « « .

(٢٢) حوادث الدهور لابن تغرى بردى المؤلف — الجزء الأول بالتصوير الشمسى تحت رقم ٢٣٩٧ تاريخ .

وما الى ذلك من المصادر الأخرى من كتب التاريخ والأدب واللغة لضبط الأعلام والأماكن وتصحيح العبارات . وقد خصصنا فهرسا شاملا لكل هذه الكتب التى راجعناها فى نهاية هذا الجزء مع فهارس أخرى .

ترجمـــة المؤلف

كتبها تلميذه وصديقه أحمد بن حسين التركمانى المعروف بالمَرْجى بآخر كتاب "المنهل الصافى"[1] للمؤلف وقد كتبه بخطه، قال :

ذكر نبذة من ترجمة مؤلف هذا التاريخ أسبغ الله عليه ظلاله، وختم بالصالحات أعمـاله .

قال كاتب هذه النسخة تلميذ المؤلف، وغَرْس نعمه ، وأكبر محبِّيه، وأصغر خدمه "أحمد بن حسين التركمانى الحنفى الشهير بالمرجى" لطف الله به :

لمـا ٱتصلتُ بخدمة مؤلف هـذا الكتاب الجناب العالى المَوْلَوِىّ الأميرىّ الكبيرىّ الفاضـلىّ الكاملىّ الرئيسىّ الأَوْحَدِىّ العَضُدِىّ الذُّخْرِىّ النصـيرىّ؛ نادرة الزمان، وعين الأعيان، وعُمْدة المؤرخين ، ورأس الرؤساء المعتبرين، وأهَّلنى لكتابة هـذا التاريخ، فضلا وإحسانا منه وصدقة علىّ . اسـتوعبتُه كتابة ومطالعة وتأملا، فلم أر فيه مثلَه فى زمانه، لاختبارى ما ٱشتمل عليه من المحاسن التى لم توجد فى مثله من أبناء عصره، من لطيف المحاضرة، وفكاهة المنادمة، والعقل التامّ، وكرامة الأصالة الكريمة، والحُرْمة الوافرة، والعَظَمة الزائدة، وحُسْن الخُلُق، وبشاشة الوجه، وحسن الملتقى، والشكالة الحَسَنة التى يضرب بها المثل. وعلى ماقلته بلسان التقصير، وأعظم من ذلك من الأوصاف الجميلة التى لو ٱستوعبها منطلق اللسان لملأ منها كتبا مجلدة ، جميع مَن جالسه وحاضره من المتردّدين الى بابه، ومُشَنِّفى أسمـاعهم بحُسْن

---

(١) توجد منه نسخة خطية فى ثلاثة مجلدات محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١١٣ تاريخ، وهى منقولة عن نسخة خطية محفوظة بمكتبة المرحوم عارف حكمت بك بالمدينة المنورة .

منادمته وخطابه ؛ فأحببتُ ألا يخلو مثل هذا التاريخ من ترجمة مثل هذا المؤرخ، إذ جرت العادة أن المؤرخين لا يترجمون أنفسهم ؛ ورأيت من بعض ما يجب على أن أذكر نبذة من ذكر بعض أحواله على سبيل الاختصار فأقول :

هو يوسف بن تَغْرِى بَرْدِى بن عبد الله الأمير جمال الدين أبو المحاسن بن الأمير الكبير سيف الدين تغرى بردى اليشبغاوى الظاهرى أتابك العساكر بالديار المصرية، ثم كافل المملكة الشامية . سألته عن مولده فقال :

مولدى بالقاهرة بدار الأمير منجك اليوسفى [1] بجوار مدرسة السلطان حسن، فى حدود سنة اثنتى عشرة وثمانمائة تقريبا .

قلت : وتوفى والده الأمير الكبير تغرى بردى المذكور بدمشق على نيابتها فى محرّم سنة خمس عشرة وثمانمائة، فربّاه زوج أخته قاضى القضاة ناصرالدين محمد بن العَديم [2] الحنفى الى أن مات ابن العديم المذكور فى سنة تسع عشرة وثمانمائة، وتزوج بأخته شيخ الاسلام قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن البلقينى [3] الشافعى، فتولى تربيته وحفّظه القرآن العزيز الى أن كبر وانتشا وترعرع ، وحفظ مختصر القدورى فى الفقه، وطلب العلم وتفقه بالشيخ شمس الدين محمد الرومى الحنفى، و بقاضى القضاة

(١) كان أميرا جليلا عالى الهمة عارفا مدبرا جزيل النعمة وافر الحرمة مجتهدا فى مصالح الناس محبا للعمائر حصل أملاكا جليلة واستنق آثارا جبيلة عمر عدة مساجد وخوانق وربط وبنى عدة خانات للسبيل بمصر والشام . وتوفى فى ذى الحجة سنة ست وسبعين وسبعمائة (راجع المنهل الصافى) .

(٢) هو محمد بن عمر بن ابراهيم . مولده بحلب فى حدود التسعين وسبعمائة تقريبا . وتولى قضاء الديار المصرية فى العشرين من عمره، وتوفى فى ربيع الآخر سنة تسع عشرة وثمانمائة (راجع المنهل الصافى) .

(٣) ولد بالقاهرة سنة اثنتين وستين وسبعمائة وتولى قضاء العسكر بالديار المصرية، وتوفى فى شوّال سنة أربع وعشرين وثمانمائة (راجع المنهل الصافى) .

بهاء الدين أبي البقاء الحنفي قاضي مكة ، وبقاضي القضاة بدر الدين محمود[1] العيني الحنفي . وأخذ النحو عن شيخنا العلامة تقي الدين الشُّمُنِّي[2] الحنفي ، ولازمه كثيرا وتفقه عليه أيضا . وأخذ التصريف عن الشيخ علاء الدين الرومي وغيرهم . وقرأ المقامات الحريرية على العلامة قوام الدين[3] الحنفي وأخذ عنه العربية أيضا وقطعة جيدة من علم الهيئة . وأخذ البديع والأدبيات عن العلامة شهاب الدين أحمد[4] بن عَرَبْشاه الدمشقي الحنفي وغيره . وكتب عن شيخ الاسلام حافظ عصره شهاب الدين أحمد[5]

---

(١) هو قاضي القضاة بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني . ولد في عينتاب في السادس والعشرين من رمضان سنة اثنتين وستين وسبعمائة في درب كيكن . وتوفي بالقاهرة ليلة الثلاثاء رابع ذي الحجة سنة خمس وخمسين وثمانمائة وصلى عليه بالجامع الأزهر (المنهل الصافي) .

(٢) هو أحمد بن محمد بن محمد بن حسن بن علي بن يحيي ويعرف بالشمني (بضم المعجمة والميم ثم نون مشددة) نسبة لمزرعة ببعض بلاد المغرب أو لقرية . ولد في العشر الأخير من رمضان سنة إحدى وثمانمائة بالاسكندرية وقدم القاهرة مع أبيه وتوفي ليلة سبعة عشر ذي الحجة سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة ودفن بحوش داخل تربة قايتباي (راجع ترجمته في الضوء اللامع) .

(٣) هو قوام الدين محمد بن محمد بن محمد بن قوام الدين الرومي الحنفي . ولد سنة ثمان وتسعين وسبعمائة بدمشق . ومات في ليلة الخميس ثامن ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وثمانمائة (راجع ترجمته في الضوء اللامع للسخاوي) .

(٤) هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم المعروف بعربشاه كان إمام عصره في النثر والنظم وصحبه ابن تغرى بردى وكان يقدم معه الى مصر . ولد ليلة الجمعة الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، وتوفي يوم الاثنين خامس عشر شهر رجب سنة أربع وخمسين وثمانمائة بالقاهرة .

(٥) هو أحمد بن علي بن محمد شهاب الدين أبو الفضل الشهير بابن حجر الكناني العسقلاني الأصل ، المصري المولد والمنشأ والدار . ولد في شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بمصر العتيقة ، وتوفي في ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ، ومشى في جنازته أكثر من خمسين ألف إنسان ودفن تجاه تربة الديلمي بالقرافة (راجع ترجمته في المنهل الصافي والضوء اللامع) .

ابن حَجَر كثيرا من شعره ، وحضر دروسه ، وانتفع بمجالسته . وعن قاضى القضاة جلال الدين أبى السعادات بن ظَهِيرة[1] قاضى مكة من شعره وشعر غيره . وعن العلامة بدر الدين بن العُلَيف[2] ، والشيخ قطب الدين أبى الخير بن عبد القوى[3] شاعِرَى مكة كثيرا من شعرهما . وكتب عن شعراء عصره واجتهد وحصل ونثر ونظم و برع فى عدّة علوم وشارك فى عدّة فنون .

ثم حُبِّب اليه علم التاريخ فلازم مؤرّخى عصره مثل قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى ، والشيخ تقىّ الدين المقريزى[4] ، واجتهد فى ذلك الى الغاية ، وساعده جَوْدة ذهنه ، وحُسْن تصوّره ، وصحيح فهمه ، حتى برع ومهر وكتب وحصّل وصنّف وألّف وانتهت اليه رياسة هذا الشأن فى عصره .

---

(١) هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن ظهيرة قاضى قضاة مكة . ولد يوم الخميس رابع جمادى الأولى سنة تسع وثمانين وسبعمائة بمكة ، وتوفى بها فى يوم الاثنين تاسع عشر شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وثمانمائة ودفن بالمعلاة (راجع المنهل الصافى) .

(٢) هو الحسين بن محمد بن الحسن بن عيسى المعروف بابن العليف . ولد سنة أربع وتسعين وسبعمائة (راجع ترجمته فى المنهل الصافى) .

(٣) هو محمد بن عبد القوى بن محمد . ولد فى شوال سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة ، وتوفى سنة اثنين وخمسين وثمانمائة (راجع ترجمته فى المنهل الصافى) .

(٤) هو أحمد بن على بن عبد القادر تقى الدين المقريزى المصرى المولد والدار والوفاة . مولده بعد سنة ستين وسبعمائة ، وتوفى يوم الخميس سادس عشر شهر رمضان سنة خمس وأربعين وثمانمائة (راجع ترجمته فى المنهل الصافى والضوء اللامع) .

سمع الحديث واستجاز، ومن مسموعاته العوالى كتاب "السنن لأبى داود" على المشايخ الثلاثة المسندين المعمرين : زين الدين عبد الرحمن بن يوسف بن أحمد بن الطحان[1] الدمشقى الحنبلى المشهور بابن قُرَيج (بقاف وجيم مصغر)، وعلاء الدين على ابن إسماعيل بن محمد بن بَرْدَس[2] البعلبكى الحنبلى أيضا ، وشهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن[3] المشهور بابن الناظر الصاحبة الحنبلى أيضا . وكتاب "جامع الترمذى" سمعه على الشيخين الأخيرين ابن بردس وابن ناظر الصاحبة بعد موت ابن الطحان، وسمع عليهما أيضا "شمائل المصطفى للترمذى" ومشيخة الفخر بن البخارى، و "مسند ابن عباس"، وقطعة كبيرة من "مسند أحمد" فى عدّة مجالس .

ومن مسموعاته العوالى أيضا كتاب "فضل الخيل" للحافظ شرف الدين الدمياطى سمعه على الحافظ تقىّ الدين المقريزى بسماعه على الشيخ المسند ناصر الدين محمد بن يوسف بن طبرزد الحراوى بسماعه من مؤلفه، وله مسموعات كثيرة بالطالع والنازل.

---

(١) هو عبد الرحمن بن يوسف بن أحمد بن سليمان الدمشقى الصالحى الحنبلى المعروف بابن قريج (بالقاف والراء والجيم مصغر) وبابن الطحان ، ولد فى منتصف المحرم سنة ثمان وستين وسبعمائة بدمشق ، استقدم القاهرة فاسمع بها ولم يلبث أن مات بها فى يوم الاثنين سابع عشرى صفر سنة خمس وأربعين وثمانمائة ودفن بتربة طقتمش (راجع ترجمته فى الضوء اللامع) .

(٢) هو على بن اسماعيل بن محمد بن بردس المعروف بابن بردس . ولد سنة اثنتين وستين وسبعمائة ببعلبك . استقدم القاهرة فحدّث بها وأخذ عنه الأعيان وسافر منها فات بدمشق فى العشر الأخير من ذى الحجة سنة ست وأربعين وثمانمائة ودفن بتربة الشيخ رسلان ، ووهم من أرخه فى سنة خمس (راجع ترجمته فى الضوء اللامع) .

(٣) هو أحمد بن عبد الرحمن بن الموفق أحمد بن اسماعيل وهو ابن ناظر الصاحبة الدمشقى الصالحى الحنبلى وربما سقطت الياء ، ولد فى سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، استدعى به الظاهر جقمق بعناية بعض أمرائه فى سنة خمس وأربعين وثمانمائة مع آخرين مع المسندين الى القاهرة وحدّث بالمسند وبغيره من مروياته وسمع منه الأعيان ، مات فى شوّال سنة تسع وأربعين وثمانمائة (راجع ترجمته فى الضوء اللامع) .

وأجازه بالقاهرة حافظ العصر شيخ الاسلام قاضي القضاة شهاب الدين أحمد ابن حجر، والشيخ الحافظ تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي الشافعي، والحافظ العلامة أبو محمد محمود بن أحمد العيني الحنفي، وأحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي، وأبو ذر عبد الرحمن بن محمد الزركشي الحنبلي[1]، وعز الدين عبد الرحيم ابن الفرات الحنفي[2]، وإبراهيم بن صدقة بن إبراهيم بن إسماعيل الصالحي الحنبلي[3]، ومحمد بن يحيي بن محمد الحنبلي، وأحمد بن محمد بن محمد الحنفي، وأحمد بن محمد بن إبراهيم الفيشي[4] المالكي، والمسند محمد بن عبد الله الرشيدي[5]، وعبد الله[6] بن محمد الميموني

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله بن محمد الزين و يعرف بالزركشي صنعة أبيه . ولد في سابع عشر رجب سنة ثمان وخمسين وسبعمائة بالقاهرة ونشأ بها . مات في ليلة الأربعاء ثامن عشر صفر سنة ست وأربعين وثمانمائة بالقاهرة . (راجع ترجمته في الضوء اللامع).

(٢) هو عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحيم المعروف بابن الفرات ،ولده سنة تسع وخمسين وسبعمائة بالقاهرة، وتوفى بها في أواخر ذي الحجة سنة احدى وخمسين وثمانمائة (راجع ترجمته في المنهل الصافي) .

(٣) هو ابراهيم بن صدقة بن ابراهيم بن اسماعيل الصالحي (نسبة لصالحية دمشق) القاهري المولد والمنشأ الحنبلي . ولد في سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة بالقاهرة، ومات في يوم الأحد سادس عشرى جمادى الثانية سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة وصلى عليه بالجامع الأزهر (راجع ترجمته في الضوء اللامع) .

(٤) الفيشي بالفاء المعجمة، وفي الأصل «العيني» وهو خطأ . وهو أحمد بن محمد بن ابراهيم واختلف فيمن بعده فقيل ابن شافع وقيل ابن عطية بن قيس الفيشي ثم القاهري المالكي نزيل الحسينية و يعرف بالحناوي (بكسر المهملة وتشديد النون) ولد في شعبان سنة ثلاث وستين وسبعمائة بفيشا المنارة من الغربية بالقرب من طنتدا ، مات في ليلة الجمعة ثامن عشرى جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين وثمانمائة وصلى عليه بجامع الحاكم ودفن بمقبرة البوابة عند حوض الكشكشي من نواحي الحسينية(راجع ترجمته في الضوء اللامع)

(٥) هو محمد بن عبدالله بن محمد بن ابراهيم بن لاجين و يعرف بالرشيدي . ولد في رجب سنة سبع وستين وسبعمائة بالقاهرة ومات في عشاء ليلة الجمعة حادي عشر ربيع الأول سنة أربع وخمسين وثمانمائة عن سبعة وثمانين عاما وصلى عليه بجامع أمير حسين ثم بجامع المارداني في مشهد عظيم ودفن بالعلائية محل مشيخته وهي بالقرب من باب القرافة (راجع ترجمته في الضوء اللامع) .

(٦) هو عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن بيرم القاهري الشافعي سبط التاج الدندري و يعرف بالميموني . ولد في شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ، ومات في شعبان سنة سبع وخمسين وثمانمائة (راجع ترجمته في الضوء اللامع) .

وعبد الله بن أحمد القَمَنى[1]، وجلال الدين عبد الرحمن بن على بن عمر بن الملقّن[2]، والحافظ أبو النعيم زين الدين رضوان بن محمد بن يوسف العقبي المستملى[3]، وقاضى القضاة بدر الدين محمد[4] أحمد بن محمد بن محمد، والعلامة شمس الدين[5] محمد النواجى، والشيخ عز الدين أحمد[6] بن إبراهيم بن نصر الله الحنبلى، ومحمد[7] بن على بن أحمد الشهير بابن المُغَيربى وآخرون .

(١) هو عبد الله بن أحمد بن عمر بن عرفات القمنى (بكسر القاف وفتح الميم) ثم القاهرى الشافعى . ولد سنة سبع وسبعين وسبعمائة بقمن وانتقل به أبوه الى القاهرة وتعلم بها ، مات فى شعبان سنة ست وخمسين وثمانمائة (راجع ترجمته فى الضوء اللامع) .

(٢) هو عبد الرحمن بن على بن عمر بن أبى الحسن على بن أحمد الاندلسىّ الأصل المصرىّ الشافعىّ ويعرف بابن الملقن . ولد فى رمضان سنة تسعين وسبعماية بالقاهرة فى منزلهم بخط قصر سلار ، ومات فى صبيحة يوم الجمعة ثامن شوّال سنة سبعين وثمانمائة وصلى عليه وقت العصر بمصلى باب النصر ودفن بحوش سعيد السعداء عند أسلافه (راجع ترجمته فى الضوء اللامع) .

(٣) هو رضوان بن محمد بن يوسف بن سلامة العقبى ثم القاهرىّ الصحراوىّ الشافعىّ . ولد فى صبح جمعة من رجب سنة تسع وستين وسبعمائة بمنية عقبة بالجيزة ، ومات فى يوم الاثنين ثالث رجب سنة اثنين وخمسين وثمانمائة بسكنه بتربة بخماس ودفن بها (راجع ترجمته فى الضوء اللامع) .

(٤) هو بدر الدين محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبى بكر و يعرف بابن الخلال (بمعجمة ثم لام مشددة) ولد فى ربيع الأول سنة ست وسبعين وسبعمائة بمصر ، ومات فى عصر يوم السبت حادى عشر رمضان سنة سبع وستين وثمانمائة (راجع ترجمته فى الضوء اللامع) .

(٥) هو محمد بن حسن بن على بن عثمان شاعر الوقت و يعرف بالنواجى (نسبة لنواج بالغربية بالقرب من المحلة) ثم القاهرىّ الشافعىّ . ولد بالقاهرة بعد سنة خمس وثمانين وسبعمائة تقريبا ، ومات فى يوم الثلاثاء خامس عشر جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وثمانمائة (راجع ترجمته فى الضوء اللامع) .

(٦) هو أحمد بن ابراهيم بن نصر الله بن أحمد بن محمد العسقلانى الأصل القاهرى الصالحى الحنبلى . ولد فى سادس عشرى ذى القعدة سنة ثمانمائة بالمدرسة الصالحية من القاهرة ، ومات فى ليلة السبت حادى عشر جمادى الأولى سنة ست وسبعين وثمانمائة (راجع ترجمته فى الضوء اللامع) .

(٧) هو محمد بن على بن أحمد بن عبد الواحد الابيارى ثم القاهرة الشافعى و يعرف بابن المغيربى (بميم مضمومة ثم معجمة مصغر) نسبة لجدّه فانه كان كأسلافه مغربيا . ولد سنة سبع وسبعين وسبعمائة بأبيار ، ومات فى ليلة الأربعاء عاشر المحرّم سنة تسع وستين وثمانمائة ودفن بحوش جوشن (راجع ترجمته فى الضوء اللامع) . وفى الأصل : «محمد بن أحمد بن على» وهو خطأ .

وبالحجاز قاضي القضاة جلال الدين أبو السعادات أحمد بن محمد بن ظهيرة الشافعي المكي، وقاضي القضاة بهاء الدين محمد أبو البقاء الحنفي المكي، وشاعرا مكة بدر الدين بن العليف، والشيخ أبو الخير بن عبد القوى وغيرهم .

وأجازه من حلب العلامة شهاب الدين أحمد بن[1] أبي بكر المرعشي الحنفي، وابن الشماع وغيرهما .

وبرع في فنون الفروسية كلعب الرمح ورَمْي النُّشَّاب وسوق البرجاس ولعب الكرة والمحمل . وأخذ هذه الفنون عن عظماء هذا الشأن، وفاق فيهم على أنداده، وساد على أقرانه علما وعملا؛ هذا مع الديانة والصيانة والعفّة عن المنكرات والفروج والاعتكاف[2] عن الناس، وترك التردداد الى أعيان الدولة حتى ولا الى السلطان؛ مع حُسْن المحاضرة، ولطيف المنادمة، والحشمة الزائدة، والحياء الكثير، وآتساع الباع في علوم الآداب والتاريخ وأيام الناس، قلّ أن يخلو مجلسه من مذكّرات العلوم، جالسته كثيرا وتأدّبتُ بتربيته، وحُسْن رأيه وسياسته وتدبيره . يضرب به المثل في الحياء والسكون، ما سمعته شتم أحدا من غلمانه، ولا من حاشيته، ولا تكبّر على أحد من جلسائه قط، كبيرا كان أو صغيرا، جليلا كان أو حقيرا .

وصحب بعض الأُصلاء الأعيان كالقاضي كمال الدين بن البارزي، وقاضي القضاة شهاب الدين بن حجر وغيرهما من العلماء والرؤساء، وتكرّر ترداد غالبهم الى بابه، وحضروا مجلسه كثيرا وأحبُّوه محبة زائدة .

---

(١) هو أحمد بن أبي بكر بن صالح بن عمر المرعشي . ولد بمرعش بالبلاد الحلبية في سنة ست وثمانين وسبعمائة وكان فقيه حلب وعالمها ومفتيها، ومات في سنة آثنتين وسبعين وثمانمائة (راجع ترجمته في المنهل الصافي) .

(٢) في الأصل : «والانجماع» .

هـذا مع ما اشتمل عليه من الكرم الزائد ، والميل الى الخير ، ومحبته أهل العلم والفضل والصلاح ، والإحسان اليهم بما تصل القدرة اليه .

وله اليـد الطولى فى علم النغم والضروب والإيقاع حتى لعلّه لم يكن فيه مثـله فى زمانه ، انتهت اليه الرياسة فى ذلك وكتب كثيرا وحصّل وصنّف وألّف .

ومن مصنفاته هـذا الكتاب الجليل وهو المسمى بـ "المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى" فى سبعة مجلدات ، هـذه الستة ومجلد آخر يسمى "بالكنى" استوعب فيه ذكر الأعيان المشهورين بكنيتهم على هـذا الشرط ، وهو من أول دولة الترك ومختصره المسمى "بالدليل الشافى على المنهل الصافى" ومختصره سماه "مورد اللطافة فى ذكر من وَلِىَ السلطنة والخلافة" وذيل على الإشارة للحافظ الذهبى مختصرا سمـاه "بالبشارة فى تكملة الإشارة" وكتاب "حلية الصفات فى الأسمـاء والصناعات" مرتبا على الحروف ، يشتمل على مقاطيع وتواريخ وأدبيات ، بديع فى معناه ، وغير ذلك . كل ذلك فى عنفوان شبيبته .

ونرجو ، إن أطال الله عمره وفسح فى أجله ، ليملأنّ خزائن من العلوم والمصنفات فى كل فنّ ، لعلمى باتساع باعه فى التصنيف والتأليف .

ومن شعره ما أنشدنى من لفظه لنفسه — حفظه الله تعالى — فى مليح اسمه "حسن" قوله :

طَـرْفُه الأَحْوَرُ زاهٍ شَاقَنِى ... وبه قد ضاع عامى بالوَسَنْ
جَوْرُهُ عَدْلٌ علينا فى الهوى ... كلّ فعلٍ منه لى فهو حَسَنْ .

وله أيضـا :

تجارةُ الصبِّ غَدَتْ　　فى حبّ خود كاسدَهْ
ورأس مالى هبـــة　　لِفَـــرْحتِى بفـائده

وله أيضـا :

أيبـك قطز يعقبو بيبرس ذو الإكمال　　بعـدو قلاوون بعدو كتبغا المفضال
لاجين بيبرس برقوق شيخ ذو الإفضال　　ططر برسباى جقمق ذو العلا إينال

ترجمـــــة المؤلف

عن الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع للسخاوى [1]

يوسف بن تَغْرِى بَرْدِى الجَمال أبو المحاسن بن الأتابكى بالديار المصرية، ثم نائب الشام اليشبغاوى الظاهرى القاهرى الحنفى . ولد فى شوّال تحقيقا سنة ثلاث عشرة وثمانمائة تقريبا بدار منجك اليوسفى، جوار المدرسة الحَسَنِيّة، ومات أبوه بدمشق على نيابتها وهو صغير، فنشأ فى حجر أخته عند زوجها الناصرى بن العَدِيم الحنفى، ثم عند الجلال البلقينى، لكونه كان خلفه عليها . وحفظ القرآن، ثم فى كبره ـ فيما زعم ـ مختصر القدورى وألفية النحو وإيساغوجى، واشتغل يسيرا وقال إنه قرأ فى الفقه على الشمس والعلاء الروميين، وفى الصرف على ثانيهما، وكذا اشتغل فى الفقه على العينى وأبى البقاء بن الضياء المكى والشمنى ولازمه أكثر، وعليه اشتغل فى شرح الألفية لابن عقيل والكافياجى

(١) راجع القسم الثانى من الجزء الخامس من النسختين الفتوغرافيتين المحفوظتين منه بدار الكتب المصرية تحت رقمى ٦٧٦ ، ٣٢٧٠ تاريخ .

وعليه حضر فى الكشاف والزين قاسم ، واختص به كثيرا وتدرّب به ، وقرأ فى العروض على النّواجى ، والمقامات الحريرية على القوام الحنفى ، وعليه اشتغل فى النحو أيضا بل أخذ عنه قطعة جيدة من علم الهيئة ، وقرأ أقراباذين فى الطب على سلام الله ، وفى البديع وبعض الأدبيات على الشهاب بن عَرَبْشَاه ، وكتب عن شيخنا من شعره وحضر دروسه وانتفع ، فيما زعم ، بمجالسته ؛ وكذا كتب بمكة عن قاضيها أبى السعادات بن ظَهِيرة من شعره وشعر غيره ، وعن البدر بن العليف وأبى الخير بن عبد القوى وغيرهم من شعراء القاهرة ؛ وتدرّب كما ذكر فى الفنّ بالمقريزى والعينى وسمع عليهما الحديث ، وكذا بالقلعة عند نائبها تغرى برمش الفقيه على بن الطحان وآبن بردس وآبن ناظر الصاحبة ، وأجاز له الزين الزركشى وآبن الفرات وآخرون . وحج غير مرة أوّلها فى سنة ست وعشرين ، واعتنى بكتابة الحوادث من سنة أربعين ، وزعم أنه أوقف شيخه المقريزى على شيء من تعليقه فيها فقال : دنا الأجل ، إشارة إلى وجود قائم بأعباء ذلك بعده ، وأنه كان يرجع إلى قوله فيما يذكره له من الصواب بحيث يصلح ما كان كتبه أوّلا فى تصانيفه ، بل سمعته يرجح نفسه على من تقدّمه من المؤرخين من ثلاثمائة سنة بالنسبة لاختصاصه دونهم بمعرفة الترك وأحوالهم ولغاتهم ، ورأيته إذ أرّخ وفاة العينى قال فى ترجمته : إن البدر البغدادى الحنبلى قال له وهما فى الجنازة : خلا الجوّ ، إشارة إلى أنه تفرّد ؛ وما رأيتــه آرتضى وصفه له بذلك من حينئذ فقط ، فانه قال إنه رجع من الجنازة فأرسل له ما يدل على أن العينى كان يستفيد منه ، بل سمعته يصف نفسه بالبراعة فى فنون الفروسية كلعب الرمح وَرَمْى النُّشّاب وسوق البِرْجاس ولعب الكرة والمحمل ونحو ذلك .

وبالجملة فقد كان حَسَن العِشْرة، تامّ العقل — إلا فى دعواه فهو حَمِق — والسكون، لطيف المذاكرة، حافظا لأشياء من النظم ونحوه، بارعا حسبما كنت أتوهّمه فى أحوال الترك ومناصبهم وغالب أحوالهم، منفردا بذلك لا عهد له بمن عداهم، ولذلك تكثر فيه أوهامه، وتختلط ألفاظه وأقلامه، مع سلوك أغراضه، وتحاشيه عن مجاهرة من أدبر عنه بإعراضه، وما عسى أن يصل اليه تركى ! .

وقد تقدّم عند الجمالى ناظر الخاص بسبب ما كان يطريه به فى الحوادث، وتأثّل منه دنيا، وصار بعده الى جانبك الجداوى فزادت وجاهته، وآشتهرت عند أكثر الأتراك ومن يلوذ بهم من المباشرين وشبههم فى التاريخ براعته . وبسفارته عند جانبك خلص البقاعى من ترسيمه حين آدعى عليه عنده بما فى جهته بجامع الفكّاهين، لكون البقاعى ممن كان يكثر التردّد لبابه، ويسامره بلفظه وخطابه؛ وربما حمله على إثبات مالا يليق فى الوقائع والحوادث مما يكون موافقا لغرضه، خصوصا فى تراجم الناس وأوصافهم، لما عنده من الضِّغْن والحِقْد، كما وقع له فى أبى العباس الواعظ وآبن أبى السعود. وكان إذا سافر يستخلف فى كتابة الحوادث ونحوها التقىّ القلقشندى .

وقد صنف المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى فى ستة مجلدات تراجم خاصة على حروف المعجم من أوّل دولة الترك؛ والدليل الشافى على المنهل الصافى؛ ومورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة؛ والبشارة فى تكملة الإشارة للذهبى؛ وحلية الصفات فى الأسماء والصناعات، مشتمل على مقاطيع وتواريخ وأدبيات، رتبه على حروف المعجم وغير ذلك[1] .

---

(١) انظر الكلام على مؤلفاته بتطويل فيما بعد .

وفيهـا الوهم الكثير والخلط الغزير ممـا يعرفه النقاد، والكثير من ذلك ظاهر لكل . ومنه السَّقَط فى الأنساب كتسمية الحجار أحمد بن نعمة مع كون نعمة جدّه الأعلى . وكحذفه ما يتكرر من الأسماء فى النسب أو الزيادة فيه بأن يكون فى النسب ثلاثة محمدين فيجعلهم أربعة،أو أربعة فيجعلهم خمسة . والقلب كأن يكون المترجم طالبـا لواحد فيجعـله شيخا له . والتصحيف والتحريف كالغرافى بالفـاء والغين المعجمة يجعله مرة بالقاف، ومرة بالعين والقاف مخففا ، وكالحسامية بالحسابية، وتسعين بسبعين وعكسه، وآبن سُكَّر حيث ضبطه بالشـين المعجمة، وفريد الدين بمؤيد الدين . والتغيير كسليمان من سلمان وعكسـه ، وعبـد الله من أبى عبد الله، وسعد من سعد الله ، وثبا[1] حيث جعله عليا ، وعبد الغفار صاحب الحاوى حيث جعله عبد الوهاب، وآبن أبى جمرة الولى الشهير حيث جعله محمدا، وصلاح الدين خليل بن السابق أحد رؤساء الشام سماه محمدا، وعبد الرحمن البوتيجى الشهير جعله أبا بكر، وأحمد بن على القلقشـندى صاحب صبح الأعشى سمى والده عبـد الله . والتكرير فيكتب الرجل فى موضعين مرة فى إبراهيم ومرة فى أحمـد، وربمـا تنبه لذلك فيجوِّز كونه أخا ثانيا. وإشهار المترجم بما لا يكون به مشهورا حيث يَرُوم التشبه بابن خلكان أو الصفدى فيما يكتبانه بهامش أوّل الترجمـة لسهولة الكشف عنـه ككتابته مقابل ترجمة أحمد بن محمد بن عبد المعطى جدّ قاضى المـالكية بمكة المحيوى عبد القادر ما نصه : آبن طراد النحوى الحجازى. أو وصفه بمالم يتصف به كالصلاح بن أبى عمر حيث وَصَفه بالحافظ، والجمال الحبلى بالعلامة، وناصرالدين ابن المخلَّطة بقوله : إنه لم يخلف بعده مثله ضخامة وعلما ومعرفة ودينا وعفة. وتعبيره

(١) فى إحدى النسختين : « نبا » .

بما لا يطابق الواقع كقوله فى البرهان بن خضر : تفقه بابن حجر . أوشرحه لبعض الألقاب بما لا أصل له حيث قال فى ابن حجر : نسبة الى آل حَجَر يسكنون الجنوب الآخر على بلاد الحربة وأرضهم قابس . أو لحنه الواضح وما أشبهه كأَزْوَجَه فى زوجه ، والحياة فى الحيا ، والمجاز فى المزاح ، وأجعزه فى أزعجه ، والكِتابة فى الكَآبة ، والحطيط فى الحضيض ، ومنتضمة فى منتظمة ، وظنين فى ضنين . بل ويذكر فى الحوادث ما لم يتفق كأنه كان يكتب بمجرّد السماع كقوله فى الشهاب ابن عربشاه — مع زعمه أنه من شيوخه — : إنه استقر فى قضاء الحنفية بحماة فى صفر سنة أربع وخمسين عوضا عن ابن الصوّاف ، وإن ابن الصوّاف قدم فى العشر الثانى من الشهر الذى يليه فأعيد فى أواخر جمادى الآخرة ، وهذا لم يتفق كما أخبرنى به الجمالى بن السابق الحموى ، وكفى به عُمْدة سيما فى أخبار بلده . وكقوله عن جانم : إنه لما أمر برجوعه من الخانقاه الى الشام توجه كاتب السر ابن الشِّحنة لتحليفه فى يوم الثلاثاء ثامن عشر رمضان سنة خمس وستين ، فإن هذا كما قال ابن الشحنة المشار إليه لم يقع . وكقوله : إن صلاح الدين بن الكويز استقر فى وكالة بيت المال عِوَضا عن الشرف الأنصارى فى رجب سنة ثلاث وستين ، وفى ظنى أن المستقرّ حينئذ فيها إنما هو الزين بن مزهر . ويذكر فى الوفيات تعيين محالّ دفن المترجَمين فيغلط : كقوله فى نصر الله الرويانى : إنه دفن بزاويته ، الى غير ذلك من تراجمه التى يقلد فيها بعض المتعصبين كما تقدّم . أو يسلك فيها الهوى ، كترجمته لمنصور بن صفىّ وجانبك الجداوى ، بل سمعت غير واحد من أعيان الترك ونقادهم العارفين بالحوادث والذوات يصفونه بمزيد الخلل فى ذلك . وحينئذ فما بقى ركون لشىء مما يبديه ، وعلى كل حال فقد كان لهم به جمال . وقد اجتمعت به مرارا وكان يبالغ

فى إجلالى اذا قدمت عليه ويخصّنى بتكرمة لجلوس، والتمس منى اختصار الخطط للقريزى، وكتبت عنه ما قال إنه من نظمه فيمن اسمها «فائدة» وهو :

تجارة الصبّ غدت * فى حبّ خود كاسده

ورأس مالى هبة * لفرحتى بفائده

وابتنى له تربة هائلة بالقرب من تربة الأشرف إينال، ووقف كتبه وتصانيفه بها وتعلل قبل موته بنحو سنة بالقولنج واشتد به الأمر من أواخر رمضان بإسهال دموى بحيث انتحل وتزايد كربه، وتمنى الموت لما قاساه من شدة الألم إلى أن قضى فى يوم الثلاثاء خامس ذى الحجة سنة أربع وسبعين ودفن من الغد بتربته، وعسى أن يكون كُفِّر عنه، رحمه الله وعفا عنه وإيانا[1] .

---

(١) يظهر أن السخاوى قد تناول فى كتابه "الضوء اللامع" هذا معظم أعلام عصره بالتجريح والنقد، ولم ينج من تجريحه حتى تقى الدين المقريزى أعظم مؤرخى هذا العصر؛ فقد حمل عليه فى كتابه "التبر المسبوك" ورماه بالقصور وضعف الرواية والبيان، وزعم أنه نقل خططه الشهيرة من مسودة للأوحدى ظفر بها وزاد عليها قليلا، مع أنه لم يذكر دليلا واحدا يؤيد هذا الزعم - (التبر المسبوك طبع بولاق ص ٢١ — ٢٤)- بل لم ينج من لسانه شيخ مؤرخى الاسلام ابن خلدون، فقد ترجمه بعبارات تنم عن الانتقاص لقدره. (راجع ترجمته لابن خلدون فى الضوء اللامع ص ٣٦٧ — ٣٧١ من المجلد الثانى القسم الثانى من النسخة الفتوغرافية المحفوظة بدار الكتب برقم ٦٧٥ تاريخ) .

وحمل على البقاعى أيضا، وهو من أعلام المحدثين والرواة فى عصره (راجع الضوء اللامع ص ٦٨ — ٧٦ من المجلد الأول القسم الأول من النسخة الفتوغرافية المحفوظة بدار الكتب برقم ٣٢٧٠ تاريخ) .

والظاهر أن الخصومة الأدبية كانت تضطرم بين السخاوى وبين معاصريه على الخصوص . فقد رأيت كيف يحمل على مؤلف «النجوم الزاهرة» ويرميه بأقصى ما ينتقص من قدر المؤرخ، مع أنه لم يأخذه إلا بسقطات لفظية تافهة .

وكذلك نشبت الخصومة بين السخاوى وبين جمال الدين السيوطى، وهو من أعظم مفكرى عصره فنقده السيوطى وحمل عليه، بسبب ما تعرض به فى الضوء اللامع من التجريح الشديد لأكابر وأعيان عصره، =

ترجمـــة المؤلف

عن شذرات الذهب فى أخبار من ذهب[1]

لابن العماد الحنبلى فى حوادث سنة ٨٧٤ هـ

جمـال الدين أبو المحـاسن يوسف بن الأمير الكبير سيف الدين تَغْرِى بَرْدِى الحنفى الإمام العلامة. ولد بالقاهرة سنة اثنتى عشرة وثمانمائة وربّاه زوج أخته قاضى القضاة ناصر الدين بن العديم الحنفى إلى أن مات، فتزوج بأخته جلال الدين البلقينى الشافعى فتولى تربيته وحفظ القرآن العزيز. ولما كبر اشتغل بفقه الحنفية وحفظ القدورى وتفقّه بشمس الدين محمد الرومى و بالعينى وغيرهما، وأخذ النحو عن التقىّ الشُّمُنِّى ولازمه كثيرا وتفقه به أيضا، وأخذ التصريف عن الشيخ علاء الدين الرومى وغيره، وقرأ المقامات الحريرية على قوام الدين الحنفىّ وأخذ عنه العربية أيضا وقطعة جيدة من علم الهيئة، وأخذ البديع والأدبيات عن الشهاب بن عَرَبْشَاه الحنفىّ وغيره،

= ورماه بالغرض والتحامل فى رسالة شهيرة له أسماها «مقامة الكاوى على تاريخ السخاوى» قال فى فاتحتها ما يأتى : «ماترون فى رجل ألف تاريخا جمع فيه أكابر وأعيانا، ونصب لأكل لحومهم خوانا؛ ملأه بذكر المساوئ وثلب الأعراض، وفوّق فيه سهاما على قدر أغراضه والأعراض هى الأغراض؛ جعل لحم المسلمين من جملة طعامه و إدامه، واستغرق فى أكلها أوقات فطره وصيامه، ولم يفرق فيه بين جليل وحقير...... وامتدّ حتى الى العلماء الأعلام، وقضاة القضاة ومشايخ الاسلام» . (راجع الرسالة المذكورة فى مخطوط بدار الكتب محفوظ برقم ١٥١٠ أدب) .

كذلك يشير المؤرخ ابن إياس، وهو من معاصرى السخاوى، فى تاريخه الى أن السخاوى : «ألف تاريخا فيه أشياء كثيرة من المساوى فى حق الناس ...»(تاريخ ابن إياس طبع بولاق ج ٢ ص ٣٢٢) .

وفى كل هذا ما يحملك على أن تقرأ ترجمة السخاوى لمؤلف "النجوم الزاهرة" بكثير من التحفظ والاحتياط .

(١) راجع النسخة المخطوطة المحفوظة منه بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٠٢ تاريخ .

وحضر على ابن حجر العسقلانى وانتفع به، وأخذ عن أبى السعادات بن ظهيرة وابن العليف وغيرهما .

ثم حُبِّب إليه علم التاريخ فلازم مؤرّخى عصره مثل العينىّ والمقريزىّ ، واجتهد فى ذلك إلى الغاية وساعدته جودة ذهنه وحسن تصوّره وصحة فهمه، ومهر وكتب وحصّل وصنّف وانتهت إليه رآسة هذا الشأن فى عصره ، وسمع شيئا كثيرا من كتب الحديث ، وأجازه جماعات لا تحصى مثل ابن حجر والمقريزىّ والعينىّ .

ومن مصنفاته كتاب المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى فى ستة مجلدات ، ومختصره المسمى بالذيل الشافى على المنهل الصافى، ومختصر سماه مورد اللطافة فى ذكر من وَلِىَ السلطنة والخلافة ، والنجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، وذيل على الإشارة للحافظ الذهبى سماه بالبشارة فى تكملة الإشارة ، وكتاب حلية الصفات فى الأسماء والصناعات مرتبا على الحروف، وغير ذلك . ومن شعره :

تجارة الحب غدت * فى حب خود كاسده
ورأس مالى هيبة * لفرحتى بفائده

ومنه مواليا فى عدّة ملوك الترك :

أيبك قطز يعقب بيبرس ذو الإكمال * بعدو قلاوون بعدو كتبغا المفضال
لاچين بيبرس برقوق شيخ ذو الإفضال * ططر برسباى چقمق ذو العلا إينال

وتوفى فى ذى الحجة .

حديث ابن إياس عن المؤلف

وقد أشار ابن إياس فى تاريخه (ج ٢ ص ١١٨) الى ترجمته عند ذكر وفاته فى حوادث سنة أربع وسبعين وثمانمائة فقال :

"وفيه كانت وفاة الجمالى يوسف بن الأتابكى تغرى بردى اليشبغاوى الرومى نائب الشام . وكان الجمالى يوسف رئيسا حشِما فاضلا حنفىّ المذهب وله اشتغال بالعلم، وكان مشغوفا بكتابة التاريخ وألف فى ذلك عدّة تواريخ منها تاريخه الكبير الموسوم بالنجوم الزاهرة ؛ والمنهل الصافى ؛ ومورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة؛ وله تاريخ فى وقائع الأحوال على حروف الهجاء ؛ وله غير ذلك عدّة مصنفات . وكان نادرة فى أولاد الناس . ومولده سنة ثلاث عشرة وثمانمائة" اهـ .

مؤلفاته

ولابن تغرى بردى عدا كتاب "النجوم الزاهرة" الكتب الآتية[1] :

١ — مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة: اقتصر فيه على ذكر الخلفاء والسلاطين بغير مزيد ، واستفتح بذكر النبىّ صلى الله عليه وسلم فالخلفاء الراشدين الى الخليفة القائم بأمر الله . ثم ذكر العبيديين ومن خلفهم على مصر الى أيامه . منه نسخة فى مكتبة محمد الفاتح ومكتبة بشير أغا فى الأستانة ، وفى غوطا مع ذيل الى سنة ٩٠٦ هـ ، وفى باريس وأكسفورد وكمبريدج وتونس . وطبع فى كمبريدج سنة ١٧٩٢م وله ذيول منها : « منهل الظرافة، لذيل مورد اللطافة » بأسماء أمراء مصر الى سنة ٨٨٤ هـ فى برلين .

٢ — منشأ اللطافة، فى ذكر من ولى الخلافة : وهو تاريخ مصر من أقدم أزمانها الى سنة ٧١٩ هـ فى باريس .

---

(١) منقولة عن تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان (ج ٣ ص ١٨٠) .

٣ — المنهل الصافى، والمستوفى بعد الوافى : هو معجم لمشاهير الرجال العظام من سنة ٦٥٠ ﻫ الى آخر أيام المؤلف، أراد به أن يكون ذيلا للوافى تأليف الصفدى. منه نسخة فى دار الكتب المصرية فى ثلاثة مجلدات كبيرة صفحاتها نحو ٣٠٠٠ صفحة منقولة عن مكتبة عارف بك بالمدينة . ترجم فيها مئات من الأعيان والعلماء، وأسند كل رواية الى صاحبها .

ومن لطيف ما جاء فى مقدّمته — وقد خالف به أكثر مؤلفى عصره — قوله : «كنت قد اطلعت على نبذ من سيرهم وأخبارهم (يعنى رجال التاريخ) ووقفت فى كتب التاريخ على الكثير من آثارهم فحملنى ذلك على سلوك هذه المسالك، وإثبات شىء من أخبار أمم الممالك، غير مستدعًى الى ذلك من أحد من أعيان الزمان، ولا مطالب به من الأصدقاء والخلّان، ولا مكلّف لتأليفه وترصيفه من أمير ولا سلطان؛ بل اصطفيته لنفسى، وجعلت حديقته مختصة بباسقات غرسى؛ ليكون فى الوحدة لى جليسا، وبين الجلساء مسامرا وأنيسا ... الخ» .

وهذا يخالف طريقة سائر المؤلفين فى ذلك العهد، وقد اختصره فى كتاب سماه : «الدليل الشافى على المنهل الصافى» منه نسخة فى مكتبة بشير أغا بالأستانة .

٤ — نزهة الرائى فى التاريخ : هو تاريخ مفصل على السنين والشهور والأيام فى عدّة مجلدات، منها الجزء التاسع فى اكسفورد لحوادث سنة ٦٧٨ — ٧٤٧

٥ — حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور : جعله ذيلا على كتاب السلوك للقريزى بدأ به حيث انتهى ذاك الى سنة ٨٥٦ﻫ، لكنه خالف المقريزى فى طريقته فأطال فى التراجم إلا ما جاء ذكره منها فى المنهل الصافى . منه نسخ فى برلين والمتحف البريطانى وأيا صوفيا .

٦ — البحر الزاخر فى علم الأوائل والأواخر : مطوّل فى التاريخ على السنين ، منه جزء صغير فى باريس من سنة ٣٢ — ٧١ هـ .

فهارس الكتاب

وإتمـاما للفائدة وتعميما للنفع قام القسم الأدبى بعمل فهارس وافية لهذا الجزء شملت ذكر الولاة الذين وَلُوا حكم مصر والأعلام التى وردت فيه والقبائل والأماكن ووفاء النيل وغير ذلك مرتبة على حروف المعجم، وقد بذل كل من حضرتى محمد عبد الجواد الأصمعىّ افندى وعلى أحمد الشهداوىّ افندى المصححين بالقسم الأدبى مجهودا فى هذا الشأن يستحقان عليه الثناء .

ومما هو جدير بالذكر تلك العناية السامية التى يبذلها دائما حضرة صاحب العزة الأستاذ المربى الكبير محمد أسعد براده بك مدير دار الكتب المصرية، فإلى إرشاداته القيمة وآرائه السديدة ونصائحه الغالية يرجع الفضل فى إظهار هـذا الكتاب وأمثاله من مطبوعات الدار على هذا النحو، جزاه الله عن العلم والأدب خير الجزاء ،،

أحمد زكى العدوى

رئيس قسم التصحيح بدار الكتب المصرية

كتاب



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحابته وسلم

(٣)

خطبة المؤلف

الحمد لله الذى أيد الإسلام بمبعث سيد الأنام، وجعل مدده شاملا لكل خليفة وإمام؛ فهم ظل الله فى أرضه يأوى اليه كل ملهوف، والزعماءُ القائمون بنَهْى كلّ منكَر وأمر كل معروف؛ قلّبهم فى أطوارها دوَلا، وخالف بينهم اعتقادا وقولا وعملا؛ وجعل قَصصهم عبرة لأولى الألباب، وتذكرة فى كل خبر وكتاب؛ فمن عدل منهم كان أوّل السبعة[1]، ومن ظلم كان فى أخباره شُنعة؛ أحمده حمدا كثيرا على أن عرّفنا من صلح منهم ومن فسد، ومن هو فى الوغى مدد، وبين الأنام عدد؛ ونشكره على أن أخّرنا عن كل الأمم، وهذا لعَمْرى من أعظم الإحسان وأسبغ النعم؛ لنُعاين[2] ممن تقدّم آثارهم، ونشاهد منازلهم وديارهم، ونسمع كما وقعت وجرت أخبارَهم؛ أعْظِم بها من منّة جليلة، وكرامة وفضيلة؛ إذ أُخبرنا عنهم ما لم يُخبَروه عنا، ورأينا منهم ما لم يروْه منا؛ فلنقابل هذه المنة بالإنصاف، فى كل مُترجَم ومَن اليه انضاف؛ فنخبر بذلك من تأخر عصره من الأقوام، بأفواه المحابر وألسن الأقلام؛

(١) كذا فى النسخة الفتوغرافية التى اعتبرناها أصلا واعتمدناها فى الطبع - ورمزنا اليها بالحرف «ف» - وهو يشير بذلك الى الحديث المعروف: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله الخ» أنظر الحديث فى الجامع الصغير، وفى النسخة المطبوعة بمدينة ليدن: «الشيمة» وهو تحريف - وقد رمزنا اليها بالحرف «م» . (٢) فى ف، م «من» ولعله تحريف .

ليقتدى كل ملك يأتى بعدهم بجميل الخصال ، ويتجنب ما صدر منهم من آقتراح[1] المظالم وقبيح الفعال ؛ ولم أقل كمقالة الغير إنى مستدعًى الى ذلك من أمير أو سلطان ، ولا مطّلَب به من الأصدقاء والإخوان ؛ بل ألّفته لنفسى ، وأينعته بباسقات غرسى ؛ ليكون لى فى الوحدة جليسا ، وبين الجلساء مسامرا وأنيسا ؛ ولا أنزّهه من خلل وإن حوى أحسن الخلال ، ولا من زلل وإن طاب مورده الزلال ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ شهادة لا ينقص قدر إيمانها بعد تأكده ، ولا يخفض مجد إتقانها بعد تشيّده ؛ وأشهد أنّ سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى كان لقول الحق أهلا ، ومن جعل بتشريعه طرق الفلاح لسالك سننه سهلا ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرّيته وأتباعه .

الباعث للؤلف على تأليف الكتاب

أما بعد فلما كان لمصر ميزة على كل بلد بخدمة الحرمين الشريفين ، أحببت أن أجعل تاريخا لملوكها مستوعبا من غير مَيْن ؛ فحملنى ذلك على تأليف هذا الكتاب وإنشائه ، وقمت بتصنيفه وأعبائه ؛ وآستفتحته بفتح مصر وما وقع لهم فى المسالك ، ومن حضرها من الصحابة ومن كان المتولّى لذلك ؛ وعلى أىّ وجه فُتحت : صلح أم عَنْوة من أصحابها ، وأجمع فى ذلك أقوال من آختلف من المؤرّخين وأهل الأخبار وأربابها ؛ وذلك بعد آتصال سندى الى من لى عنه منهم رواية ، ليجمع الواقف عليه بين صحة النقل والدراية ؛ وأطلق عِنان القلم فيما جاء فى فضلها وذكرها من الكتاب العزيز ، وما ورد فى حقها من الأحاديث وما آختصت به من المحاسن فصار لها على غيرها بذلك التمييز ؛ ثم أذكر مَن وليها من يوم فُتحت وما وقع فى دولته من العجب ، واحدا بعد واحد لا أقدّم أحدا منهم على أحد بآسم ولا كنية ولا لقب ؛ ثم أذكر أيضا فى كل ترجمة ما أحدث صاحبها فى أيام ولايته من الأمور ، وما جدّده من

(١) كذا فى ف ، م ولعلها اجتراح أو اقتراف .

القواعد والوظائف والولايات فى مَدَى الدهور؛ ولا أقتصر على ذلك بل أستطرد
الى ذكر ما بُنى فيها من المبانى الزاهرة، كالميادين والجوامع ومقياس النيل وعمارة
القاهرة؛ أوّلا بأوّل أذكره فى يوم مبناه وفى زمان سلطانه، مستوعبا لهذا المعنى
ضابطا لشانه؛ على أنى أذكر من توفى من الأعيان فى دولة كل خليفة وسلطان
بآقتصار، بعد فراغ ترجمة المقصود من الملوك مع ذكر بعض الحوادث فى مدّة ولاية
المذكور فى أيما قطر من الأقطار؛ وأبدأ فيه بعد التعريف بأحوال مصر بولاية عمرو
ابن العاص فى المملكة الإسلامية، ثم مَلِكٍ بعد ملِك كل واحد على حدته وما وقع
فى أيامه الى الدولة الأشرفية الإينالية؛ وسميته :

"النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة"

١٠ والله الموفّق والمنّان وبالله المستعان .

ذكر فتح مصر

لابن عبد الحكم وغيره

أقوال المؤرخين فى فتح مصر

قال المؤلف : أخبرنا حافظ العصر قاضى القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانىّ الشافعىّ مشافهة عن أبى هريرة بن الذهبىّ قال : أخبرنا الحافظ أبو عبد الله الذهبىّ روى خليفة عن غير واحد : « أن فى سنة عشرين كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى عمرو بن العاص أن يسير الى مصر، فسار وبعث عُمَرُ الزبيرَ بن العوام مردفا له ومعه بُسْر بن أبى أَرْطاة[1] وعُمَير بن وَهْب الجُمَحىّ وخَارِجَة بن حُذَافة العَدَوىّ حتى أتى بَابِلْيُون[2]، فحصَّنوا، فآفتتحها عنوة وصالحه أهل الحصن؛ وكان الزبير أوّل من آرتقى سور المدينة ثم تبعه الناس، فكلَّم الزبير عَمرا أن يقسمها بين من آفتتحها، فكتب عمرو الى عمر بذلك ثم رَقِىَ الى المنبر وقال : « لقد قعدت مقعدى هذا وما لأحد من قِبْط مصر علىّ عهد ولا عقد، إن شئتُ قتلتُ، وإن شئت بعت، وإن شئت خمست» . انتهى كلام الذهبىّ .

---

(١) كذا فى حسن المحاضرة : « ابن أبى أرطاة » قال ابن حبان : وهو الصواب . وقال فى الإصابة : وهو الأصح » وفى ف ، م « بسر بن أرطاة » .

(٢) بالأصلين : « باب اللوق » وهو محرف والتصويب عن القطعة المطبوعة من كتاب فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم المطبوع قطعة منه بمجلس المعارف الفرنساوى سنة ١٩١٤ ص ٥٦ والمقريزى طبع بولاق ج ١ ص ٢٩٠ وهو حصن بناه الفرس أيام تملكهم لمصر، وكان يسميه العرب قصر الشمع وكان على الضفة الشرقية من النيل قرب الكنيسة المعلقة فى مصر القديمة (أنظر الجزء الثالث من كتاب أشهر مشاهير الاسلام طبع مصر ص ٥٧٨) .

وقال عُلَىّ — وعلى مصغر — بن رَبَاح : المغرب[1] كله عنوة، فتدخل مصر فيها اه .

وقال ابن عمر : افتتحت مصر بغير عهد . وقال يزيد بن أبي حبيب : مصر كلها صلح إلا الإسكندرية .

إشارة عمرو بن العاص على عمر بن الخطاب بفتح مصر

وأمّا فتوح مصر لابن عبد الحكم فقد أخبرنا به حافظ العصر شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علىّ بن حجر العسقلانىّ الشافعىّ مشافهة قال : قرأت على أبي المعالى عبد الله بن عمر بن علىّ أخبرنا ، إجازة إن لم يكن سماعا ، عن زُهْرة بنت عمر أخبرنا الكمال أبو الحسن علىّ بن شُجَاع أخبرنا أبو القاسم هبة الله ابن علىّ البُوصِيرىّ أخبرنا أبو صادق مُرْشِد بن يحيى المَدِينىّ أخبرنا أبو الحسن على بن مُنِير الخَلَّال وأبو بكر محمد بن أحمد بن الفَرَج الأنصارى أخبرنا أبو القاسم على بن الحَسَن بن خَلَف بن قُدَيد الأَزْدِى أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد الحكم قال :

لما قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الجابية[2] قام اليه عمرو بن العاص رضى الله عنه فخلا به وقال : يا أمير المؤمنين، ائذن لى أن أسير الى مصر، وحرّضه عليها وقال : إنك إن فتحتها كانت قوّة للسلمين وعونا لهم، وهى أكثر الأرض أموالا وأعجز[ها][3] عن القتال والحرب، فتخوّف عمر بن الخطاب على المسلمين وكره ذلك، فلم يزل عمرو يعظم أمرها عنده ويخبره بحالها ويهوّن عليه فتحها ، حتى ركن اليه عمر وعقد له على أربعة آلاف رجل [كلهم من عكّ][3] ، ويقال : [بل][3]

(١) كذا فى فتوح البلدان للبلاذرى (ص ٢١٧ طبعة أوروبا) وفى ف ، م : «العرب» وظاهر تحريفه . (٢) الجابية : قرية من أعمال دمشق . (٣) الزيادة عن كتاب "فتوح مصر وأخبارها" لأبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشى المصرى وهو الذى ينقل عنه المؤلف (راجع القطعة المطبوعة منه بمجلس المعارف الفرنساوى سنة ١٩١٤ ص ١٥)، وعك : بلد فى اليمن .

ثلاثة آلاف وخمسمائة، وقال له عمر : سر وأنا مستخير الله فى مسيرك، وسيأتيك كتابى سريعا إن شاء الله تعالى ، فإن أدركك كتابى آمرك فيه بالآنصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئا من أرضها فآنصرف ، وإن أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابى فامض لوجهك وآستعن بالله وآستنصره .

توجه عمرو بن العاص إلى فتح مصر

فسار عمرو بن العاص من جوف الليل ولم يشعر به أحد من الناس فاستخار عمر وكاتبه يتخوف على المسلمين بالرجوع[1]، فأدرك الكتاب عمرا وهو برفح، فتخوف عمرو إن هو أخذ الكتاب وفتحه أن يجد فيه الانصراف كما عهد اليه عمر، فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه وسار كما هو حتى نزل قرية فيما بين رفح والعريش، فسأل [عنها][2] فقيل : إنها من أرض مصر، فدعا بالكتاب وقرأه على المسلمين؛ فقال عمرو لمن معه : ألستم تعلمون أن هذه القرية من أرض مصر؟ قالوا : بلى، قال : فإن أمير المؤمنين عهد إلى وأمرنى إن لحقنى كتابه ولم أدخل أرض مصر أن أرجع، ولم يلحقنى كتابه حتى دخلنا أرض مصر، فسيروا وآمضوا على بركة الله . وقيل غير ذلك : وهو أن عمر أمره بالرجوع وخشن عليه فى القول .

ما قاله عثمان بن عفان عند ما أخبره عمر بن الخطاب بسير عمرو لفتح مصر

وروى نحو مما ذكرنا من وجه آخر، من ذلك : أن عثمان بن عفان رضى الله عنه دخل على عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، فقال عمر له : كتبت الى عمرو بن العاص أن يسير الى مصر من الشأم ، فقال عثمان : يا أمير المؤمنين ، إن عمرا لمجرأ وفيه إقدام وحب للإمارة ، فأخشى أن يخرج فى غير ثقة ولا جماعة فيعرض المسلمين للهلكة رجاء فرصة لا يدرى تكون أم لا ، فندم عمر على كتابه الى

(١) عبارة ابن عبد الحكم فى كتابه فتوح مصر وأخبارها (ص ٥٠) نصها : "وآستخار عمر الله فكأنه تخوف على المسلمين فى وجههم ذلك؛ فكتب الى عمرو بن العاص يأمره أن ينصرف بمن معه من المسلمين؛ فأدرك ... الخ" . (٢) الزيادة عن كتاب فتوح مصر وأخبارها لآبن عبد الحكم .

عمرو إشفاقا على المسلمين، ثم قال عثمان : فاكتب اليه : إن أدركك كتابى هـذا قبل أن تدخل مصر فارجع الى موضعك، وإن كنت دخلت فآمض لوجهك .

تجهيز المقوقس الجيوش لملاقاة عمرو بن العاص

فلما بلغ المُقَوْقِس قدوم عمرو بن العاص الى مصر توجه الى موضع الفُسْطاط، فكان يجهز على عمرو الجيوش وكان على القصر (يعنى قصر الشمع الذى بمصر القديمة) رجل من الروم يقال له الأُعَيْرِج واليا عليـه، وكان تحت يد المقوقس، واسمـه : جُرَيج بن مِينَا، وأقبل عمرو حتى اذا كان بالعريش، فكان أوّل موضع قُوتل فيـه الفَرَما[1] قاتلته الروم قتالا شديدا نحوا من شهر ثم فتح الله على يديه، وكان عبـد الله ابن سعد على ميمنة عمرو منذ خروجه من قَيْسارِيّة الى أن فرغ من حربه؛ ثم مضى عمرو نحو مصر وكان بالإسكندرية أُسْقُف للقِبْط يقال له : أبو ميامين، فلما بلغه قدوم عمرو الى مصر كتب الى قِبط مصر يعلمهم أنه لا يكون للروم دولة وأن ملكهم قد انقطع، وأمرهم بتلقى عمرو .

ويقال : إن القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرو أعوانا؛ ثم توجه عمرو لا يدافَع إلا بالأمر الأخف حتى نزل القواصر، فسمع رجل من لَخْم نفرا من القبط يقول بعضهم لبعض : ألا تعجبون من هؤلاء القوم يقدمون على جموع الروم وإنما هم فى قلة من الناس ! فأجابه رجل منهم فقال : إن هؤلاء القوم لا يتوجهون الى أحد إلا ظهروا عليه حتى يقتلوا أخيرَهم ؛ ثم تقـدّم عمرو أيضا لا يدافع إلا بالأمر

(١) الفرما : مدينة قديمة بين العريش والفسطاط قرب قطية وشرقى تِنّيس على ساحل البحر، على يمين القاصد لمصر و بينها و بين بحر القلزم المتصل بحر الهند أربعة أيام وهو أقرب موضع بين البحرين بحر المغرب وبحر المشرق (راجع معجم البلدان لياقوت) .

وفى القسم الثانى من الجزء الثامن (ص ٣٠٦) من كتاب "عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان" للعينى المحفوظ منه نسخة فتوغرافية بدار الكتب المصرية ما نصه : « الفرماء بفتح الفاء والراء والميم ممدودة، وهى مدينة عتيقة على ساحل بحر الروم وهى الآن خراب، وهى على جانب بحيرة تنيس مما يلى الشرق » .

الخفيف حتى أتى بلبيس فقاتل نحوا من شهر حتى فتح الله عليه ؛ ثم مضى لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى أمّ دُنين[(١)]، فقاتلوا من بها قتالا شديدا وأبطأ عليه الفتح، فكتب الى عمر رضى الله عنه يستمدّه فأمدّه بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف مع عمرو ، فوصلوا اليه أرْسالا يتبع بعضهم بعضا ثم أحاط المسلمون بالحصن وأميره يومئذ المَنْدَقُور الذى يقال له الأعيرج من قبل المقوقس وهو ابن قُرْقُب اليونانىّ ٥ وكان المقوقس ينزل بالإسكندرية وهو فى سلطان هِرَقْل غير أنه كان حاضرا الحصن حين حاصره المسلمون ، فقاتل عمرو بن العاص من بالحصن ، وجاء رجل الى عمرو وقال : اندب معى خيلا حتى آتى من ورائهم عند القتال ، فأخرج معه عمرو خمسمائة فارس عليهم خارجة بن حُذَافة ، فى قول ، فساروا من وراء الجبل حتى وصلوا مغارِ بنى وائل قبل الصبح ، وكانت الروم قد خندقوا خندقا وجعلوا له ١٠ أبوابا وبَثُّوا فى أفنيتها حَسَك الحديد[(٢)] ، فالتقاهم القوم حين أصبحوا وخرج خارجة من ورائهم فانهزموا حتى دخلوا الحصن وقاتلهم قتالا شديدا بصبحهم وعشيهم ، فلما أبطأ الفتح على عمرو كتب الى عمر رضى الله عنه يستمدّه ويعلمه بذلك ، فأمدّه بأربعة آلاف رجل على كل ألف رجل منهم رجل مقام الألف : الزُّبَيْر بن العَوّام، والمِقْداد بن الأسود[(٣)]، وعُبَادة بن الصَّامِت، ومَسْلَمة بن مُخَلَّد — فى قول — ١٥ وقيل : خَارِجة بن حُذَافة الرابعُ، لا يعدّون مسلمة . وقال عمر له : إعلم أن معك اثنى عشر ألفا ولن تُغلب اثنا عشر ألفا من قِلة .

وصول عمرو وجيشه إلى أم دنين وإمداد عمر بن الخطاب له

(٧)

---

(١) أمّ دنين : كانت تطلق قبل الاسلام على المقس وكانت واقعة على النيل ، ويقع فيها الآن جامع أولاد عنان وشارع كامل وحديقة الأزبكية . (٢) حسك الحديد : أسلاك كالشوك تعمل من الحديد تلق حول المعسكر لتنشب فى رجل من يدوسها من الخيل والناس الطارقين له . وهى المعروفة الآن : ٢٠ « بالأسلاك الشائكة » (٣) فى تاريخ ابن عبد الحكم والمقريزى « المقداد بن عمرو » .

قدوم الزبير بن العوام وجيشه لإمداد عمرو

وقيل غير ذلك ، وهو أنّ الزبير رضى الله عنه قدم الى عمرو فى اثنى عشر ألفا وأنّ عمرا لما قدم من الشام كان فى عدّة قليلة. فكان يفرّق أصحابه ليرى العدوّ أنهم أكثر مما هم، فلما آنتهى الى الخندق بادره رجل بأن قال : قد رأينا ما صنعت وإنما معك من أصحابك كذا وكذا فلم يخطئوا برجل واحد، فأقام عمرو على ذلك أياما يغدو ٥ فى السحر فيصفّ أصحابه على أفواه الخندق عليهم السلاح، فبينما هم على ذلك إذ جاءه خبر الزبير بن العوّام فى آثنى عشر ألفا فتلقاه عمرو، ثم أقبلا فلم يلبث الزبير أن ركب وطاف بالخندق ثم فرّق الرجال حول الخندق وألحّ عمرو على القصر ووضع عليه المنجنيق .

دخول عمرو الحصن ومناظرته وصاحبه

ودخل عمرو الى صاحب الحصن فتناظرا فى شىء مما هم فيه ، فقال عمرو : ١٠ أخرج وأستشير أصحابى ، وقد كان صاحب الحصن أوصى الذى على الباب اذا مرّ به عمرو أن يلقى عليه صخرة فيقتله ، فمرّ عمرو وهو يريد الخروج برجل من العرب فقال له : قد دخلت فآنظر كيف تخرج، فرجع عمرو الى صاحب الحصن فقال له : إنى أريد أن آتيك بنفر من أصحابى حتى يسمعوا منك مثل الذى سمعت ، فقال العلج فى نفسه : قتل جماعة أحبّ الىّ من قتل واحد، فأرسل الى الذى كان أمره ١٥ بما أمره من أمر عمرو ألا يتعرّض له رجاء أن يأتيه بأصحابه فيقتلهم، فخرج عمرو .

تحرّش قوم من الروم لعبادة بن الصامت وهو يصلى وخروجه من الصلاة وحمله عليهم

وبينما عبادة بن الصامت فى ناحية يصلى وفرسه عنده رآه قوم من الروم فخرجوا اليه وعليهم حلية وبزّة، فلما دنوا منه سلم من الصلاة ووثب على فرسه ثم حمل عليهم، فلما رأوه ولوا هاربين وتبعهم ، فجعلوا يلقون مناطقهم ومتاعهم ليشغلوه بذلك عن طلبهم، فصار لا يلتفت اليه حتى دخلوا الى الحصن ، ورمى عبادة من فوق الحصن ٢٠ بالحجارة، فرجع ولم يتعرّض لشىء مما طرحوه من متاعهم حتى رجع الى موضعه الذى كان فيه فاستقبل الصلاة؛ وخرج الروم الى متاعهم وجمعوه .

صعود الزبير الحصن واقتحامه إياه

فلما أبطأ الفتح على عمرو قال الزبير : إنى أهب نفسى لله تعالى وأرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين، فوضع سلما الى جانب الحصن من ناحية سوق الحمّام ثم صعد وأمرهم اذا سمعوا تكبيره يجيبونه جميعا ؛ فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبر ومعه السيف، وتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو خوفا أن ينكسر السلم، وكبّر الزبير تكبيرة فأجابه المسلمون من خارج، فلم يشك أهل الحصن أنّ العرب قد اقتحموا جميعا الحصن فهربوا وعمد الزبير بأصحابه الى باب الحصن ففتحوه واقتحم المسلمون الحصن . فلما خاف المقوقس على نفسه ومن معه سأل عمرو ابن العاص الصلح ودعاه اليه على أن يفرض للعرب على القبط دينارين دينارين على كل رجل منهم، فأجابه عمرو الى ذلك .

وكان مكثهم على القتال حتى فتح الله عليهم سبعة أشهر . انتهى كلام ابن عبد الحكم باختصار .

وقال غيره فى الفتح وجها آخر قال : لما حصر المسلمون بابليون وكان به جماعة من الروم وأكابر القبط ورؤسائهم وعليهم المقوقس فقاتلوهم شهرا، فلما رأى القوم الجدّ من العرب على فتحه والحرص، ورأوا من صبرهم على القتال ورغبتهم فيه خافوا أن يظهروا عليهم، فتنحّى المقوقس وجماعة من أكابر الأقباط وخرجوا من باب القصر القبلىّ وتركوا به جماعة يقاتلون العرب، فلحقوا بالجزيرة (موضع[1] الصناعة اليوم) وأمروا بقطع الجسر وذلك فى جرى النيل . ويقال : إنّ الأعيرج تخلف بالحصن بعد المقوقس؛ فأرسل المقوقس الى عمرو :

مفاوضة المقوقس عمرا فى الصلح وما كان بينهما فى ذلك

"إنكم قد ولجتم فى بلادنا وألححتم على قتالنا، وطال مقامكم فى أرضنا وإنما أنتم عصبة يسيرة، وقد أظلتكم الروم وجهزوا اليكم ومعهم من العدّة والسلاح، وقد

(١) موضع الصناعة، يعنى صناعة السفن الحربية .

أحاط بكم هذا النيل . وإنما أنتم أسارى فى أيدينا ، فابعثوا الينا رجالا منكم نسمع من كلامهم فلعله أن يأتى الأمر فيما بيننا و بينكم على ما تحبون ونحب وينقطع عنا وعنكم القتال قبل أن يغشاكم جموع الروم ، فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه . ولعلكم أن تندموا إن كان الأمر مخالفا لمطلبكم ورجائكم ، فابعثوا الينا رجالا من أصحابكم نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شىء" .

فلما أتت عمرا رسل المقوقس حبسهم عنده يومين وليلتين حتى خاف عليهم المقوقس فقال لأصحابه : أترون أنهم يقتلون الرسل [و يحبسونهم][1] و يستحلون ذلك فى دينهم ! وإنما أراد عمرو بذلك أنهم يرون حال المسلمين .

فردّ عليهم عمرو مع رسلهم : إنه ليس بينى و بينكم إلا إحدى ثلاث خصال : إمّا أن دخلتم فى الإسلام فكنتم إخواننا وكان لكم ما لنا . وإن أبيتم فاعطيتم[2] الجزية عن يد وأنتم صاغرون . وإما أن جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا و بينكم وهو خير الحاكمين . فلما جاءت رسل المقوقس اليه قال : كيف رأيتموهم؟ قالوا :

رأينا قوما الموت أحب الى أحدهم من الحياة ، والتواضع أحب اليهم من الرفعة ، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة ، وإنما جلوسهم على التراب وأكلهم على رُكَبهم وأميرهم كواحد منهم ، ما يُعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد من العبد ، واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد ، يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون فى صلاتهم .

---

(١) الزيادة عن تاريخ ابن عبد الحكم والمقريزى . (٢) كذا فى ب ، م وهذه الفاء زائدة أو لعل أصل الجملة و إما أن أبيتم .

فقال عند ذلك المقوقس : والذى يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها وما يقوى على قتال هؤلاء أحد! ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم اذا أمكنتهم الأرض وقووا على الخروج من موضعهم.

فردّ اليهم المقوقس رسله يقول لهم : ابعثوا الينا رسلا منكم نعاملهم ونتداعى نحن وهم الى ما عساه يكون فيه صلاح لنا ولكم .

فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر أحدهم عُبَادة بن الصامت، وكان طوله عشرة أشبار ، وأمره عمرو أن يكون متكلم القوم وألّا يجيبهم الى شىء دعوه اليه إلا إحدى هذه الثلاث الخصال، فإنّ أمير المؤمنين قد تقدّم الىّ فى ذلك وأمرنى ألا أقبل شيئا إلا خصلة من هذه الثلاث الخصال، وكان عبادة أسود، فلما ركبوا السفن الى المقوقس ودخلوا عليه تقدّم عبادة ، فهابه المقوقس لسواده وقال : نَحُّوا عنّى هذا الأسود وقدموا غيره يكلمنى، فقالوا جميعا : إن هذا الأسود أفضلنا رأيا وعلما وهو سيّدنا وخَيِّرنا والمقدّم علينا، وإنما نرجع جميعا الى قوله ورأيه وقد أمره الأمير دوننا بما أمره وأمرنا ألا نخالف رأيه وقوله .

فقال : وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم وإنما ينبغى أن يكون هو دونكم ؟ قالوا : كلا ! إنه وإن كان أسود كما ترى فإنه من أفضلنا موضعا وأفضلنا سابقة وعقلا ورأيا وليس يُنكر السواد فينا ؛ فقال المقوقس لعبادة : تقدّم يا أسود وكلمنى برفق فإنى أهاب سوادك وإن آشتدّ كلامك علىّ آزددت لك هيبة ، فتقدّم اليه عبادة فقال :

قد سمعت مقالتك وإنّ فيمن خَلَّفت من أصحابى ألف رجل كلهم مثلى وأشدّ سوادا منى وأفظع منظرا ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم منى ، وأنا قد وليّت وأدبر

شبابى ، وإنى مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوّى لو آستقبلونى جميعا وكذلك أصحابى ، وذلك إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد فى الله وآتباع رضوانه ، وليس غزونا عدوّا ممن حارب الله لرغبة فى الدنيا ولا حاجة للاستكثار منها إلا أن الله عزّ وجل قد أحل ذلك لنا وجعل ما غنمنا من ذلك حلالا ، وما يبالى أحدنا أكان له قناطير من ذهب أم كان لا يملك إلا درهما ، لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسدّ بها جوعته ليلته ونهاره ، وشملة يلتحفها ، وإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه ، وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه فى طاعة الله تعالى ، واقتصر على هذه بيده[1] ويبلغه ما كان فى الدنيا لأنّ نعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاءها ليس برخاء ، إنما النعيم والرخاء فى الآخرة ، بذلك أمرنا الله وأمرنا به نبينا وعهد إلينا ألّا تكون همة أحدنا فى الدنيا إلا ما يمسك جوعته ويستر عورته ، وتكون همته وشغله فى رضاء ربه وجهاد عدوّه .

فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله : هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط ! لقد هِبتُ منظره وإنّ قوله لأهيب عندى من منظره ، إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض وما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها . ثم أقبل المقوقس على عُبَادة بن الصامت فقال :

أيها الرجل الصالح ، قد سمعت مقالتك وما ذكرت عنك وعن أصحابك ، ولعمرى ما بلغتم ما بلغتم إلا بما ذكرت ، وما ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها ، وقد توجه الينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده ، قوم معروفون بالنجدة والشدّة ممن لا يبالى أحدهم مَن لقى ولا مَن قاتل ، وإنّا لنعلم أنكم لم تقووا

(١٠)

---

(١) فى المقريزى : « وآقتصر على هذا الذى بيده » .

عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم ، وقد أقمتم بين أظهرنا أشهرا وأنتم فى ضيق وشدّة من معاشكم وحالكم ، ونحن نرقّ عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بأيديكم ، ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ولأميركم مائة دينار ولخليفتكم ألف دينار ، فتقبضونها وتنصرفون الى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوة لكم به .

فقال عبادة : يا هذا ، لا تغرّنّ نفسك ولا أصحابَك . أمّا ما تخوّفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنّا لا نقوى عليهم ، فلَعَمْرى ما هذا بالذى تخوّفنا به ولا بالذى يَكْسِرنا عما نحن فيه ، إن كان ما قلتم حقا فذلك والله أرغب ما يكون فى قتالهم وأشدّ لحرصنا عليهم ، لأن ذلك أعذر لنا عند الله إذا قَدِمنا عليه إن قُتِلنا عن آخرنا كان أمكن لنا من رضوانه وجنته ، وما من شىء أقرّ لأعيننا ولا أحب الينا من ذلك ، وإنّا منكم حينئذ على إحدى الحسنيين ، إمّا أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظَفِرنا بكم ، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا ، وإنها لأحب الخصلتين الينا بعد الاجتهاد منا ، وإن الله عز وجل قال لنا فى كتابه : ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحا ومساء أن يرزقه الشهادة وألا يردّه الى بلده ولا الى أرضه ولا الى أهله وولده ، وليس لأحد منا همّ فيما خَلْفه وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده وإنما همنا [ما][1] أمامنا .

وأما قولك إنا فى ضيق وشدّة من معاشنا وحالنا فنحن فى أوسع السعة لو كانت الدنيا كلّها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن فيه ، فانظر الذى تريد فبيّنه لنا فليس بيننا وبينك خصلة نقبلها منك ولا نجيبك اليها إلا خصلة من ثلاث ،

(١) الزيادة من تاريخ ابن عبد الحكم والمقريزى .

فاختر أيتها شئت ولا تُطمع نفسك فى الباطل ، بذلك أمرنى الأمير وبها أمره أمير المؤمنين وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قِبَله الينا .

إما إجابتكم الى الإسلام الذى هو الدين الذى لا يقبل الله غيره وهو دين نبينا وأنبيائه ورسله وملائكته — صلوات الله عليهم — أمرنا الله تعالى أن نقاتل مَن خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه ، فإن فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا وكان أخانا ٥ فى دين الإسلام ، فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم فى الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولم نستحلّ أذاكم ولا التعرّض لكم ؛ وإن أبيتم إلا الجزية فأدّوا الينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، نعاملكم على شىء نرضاه نحن وأنتم فى كل عام أبدا ما بقينا وبقيتم ونقاتل عنكم من ناوأكم وعرض لكم فى شىء من أرضكم ودمائكم ١٠ وأموالكم ونقوم بذلك عنكم إذ كنتم فى ذمّتنا وكان لكم به عهد علينا ؛ وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا أو نصيب ما نريد منكم . هذا ديننا الذى ندين الله تعالى به ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره ، فانظروا لأنفسكم .

فقال المقوقس : هذا لا يكون أبدا ، ما تريدون إلا أن تتخذونا عبيدا ما كانت ١٥ الدنيا . فقال عبادة : هو ذلك فاختر ما شئت . فقال المقوقس : أفلا تجيبونا الى خصلة غير هذه الثلاث الخصال ؟ فرفع عبادة يديه وقال : لا ورب هذه السماء ورب هذه الأرض ورب كل شىء ، ما لكم عندنا خصلة غيرها ، فاختاروا لأنفسكم .

فالتفت المقوقس عند ذلك لأصحابه وقال : قد فرغ القوم فما ترون؟ فقالوا : أو يرضى أحد بهذا الذل ! أمّا ما أرادوا من دخولنا الى دينهم فهذا ما لا يكون ٢٠ أبدا ، نترك دين المسيح بن مريم وندخل فى دين لا نعرفه ! وأمّا ما أرادوا من أن

يَنْسُبونا ويجعلونا عبيدا فالموت أيسر من ذلك ، لو رضوا منا أن نُضَعِّف لهم ما أعطيناهم مرارا كان أهون علينا .

قال المقوقس لعبادة : قد أبى القوم فما ترى ؟ فراجع صاحبك على أن نعطيكم فى مرّتكم هذه ما تمنيتم وتنصرفون . فقام عبادة وأصحابه .

فقال المقوقس لأصحابه : أطيعونى وأجيبوا القوم الى خصلة واحدة من هذه الثلاث ، فوالله ما لكم بهم طاقة ! ولئن لم تجيبوا اليها طائعين لتجيبنّهم الى ما هو أعظم كارهين . فقالوا : وأىّ خصلة نجيبهم إليها ؟ قال : إذًا أخبركم ، أمّا دخولكم فى غير دينكم فلا آمُرُكم به ، وأمّا قتالهم فأنا أعلم أنكم لن تقووا عليهم ولن تصبروا صبرهم ، ولا بدّ من الثالثة ، قالوا : فنكون لهم عبيدا أبدا ؟ قال : نعم ، تكونون عبيدا مسلطين فى بلادكم آمنين على أنفسكم وأموالكم وذراريكم [خير لكم[1] من أن تموتوا من آخركم وتكونوا عبيدا تُباعوا وتمزّقوا فى البلاد مستعبدين أبدا أنتم وأهلكم وذراريكم] . قالوا : فالموت أهون علينا . وأمروا بقطع الجسر من الفسطاط والجزيرة ، وبالقصر من جمع القبط والروم كثير .

استئناف القتال وانتصار المسلمين

فألحّ المسلمون عند ذلك بالقتال على مَن بالقصر حتى ظفروا بهم وأمكن الله منهم ، فقُتِل منهم خلق كثير وأُسر من أُسر منهم وآنحازت السفن كلها الى الجزيرة ، وصار المسلمون قد أحدق بهم الماء من كل وجه لا يقدرون على أن يتقدّموا نحو الصعيد ولا الى غير ذلك من المدائن والقرى ، والمقوقس يقول لأصحابه : ألم أعلمكم هذا وأخافه عليكم ، ما تنتظرون ! فوالله لتجيبنّهم الى ما أرادوا طوعا أو لتجيبنّهم الى ما هو أعظم من ذلك كرها ، فأطيعونى من قبل أن تندموا . فلما رأوا منهم ما رأوا وقال لهم المقوقس ما قال أذعنوا بالجزية ورضوا بذلك على صلح يكون بينهم يعرفونه .

(١) هذه الزيادة ساقطة من ف ، م وقد أثبتناها من تاريخ ابن عبد الحكم .

إذعان المقوقس وأصحابه لقبول الصلح

(١٢) وأرسل المقوقس الى عمرو بن العاص رضى الله عنه : إنى لم أزل حريصا على إجابتك الى خصلة من تلك الخصال التى أرسلت الىّ بها ، فأبى علىّ مَن حَضَرنى من الروم والقبط ، فلم يكن لى أن أفتات عليهم فى أموالهم وقد عرفوا نُصحى لهم وحُبّى صلاحهم ورجعوا الى قولى؛ فأعطنى أمانا أجتمع أنا وأنت فى نفر من أصحابى
٥ وأنت فى نفر من أصحابك، فإن آستقام الأمر بيننا تمّ [لنا][1] ذلك جميعا، وإن لم يتم رجعنا الى ما كنّا عليه .

فاستشار عمرو أصحابه فى ذلك ، فقالوا : لا نجيبهم الى شىء من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا [وتصير[2] الأرض كلها لنا فيئا وغنيمة كما صار لنا القصر وما فيه] فقال : قد علمتم ما عهد الىّ أمير المؤمنين فى عهده، فإن أجابوا الى خصلة
١٠ من الخصال الثلاث التى عهد الىّ فيها أجبتُهم اليها وقبلتُ منهم مع ما قد حال هذا الماء بيننا وبين ما نريد من قتالهم .

تمام الصلح وافتراض الجزية

فآجتمعوا على عهد بينهم وآصطلحوا على أن يفرض على جميع مَن بمصر أعلاها وأسفلها من القبط دينارين دينارين على كل نفس شريفهم ووضيعهم ممن بلغ منهم الحُلُم، ليس على الشيخ الفانى ولا على الصغير الذى لم يبلغ الحلم ولا على النساء شىء؛
١٥ وعلى أن للسلمين عليهم النُّزُل بجماعتهم حيث نزلوا، ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك ، كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام مفترضة عليهم ، وأن لهم أرضهم وأموالهم لا يُتعرض لهم فى شىء منها .

فشُرط ذلك كله على القبط خاصة . وأحصوا عدد القبط يومئذ خاصة مَن بلغ منهم الجزية وفُرض عليهم الديناران ؛ رفع ذلك عرفاؤهم بالأيمان المؤكدة .

٢٠ (١) الزيادة عن تاريخ ابن عبد الحكم . (٢) الزيادة عن تاريخ ابن عبد الحكم والمقريزى .

فكان جميع مَن أحصى يومئذ بمصر أعلاها وأسفلها من جميع القبط فيما أحصوا وكتبوا أكثر من ستة آلاف نفس[1]، فكانت فريضتهم يومئذ اثنى عشر ألف دينار فى كل سنة؛ وقيل غير ذلك .

وقال عبد الله بن لَهيعة عن يحيى بن ميمون الحضرمىّ : لما فتح عمرو مصر، صالح أهلها عن جميع من فيها من الرجال من القبط ممن راهق الحلم الى ما فوق ذلك، ليس فيهم امرأة ولا شيخ ولا صبىّ، فأُحصوا بذلك على دينارين دينارين، فبلغت عدّتهم ثمانية آلاف ألف . قال : وشرط المقوقس للروم أن يخيّروا، فمن أحب

---

(١) كذا فى م و ف وهو قول مردود، لأن القبط كانوا كما لا يخفى يكوّنون السواد الأعظم من السكان . وفى تاريخ ابن عبد الحكم والمقريزى : «ستة آلاف ألف نفس فكانت فريضتهم يومئذ اثنى عشر ألف ألف دينار» . وقد نقل مؤلف كتاب «أشهر مشاهير الاسلام» رواية المقريزى التى نقلها عن ابن عبد الحكم عن عدد المصريين الذين ضربت عليهم الجزية وانتقدها بقوله : «كيف يعقل أن يكون من بلغ الحلم من المصريين من الرجال وحدهم ستة ملايين مع أن البالغين الحلم لو كانوا ربع سكان البلاد للزم أن يكون عدد جميع سكانها من شيوخ وأطفال وشبان ونساء أربعة وعشرين مليونا . وهو بعيد عن الصواب . لا سيما وقد جاء فى بعض الروايات أن جزية مصر وخراجها معا بلغا على عهد عمرو بن العاص ألفى ألف دينار (مليونى دينار) ومنها ما رواه البلاذرى فى فتوح البلدان عن يزيد بن أبى حبيب قال : جبى عمرو بن العاص خراج مصر وجزيتها ألفى ألف . وجباها عبد الله بن سعد بن أبى سرح (فى خلافة عثمان) أربعة آلاف ألف . فقال عثمان لعمرو : إن اللقاح بمصر بعدك قد درّت ألبانها . قال : ذلك لأنكم أعجفتموها .

والفرق بين هذه الرواية والرواية الأولى عظيم كما ترى . وكما يضطرب الفكر فى مقدار تلك الجزية يضطرب أيضا فى قولهم : إن الصلح تم مع المقوقس لما فتح عمرو بابليون عن جميع القبط فى أسفل مصر وأعلاها وأحصوا بالأيمان المؤكدة مع أن هذا منقوض بالبداهة التى تؤيدها رواية لابن عبد الحكم نقلها المقريزى فى فتح الاسكندرية أن عمرو بن العاص إنما صالح المقوقس لما فتح الاسكندرية، وهكذا قال الطبرى وابن خلدون وهو الأقرب للتوفيق بين تلك الروايات اذ ما نخال وقوع هذا الإحصاء سواء صح عدده أو لم يصح إلا بعد فتح الاسكندرية وبقية البلاد وإجراء الجميع مجرى الصلح لما هو المشهور عن عمر بن الخطاب أنه اعتبر كل القبط أهل ذمة وعهد وأقرّهم على أراضيهم ... الخ» (راجع ج ٣ ص ٥٨٢) .

منهم أن يقيم على مثل هذا أقام على ذلك لازما له مُفترَضا عليه ممن أقام بالإسكندرية وما حولها من أرض مصر كلها، ومن أراد الخروج منها الى أرض الروم خرج؛ وعلى أن المقوقس له الخيار فى الروم خاصة حتى يكتب الى مَلِك الروم يعلمه بما فعل؛ فإن قبل ذلك ورضيه جاز عليهم، وإلا كانوا جميعا على ما كانوا عليه .

هل فتحت مصر صلحا أم عنوة

٥ قلت : وقد اختلف بعد ذلك فى فتح مصر : هل فُتحت صلحا أم عَنْوة، فمن قال : إن مصر فتحت بصلح ، احتج بما ذكرناه ونحوه بمثل ما ذكره القضاعىّ وغيره، وقالوا : إن الأمر لم يتم إلا بما جرى بين عبادة بن الصامت وبين المقوقس؛ وعلى ذلك أكثر علماء أهل مصر، منهم عُقبة بن عامر ويزيد بن أبى حبيب والليث ابن سعد وغيرهم .

١٠ وذهب الذى قال إنها فتحت عنوة الى أن الحصن فتح عنوة وكان حُكم جميع الأرض كذلك؛ وهم عبيد الله بن المغيرة الشيبانى ومالك بن أنس وعبد الله ابن وهب وغيرهم .

(١٣) وذهب قوم الى أن بعضها فتح عنوة ، وبعضها فتح صلحا ، منهم عبد الله ابن لهيعة وابن شهاب الزهرىّ وغيرهما .

١٥ قال عبيد الله بن أبى جعفر حدّثنى رجل ممن أدرك عمرو بن العاص قال : للقبط عهد عند فلان ، وعهد عند فلان ؛ فسمى ثلاثة نفر . وفى رواية : أن عهد أهل مصر كان عند كبرائهم .

قال : وسألت شيخا من القدماء عن فتح مصر، قلت له : فإن ناسا يذكرون أنه لم يكن لهم عهد؛ فقال : ما يبالى ألّا يصلّى مَن قال إنه ليس لهم عهد؛ فقلت :
٢٠ فهل كان لهم كتاب ؟ فقال : نعم، كُتُب ثلاثة : كتاب عند طَلْمَا صاحب إخْنَا،

وكاب عنـد قزمان صاحب رشيد، وكاب عند يُحَنَّس صاحب البَرَلَّس ؛ قلت : كيف كان صلحهم؟ قال : دينارين على كل إنسان جزية وأرزاق المسلمين؛ قلت : أفتعلم ما كان من الشروط ؟ قال : نعم ، ستة شروط : لا يُخْرَجون من ديارهم ، ولا تُنْزَع نساؤهم، ولا أولادهم ، ولا كنوزهم ، ولا أراضيهم، ولا يزاد عليهم .

عام فتح مصر

وكان فتح مصر يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة . ٥

وقال ابن كثير فى تاريخه : قال محمد بن إسحاق : فيها (يعنى سنة عشرين من الهجرة) كان فتح مصر . وكذا قال الواقدىّ : إنها فتحت هى والإسكندرية فى هذه السنة . وقال أبو معشر : فتحت مصر سنة عشرين والإسكندرية فى سنة خمس وعشرين . وقال سيف : فتحت مصر والإسكندرية فى ربيع الأوّل سنة ست عشرة . ورجح ذلك أبو الحسن بن الأثير فى الكامل لقصة بَعْث عمرو المِيرَة من ١٠ مصر عام الرمادة . وهو معذور فيما رجحه . انتهى كلام ابن كثير .

وقال أيضا فى قول آخر : فتحت الإسكندرية فى سنة خمس وعشرين بعد محاصرة ثلاثة أشهر عنوة، وقيل : صلحا على اثنى عشر ألف دينار، وشهد فتحها جماعة كثيرة من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين .

من شهد فتح مصر من الصحابة وغيرهم

قال ابن عبد الحكم : وكان مَن حُفِظ من الذين شهدوا فتح مصر من أصحاب ١٥ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم ومن لم يكن له برسول الله صلى الله عليه وسلم صحبة، وذكرهم جملة واحدة، فقال : الزبير بن العوّام ، وسعد بن أبى وقّاص ، وعمرو بن العاص ، وكان أمير القوم ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وخارجة بن حُذافة العدوىّ ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وقيس بن أبى العاص السهمىّ، والمِقداد بن الأسود، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح العامرىّ ، ونافع ٢٠

ابن عبد قيس الفِهْرىّ ، وأبو رافع ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآبن عبدة ، وعبد الرحمن وربيعة آبنا شُرَحْبيل بن حَسَنة ، وَوَرْدان ، مولى عمرو ابن العاص ، وكان حامل لواء عمرو بن العاص ، رضى الله عنهم . وقد آختلف فى سعد بن أبى وقاص فقيل : إنما دخلها بعد الفتح .

محمد بن مسلمة الذى أرسله عمر بن الخطاب الى مصر فقاسم عمرا ماله

٥ وشهد الفتح من الأنصار عُبادة بن الصامت ، وقد شهد بدرا وبيعة العقبة ، ومحمد بن مَسْلمة الأنصارىّ ، وقد شهد بدرا ، وهو الذى أرسله عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى مصر فقاسم عمرو بن العاص ماله ، وهو أحد من كان صعد الحصن مع الزبير بن العوّام ، ومَسْلمة بن مُخَلَّد الأنصارىّ ، يقال : له صحبة ، وأبو أيوب خالد بن زيد الأنصارىّ ، وأبو الدرداء عُوَيمر بن عامر ، وقيل : عويمر بن زيد[1] .

(١٤)

١٠ ومن أحياء القبائل : أبو بَصْرة[2] حُمَيل بن بصرة الغِفَارىّ ، وأبو ذرّ جُنْدُب ابن جُنَادة الغِفَارىّ .

وشهد الفتح مع عمرو بن العاص هُبَيب بن مُغْفِل ، واليه ينسب وادى هبيب الذى بالمغرب ، وعبد الله بن الحارث بن جَزْء الزُّبَيدىّ ، وكعب بن ضِنّة[3] العبسىّ ،

(١) كذا فى الطبرى والمقريزى . وفى م ، ف : « يزيد » . (٢) كذا فى ف وحسن المحاضرة (ج ١ ص ١٠٤ و ١١٣) بصرة بالموحدة والصاد المهملة وحميل بالحاء المهملة . وفى م : « أبو نضرة جميل بن نضرة » نضرة بالنون والضاد المعجمة وجميل بالجيم المعجمة ، وهو تحريف . وفى المقريزى : « أبو نصرة جميل بن نصرة » بالنون والصاد وجميل بالجيم ، وهو تحريف أيضا . قال السيوطى فى حسن المحاضرة : «ذكره البخارى فى تاريخ الصحابة وقال : حديثه فى المصريين قال : ويقال : جميل (بالجيم) وهو وهم وقال علىّ بن المدينى : سألت شيخا من بنى غفار فقلت له : هل يعرف فيكم جميل بن بصرة ؟ قلته بفتح الجيم ، فقال : صحفت ياشيخ ، والله إنه حميل بالتصغير والمهملة وهو جد هذا الغلام ، وأشار الى غلام معه » اهـ . (٣) كذا فى المشتبه للذهبى (ص ٣١٩ طبع مدينة ليدن) وحسن المحاضرة (ج ١ ص ١٣١ طبعة الوطن) ؛ وفى أسد الغابة (ج ٤ ص ٢٤٩) والمقريزى (ج ١ ص ٢٩٦) « ضبة » وفى م ، ف « صنة » .

ويقال : كعب بن يسار بن ضنّة، وعُقبة بن عامر الجُهَنىّ، وهو كان رسول عمر ابن الخطاب الى عمرو بن العاص حين كتب اليه [يأمره][1] أن يرجع إن لم يكن دخل أرض مصر، وأبو زَمعة البَلَوىّ[2]، وبِرح[3] بن عُسْكُل ويقال : بِرح بن عُسْكُر، شهد فتح مصر واختط بها ، وجُنادة بن أبى أميّة الأزدىّ، وسفيان بن وهب الخَوْلانىّ وله صحبة ، ومعاوية بن حُدَيج الكِندىّ ، وهو كان رسول عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب بفتح الإسكندرية ، وقد اختلف فيه ، فقال قوم : له صحبة ، وقال آخرون : ليست له صحبة ، وعامر ، مولى حمل الذى يقال له : عامر حمل ، شهد الفتح وهو مملوك ، وعمار بن ياسر ، ولكن دخل بعد الفتح فى أيام عثمان ، وجهه اليها فى بعض أموره . انتهى كلام ابن[4] عبد الحكم باختصار .

ما قاله ابن كثير فى فتح مصر

وقال ابن كثير : فى فتح مصر وجه آخر على ما أخبرنا به شيخ الإسلام قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن عمر البلقينىّ الشافعىّ مشافهة بإجازته من الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير مجموعا من كلام ابن إسحاق وغيره، قالوا :

---

(١) الزيادة عن المقريزى وابن عبد الحكم . (٢) كذا فى المقريزى وحسن المحاضرة وتجريد أسماء الصحابة وشرح القاموس . وفى م ، ف : « أبو ربيعة » وهو تحريف . (٣) كذا فى حسن المحاضرة للسيوطى وقد ورد عنه فى (ج ١ ص ١٠٣) ما نصه : «برح - بكسر أوله وسكون الراء بعدها مهملة - بن عسكر بضم العين المهملة وسكون السين المهملة وضم الكاف بعدها راء. كذا ضبطه ابن ماكولا ونسبه الى قضاعة . وقال المنذرى : كان السلفىّ يقول : عسكل بلام . وقال ابن عبد الحكم : يقال : ابن حسكل، والصواب عسكل . قال ابن يونس : له وفادة على النبى صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مصر واختط بها وسكنها وهو معروف من أهل البصرة » اهـ . وفى م ، ف : « مرج بن حسكل » . (٤) ورد فى م بعد كلام ابن عبد الحكم ما قاله الذهبى فى فتح مصر فى كتابه « تاريخ الاسلام » الى ما قاله يزيد بن أبى حبيب ، وقد ذكره المؤلف فى أوّل الكتاب بنصه وحرفه ، فاقتضى حذفه منعا لتكراره طبقا للنسخة ف .

لما آستكمل المسلمون فتح الشأم ، بعث عمر بن الخطاب عمرو بن العاص الى مصر . وزعم سيف : أنه بعثه بعد فتح بيت المقدس ، وأردفه بالزبير بن العوّام وفى صحبته بُسْر بن أبى أرطاة[1] وخارجة بن حُذافة وعُمَير[2] بن وهب الجُمَحِىّ ، فاجتمعوا على باب مصر ، فلقيهم أبو مريم جاثليق[3] مصر ومعه الأسقف أبو مريام فى أهل البنيات ، بعثه المقوقس صاحب الإسكندرية لمنع بلادهم .

فلما تصافّوا قال عمرو بن العاص : لا تعجلوا حتى نعذر اليكم ، ليبرُز الىّ أبو مريم وأبو مريام راهبا هذه البلاد [فبرزا[4] اليه ، فقال لهما عمرو : أنتما راهبا هذه البلاد] فاسمعا : إنّ الله بعث محمدا بالحق وأمره به وأمرنا به محمد وأدّى الينا كل الذى أمر به ، ثم مضى وتركنا على الواضحة ، وكان مما أمرنا به الإعذار الى الناس ، فنحن ندعوكم الى الإسلام ، فمن أجابنا فمثلنا ، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة . وقد أعلمنا أننا مفتتحوكم وأوصينا بكم حفظا لرَحِمنا منكم ، وإنّ لكم إن أجبتمونا بذلك ذمّة الى ذمّة ؛ ومما عهد الينا أميرنا : "استوصوا بالقبطيين خيرا" فإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصانا بالقبطيين خيرا ، لأن لهم ذمة ورحما .

فقالوا : قرابة بعيدة لا يصل مثلها[5] إلا الأنبياء ، معروفة شريفة كانت آبنة ملكنا وكانت من أهل منف والملك منهم ، فأديل عليهم أهل عين شمس فقتلوهم وسلبوهم ملكهم وأغربوا ، فلذلك صارت الى إبراهيم عليه السلام . مرحبا به وأهلا وأمنا حتى نرجع اليك .

---

(١) كذا فى الأصول ، وهو الأصح . وفى القاموس : بسر بن أرطاة بدون كلمة أبى أنظر حسن المحاضرة طبعة الوطن بمصر ص ١٠٣ (٢) كذا فى القسم الثالث من الجزء الثانى من تاريخ ابن كثير المسمى بالبداية والنهاية (ص ٤٩٣) المحفوظ منه نسخة فتوغرافية بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١١٠ تاريخ ، وحسن المحاضرة للسيوطى (ج ١ ص ١٢٨) . وفى م ، ف : عمرو . (٣) الجاثليق : رئيس النصارى . (٤) الزيادة عن تاريخ ابن كثير . (٥) كذا فى الطبرى والكامل . وفى م ، ف « لا يصل اليها مثلها » .

فقال عمرو : إنّ مثلى لا يخدع ، ولكنى أؤجلكما ثلاثا ، لتنظرا ولتناظرا قومكما ، وإلا ناجزتكم ، قالا : زدنا ، فزادهم يوما ؛ فقالا : زدنا ، فزادهم يوما ؛ فرجعا الى المقوقس ، فأبى أرْطَبون[1] أن يجيبهما ، وأمر بمناهدتهم ، وقال لأهل مصر : أما نحن فنجتهد أن ندفع عنكم ، لا نرجع اليهم ، وقد بقيت أربعة أيام ؛ وأشار عليهم بأن يُبَيِّتوا المسلمين ؛ فقال الملأ منهم : ماتقاتلون من قوم قتلوا كسرى وقيصر وغلبوهم على بلادهم ! فألحّ الأرطبون فى أن يُبَيِّتوا المسلمين؛ ففعلوا فلم يظفروا بشىء، بل قُتِل منهم طائفة ، منهم الأرطبون . وحاصر المسلمون عين شمس من مصر فى اليوم الرابع، وآرتقى الزبير عليهم سور البلد .

فلما أحسوا بذلك خرجوا الى عمرو من الباب الآخر فصالحوه ؛ وآخترق الزبير البلد حتى خرج من الباب الذى عليه عمرو . فأمضوا الصلح وكتب لهم عمرو كتاب أمان :

عهد الصلح الذى كتبه عمرو

"بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم ومِلّتهم وأموالهم وكنائسهم وصُلُبهم وبرّهم وبحرهم لا يدخل عليهم شىء من ذلك ولا ينتقص ولا تساكنهم النُّوبة . وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية اذا آجتمعوا على هذا الصلح وآنتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف ، وعليهم ما جَنَى لُصُوتهم[2] ؛ فإن أبى أحد منهم أن يجيب رُفع عنهم من الجزية بقدرهم ؛ وذمّتنا ممن أبى بريئة . وإن نقص نهرهم من غايته اذا انتهى رُفع عنهم بقدر ذلك ؛ ومن دخل فى صلحهم من الروم والنُّوبة فله مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ؛ ومن أبى [منهم][3] وآختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا ؛ عليهم

(١) الأرطبون : كان قائدا على جيوش الروم فى بيت المقدس وفرّ الى مصر لما أخذها المسلمون .
(٢) اللصوت : اللصوص . (٣) الزيادة عن تاريخ ابن كثير .

ما عليهم أثلاثا [فى كل(١) ثلث جباية ثلث ما عليهم] على ما فى هذا الكتاب ، عهد الله وذمّة رسوله وذمّة الخليفة أمير المؤمنين وذِمَم المؤمنين ، وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا(٢) بكذا وكذا رأسا ، وكذا وكذا فرسا ، على ألّا يُغْزَوْا ولا يُمْنَعوا من تجارة صادرة ولا واردة" . وشهد عليه الزبير وعبد الله ومحمد ابناه ، وكتب وَرْدان وحَضَر .

٥ فدخل فى ذلك أهل مصر كلهم وقبلوا الصلح واجتمعت الخيول بمصر وعَمَرُوا الفسطاط . وظهر أبو مَرْيم وأبو مِرْيام فكلّما عمرا فى السبايا التى أُصيبت بعد المعركة ، فأبى عمرو أن يردّها عليهما وأمر بطردهما وإخراجهما من بين يديه . فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أمر أن كل سَبْى أُخذ فى الخمسة الأيام التى آمنهم فيها أن يردّ عليهم ، وكل شىء أُخذ ممن لم يقاتل ١٠ فكذلك ، ومَن قاتل فلا تردّ عليه سباياه .

وقد قال الإمام أحمد : حدّثنا عتّاب حدّثنا عبد الله أخبرنى عبد الله بن عُقْبة — وهو عبد الله بن لَهِيعة بن عقبة — حدّثنى يزيد بن أبى حبيب عمّن سمع عبد الله ابن المُغيرة بن أبى بُرْدة يقول : سمعت سفيان بن وهب الخَوْلانى يقول : لما افتتحنا مصر بغير عهد قام الزبير بن العوّام فقال : يا عَمرو بن العاص ، اقْسِمْها ، فقال عمرو : ١٥ لا أقسِمُها ، فقال الزبير : والله لتقسمنّها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خَيْبر ، فقال عمرو : والله لا أقسمُها حتى أكتب الى أمير المؤمنين ، وكتب الى عمر ، فكتب إليه عمر : أقرّها حتى يغزو منها حبَلُ الحَبَلة(٣) . تفرّد به أحمد ، وفى إسناده

---

(١) الزيادة عن الطبرى وابن خلدون . (٢) كذا فى الطبرى وابن خلدون . وفى م ، ف « عادة » . وفى تاريخ ابن كثير : « غادرة » . (٣) حبل الحبلة : يريد حتى يغزو منها ٢٠ أولاد الأولاد ويكون عاما فى الناس والدواب ، أى يكثر المسلمون فيها بالتوالد ، فاذا قسمت لم يكن قد انفرد بها الآباء دون الأولاد ، أو يكون أراد المنع من القسمة حيث علقه على أمر مجهول (راجع لسان العرب مادة حبل) .

(١٦) ضعف من جهة ابن لهيعة لكنه عليم بأمور مصر ومن جهة المبهم الذى لم يسم ، فلو صحّ لدل على فتحها عنوة ولدلّ على أن الإمام يخيَّر فى الأراضى العنوة ، إن شاء قسّمها ، وإن شاء أبقاها .

قلت : قد رواه الطحاوى بسند صحيح .

٥ وذكر سيف : أن عمرو بن العاص لما التقى مع المقوقس جعل كثير من المسلمين يفرّ من الزحف ، فجعل عمرو يُذَمِّرهم ويحثّهم على الثبات ؛ فقال له رجل من أهل اليمن : إنّا لم نُخلَق من حجارة ولا حديد! فقال له عمرو : أسكت، فإنما أنت كلب؛ فقال له الرجل : فأنت إذًا أمير الكلاب! فأعرض عنه عمرو، ونادى بطلب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلما آجتمع اليه مَن هنالك مِن ١٠ الصحابة، قال لهم عمرو : تقدّموا فبكم ينصر الله المسلمين؛ فهدّوا الى القوم ففتح الله عليهم وظَفِروا أتمّ الظفر . انتهى كلام ابن كثير وغيره .

وقد سقنا ما ذكره ابن كثير هنا لزيادة فيما ذكره، ولكونه حافظا محدّثا، فيصير بذلك ما ذكرناه من فتح مصر من طرق عديدة لتكثر فى هذا الكتاب الفائدة إن شاء الله تعالى .

ذكر ما ورد فى فضل مصر
من الآيات الشريفة والأحاديث النبوية

ما ورد فى فضل مصر من الآيات والأحاديث

قال الكِنْدىّ وغيره من المؤرّخين : فمن فضائل مصر أن الله عز وجل ذكرها فى كتابه العزيز فى أربعة وعشرين موضعا ، منها ما هو بصريح اللفظ ، ومنها ما دلت عليه القرائن والتفاسير .

فأما صريح اللفظ فمنه قوله تعالى : ﴿ اِهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ﴾ ، وقوله تعالى يخبر عن فرعون : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ ومنه قوله عز وجل مخبرا عن نبيه يوسف عليه السلام : ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ .

وأما ما دلت عليه القرائن فمنه قوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾ . وقوله عز وجل : ﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [1] . قال ابن عباس وسعيد بن المسيَّب ووهب بن مُنَبِّه وغيرهم : هى مصر . وقوله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ . يعنى مصر . وقوله تعالى : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ . يعنى قوم فرعون ، وأن بنى إسرائيل

---

(١) وفى كتاب فضائل مصر للكندى (ص ١٨٤ طبعة أوربا) ما نصه : «وقال بعض العلماء المصريين : هى البهنسا . وقبط مصر مجمعون على أن المسيح وأمه عليهما السلام كانا بالبهنسا وانتقلا عنها الى القدس» .

أُورِثوا مصر . وقوله تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ . وقوله عز وجل مخبرا عن نبيه موسى عليه السلام : ﴿ يَا قَوْمِ ٱدْخُلُوا ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ وقوله عز وجل مخبرا عن فرعون : ﴿ يَا قَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ . وقوله عز وجل : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ . وقوله تعالى مخبرا عن فرعون : ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ ، يعنى أرض مصر . وقوله تعالى مخبرا عن نبيه يوسف عليه السلام : ﴿ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ﴾ وقوله تعالى مخبرا عن بنى إسرائيل : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ وقوله تعالى مخبرا عن نبيه موسى عليه السلام : ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ . يعنى أرض مصر . وقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴾ . وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ . وقوله تعالى مخبرا عن ابن يعقوب عليه السلام : ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ ﴾ . يعنى مصر . وقوله تعالى : ﴿ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ .

وأما ماورد فى حقها من الأحاديث النبوية فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «ستُفتح عليكم بعدى مِصْرُ فاستوصُوا بقِبْطها خيرا فإنّ لهم ذِمّة[1]

(١) رواية المقريزى (ج ١ ص ٢٤) : «فان لهم منكم صهرا وذمة» .

ورحما » قال ابن كثير رحمه الله : والمراد بالرحم أنهم أخوال إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليهما السلام، أمّه هَاجَر القبطية ، وهو الذبيح على الصحيح ، وهو والد عرب الحجاز الذين منهم النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وأخوال إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمه مارِيَة القبطية من سنى كُورة أَنْصِنا[(١)] ، وقد وضع عنهم معاوية الجزية إكراما لإبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم . انتهى كلام ابن كثير .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " اذا فَتَح الله عليكم مصر فاتّخِذُوا فيها جُنْدا كَثيفا فذلك الجندُ خَيْرُ أجناد الأرض " فقال له أبو بكر رضى الله عنه : ولم [ذلك][(٢)] يا رسول الله ؟ فقال : " لأنهم وأزواجَهم فى رِباط الى يوم القيامة" وعنه صلى الله عليه وسلم، وذكر مصر : " ما كَادَهُمْ أَحَدٌ إلا كفاهم الله مَئُونته" .

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما : أهلُ مصر أكرمُ الأعاجم كلِّها ، وأسمحُهم يدا ، وأفضَلُهم عُنْصرا ، وأقربُهم رَحِما بالعرب عامّة ، وبقريش خاصّـة .

دعاء آدم لمصر

وقال أيضا : لمـا خلق الله آدم، مثَّل له الدنيا : شرقَها وغَرْبها وسَهْلَها وجبلها وأنهارها وبحارها وعامِرها وخرابها، ومَن يسكنها من الأمم، ومَن يملكها من الملوك؛

---

(١) كذا فى م . وفى ف ما صورته : « سى نوره الصا » وفى كتاب فضائل مصر للكندى (ص ١٨٦) ما نصه : « فان النبي صلى الله عليه وسلم تسرّى من القبط مارية أمّ ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى من قرية نحو الصعيد يقال لها : حفن (بفتح الحاء المهملة وسكون الفاء) من كورة أنصنا » . وفى معجم البلدان لياقوت (ج ٢ ص ٢٩٥ طبعة ليبسيج) ما نصه : «وفى الحديث : أهدى المقوقس الى النبيّ صلى الله عليه وسلم مارية من حفن من رستاق أنصنا ، وكلم الحسن بن علىّ رضى الله عنه معاوية لأهل حفن ، فوضع عنهم خراج الأرض » . (٢) الزيادة عن كتاب فضائل مصر للكندى (ص ١٨٦) والمقريزى (ج ١ ص ٢٤) .

فلما رأى مصر، رآها أرضا سهلة ذات نهر جارٍ، مادّته من الجنة تنحدر فيه البركة، ورأى جبلا من جبالها مكسوّا نورا لا يخلو من نظر الرب عزّ وجلّ إليه بالرحمة، فى سَفْحه أشجار مثمرة، فروعها فى الجنة تُسقَى بماء الرحمة، فدعا آدمُ فى النيل بالبركة، ودعا فى أرض مصر بالرحمة والبرّ والتقوى، وبارك على نيلها وجبلها سبع مرات؛ قال: «يا أيها الجبل المرحوم، سَفْحُك جنة، وتُربتك مسكة، تدفن فيها عرائس الجنة، أرض حافظة مطبقة رحيمة، لا خَلَتْكِ يا مصر بركة، ولا زال بك حَفَظة، ولا زال منكِ مُلْك وعِزٌّ[1]، يا أرض مصر، فيكِ الخبايا والكنوز، ولكِ البرّ والثروة، سال نهرك عَسَلا، كثّر الله رزقك، ودرَّ ضَرعك، وزكا نباتك، وعظُمت بركتك وخَصِبت، ولا زال فيك يا مصر خيرٌ ما لم تتجبَّرى وتتكبَّرى أو تخونى؛ فإذا فعلت ذلك، عداكِ[2] شرّ ثم يغور خيرك».

فكان عليه السلام أوّل من دعا لها بالرحمة والخِصْب والرأفة والبركة.

دعاء نوح لمصر

وقال عبد الله بن عباس: دعا نوح عليه السلام لابنه بَيْصر بن حام – وهو أبو مصر الذى سُمِّيت مصر على آسمه – فقال: اللهم إنه قد أجاب دعْوتى، فبارِكْ فيه وفى ذرّيته، وأسكِنْه الأرضَ الطيّبةَ المباركَةَ التى هى أمُّ البلاد.

دعاء بيصر بن حام لمصر

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما: لمّا قَسّم نوح عليه السلام الأرضَ بين ولده، جعل لحامٍ مصر وسواحلَها والغربَ وشاطئَ النيل، فلما قدم بيصر ابن حام وبلغ العريش، قال: «اللهم إن كانت هذه الأرض التى وعدتّنا على لسان نبيك نوح وجعلتها لنا منزلا، فآصرف عنا وباها[3]، وطَيِّب لنا ثَرَاها[3]، وآجمع ماها[3]، وأنبت كلاها[3]، وبارك لنا فيها، وتمم لنا وعدك؛ إنك على كل شىء قدير، وإنك

(١) كذا فى نهاية الأرب للنويرى (ج ١ ص ٣٤٧) وفى الأصل: «ولا زال ملكك وعز... الخ».
(٢) أى أصابك ونزل بك. (٣) كذا بالأصل، وأصل هذه الكلمات «وباءها وماءها وكلأها» بالهمز ولعل حذف الهمز منها لرعاية السجع.

لا تخلف الميعاد » وجعلها بيصر لأبنه مصر وسماها به . يأتى ذكر ذلك عند ذكر من ملك مصر قبل الإسلام فى هذا المحل إن شاء الله تعالى .

والقبط ولد مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام .

وقال كعب الأحبار : لولا رغبتى فى بيت المقدس لما سكنتُ إلا مصر ؛ فقيل له : ولم ؟ قال : لأنها معافاةٌ من الفتن ، ومن أراد بها سوءا كبّه الله[(١)] على وجهه ، وهو بلد مباركٌ لأهله فيه .

وروى ابن يونس عنه قال : من أراد أن ينظر الى شبه الجنة فلينظر الى مصر اذا زخرفت ؛ وفى رواية : اذا أزهرت .

وروى ابن يونس بإسناده الى أبى بَصْرة الغِفارىّ قال : سلطان مصر سلطان الأرض كلّها .

قلت : ولهذا الخبر الصحيح جعلنا فى آخر تراجم ملوك مصر حوادث سائر الأقطار كلها .

وقال : فى التوراة مكتوب : مصرُ خزائنُ الأرض كلها ، فمن أراد بها سوءا قصمه الله .

وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه : وِلايةُ مصرَ جامعةٌ تعدِل الخلافة .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : خُلقت الدنيا على خمس صُوَر: على صورة الطير برأسه وصدره وجناحيه وذَنَبه ؛ فالرأس مكة والمدينة واليمن ،

---

(١) فى ب ، ف والمقريزى : « أكبه الله » بالهمز . والمشهور « كب » بدون همز هو المتعدى . وهذا أحد الأفعال التى جاءت بدون همز متعدية و بالهمز لازمة على خلاف القاعدة المشهورة وقد حكى ابن الأعرابى استعمال « أكب » متعديا .

والصدر الشأم ومصر، والجَناح الأيمن العراق، وخَلْفَ العراق أمة يقال لها : واق واق[(١)] وخلف ذلك من الأمم مالا يعلمه إلا الله، والجناح الأيسر السند والهند، وخلف الهند أمة يقال لها : باسك، وخلف باسك أمة يقال لها : منسك، وخلف ذلك من الأمم مالا يعلمه إلا الله، والذَّنَب من ذات الحمام الى مغرب الشمس، وشرّ ما فى الطير الذنب .

٥

وقال ابن عبد الحكم حدّثنا أشهب بن عبد العزيز وعبد الملك بن مسلمة قالا حدّثنا مالك عن ابن شهاب عن كعب بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "اذا ٱفتتحتم مصر فٱستَوْصُوا بالقِبْط خيرا فإنّ لهم ذِمّةً ورَحِما" ثم ساق ابن عبد الحكم عدّة أحاديث أُخر بأسانيد مختلفة فى حق مصر ونيلها فى هذا المعنى .

(١٩)

وقال أبو حازم عبد الحميد بن عبد العزيز قاضى العراق : سألت أحمد بن المُدَبِّر عن مصر، فقال : كشفتُها فوجدتُ غامرها أضعاف عامرها، ولو عَمَرها السلطان لوَفَتْ له بخراج الدنيا .

١٠

وصف عمرو بن العاص لمصر وذكر محاسنها

وقال بعض المؤرّخين : إنه لمّا استقرّ عمرو بن العاص رضى الله عنه على ولاية مصر كتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أن صف لى مصر، فكتب اليه :

وَرَدَ كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه يسألنى عن مصر : اعلم يا أمير المؤمنين أنّ مصر قَرْيةٌ غبراء، وشجرة خضراء، طولها شهر، وعرضها عشر[(٢)]، يكنفها جبل أغبر، ورمل أعفر، يخُطّ وَسَطَها نيلٌ مبارك الغَدَوَات، ميمون الرَّوْحات، تجرى فيه الزيادة والنقصان كجرى الشمس والقمر، له أوانٌ يدرّ حِلَابه، ويكثُر فيه ذُبَابُه، تمُدّه عيون الأرض وينابيعها حتى اذا ما اصْلَخَمّ عجّاجه، وتعظّمت أمواجه، فاض

١٥

(١) كذا فى م وفى ف : "وخلف العراق أمة يقال لها واق وخلف واق أمة يقال لها واق واق".

(٢) لعله يريد أن الماشى يقطعها طولا فى شهر وعرضا فى عشرة أيام . وفى ف : «بحر» :

٢٠

على جانبيه فلم يمكن التخلّص من القُرَى بعضها الى بعض إلا فى صغار المراكب، وخفاف القوارب، وزوارق كأنهنّ فى المخايل وُرْقُ الأصائل؛ فاذا تكامل فى زيادته، نكص على عَقِبَيْه كأوّل مابدأ فى جِرْيَتِه، وطما فى دِرَّته؛ فعند ذلك تخرج أهل ملة محقورة، وذمة مخفورة، يحرُثون بطونَ الأرض ويبذُرون بها الحبَّ، يرجون بذلك
٥ النَّماء من الربّ، لغيرهم ماسَعَوْا من كدّهم، فناله منهم بغير جِدّهم؛ فاذا أحدق الزرع وأشرق، سقاه الندى وغذّاه من تحته الثرى؛ فبينما مصرُ يا أميرالمؤمنين لؤلؤة بيضاء، اذا هى عنبرة سوداء، فاذا هى زُمُرُّدَةٌ خضراء، فإذا هى ديباجة رقشاء، فتبارك الله الخالق لما يشاء. الذى يُصلح هذه البلاد ويُنَمِّيها ويُقِرّ قاطنيها فيها، ألّا يُقبَل قولُ خسيسها فى رئيسها، وألّا يُسْتَأْدَى خراجُ ثمرة إلّا فى أوانها، وأن يُصرف ثُلُث
١٠ ارتفاعها، فى عمل جسورها وتُرَعها؛ فإذا تقرّر الحال مع العمّال فى هذه الأحوال، تضاعف ارتفاع المال؛ والله تعالى يوفق فى المبدأ والمآل.

فلما ورد الكتاب على عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: لله درّك يا بن العاص! لقد وصفتَ لى خبرا كأنى أشاهدُه.

وقال المسعودى فى تاريخه: قال النبىّ صلى الله عليه وسلم: "استوصُوا بأهل مصر
١٥ خيرًا فإنّ لهم نَسَبًا وصِهْرا" أراد بالنسب: هاجَر زوجةَ إبراهيم الخليل عليه السلام وأم ولده اسماعيل. وأرادَ بالصهر: مارِيَة القبطية أم ولد النبىّ صلى الله عليه وسلم التى أهداها له المُقَوْقِس اه.

ذكر ما ورد فى نيل مصر

ما ورد فى نيل مصر من الأحاديث والآثار

روى يزيد بن أبى حبيب: أن معاوية بن أبى سُفيان رضى الله عنه سأل كعب
٢٠ الأحبار: هل تجد لهذا النيل فى كتاب الله خبرا؟ قال: إى والذى فَلَق البحر لموسى

عليه السلام! إنى لأجد فى كتاب الله عز وجل أنّ الله يُوحى اليه فى كل عام مرّتين: يوحى اليه عند جَرْيه : إن الله يأمرك أن تجرى، فيجرىَ ما كتب الله؛ ثم يوحى اليه بعد ذلك : يا نيلُ عُدْ حميدًا .

وروى ابن يونس من طريق حَفْص بن عاصم عن أبى هريرة : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "النيلُ وسَيْحانُ وجَيْحانُ والفُراتُ من أنهار الجنة" .

وعن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن كعب الأحبار أنه كان يقول: أربعة أنهار من الجنة وضعها الله عز وجل فى الدنيا، فالنيل نهرُ العسل فى الجنة، والفراتُ نهر الخمر فى الجنة، وسيحان نهر الماء فى الجنة، وجيحان نهر اللبن فى الجنة .

وقد روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : نيل مصر سيد الأنهار، وسخّر الله له كل نهر من المشرق الى المغرب، فاذا أراد الله تعالى أن يُجرِىَ نيل مصر أمر الله كل نهر أن يُمِدّه فأمدّته الأنهار بمائها، وفجّر الله له الأرض عيونا، فاذا انتهت جِرْيَتُه الى ما أراد الله عز وجل أوحى الله الى كل ماء أن يرجع الى عنصره . وقد ورد أن مصر كِنانةُ الله فى أرضه .

وعن أبى جُنَادة الضبىّ : أنه سمع عليا يقول : النيلُ فى الآخرة عسل أغزَر ما يكون من الأنهار التى سمى الله عز وجل، ودِجْلة (يعنى جيحان) فى الآخرة لبن أغزر ما يكون من الأنهار التى سمّى الله عزّ وجل ، والفراتُ خمر أغزر ما يكون من الأنهار التى سمى الله عزّ وجل، وسيحانُ ماء أغزر ما يكون من الأنهار التى سمّى الله عزّ وجل .

وقال بعض الحكماء : مصر ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء، فانّ فى شهر أبيب (وهو تموز) ومسرى (وهو آب) وتوت (وهو أيلول) يركبها الماء فيها فترى الدنيا بيضاء

وضياعها على رواب وتلال مثل الكواكب ، وقد أحاطت بها المياه من كل وجه ؛ وثلاثة أشهر مسكة سوداء ، فانّ فى شهر بابه (وهو تشرين الأوّل) وهاتور (وهو تشرين الثانى) وكيهك (وهو كانون الأوّل) ينكشف الماء عنها فتصير أرضها سوداء وفيها تقع الزراعات؛ وثلاثة أشهر زمردة خضراء، فانّ فى شهر طوبة (وهو كانون الثانى) وأمشير (وهو شباط) وبرمهات (وهو آذار) تلمع ويكثر حشيشها ونباتها ، ٥ فتصير مصر خضراء كالزمردة ؛ وثلاثة أشهر سبيكة حمراء وهو وقت إدراك الزرع وهو شهر برمودة (وهو نيسان) وبشنس (وهو أيار) وبؤونة (وهو حزيران)، ففى هذه الشهور تبيض الزروع ويتورّد العُشب فهو مثل السبيكة الذهب .

ما كان يفعله القبط عند وفاء النيل وابطال عمرو له

وقيل : إنه لما ولى عمرو بن العاص رضى الله عنه مصر أتاه أهلها حين دخل بؤونةُ من أشهر القبط المذكورة فقالوا له : أيها الأمير، إنّ لنيلنا عادةً أو سُنّةً لايجرى إلا بها؛ فقال لهم : وما ذاك؟ قالوا: إنه اذا كان فى اثنى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر (يعنى بؤونة) عَمَدنا الى جارية بكر من عند أبويها وأرضَيْنا أبويها وأخذناها وجعلنا عليها من الحلىّ والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها فى هذا النيل فيجرى؛ فقال لهم عمرو ابن العاص: إن هذا لا يكون فى الإسلام، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله . فأقاموا ١٥ بؤونة وأبيب ومسرى لا يجرى النيل قليلا ولا كثيرا حتى هَمُّوا بالجلاء؛ فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فكتب اليه عمر بن الخطّاب : قد أصبتَ، إن الإسلام يهدم ما قبله ، وقد أرسلنا اليك ببطاقة ترميها (٢١) فى داخل النيل اذا أتاك كتابى .

فلما قدم الكتاب على عمرو بن العاص رضى الله عنه فتح البطاقة فاذا فيها :

٢٠ "من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى نيل مصر .

أمّا بعد، فإن كنتَ تجرى من قِبَلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار الذى يُجْرِيك، فنسأل الله الواحد القهار أن يُجرِيك" .

فعرّفهم عمرو بكتاب أمير المؤمنين وبالبطاقة؛ ثم ألقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم عيد الصليب بيوم، وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها لأنه لا يقيم بمصالحهم فيها إلا النيل، فأصبحوا يوم عيد الصليب وقد أجراه الله ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة، وقطع تلك السنّة القبيحة عن أهل مصر ببركة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

القرافة وسبب تسميتها بذلك

ونظير ذلك أمر قرافة مصر ودَفْن المسلمين بها . فقد روينا بإسناد عن ابن عبد الحكم حدّثنا عبد الله بن صالح حدّثنا الليث بن سعد: سأل المقوقسُ عَمْرَو ابنَ العاص أن يبيعه سَفْحَ المُقَطَّم بسبعين ألف دينار، فعجب عمرو من ذلك وقال : أُكتب فى ذلك الى أمير المؤمنين ، فكتب بذلك الى عُمَر ، فكتب اليه عمر: سَلْه لِمَ أعطاك به ما أعطاك، وهى لا تُزرع ولا يُستنبط بها ماء ولا يُنتفع بها! فسأله، فقال : إنّا لنجد صفتها فى الكتب أنّ فيها غراسَ الجنة؛ فكتب بذلك الى عمر، فكتب اليه عمر : إنّا لا نعلم غراس الجنة إلّا للؤمنين، فَأَقْبِرْ فيها مَنْ مات قِبَلك من المسلمين ولا تبعه بشىء . فكان أوّلَ مَنْ قُبِر فيها رجلٌ من المَعَافِر يقال له : عامر [فقيل عَمرت] (١) .

قلت : والقرافة سُميت بطائفة من المعافر يقال لهم القرافة، نزلوا هناك .

* * *

موقع مصر من المعمورة

وقال بعض علماء الهيئة : إن مصر واقعة من المعمورة فى قسم الإقليم الثانى والإقليم الثالث، ومعظمها فى الثالث .

وقال أبو الصلت : هى مسافة أربعين يوما طولا فى ثلاثين يوما عرضا .

(١) الزيادة عن ابن عبد الحكم وحسن المحاضرة للسيوطى .

وقال غيره : هى مسافة شهر طولا فى شهر عرضا . وطولها من الشجرتين اللتين ما بين رَفَح والعريش الى مدينة أُسوان من صعيد مصر الأعلى ؛ وعرضها من أَيْلَة الى بَرْقَة، ويكتنفها جبلان متقاربان من مدينة أُسوان المذكورة الى أن ينتهيا الى الفُسطاط (يعنى الى مصر)، ثم يتّسع بعد ذلك ما بينهما وينفرج قليلا، ويأخذ الجبل المقطّم منهما مشرِّقا والآخر مغرِّبا على وِرَاب متّسع من مصر الى ساحل البحر الرومى، وهناك تنقطع فى عرضها الذى هو مسافة ما بين أَوْغلها فى الجنوب وأَوْغلها فى الشمال .

وقال بعض الحكماء : ليس فى الدنيا نهر يَصُبّ فى بحر الروم والصين والهند غير النيل . وليس فى الدنيا نهر يصبّ من الجنوب الى الشمال غير النيل . وليس فى الدنيا نهر يزيد فى أشدّ ما يكون من الحرّ غير النيل . وليس فى الدنيا نهر يزيد وينقص على ترتيبٍ فيهما غير النيل . وليس فى الدنيا نهر يزيد اذا نَقَص مياه الدنيا غير النيل .

وبهذا النيل أشياء لم تكن فى غيره من الأنهار، من ذلك : السمكة الرَّعّادة التى اذا وضع الشخص يده عليها اضطرب جسمه جميعه حتى يرفع يده عنها، ومنها التِّمساح ولم يكن فى غيره من المياه؛ وفى مصر أعاجيب كثيرة .

وقال الكِنْدىّ فى حقّ مصر وأعمالها : جبلها مقدّس، ونيلها مبارك، وبها الطور حيث كلّم الله تعالى نبيّه موسى، وبها الوادى المقدّس، وبها ألقَى موسى عصاه وبها فَلَق الله البحر لموسى، وبها ولد موسى وهارون عليهما السلام ويوشع بن نون ودانيال وأرميا ولقمان وعيسى بن مريم، ولدته أمه بأَهناس، وبها النخلة التى ذكرها الله تعالى لمريم؛ ولما سار عيسى الى الشام وأخذ على سفح المقطم ماشيا، عليه جُبّة صوف مربوط الوسط بشريط وأمّه تمشى خلفه، فالتفت اليها وقال : يا أمّاه،

(٣٢) فضائل مصر

هـذه مقبرة أمة محمد ؛ وكان بمصر إبراهيم الخليل و إسماعيل و يعقوب و يوسف واثنا عشر سبْطا .

ومن فضائلها : أنها فُرْضة الدنيا يُحمل من خيرها الى سواحلها ؛ و بها مُلْك يوسف عليه السلام ؛ و بها مساجد إبراهيم و يعقوب وموسى و يوسف عليهم السلام ؛ و بها البَرَابِى العجيبة والهَرَمان ، وليس على وجه الأرض بناءٌ باليد حجرا على حجر أطولُ منهما . ٥

ذكر هرمى مصر وسبب بنائهما

وقال أبو الصَّلْت : طول كل عمود منهما ثلثمائة وسبعة عشر ذراعا ، ولكل أربعة أسطحة مَلَسَاتٌ متساويات الأضلاع ، طول كل ضلع أربعمائة وسبعون ذراعا ؛ واختلف فيمن بناهما ، فقيل : شدّاد بن عاد[1] ، وقيل : سو يرد ، وقيل : سو يد ، بناهما فى ستة أشهر وغَشّاهما بالديباج الملون ، وأودعهما الأموال والذخائر والعلوم خوفا من طوفان يأتى . ١٠

وقال الأستاذ ابراهيم بن وَصِيف شاه الكاتب : بناهما سو يرد بن سلهوق بن سرياق بن ترميل دون بن قدرشان بن هوصال ، أحد ملوك مصر قبل الطوفان الذين كانوا يسكنون مدينة الأُشْمُونَيْنِ . والقبط تنكر أن تكون العادية دخلت بلادهم لقوة سحرهم . وهذا يؤ يد قول من قال بعدم بناء شدّاد بن عاد لها . قال : وسبب بناء الهرمين العظيمين اللذين بمصر أنه كان قبل الطوفان بثلثمائة سنة قد رأى سو يرد فى منامه كأنّ الأرض قد انقلبت بأهلها ، وكأنّ الناس قد هربوا على وجوههم ، وكأنّ الكواكب تساقط و يصدم[2] بعضها بعضًا بأصوات هائلة ، فأغمه ذلك ولم يذكره ١٥

(١) هذا غير ما اتفق عليه المؤرخون الأثبات بعد أن فكوا طلاسم الكتابة الهيروغليفية وحلوا رموزها إذ تحقق أن بانى الهرم الأكبر هو الملك « خوفو » و بانى الهرم الثانى هو الملك « خفرع » و بجوارهما ثالث بناه الملك « منقرع » . (٢) كذا فى المقريزى (ج ١ ص ١١٢) . وفى الأصل : « وقصدت » وهو تحريف (انظر المقريزى فى هذا الموضع) . ٢٠

لأحد، وعلم أنه سيحدث فى العالم أمر عظيم؛ ثم رأى بعد مدّة مناما آخر أزعجه أكثر من الأوّل، فدخل الى هيكل الشمس وتضرّع ومرّغ وجهه على التراب وبكى، فلما أصبح جمع رؤساء الكَهَنة من جميع أهل مصر، وكانوا مائة وثلاثين كاهنا، نخلا بهم وذكر لهم ما رآه أوّلا وآخرا، فأوّلوه بأمر عظيم يحدث فى العالَم؛ ثم حكى بعض الكهنة أيضا : أنه رأى مناما أعظم من هذا المنام فى معناه، ثم أخذوا الارتفاع وأخبروه بالطوفان وبعده بالنار التى تخرج من بُرْج الأسد؛ فقال: انظروا، هل تلحق هذه الآفةُ بلادَنا؟ فقالوا : نعم، فأمر ببناء الأهرام وجعل فى داخله الطِّلَّسْمات والأموال وأجساد ملوكهم، وأمر الكهنة أن يَزْبُروا عليها جميع ما قالته الحكماء، فزَبروا فيها وفى سقوفها وحيطانها جميعَ العلوم الماضية، وصوّروا فيها صُوَر الكواكب، وعليها الطِّلَّسْمات، وجعل طول كل هرم مائة ذراع، بالذراع الملكى (وهو خمسمائة ذراع بذراعنا الآن)[1] . ولما فرغت كساها الديباج الملوّن وعمل لهم عيدا حضره أهل ملتهم؛ ثم عمل فى الهرم الغربىّ ثلاثين مخزنا من حجارة صَوّان ملوّنة ملئت بالأموال الجمّة، والآلات والتماثيل المعمولة من الجواهر النفيسة، وآلات الحديد الفاخرة، والسلاح الذى لا يَصدأ، والزجاج الذى ينطوى ولا ينكسر، وأصناف العقاقير والسموم القاتلة؛ ثم عمل فى الهرم الشرقىّ أصناف القِباب الفَلَكيّة والكواكب، وما عمله أجداده من أشياء يطول شرحها اهـ .

[ويقال[2] : إنّ هِرمِس المثلث بالحكمة وهو الذى تسمّيه العِبرانيون خَنُوخ وهو ادريس عليه السلام استدلّ من أحوال الكواكب على كَوْن الطوفان، فأمر ببناء الأهرام وإيداعها الأموال وصحائف العلوم، وما يخاف عليه الذهاب والدُّثور؛ وكل

(١) هذه عبارة المؤلف، وكان موجودا فى القرن التاسع للهجرة .

(٢) ما هو محصور بين المربعين زيادة فى نسخة م .

هَرَم منها آرتفاعه ثلثمائة ذراع وسبعة عشر ذراعا، يحيط به أربعة سطوح متساويات الأضلاع، كل ضِلع منها أربعمائة ذراع وستون ذراعا، ويرتفع الى أن يكون سطحه مقدار ستة أذرع فى مثلها . ويقال : إنه كان عليه حجر شبه المكبّة فرمته الرياح العواصف، وطول الحجر منها خمسة أذرع فى سُمْك ذراعين . ويقال : إن لها أبوابا مَقْبيّة فى الأرض، وكل باب من حجر واحد يدور بلولب اذا أطبق لم يُعلم أنه باب، يُدخل من كل باب منها الى سبعة بيوت، كل بيت على اسم كوكب من الكواكب السبعة، وكلها مقفلة بأقفال حديد، وبحذاء كل بيت منها صنم من ذهب مجوّف إحدى يديه على فيه، وفى جَبْهته كتابة بالمُسْنَد اذا قُرِئت انفتح فُوه، فيوجد فيه مفاتيح ذلك القُفْل فيفتح بها . والقِبْط يزعمون أنهما والهرمَ الصغير قبور ملوكهم وأكابرهم .

فتح المأمون للهرم الكبير

ولما ولى المأمون الخلافة وورد مصر أمر بفتح واحد منها ففُتح بعد طويل، واتفق لسعادته أنه وقع النَّقْب على مكان يُسْلَكُ منه الى الغرض المطلوب وهو زَلّاقة ضيّقة من الحجر الصوّان المانع الذى لا يعمل فيه الحديد بين حاجزين ملتصقين بالحائط، قد نُقِر فى الزلّاقة حُفَر يتمسّك السالك بتلك الحفر ويستعين بها على المشى فى الزلّاقة لئلا يَزْلَق، وأسفل الزلّاقة بئر عظيمة بعيدة القعر، ويقال : إن أسفل البئر أبواب يُدْخل منها الى مواضع كثيرة وبيوت ومخادع وعجائب، وانتهت بهم الزلّاقة الى موضع مربع فى وسطه حوض من حجر مُغَطّى، فلما كشف عنه غطاؤه لم يوجد فيه إلا رمّة بالية، فأمر المأمون بالكفّ عما سواه . وهذا الموضع يدخله الناس الى وقتنا هذا . ويقال : إن المأمون أنفق على النقب جملة آختلف المؤرّخون فى كَمّيتها. فلما انتهى به النقب الى الموضع المربع المذكور وجد فيه جاما من زُمُرّد مغطّى، فكُشِف فوجد فيه ذلك المقدارُ الذى أنفقه من غير زيادة على ذلك — واستمر ذلك

الحسام فى ذخائر الخلفاء الى وقعة هُولَاكو ببغداد — فقال : الحمد لله الذى ردّ علينا ما أنفقناه] .

سؤال أحمد بن طولون عن الأهرام

وقيل : إن الأمير أحمد بن طولون سال بعض علماء الأقباط المعمّرين ممن رأى الرابع عشر من ولد ولده عن الأهرام؛ فقال : إنها قبور الملوك، كان الملك منهم اذا مات وُضع فى حَوض حجارة يسمّى الجرون ، ثم يُبنى عليه الهرم، ثم يُقنطر عليه البنيان والقباب، ثم يرفعون البناء على هـذا المقدار الذى ترونه ويجعـل باب الهرم تحت الهرم ، ثم يجعل له طريق فى الأرض بعقد أَزَجّ، فيكون طول الأزج تحت الأرض مائة ذراع أو أكثر، ولكل هرم من هذه الأهرام باب مدخله على ماوصفت؛ فقيـل له : كيف بُنيت هـذه الأهرام الملّسـة ، وعلى أىّ شىء كانوا يصعدون ويبنون، وعلى أىّ شىء كانوا يضعون الآلات ويحملون الحجارة العظيمة التى لا يقدر أهل زماننا هذا على أن يحرّكوا الحجر الواحد إلا بجُهد؟ فقال : كان القوم يبنون الهرم مدرّجا فإذا فرغوا منه نحتوه من فوقُ إلى أسفل، قلت : وهذا أصعب من الأوّل، قال : فكانت هذه حيلتهم، وكانوا مع هذا لهم قدرة وصبر وطاعة لملوكهم ديانة؛ فقيل له : مابال هذه الكتابة التى على الأهرام والبَرَابِى لاتُقرأ؟ قال : ذهب الحكماء الذين كان هذا قلمهم، وتَداوَل أرضَ مصر الأمُمُ، فغلب على أهلها القلم الرومىّ كأشكال أحرف القبط والروم؛ فالقبط تقرؤه على حسب تعارفها إياه وخَلْطها لأحرف الروم بأحرفها على حسب ماولّدوا من الكتابة بين الرومىّ والقِبْطىّ الأوّل، فذهب عنهم كتابة آبائهم السالفـة وصاروا لا يعرفونها، وهى هذه الكتابة التى على الأهرام وغيرها . انتهى أمر الهرم .

(١) توصل علماء البحث والآثار الى معرفة هذا القلم، وهو المعروف بالخط الهوروغليفى بواسطة حجر رشيد الذى عثر عليه رجال الحملة الفرنسية وكان له الفضل الأكبر فى جلاء تاريخ مصر القديم .

[وقد نظم عُمارة اليمنىّ[1] فيهما فقال :

خليلىّ ماتحت السماء بنيّةٌ * تُماثل فى إتقانها هرمَىْ مصر
بناءٌ يخاف الدهرُ منه وكلُّ ما * على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر
تنزّه طرفى فى بديع بنائها * ولم يتنزّه فى المراد بها فكرى

وقال سعد الدين بن جُبارة فى المعنى :

لله أىّ غريبةٍ وعجيبةٍ * فى صَنْعة الأهرام للألبابِ
أخفت عن الأسماع قِصّةَ أهلها * ونضَتْ عن الإبداع كلّ نِقابِ
فكأنّما هى كالخيام مُقامةٌ * من غير ما عَمَدٍ ولا أطنابِ

وبالقرب من الأهرام صنم على صورة إنسان تسميه العامة "أبا الهول" لعظمه، والقبط يزعمون أنه طِلّسمٌ للرمل الذى هناك لئلا يغلب على أرض الجيزة].

سحرة مصر فى زمن فرعون موسى

وأما السحرة الذين كانوا بمصر فى زمان فرعون فكانوا، كما ذكر يزيد بن أبى حبيب، اثنى عشر ساحرا رؤساء، وتحت يد كل ساحر منهم عشرون عَريفا، تحت يد كل عريف منهم ألف من السحرة؛ فكان جميع السحرة مائتى ألف وأربعين ألفا ومائتين واثنين وخمسين إنسانا بالرؤساء والعرفاء .

وعن محمد بن المنكدر : كان السحرة ثمانين ألفا، فلما عاينوا ما عاينوا أيقنوا أنّ ذلك من السماء وأنّ السحر لا يقوم بأمر الله، فخرّ الرؤساء الاثنا عشر عند ذلك سجّدا، فاتّبعهم العرفاء واتّبع العرفاء من بقى؛ قالوا : آمنا بربّ العالمين ربّ موسى وهارونَ، وكانوا من أصحاب موسى ولم يفتتن أحد منهم مع من افتتن من بنى إسرائيل فى عبادة العجل .

(١) ما هو محصور بين المربعين زيادة فى نسخة م .

أعاجيب مصر ومبانيها

وأما ما بمصر من الأعاجيب والمبانى — فبها عمود مدينة عين شمس الذى تسمّيه العامّة "مسلة فرعون". وبها "صدع أبى قير"، وهو موضع فى الجبل يجتمع اليه فى يوم مخصوص فى السنة جميع جِنس الطير ، وبالجبل طاقة يدخل فيها كل طير يأتى اليه ثم يخرج من وقته حتى ينتهى الى آخر الطير فتَقْبِض عليه ويموت فيها ، ٥ وبها "مجمع البحرين" وهو البرزخ ، وهما بحر الروم والصين ، والحاجز بينهما مسيرة ليلة واحدة ما بين القُلْزُم والفَرَمَا . وبها ما ليس فى غيرها ، وهو حيوان السَّقَنْقُور والنِّمْس ولولاه أكلت الثعابين أهلها ؛ وهو كقنافذ سِجِسْتان لأهلها . وبها "دُهْن البَلَسَان"، وليس ينبت عرقه إلا بمصر خاصة . وبها "مَعْدِن الذهب والزمرد"، وليس فى الدنيا معدن زمرد سواه . وبها "معدن النفط والشبّ والبِرَام والرخام" . وبها "الأفيون"، وهو ١٠ عصارة الخَشْخاش ؛ وقيل : بها سائر المعادن ؛ وبها "الأبنوس" . وبها "حجر السُّنْبَاذَج" الذى يُقطع به سائر الأحجار؛ وأشياء غير ذلك سكتنا عنها خوف الإطالة .

(٢٤)

مبانى مصر قديما

وأما مصر تلك الأيام فكان مبانيها وأماكنها فى غير مصر الآن . وموضع مصر قديما هى البقعة الآن الخراب عند حُذْرة ابن قميحة والكيمان التى عند قبر القاضى بكار ١٥ الى المشهد النّفيسى .

وأما قطائع ابن طُولون فيأتى ذكرها فى ترجمته وبيان أماكنها . قال الشريف النسّابة الثقة محمد بن أسعد الجوّانى فى كتابه المسمى «بالنُّقَط لمعجم ما أشكل من الخطَط» : سمعت الأمير تأييد الدولة تميم بن محمد المعروف بالصمصام يقول : فى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة حدّثنى القاضى أبو الحسن علىّ بن الحسين الخِلَعى[1] عن

---

٢٠ (١) نسبة الى بيع الخلع لأنه كان يبيعها لملوك مصر، كما فى حسن المحاضرة (ج ١ ص ٢٢٧) .

القاضى القُضَاعى[٢] أبى عبد الله أنه قال : كان فى مصر من المساجد ستة وثلاثون ألف مسجد، وثمانية آلاف شارع مسلوك، وألف ومائة وسبعون حماما، وأن أبا الحسن ابن حمزة الحسنى ذكر أنه عرض له دخول حمّام سالم الذى عند درب سالم فى أوّل القرافة ، يعنى حمّام جُنَادة بن عيسى المَعَافِرِى الذى عند مصبغة الحفّارين المعروفة بفسقيّة ابن طولون — قلتُ : وفسقيّة ابن طولون هى عند المقبرة الكبيرة على يَسْرة المتوجّه الى القرافة بالقرب من قبر القاضى بكّار ا هـ — قال : وإنه ما وصل اليه إلا بعد عناء من الزحام، وإنه كانت قَبَالة الحمّام فى كل يوم جمعة خمسمائة درهم . قال : وكانت الخمسمائة درهم يوم ذاك نحو اثنين وأربعين دينارا إلا ثلثا ، لأن الدينار كان صرفه يوم ذاك اثنى عشر درهما . انتهى كلام الشريف .

قلت: وذهبت تلك الأماكن بأجمعها عند خراب قطائع ابن طولون لمّا أخربها محمد بن سليمان الكاتب، لا سيما لمّا بنيت القاهرة فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة، على ما يأتى ذكر ذلك فى ترجمة جوهر القائد .

* * *

وأما ظاهر القاهرة من جهاتها الأربع فقد تجدّد ذلك كله فى الدولة التركية ، ومعظمه فى دولة ابن قلاوون محمد، على ما يأتى بيان ذلك فى ترجمته، لأننا نذكر كل مكان تجدّد فى أيام سلطانه كما شرطناه فى أوّل هذا الكتاب . ا هـ .

---

(٢) فى المقريزى (ج ١ ص ٥) هو القاضى عبد الله محمد بن سلامة القضاعى مؤلف كتاب «المختار فى ذكر الخطط والآثار» .

*
* *

محاسن مصر

وأما محاسن مصر فكثيرة: من ذلك ما قاله الشيخ الإمام الفقيه أبو محمد الحسن ابن إبراهيم بن زُولاق : إنّ من محاسن مصر اعتدال هوائها فى حرّها و بردها ؛ و إنّ مزاج هوائها لا يقطع أحدا عن التصرّف كما يقطع حرّ بغداد أهلها عن التصرف فى معايشهم، ويخلو أكثر الطرقات بها نهارا ، وكذلك بردها، و إنّ برد مصر ربيع وحرّها قيظ . وقدم رجلٌ من بغداد الى مصر فقيل له : ما أقدمك؟ فقال : فررت من كثرة الصياح فى كل ليلة : «يا غافلين الصلاة» لأختفائهم من الحرّ والبرد، فإنّ حرّ بغداد و بردها يقطعان أهلها عن التصرّف حتى انهم يكْنُون فى بطن الأرض من شدّة الحرّ فى الصيف، وتطوف الحرابس فى بعض المواضع نهارا لأختفاء الناس فى بطون الأرض من شدّة الحرّ . انتهى كلام ابن زولاق .

(٢٥)

قلتُ : وأما برد الشمال والروم فلا حاجة لذكره لعظَم البرد وكثرة الثلوج والأمطار وغير ذلك .

قال ابن زُولاق أيضا : ومن ذلك الأقوات والمِيرَة التى لا قِوَام لأحد فى بلد إلا بها ، فإنّ مصر تَمِير أهلها والساكنين بها وبأعمالها ، وتمير الحرمين الشريفين والوافدين اليها من الأقطار ، وما تجد بلدا إلا وتصل اليها مِيرة مصر ، و بغداد لا تمير أهلها فضلا عن غيرهم لأن طعامها وأقوات ساكنيها من المَوْصل وأعماله والفُرات وأعماله وديار مضر وربيعة .

وأما بغداد فانها تَمِير نفسها أربعة أشهر ، وتميرها الموصلُ أربعة أشهر ، وتميرها واسط أربعة أشهر ، وكذلك البصرة أيضا لا تمير نفسها ، وإنما تميرها واسط والأهواز ؛ ولما حلّ الغلاء ببغداد نَزَح عنها أهلها وأثّر فيها الى اليوم ، وكان بمصر

غلاء فى سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، وغلاء فى سنة أربع عشرة وثلاثمائة ، وغلاء فى سنة عشرين وثلاثمائة ، وغلاء فى سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ، وغلاء فى سنة ست وسبع وثمان وخمسين وثلثمائة ، فما أثّر ذلك فيها .

قلت: هذا ، وما وصل القائل الى غلاء سنى المستنصر بالديار المصرية من سنة ست وخمسين الى سنة خمس وستين وخمسمائة التى شُبِّهت بأيام يوسف عليه السلام ، ولم يقع بمصر غلاء مثله قبله ولا بعده ، وبعد ذلك تراجع أمر مصر فى مدّة يسيرة وعادت الى ما كانت عليه أوّلا . يأتى ذكر هذا الغلاء وغيره فى ترجمة الخليفة المعزّ العُبَيدى فى هذا الكتاب ، إن شاء الله تعالى .

قلت : وهذا القياس الذى ذكرناه بين مصر وبغداد إنما كان تلك الأيام التى كان بها يومئذ عظماء خلفاء بنى العباس ، وكانت مصر تلك الأيام يليها عامل من قِبَل أمير من أمراء الخلفاء ، وأما يومنا هذا فلا تقاس مصرُ بالعراق جميعِه بل تزيد محاسنها على جميع أقطار الأرض ، ولولا خشيةُ الإطالة لبيّنا ذلك ، ولكن فيما ذكرناه من محاسن مصر وما اشتملت عليه من الطرائف كفاية عن الإطناب فيها .

*
* *

خراج مصر قديما

وأما خراج مصر قديما فقيل : إن كيقاوس أحد ملوك القبط الأوّل جبى خراجها بجباء مائة ألف ألف وثلاثين ألف دينار ، وجباه عَزيز مصر مائة ألف ألف دينار ، وجباه عمرو بن العاص رضى الله عنه فى الإسلام اثنى عشر ألف ألف دينار ، ثم رذُل(1) الى أن جباه أحمد بن طولون فى سنة ستين ومائتين أربعة آلاف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار مع ما يضاف اليه من ضِياع الأمراء ، ثم جباه جوهر القائد خادم المعزّ العُبَيدى ثلاثة آلاف ألف دينار ومائتى ألف دينار فى سنة ستين وثلثمائة .

(1) كذا فى ف ، وفى م « رُدّ » .

وسبب نزول خراج مصر أن الملوك لم تسمح نفوسهم بما كان يُنفَق فى حفر تُرَعها وإتقان جسورها، وإزالة ما هو شاغل للأرض عن الزراعة كالقَصَب والحَلْفاء والقِضاب وغير ذلك .

(٣٦) وحكى عبد الله بن لَهِيعة: أن المرتبين لذلك كانوا مائة ألف وعشرين ألف

٥ رجل : سبعون ألفا بصعيد مصر، وخمسون ألفا بالوجه البحرى .

وحكى ابن زُولاق : أن أحمد بن المُدَبِّر لمّا وَلِىَ خَراج مصر كشف أرضها فوجد غامرها أكثر من عامرها، فقال : والله لو عَمَّرها السلطان لوفتْ له بخراج الدنيا .

وقيل : إنها مُسِحت فى أيام هِشَام بن عبد الملك فكان ما يركبه الماء الغامر

١٠ والعامر مائة ألف ألف فدان ، والفدان أربعمائة قصبة، والقصبة عشرة أذرع .

وقيل : إن أحمد بن المدبّر المذكور اعتبر ما يصلح للزراعة بمصر فوجده أربعة وعشرين ألف ألف فدان، والباقى مستبحر وتَلِف من قلّة الزراعة، واعتبر أيضا مدّة الحَرْث فوجدها ستين يوما ؛ والحَرّاث يحُرث خمسين[(١)] فدانا ، فكانت محتاجة الى أربعمائة ألف وثمانين ألف حرّاث، اهـ .

١٥ قلت : هذا خلاف ما رُئى من الجزائر فى الإسلام مثل جزيرة بنى نصر وجزيرة الذهب وغيرهما قبلى وبحرى ؛ وأيضا خلاف إقليم البحيرة، والبحيرة كان أصلها كَرْمًا لامرأة المُقَوْقِس، وكانت تأخذ خراجها الخمر بفريضة عليهم، فكثر الخمر عليها فقالت : لا حاجة لى بالخمر، أعطونى دنانير، فلم تجدها معهم، فأرسلت على الكَرْم الماءَ فغرّقتها، فصارت بُحَيرة يُصاد بها السمكُ حتى استخرجها بنو العباس،

٢٠ (١) كذا فى نهاية الأرب للنويرى (ج ١ ص ٢٦٦) وفى الأصل «عشرين» وهو خطأ ظاهر .

فسدّوا جسورها وزرعوها ونمتْ وآستمرت فى زيادة الى يومنا هـذا، وبقى ذلك اسما عليها لا تعرف إلا بالبُحَيرة .

ذكر ما قيل فى سبب تسمية مصر بمصر

ما قيل فى سبب تسمية مصر بمصر

قيل : إنه كان آسمها فى الدهر الأوّل زجلة[1] من المزاجلة، وقال قوم : سُمِّيت بمصريم بن مركائيل[2] بن دوابيل بن غرياب بن آدم، وهذا هو مصر الأوّل؛ وقيل: بل سُمِّيت بمصر الثانى، وهو مصرام بن نقراوش[3] الجبّار بن مصريم الأوّل المقدم ذكره؛ وقيل: سُمِّيت بعد الطوفان بمصر الثالث، وهو مصر بن بيصر بن حام بن نوح، وهو اسم أعجمىّ لا ينصرف؛ وقيل : هو اسم عربىّ مشتقّ، ولكل قائل دليل؛ وقيل: غير ذلك أقوال كثيرة يأتى ذكر بعضها .

قال المسعودى فى تاريخه : إن بنى آدم لمـا تحاسدوا وبغى عليهم بنو قابيل بن آدم ركب نقراوش الجبـار ابن مصريم المقـدّم ذكره فى نَيِّف وسبعين راكبا من بنى غرياب بن آدم، جبابرة كلهم يطلبون موضعا من الأرض ليقطُنوا فيه، فلم يزالوا يمشون حتى وصلوا الى النيل فأطالوا المشى عليه، فلما رأوا سَعَةَ هذا البلد أعجبهم، وقالوا : هـذا بلد زَرْع وعمارة، فأقاموا فيه وآستوطنوه وبنَوْا فيه الأبنية المحكمة والمصـانع العجيبة، وبنى نقراوش بن مصريم [مصر وسماها باسم أبيـه مصريم][4] ثم لمّـا ملك قال لبنيه : إنى أريد أن أصنع مدينة، ثم أمرهم ببنيان مدينة فى موضع خيمته، فقطعوا الصخور من الجبال، وأثاروا معادن الرصاص، وبنوا دورا وزرعوا وعَمَروا الأرض، ثم أمرهم ببناء المدائن والقُرَى وأسكن كل ناحية من الأرض مَنْ

(١) فى ف والمقريزى : «بجزلة» . (٢) لم نتفق الكتب على هذه الأسماء بل كل كتاب يخالف الآخر فلذلك لم نعول عليها واقتصرنا على ما ذكره المؤلف . (٣) نقراوش : ملك قومه الأوّل كما فى المقريزى . (٤) الزيادة عن المقريزى (ج ١ ص ١٢٩) .

رأى، ثم حفروا النيل حتى أخرجوا ماءه اليهم، ولم يكن قبل ذلك معتدلّ الجرى ، وإنمـا كان ينبطح و يتفرّق فى الأرض ، فهندسوه وشقّوا منه أنهـارا الى مواضع كثيرة من مدنهم التى بنوها ،وشقّوا منه نهرا الى مدينتهم أمسوس يجرى فى وسطها ، ثم سُمّيت مصر بعـد الطوفان بمصر بن بيصر بن حام بن نوح على ما نذكره هنا أيضا . ويقال : إنّ مصر هذا غَرَس الأشجار بيده فجاءت ثمـارُها عظيمةً بحيث ٥ إنه كان يشقّ الأُتْرُجّة نصفين لنوح يحمل البعير نصفها ، وكان القثّاء يومئذ فى طول أربعة عشر شبرا ، ويقال : إنه أوّل من وضع السفن وإنّ سفينته كانت ثلثمائة ذراع فى عرض مائة ذراع . ويقال : إنّ مصرايم نكح امرأة من بنات الكهنة فولدت ولدا يقال له قبطيم ، ونكح قبطيم بعد سبعين سـنة من عمره امرأة ولدت له أربعة نفر : قفطريم ، وأشمون ، وأتريب ، وصا ؛ فكثروا وعَمروا الأرض وبُورك لهم فيها . ١٠ وقيل : إنه كان عدد من وصل معهم ثلاثون رجلا فَبَنَوْا مدينة سموها مافة ومعين ، (ومافة ثلاثون بلغتهم) وهى مدينة مَنْف التى تسمّى الآن : "منوف العليا" ، وكشف لهم أصحاب قليمون الكاهن عن كنوز مصر وعلومهم والطلّسمات والمعادن ، ووصفوا لهم عَمَـل الصَّنْعة[1] وبنوا على عِبْر البحر مدنا : منها رقودة[2] مكان الاسـكندرية ؛ ولـمّا حضرت مصرايم الوفاة عهد الى ولده قبطيم ، وكان قد قسّم أرض مصر بين بنيه ، فجعل ١٥ لقفطريم من قِفْط الى أُسـوان ، ولأشمون من أشمون الى مَنْف ، ولأتريب الحَوْف كله ، ولصـا من ناحية صا البحيرة الى قُرب بَرْقة ؛ وقال لأخيـه فارق : الك من برقة الى المغرب ، فهو صاحب إفريقية وأولاده الأفارق ؛ وأمر كل واحد من بنيه أن يبنى لنفسه مدينة فى موضعه ، وأمرهم عند موته أن يحفروا له فى الأرض سَرَبا وأن يفرشـوه بالمرمر الأبيض و يجعلوا فيه جسده ، و يدفنوا معه جميع ما فى خزائنه ٢٠

مدينة منف

(١) يريد عمل الكيمياء . (٢) كذا فى المقريزى (ج ١ ص ١٣٥) ونهاية الأرب للنويرى (ج ١٢ من النسخة الفتوغرافية) وفى الأصل «رقورة» .

من الذهب والجوهر ، ويزبروا[1] عليه أسماء الله المانعة من أخذه[2] ، فحفروا له سَرَبا طوله مائة وخمسون ذراعا ، وجعلوا فى وسطه مجلسا مصفّحا بصفائح الذهب ، وجعلوا له أربعة أبواب على كل باب منها تمثال من ذهب ، عليه مانع مرصّع بالجوهر ، وهو جالس على كرسىّ من ذهب ، قوائمه من زمرذ ، وزَبَروا فى صدر كل تمثال آيات مانعة ، وجعلوا جسده فى جُرْن مرمر مصفّح بالذهب ، وكانت وفاة مصرايم المذكور بعد الطوفان بسبعمائة سنة ، ومات ولم يعبد الأصنام ، وجعلوا معه فى ذلك المجلس ألف قطعة من الزَّبَرْجَد المخروط ، وألفَ تمثال من الجوهر النفيس ، وألف بَرْنِيّة مملوءة من الدرّ الفاخر والعقاقير والطّلّسمات العجيبة وسبائك الذهب ، وسقفوا ذلك بالصخور وهالوا فوقها الرمالَ بين جبلين ، وولى ابنه قبطيم المُلْك .

* * *

من دخل مصر من الصحابة

ودخل مصر من الصحابة ممن تقدّم ذكرهم فى فتح مصر وغيرهم جماعة : الزبير ابن العوّام ، والمِقْداد بن الأسود ، وعُبادة بن الصّامت ، وأبو الدرداء ، وفَضالة ابن عُبَيد ، وعمرو بن العاص ، وعمرو بن علقمة ، وشُرَحبيل بن حَسَنة ، وسعد ابن أبى وقّاص ، وعبد الله بن عمرو ، وخارجة بن حُذافة ، ومحمد بن مَسْلَمة ، وأبو رافع ، ومَسْلَمة بن مُخَلَّد ، وأبو أيوب ، ونافع بن مالك[3] ، ومعاوية بن حُدَيج ، وعَمّار بن ياسر ، وخالد بن الوليد ، وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين .

من دخلها من الأنبياء

ودخلها من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين : يعقوب وأولاده ، وهم : يوسف ، ويهوذا ، وروبيل ، ولاوى ، وزبالون ، وشمعون ، ويسحر[4] ،

(١) كذا فى المقريزى ، ويزبروا : يكتبوا ، وفى الأصل «وقرأوا» . (٢) كذا فى المقريزى . وفى الأصل «المانعة فنع من أخذه» . (٣) فى المقريزى : «نافع بن عبد قيس الفهرى . ويقال : بل هو عقبة بن نافع» . (٤) كذا أورده الطبرى فى تاريخه ص ٣٥٥ من القسم الأوّل طبعة ليدن ثم حكى أن منهم من يقول «يشحر» بالشين المعجمة . وقد ورد هكذا فى الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٨٩ طبعة أوروبا . وفى الأصل «يسجرة» .

ودنيا ، ودانا ، وديفتابيل (١) ، وجاد ، و بنيامين . ودخلها موسى وهرون ؛ وبها وُلِد عيسى بن مريم .

وقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أنه سأل كعب الأحبار عن طبائع البلدان وأخلاق سكانها، فقال : إنّ الله عز وجل لما خلق الأشياء جعل كل شيء لشيء ؛ فقال العقل : أنا لاحق بالشأم، فقالت الفتنة : وأنا معك ؛ فقال الخِصْب : أنا لاحق بمصر، فقال الذل : وأنا معك ؛ وقال الشقاء : أنا لاحق بالبادية، فقالت الصحة : وأنا معك ؛ وقال البخل : أنا لاحق بالمغرب، فقال سوء الخُلُق : وأنا معك .

و يقال : لمّا خلَق الله الخلْق خلَق معهم عشرة أخلاق : الإيمان ، والحياء ، والنجدة ، والفتنة ، والكِبْر ، والنِّفاق ، والغنى ، والفقر ، والذّل ، والشقاء ؛ فقال الإيمان : أنا لاحق باليمن ، فقال الحياء : وأنا معك ؛ وقالت النجدة : وأنا لاحقة بالشام ، فقالت الفتنة : وأنا معك ، وقال الكِبْر : أنا لاحق بالعراق ، فقال النفاق : وأنا معك ؛ وقال الغنى : أنا لاحق بمصر ، فقال الذل : وأنا معك ؛ وقال الفقر : أنا لاحق بالبادية ، فقال الشقاء : وأنا معك .

وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : المكر عشرة أجزاء : تسعةٌ منها فى القبط ، وواحد فى سائر الناس . اهـ .

*
* *

ما ورد من الأشعار فى وصف مصر

ووصف ابن القِرِّيّة مصر فقال : عَبِيد لمن غَلَب ، أكيس الناس صغارا وأجلّهم كبارا . وقال المسعوديّ فى تاريخه : قال بعض الشعراء يصف مصر :

مِصْرُ ومِصْرُ شأنها عَجِيبُ * ونيلُها يجرى به الجَنُوبُ

(١) كذا فى م . وفى ف : «دعنابيل» وفى الطبرى : «نفتالى» وفى الكامل لابن الأثير : «نفتالى» .

قلت : وقد قيل فى مصر عدّة قصائد ومُقَطّعات ذكرنا منها نبــذة فى تاريخنا « حوادث الدهور » عند وفاء النيل فى كل سنة : منها ما قاله الشيخ صلاح الدين خليل بن أَيْبك الصَّفَدِىّ :

لِمْ لا أَهِيمُ بمصرٍ * وأَرتَضِيها وأَعْشَق
وما ترى العينُ أحلَى * من مائها إن تَمَلَّقْ

٥

وفى المعنى للشيخ زين الدين عمر بن الوردى رضى الله عنه :

ديارُ مِصْرَ هى الدنيا وساكنُها * هُمُ الأنامُ فقابِلْهـا بتقبيــلِ
يا مَن يُبَاهِى ببغـدادٍ ودِجْلَتِها * مِصْرٌ مقـدّمةٌ والشرح للنّيــلِ

وأبدع منه ما قيل فى المعنى أيضا لآبن سَلّار :

١٠

لَعَمرِكَ ما مِصر بمِصرٍ وإنمـا * هى الجنّة العُلْيا لمن يتذكّرُ
وأولادُها الوِلْدانُ من نَسْل آدم * ورَوْضَتُها الفِرْدوسُ والنِّيل كَوْثَرُ

(٣٩)

وللقاضى شهاب الدين أحمد بن فَضْل الله العُمَرِىّ فى هذا المعنى :

ما مِثْلُ مِصْرٍ فى زمان ربيعها * لصفـاءِ ماءٍ وآعتــدالِ نَسِيمِ
أقسمتُ ما تحوِى البلادُ نظيرَها * لمّـا نظرتُ الى جمـالِ وَسِيمِ

وله أيضا رضى الله عنه وأبدع :

١٥

لِمِصْرَ فضلٌ باهرٌ * لعيشها الرَّغْدِ النضِرْ
فى كلّ سَفْحٍ يلتـقِى * ماءُ الحياة والخَضِرْ

[وللصَّفِىّ الحِلّى فى القاهرة[1] :

للهِ قاهرةُ المعـزّ فإنهـا * بلدٌ تَخَصَّصَ بالمَسَرّة والمنا
أوَ ما ترى فى كلّ قُطْرٍ مُنْيَةً * من جانبيْها فهى مجتمع المنى

٢٠

---

(١) ما هو محصور بين المربعين زيادة عن نسخة م .

ولأبى الحسن علىّ بن بهاء الدين الموصلىّ الحنبلىّ فى المعنى :

بها ما تَلَذّ العَيْنُ من حُسْن مَنْظَرٍ * وما تَرْتَضِيه النفسُ من شهواتها

وتُرْبتها تِبرٌ يلُوحُ وعَنبرٌ * يفُوحُ وتلْقَ بَعْدَ بَعْدِ حياتها

زُمُرُدَةٌ خَضْرَاءُ قد زِينَ قُرْطُها * بلؤلؤة بيضاءَ من زَهَرَاتها

ولابن الصائغ الحنفىّ فى المعنى وأجاد :

ارضَ بمصر فتلك أرضٌ * من كلّ فنٍّ بها فُنونُ

ونيلُها العَذْبُ ذاك بحرٌ * ما نظرَتْ مثله العيونُ

وللشيخ برهان الدين القيراطىّ :

رَوَتْ لنا مصرُ عن فواكهها * أخبارَ صِدقٍ صحيحةَ الخَبَرِ

وكلُّ ما صحّ من محاسنها * أَرْوِيه من خَوخها عن الزُّهْرِى

وله أيضا :

حَلَا نيلُ مِصْرٍ وهو شَهْدٌ ومَن يَذُق * حلاوته يوما من الناس يَشْهَدِ[1]

أَيَا بَرَدَى بالشام إن ذبتَ حسرةً * وغيظا فلا تَهْلِكْ أسًى وتَجَلَّدِ

وقال غيره[2] فى المعنى :

النّيــل قال وقــولُه * إذ قال مــلءُ مَسامعى

فى غيظ مَن طلَب الغَلا * عَمَّ البلادَ منافعى

وعيونُهم بعد الوَفَا * قلَعتُها بأصابعى]

(١) صححنا هذين البيتين بما يناسب المقام . وقد بحثنا طويلا فى الكتب التى ورد فيها ذكر النيل وما قيل فيه نظما فلم نعثر عليهما . ووردا فى الأصل هكذا :

حلا نيل مصر وهو شاهدة ومن * يذوق حلاوته من الناس يشهد

أيا برد ما الشام إن ذبت حسرة * وغيظا فلا تهلك أسى وتجلد

(٢) هو النصير المناوى كما فى «حوادث الدهور» للؤلف الموجود منه الجزء الأوّل بدار الكتب المصرية بالتصوير الشمسى ص ٢٤ تحت رقم ٢٢٩٧ تاريخ .

وللشريف العقيلىّ فى المعنى رضى الله عنه :

أحِنّ الى الفُسطاط شوقًا و إنّنى * لَأَدعو لهـا ألّا يَحلّ بهـا القَطْرُ

وهل فى الحيا مِن حاجةٍ لجنابها * وفى كلّ قُطْـرٍ من جوانبها نهـرُ

تَبَـدّت عَرُوسا والمقطّمُ تاجُها * ومِن نِيلِها عِقْـدٌ كما آنتظَم الدّرّ

فائدة فى زيادة النيـــل

[فائدة[1] : اذا أردتَ أنْ تعلم كم تكون زيادة النيل فى السنة فآحسُب يوم عيـد ميكائيـل، وهو ثانى عشر بؤونة ، كم يكون فى الشهر العربىّ من يوم ، وزد فوقه تسعين يوما وخذ سدس الجميع، تكون عدّة أذرع النيل فى تلك السنة اهـ] .

ولولا خشية الإطالة لذكرنا من هـذا نُبَذا كثيرة؛ ومن أراد الإكثار من ذلك فليراجع تاريخنا "حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور" فإننى ذكرتُ من ذلك عدّة مقطّعات عند وفاء النيل فى كل سنة . ونعود الآن الى كلام المسعودى، قال : وهى مصر، وآسمها كمعناها ، وعلى آسمها سمِّيت الامصار ، ومنها اشـتق هذا الاسم عند علماء المصريين . ثم ذكر المسعودىّ زيادة النيل ونقصانه نحوا مما ذكرناه، الى أن قال : فإذا انتهت الزيادة الى ست عشرة ذراعا ففيه تمام الخراج، وفى سبع عشرة ذراعا كفايتها ورِىّ جميع أرضها، و إذا زاد على السبع عشرة و بلغ الثمان عشرة ذراعا وأغلقها استبحر من أرض مصر الربع ، وفى ذلك ضرر لبعض الضياع لمـا ذكرناه من وجه الاستبحار وغير ذلك، و إذا كانت الزيادة ثمان عشرة ذراعا كانت العاقبة فى آنصرافه حدوث وباء بمصر، وأكثر الزيادات ثمان عشرة ذراعا ، وقد كان النيل بلغ فى زيادته تسع عشرة ذراعا سنة تسع وتسعين فى خلافة عمر بن عبد العزيز .

(١) ما هو محصور بين المربعين زيادة فى نسخة ف .

قلتُ : وكلام المسعودىّ بهذا القول فى عصر الأربعمائة من الهجرة قبل أن تعلو الأراضى ويحتاج الى بلوغه إحدى وعشرين ذراعا وأكثر ؛ ولو رأى عصرنا هذا لكان يرجع فيه عن مقالته وطلب الزيادة . اهـ .

قال : ومساحة الذراع الى أن يبلغ اثنى عشر ذراعا ثمان وعشرون أصبعا ، ومن اثنى عشر ذراعا إلى ما فوق يصير الذراع أربعا وعشرين أصبعا . قال : وأقل ما يبقى فى قاع المقياس من الماء ثلاث أذرع ، وفى نيل تلك السنة يكون الماء قليلا .

قال : والأذرع التى يستسق عليها هى ذراعان ، تسميان بمنكر ونكير ، وهى ذراع[1] ثلاثة عشر ذراعا وذراع أربعة عشر ذراعا ، فاذا انصرف الماء فى هذين الذراعين (أعنى ثلاثة عشر وأربعة عشر) وزيادة نصف ذراع من الخمسة عشر واستسق الناس بمصر ، كان الضرر شاملا لكل البلدان ، وإذا تمّ خمس عشرة (٣٠) ودخل فى ست عشرة ذراعا كان فيه صلاح لبعض البلاد ولا يستسق فيه ، وكان ذلك نقصا من خراج السلطان .

قلتُ : ونذكر أيضا من أخبار نيل مصر وما كان بها من المقاييس فى الجاهلية والإسلام عند ما نذكر بناء المتوكل لمقياس مصر المعهود الآن فى ترجمة يزيد بن عبد الله التركى لما ولى إمرة مصر فى شهر رجب سنة اثنتين وأربعين ومائتين هجرية بأوسع من هذا ، فلينظر هناك ، اهـ .

خلجان مصر وترعها

قال : والتُّرع التى بغَيْضة مصر أربعٌ أمهات ، أسماؤها : ترعة ذَنَب التِّمساح ، وتُرعة بُلْقينة ، وخليج سَرْدُوس ، وخليج ذات الساحل ؛ وتُفتح هذه التُّرع اذا كان الماء زائدا فى عيد الصليب ، وهو لأربع عشرة تخلو من توت ، وهو أوّل أيلول .

(١) كذا بالأصول . وفى المسعودى ج ١ ص ١٦٣ طبع بولاق «وهى الذراع الثالثة عشر والذراع الرابعة عشر» .

قال : وكان بمصر سبع خلجانات : فمنها خليج الإسكندرية، وخليج سخا، وخليج دِمّياط ، وخليج مَنْف، وخليج الفَيّوم ، وخليج سَرْدُوس، وخليج المَنْهى. وكانت مصر فيما يذكر أهل الخبرة أكثرَ البلاد جِنَانا، وذلك أن جِنَانها كانت متصلة بحافَتي النيل من أوّله الى آخره الى حدّ أسوان الى رشيد ، وكان الماء اذا بلغ في زيادته تسع أذرع دخل خليج المنهى وخليج الفيوم وخليج سردوس وخليج سخا. ٥

خليج مصر الذى حفره هامان لفرعون

وكان الذى وَلِيَ حَفْر خليج سردوس لفرعون عدوّ الله هامان، فلما ابتدأ في حفره أتاه أهل القُرَى يسألونه أن يُجرى الخليجَ تحت قُراهم ويُعطون على ذلك ما أراد من المال ، فكان يعمَل ذلك حتى اجتمعت له أموال عظيمة ، فحمل تلك الأموال الى فرعون، فسأله فرعون عنها، فأخبره الخبر ، فقال فرعون : إنه ينبغى للسيّد أن يعطف على عبيده ويُفيضَ عليهم معروفَه ولا يرغَب فيما في أيديهم، ونحن أحق ١٠ بمن يفعل هذا بعبيده ، فارْدُدْ على أهل كل قرية ما أخذته منهم ، ففعل هامان ذلك . وليس في خُلجان مصر أكثرَ عطوفا وعراقيل من خليج سردوس. وأما خليج الفيوم وخليج المنهى فان الذى حفرهما يوسف بن يعقوب صلى الله عليهما وسلم . اهـ .

قلتُ : والآن نأتى بما وعدنا بذكره مِنْ أخبار من ملك مصر قبل الإسلام ، ١٥ على أنه ليس في شرطنا من هذا الكتاب، وإنما نذكره على سبيل الاختصار لتُعلم بذلك أحوال مصر قديما وحديثا كما ذكرنا ؛ هذا كله ليَعلم الناظرُ فيه أمورَها على سبيل الاستطراد الى أن نذكر ما صُنِّف هذا الكتاب بسببه وهم ملوك مصر، وأول من نذكر منهم عمرو بن العاص رضى الله عنه ، ثم نسوق التاريخ من حينئذ على منواله دَوَلا دُوَلا ، لا نخرج منه الى غيره إلّا ما مسّت الحاجة الى ذكره ٢٠ استطرادا، والله الموفّق للصواب، واليه المرجع والمآب .

⁂

ذكر من ملك مصر قبل الإسلام

فأما مَن ملك مصر بعد مَن تقدّم ذكره من أولادهم وغيرهم فقال المسعودى : وكان بيصر بن حام بن نوح قد كَبِرَت سنّه فأوصى الى الأكبر من ولده وهو مصر وأجمع الناس على أنه ملك من حدّ رَفَح من أرض فلسطين من بلاد الشام، وقيل: من العريش، وقيل : من الموضع المعروف بالشجرة وهو آخر أرض مصر، والفرق بينها [1] (٣١) وبين الشأم، وهو الموضع المشهور بين العريش ورَفَح الى بلاد أُسوان من بلاد الصعيد طولا، ومن أيلة وهى تُخُوم الحجاز الى بَرْقة عرضا . وكان لمصر أولاد أربعة وهم : قبط [2]، وأُشمون، وأتريب، وصا . وقد تقدّم ذكر ذلك، غير أننا نذكره فى سياق كلام المسعودىّ أيضا، إذ لا يتم المراد إلّا بذكره، ليتناسق الأسلوب .

قال : وقَسّم مصر بين ولده الأربعة الأرضَ أرباعا ، وعهد الى الأكبر من ولده وهو قِبْط ، وأقباط مصر يضافون فى النسب الى أبيهم قبط بن مصر، وأضيفت المواضع الى سكانها وعُرِفت بأسمائهم، وآختلطت الأنساب وكثر ولد قبط وهم الأقباط ، فغلبوا على سائر الأرض، ودخل غيرهم فى أنسابهم . ولما هلك قبط بن مصر ملك بعده أُشمون بن مصر؛ ثم ملك بعده صا بن مصر؛ ثم ملك بعده أتريب بن مصر؛ ثم ملك بعده ماليق بن دارس؛ ثم ملك بعده حرايا بن ماليق ؛ ثم ملك بعده كلكى بن حرايا ، وأقام فى المُلْك نحوا من مائة سنة؛ ثم ملك بعده أخ له يقال له : ماليا بن حرايا؛ ثم ملك بعده لُوطس بن ماليا نحوا من سبعين سنة ؛ ثم ملكت بعده ابنة له يقال لها : حوريا بنت لوطس بن ماليا نحوا من ثلاثين سنة؛ ثم ملكت بعدها آمرأة أخرى يقال لها: ماموم. ثم كثر ولد بيصر بن حام بن نوح بأرض مصر

(١) كذا فى المسعودى (ج ص ١٧١) وفى الأصل : "والقدر" . (٢) كذا فى م والمسعودى . وقد تقدّم باسم «قفطريم» . وفى ف : «قبطيم» .

وتشعّبوا وملّكوا النساء، فطَمِعت فيهم ملوك الأرض، فسار إليهم من الشأم ملك من العماليق يقال له : الوليد بن درمع [1]، فكانت له بها حروب حتى غلب على المُلْك وآنقادوا اليه وآستقام له الأمر حتى هلك؛ ثم ملك بعده الريّان بن الوليد العملاقيّ، وهو فرعون يوسف عليه السلام؛ ثم ملك بعده دارم بن الريّان العملاقي؛ ثم ملك بعده كامس بن معدان العملاقيّ؛ ثم ملك بعده الوليد بن مصعب، وهو فرعون موسى عليه السلام، وقد اختلف فيه، فمن الناس من يقول : إنه من العماليق، ومنهم من رأى أنه من لخم من بلاد الشأم، ومنهم من رأى أنه من الأقباط من ولد مصر بن بيصر، وكان يُعرف بظلما؛ وهلك فرعون غَرَقا حين خرج فى طلب بنى إسرائيل، ولمّا غرق فرعون ومَن كان معه من الجنود خَشِيَ من بَقِيَ بأرض مصر من الذرارى والنساء والصبيان والعبيد أن يغزوَهم ملوك الشأم والمغرب، فملّكوا عليهم آمرأة ذات رأى وحزم يقال لها : دَلُوكة، فبنت على ديار مصر حائطا يُحيط بجميع أرضها والبلاد، وجعلت عليه المحارس والأجراس والرجال متّصلة أصواتُهم بقرب بعضهم من بعض، وأثَر هذا الحائط باقٍ الى هذا اليوم، وهو يعرف بحائط العجوز؛ وقيل: إنما بنته خوفا على ولدها، فإنه كان كثيرَ الصيد فخافت عليه سباع البر والبحر وآغتيالَ مَنْ جاوز أرضهم من الملوك، فحوطت الحائط من التماسيح وغيرها، وقد قيل فى ذلك غير هذا أيضا . فملكتْهم دَلُوكةُ المذكورة ثلاثين سنة وآتخذت بمصر البرابى والصُّوَر، وأحكمت آلات السحر، وجعلت فى البرابى صُوَرَ مَن يَرِدُ من كل ناحية ودوابّهم إبلا كانت أم خيلا، وصوّرت فيها أيضا مَن يرد فى البحر من المراكب من بحر المغرب والشأم، وجمعت فى هذه البرابى العظيمة المشيّدة البنيان أسرار الطبيعة وخَوَاصّ الأحجار والنبات والحيوان، وجعلت ذلك فى أوقات حركات فَلَكية وآتصالها بالمؤثّرات العُلْويّة، فكانوا إذا ورد اليهم جيش من نحو

(هوامش: فرعون يوسف — فرعون موسى — دلوكة ملكة مصر — ٣٢)

---

(١) الذى فى المسعودى والمقريزى وهامش نسخة م «دومع» بالواو .

الحجاز واليمن عُوّرت تلك الصُّوَرُ التى فى البرابى من الإبل وغيرها، فيتعوّر ما فى ذلك الجيش وينقطع عنهم ناسه وحيوانه، واذا كان الجيش من نحو الشأم فعلت تلك الصور أيضا ما فعلت كما وصفنا، وكذلك من أتاهم فى المراكب؛ فهابتهم الأمم والملوك ومنعوا ناحيتهم من عدوّهم، فاتصل مُلْكهم بتدبير هذه العجوز الى عدّة أقطار،
٥ ثم عَرَفَتْ بمجىء الطوفان ثانية، فخافتْ على هذه الصور والعلوم أن تذهب فبنت عدّة براب، وجعلت فيها علومها من الصُّوَر والتماثيل والكتابة، وجعلت بنيانها نوعين: طينا وحجرا، وفرزّت ما يُبنى بالطين مما يُبنى بالحجر، وقالت: إن كان هذا الطوفان نارا آستحجر ما بنينا بالطين وبقيت هذه العلوم، وإن كان الطوفان الوارد ماء ذهب ما بنينا بالطين وبقى ما بنينا بالحجارة، وإن كان الطوفان سيفا بقى كلا النوعين.
١٠ ولما ماتت دلوكة العجوز المذكورة ملك مصر بعدها دركوس بن بلطيوس؛ ثم ملك بعده بورس بن دركوس؛ ثم ملك بعده لعس بن نورس نحوا من خمسين سنة؛ ثم ملك بعده دنيا[(١)] بن نورس نحوا من عشرين سنة؛ ثم ملك بعده نلوطس عشر سنين؛ ثم ملك بعده مما كيل بن بلوطس، ثم ملك بعده بلونة بن مما كيل وكانت له حروب ومسير فى الأرض، وهو فرعون الأعرج الذى غزا بنى إسرائيل
١٥ وخرّب بيت المقدس؛ ثم ملك بعده مرينوس وكانت له أيضا حروب بالمغرب، ثم ملك بعده نقاس بن مرينوس ثمانين سنة؛ ثم ملك بعده قويس بن نقاس عشر سنين؛ ثم ملك بعده كاميل، وكانت له أيضا حروب مع ملوك المغرب وغزاه البُخْتُ نَصّر مَرْزُبان المغرب من قِبَل ملك فارس، فخرّب أرضه وقتل رجاله وسار البخت نصّر الى نحو المغرب. ولما زال أمر البخت نصر ومن كان معه من
٢٠ جنود فارس ملكت الروم مصر وغلبت عليها، فقصر أهلها، فلم يزالوا على ذلك

أخذ جيوش كسرى الشام ومصر

(١) كذا فى ب. وفى ف: «ريا» وفى المسعودى «دسا».

إلى أن ملك كسرى أنو شِروان ، فغلبت جيوشه على الشأم وسارت نحو مصر فملكوها ، وغلبوا على أهلها نحوا من عشرين سنة ، فكانت بين الروم وفارس حروب كثيرة ، وكان أهل مصر يؤدّون خراجين عن بلادهم : خراجا لفارس ، وخراجا للروم ؛ ثم آنجلت فارس عن مصر والشأم [لأمر حَدَث فى دار مملكتهم فغلَبت الروم على مصر والشأم] (١) وأشهروا النصرانية فشَمِل ذلك مَنْ فى الشأم ومصر الى أن أتى الله بالإسلام ، وكان من أمر المقوقس صاحب مصر مع النبيّ صلى الله عليه وسلم من الهدايا ما كان إلى أن افتتحها عمرو بن العاص بمَنْ كان معه من الصحابة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، حسبما ذكرناه فى أوّل ذلك الكتاب .

(٣٢)

وكان المقوقس ملك مصر وصاحب القبط تَزِيل الإسكندرية فى بعض فصول السنة ، وفى بعضها مدينة منف ، وفى بعضها قصر الشمع ، وقصر الشمع فى وسط مدينة الفسطاط . والمقصود من ذكر ذلك أنّ الذين ملكوا مصر باتفاق كثير من أهل التاريخ على آختلاف بينهم ، من الفراعنة وغيرهم : آثنان وثلاثون فرعونا ؛ ومن ملوك بابل ممن ملك مصر : خمسة ؛ ومن العماليق وهم الذين قدموا اليها من الشأم : أربعة ؛ ومن الروم : سبعة ؛ ومن اليونانيين : عشرة ؛ وذلك قبل ظهور المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، وملكها أناس من ملوك الفُرْس من الأكاسرة ، فكانت مدّة مَنْ ملك مصر من بنى نوح والفراعنة والعماليق والروم واليونانيين ألف سنة وثلثمائة سنة .

قلت : وهذا الذى ذكرناه على سبيل الآستطراد ، وشرطُ كتابنا هذا ألّا نذكر فيه إلا مَن ملك مصر فى الإسلام ، ومن ذكرناه من هؤلاء زيادة ليست بنكرة لتحصيل الفائدة .

---

(١) الزيادة عن المسعودى (ج ١ ص ١٧٥) .

تفسير اسم فرعون

قال المسعودى : وسألت جماعة من أقباط مصر بالصعيد وغيره من أهل الخبْرة عن تفسير اسم فرعون فلم يخبرونى عن معنى ذلك ولا تحصّل لى فى لغتهم ، فيمكن — والله أعلم — أن هــذا الاسم كان سِمَةً لملوك تلك الأعصار ، وأنّ تلك اللغة تغيّرت كتغيّر الفَهْلَويّة ، وهى الفارسية الأولى الى الفارسية الثانية ، وكاليونانية الى الرومية ، وتغيّر الحِمْيَرِيّة وغير ذلك من اللغات . انتهى كلام المسعودى .

٥

قلت : وليس بمستبعد هذه المقالة لأن لسان العرب وهو أشرف الألسن و به نزل القرآن الكريم قد تغير الآن غالبه ، وصارت العامّةُ وغيرُها تتكلم بكلام لو سمعه بعض أعراب ذلك الزمان لمـا فهموه لتغيُّر ألفاظه ، وكذلك اللغة التركية ، فإن لسان المُغُل الآن لا يعرفه جنـد زماننا هـذا ولا يتحدّثون به ، ولو سمعوه لَمَا فَهموه ، وأشياء كثيرة من هذا . اهـ .

١٠

ونشرع الآن بذكر ما نحن بصـدده ، ومن لأجله صُنّف هـذا الكتاب ، وهم ملوك مصر والقاهرة ، ونبـدأ بترجمة عمرو بن العاص رضى الله عنه ، لأنها فُتحت على يديه ، وهو أوّل من وليها من المسلمين[(١)] .

ذكر ولاية عمرو بن العاص الأولى على مصر

ولاية عمرو بن العاص الأولى على مصر

هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سَعيد بن سَهم بن عمرو بن هُصيص ابن كعب بن لُؤَىّ بن غالب ، أبو عبد الله ، وقيل : أبو محمد القُرَشىّ السَّهْمىّ الصحابىّ ؛ أسلم يوم الحُدْنة وهاجر ، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش غزوة ذات السلاسل ، وفيه أبو بكر وعمر ، لخبرته بمكيدة الحرب ، ثم وَلِىَ الإمرة فى غزوة الشام لأبى بكر وعمر ، ثم افتتح مصر حسبما تقدّم ذكره ووليها لعمر أوّلا ، ثم وليها لمعاوية ابن أبى سفيان ثانيا على ما يأتى ذكره .

١٥

٢٠

(١) كذا فى م . وفى ف : «فانه أوّل من ولى مصر فى الاسلام» .

وحكى ابن سعد فى كتاب الطبقات : أنه أسلم بعد الحُديبية هو وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة .

(٣٤) قال الحافظ أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبيّ فى تاريخ الاسلام : وله عدّة أحاديث، روى عنه آبناه عبد الله ومحمد، وأبو عثمان النهدى، وقَبِيصة بن ذُؤَيْب، وعلى بن رباح، وعبد الرحمن بن شُمَاسة، وآخرون؛ وقدم دمشق رسولا من أبى بكر الى هِرَقْل، وله بدمشق دار عند سَقيفة كُرْدُوس، ودار عند باب الجابية تعرف ببنى حجيجة، ودار عند عين الحمار[1]، وأمه عَنَزِيّة، وكان قصيرا يخضب بالسواد .

حدّثنا ابن لَهِيعة عن مِشْرَح عن عُقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : " أسلم النّاسُ وآمنَ عمرو بن العاص " رواه الترمذىّ . وقال ابن أبى مُلَيكة قال طلحة بن عبيد الله : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " عمرو بن العاص من صالحى قُرَيش " أخرجه الترمذىّ وفيه آنقطاع . وقال حمّاد ابن سَلَمة عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : " آبنا العاص مؤمنان هِشَام وعمرو" . وقال ابن لَهِيعة عن يزيد بن أبى حبيب أخبرنى سويد بن قيس عن قيس بن شُفَىّ : أنّ عمرو بن العاص قال : يا رسول الله، أُبايعك على أن يُغفرَ لى ما تقدّم من ذنبى ؟ قال : " إن الإسلام والهجرة يَجُبّان ما كان قبلهما " قال : فوالله ما ملأتُ عينى منه ولا راجعته بما أريد حتى لحَق بالله، حياء منه .

وقال الحسن البصرىّ : قال رجل لعمرو بن العاص : أرأيت رجلا مات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو يُحبّه، أليس رجلا صالحا ؟ قال : بلى، قال : قد مات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو يُحبّك، وقد آستعملك؛ قال : بلى،

(١) كذا بالأصل . وفى تاريخ الاسلام للذهبى « عين الحمى » .

فوالله ما أدرى أحبًّا كان لى منه أو آستعانة بى، ولكن سأحدثك برجلين مات وهو يُحبّهما : عبد الله بن مسعود ، وعمّار بن ياسر، فقال الرجل : ذاك قتيلكم يوم صِفّين، قال : قد والله فعلنا .

وروى أنّ عَمرا لما توفى النبيّ صلى الله عليه وسلم كان على عُمَان، فأتاه كتاب أبى بكر بذلك. قال ضَمْرة عن الليث بن سعد : إنّ عُمر رضى الله عنه نظر الى عمرو ابن العاص يمشى ، فقال : ما ينبغى لأبى عبد الله أن يمشى على الأرض إلا أميرا .

قال الذهبيّ بعد كلام ساقه : ثم إنّ عَمرا قال لمعاوية — يعنى فى أيام وقعة صِفّين — : يا معاوية، أحرقتَ كَبِدى بقَصَصك، أترى أنّا خالفنا عليًّا لفَضلٍ منا عليه ! لا والله، إن هى إلا الدنيا نتكالب عليها، وآيم الله لتقْطعنّ لى قطعة من دُنياك، أو لأنابذنّك، قال : فأعطاه مصر، يُعْطِى أهلها عطاءهم وما بقى فله .

ويروى أنّ عليا كتب الى عمرو يتألّفه، فلما أتاه الكتاب أقرأه معاويةَ، وقال : قد ترى ، فإمّا أن تُرضينى ، وإمّا أن ألحق به ! قال : فما تريد؟ قال : مصر ، فجعلها له .

وعن يزيد بن أبى حبيب وغيره ؛ أنّ الأمر لما صار لمعاوية استكثر طعمة مصر لعمرو ، ورأى عمرو أنّ الأمر كلّه قد صلَح به وبتدبيره وعَنائه ، وظن أنّ معاوية سيزيده الشأم مع مصر فلم يفعل معاوية، فتنكّر له عمرو فاختلفا وتغالظا، فدخل بينهما معاويةُ بن حُدَيج فأصلح بينهما ، وكتب بينهما كتابا : إن لعمرو ولايةَ مصر سبع سنين وأشهد عليهما شهودا، ثم مضى عمرو اليها سنة تسع وثلاثين (أعنى فى ولايته الثانية) ، فما مكث نحو ثلاث سنين حتى مات .

(٣٥) قال : وكان عمرو من أفراد الدهر دهاء وجلادة وحزما ورأيا وفصاحة . ذكر محمد بن سلّام الجمحىّ : أنّ عُمر بن الخطاب كان اذا رأى رجلا يتلجلج فى كلامه يقول : خالقُ هذا وخالق عمرو بن العاص واحد .

وقال مُجالد عن الشعبىّ عن قَبيصة عن جابر قال : صَحِبتُ عمرَ بن الخطاب فما رأيتُ أقرأ لكتاب الله منه، ولا أفقهَ فى دين الله منه، ولا أحسنَ مداراةً منه؛ وصحِبتُ طلحة بن عبيد الله فما رأيتُ رجلا أعطى للجزيل منه من غير مسئلة؛ وصحبت معاوية فما رأيت رجلا أحلم منه؛ وصحبت عمرو بن العاص فما رأيت رجلا أبين، أو قال أنصعَ، ظَرْفا[(١)] منه، ولا أكرم جليسا، ولا أشبه سريرة بعلانية منه؛ وصحبت المغيرة بن شعبة فلو أنّ مدينة لها ثمانية أبواب لا يُخرَج من باب منها إلا بمكر لخرج من أبوابها كلها . وقال موسى بن علىّ بن رَباح حدّثنا أبى حدّثنا أبو قيس مولى عمرو بن العاص : أنّ عمرا كان يسرُد الصومَ، وقلّما كان يصيب من العشاء أوّلَ الليل، أكثرُ ما كان يأكل فى السَّحَر . وقال عمرو بن دينار : وقع بين المغيرة بن شُعبة وبين عمرو بن العاص كلام فسبه المغيرة، فقال عمرو: يا آل هُصَيص، أيسبّنى ابن شعبة ! فقال عبد الله ابنه : إنّا لله ! دعوتَ بدعوى القبائل وقد نُهِى عنها ! فأعتق عمرو ثلاثين رقبة . انتهى كلام الذهبىّ باختصار .

سبب تسمية مصر بالفسطاط

قلتُ: ولما وَلِىَ عمرو بن العاص مصر ودخلها سكن الفُسطاط . ولسبب تسمية مصر بالفُسطاط أقوال كثيرة، منها : أن عمرا لما أراد التوجه لفتح الاسكندرية أمر بنزع فُسطاطه (أعنى خيمته) فإذا فيه يمامة قد فرَخت، فقال عمرو : لقد تحرّم منا بمتحرَّم، فأمر به فأُقِرّ كما هو، وأوصى به صاحب القصر، فلما قفَل المسلمون

(١) تستعمل النصاعة فى الظرف والمراد ظهوره، وأورد هذا المعنى صاحب اللسان فى مادة نصع واستشهد له بقول جابر هذا .

من الاسكندرية قالوا : أين ننزل؟ قالوا : الفُسطاط — يعنون فسطاط عمرو الذى خلّفه بمصر مضروبا لأجل اليمامة فغَلب عليه ذلك — وكان موضع الفُسطاط المذكور موضع الدار التى تعرف اليوم بدار الحصار(١) عند دار عمرو الصغيرة بمصر .

وقال الشريف محمد بن سعد الجَوّانىّ : كان فُسطاط عمرو عند درب حمّام(٢) شمول بخط الجامع ، اهـ .

ولما رجع عمرو من الإسكندرية فى سنة إحدى وعشرين أو غيرها نزل موضع فُسطاطه وتنافست(٣) القبائل بعضها مع بعض فى المواضع ، فولّى عمرُو بن العاص معاويةَ بن حُدَيج التُّجِيبِىّ(٤) ، وشَريك بن سُمَىّ الغُطَيفىّ ، وعمرو بن قَحْزَم(٥) الخَولانى ، وحَيوِيل بن ناشِرة(٦) المَعَافرىّ على الخطط ، وكانوا هم الذين نَزّلوا الناس وفَصّلوا بين القبائل . وذلك فى سنة إحدى وعشرين من الهجرة ، وآستمرّ عمرو على عمله بمصر ، وشرع فى بناء جامعه بمصر الى أن عَزَله عثمان عن ولاية مصر فى سنة خمس وعشرين بعبد الله بن سعد بن أبى سَرْح بعد أن آنتَقض صُلح أهل الإسكندرية وغزاة عمرو فى السنة المذكورة .

عزل عمرو عن ولاية مصر

وسبب ذلك أنّ ملك الروم بعث اليهم منويل الخصىّ فى مراكب من البحر ، فطمعوا فى النصرة ونقضوا دينهم ، فغزاهم عمرو فى ربيع الأوّل سنة خمس وعشرين (٣٦)

(١) كذا فى المقريزى (ج ١ ص ٢٩٦) وفى الأصل : «دار الحصا» . (٢) كذا فى المقريزى (ج ١ ص ٢٧٦) وابن دقاق (ج ٤ ص ١٠٤) وفى الأصل «درب جامع شمول» . (٣) كذا فى م . وفى ف «تناسبت» . (٤) كذا بالأصل ، وفى أسد الغابة (ج ٤ ص ٣٨٣) «السكونى وقيل الكندى وقيل الخولانى وقيل التجيبى والصواب السكونى» . (٥) كذا فى كتاب ولاة مصر وقضاتها للكندى (ص ١٥) وفى المقريزى (ج ١ ص ٢٩٧) «محزم» وفى الأصل «مخزم» . (٦) كذا فى تاريخ ابن عبد الحكم وكتاب ولاة مصر وقضاتها للكندى وحسن المحاضرة والمقريزى . وفى الأصل «جبريل بن باشرة» .

فافتتح الأرض عَنْوة والمدينة صُلْحا، ثم استأذن عمرًا عبدُ الله بن سعد بن أبى سَرْح فى غزوة إفريقيّة، فأذِن له عمرو بن العاص؛ وبعد قليل عزله عثمان فى هذه السنة بعبد الله بن أبى سرح المذكور — وعبد الله بن أبى سرح أخو عثمان لأمّه — وقيل: إن ذلك كان فى سنة سبع وعشرين، والذى قلنا الأقوى؛ وهذه ولاية عمرو بن العاص على مصر الأولى . وتأتى بقية ترجمته ووفاته فى ولايته الثانية، إن شاء الله تعالى . ٥

سبب عزله

وسببُ عَزْل عمرو بن العاص عن ولاية مصر أنه قدم على عثمان لما تخلّف وكان قدم على عمر مرّتين استخلف فى إحديهما زكريا بن جَهْم العَبْدَرِىّ[1]، وفى الثانية ابنَه عبد الله ، فلما قدِم عَمْرو على عثمان سأله عَزْل عبد الله بن سعد ابن أبى سرح عن صعيد مصر، وكان عُمَر قد ولّاه صعيد مصر، فامتنع عثمان من ذلك وعزله عن مصر وعقد لعبد الله بن سعد بن أبى سرح على مصر كلها مضافةً للصعيد ١٠ وغيره، فكانت ولاية عمرو بن العاص على مصر فى المرّة الأولى أربع سنين وأشهرا .

[ذكر[2] بناء جامع عمرو بن العاص بمصر رضى الله عنه

بناء جامع عمرو

كان خانا والذى حاز موضعَه قَيْسبةُ[3] بن كُلْثوم التُّجيبىّ أبو عبد الله أحدُ بنى سَوْم، فلما رجعوا من الإسكندرية سأل عمرو قيسبةَ المذكور فى منزله هذا يجعله مسجدا؛ فقال له قيسبة: فإنى أتصدّق به على المسلمين، فسلّمه اليهم؛ واختطّ ١٥ مع قومه بنى سَوْم فى [تُجِيب[4]] وبُنِى الجامع فى سنة إحدى وعشرين، وكانَ طوله

(١) كذا فى كتاب ولاة مصر وقضاتها للكندى وتاريخ ابن عبد الحكم ، نسبة الى عبد الدار . وفى الأصل: «العبدى» . (٢) الكلام المحصور بين المربعين من هذه الصفحة الى صفحة ٧٤ زيادة عن نسخة م . (٣) كذا فى المقريزى وحسن المحاضرة وابن دقاق . وفى الأصل: « قتبة » .
(٤) الزيادة عن معجم البلدان لياقوت (ج ٣ ص ٨٩٨) وابن دقاق (ج ٤ ص ٦٢) وهى اسم خطة ٢٠ بمصر سميت بهم . وفى الأصل بياض .

خمسين ذراعا فى عرض ثلاثين؛ ويقال : إنه وقف على إقامة قبلته ثمانون رجلا من الصحابة، منهم : الزبير بن العوام، والمِقداد بن الأسود، وعُبادة بن الصامت، وأبو الدَّرْداء، وأبو ذَرّ الغِفَارى، وأبو بَصْرة الغِفارى، ومَحْمِيَة[1] بن جَزْء الزُّبيدى، ونُبَيه ابن صَوَاب وغيرهم، وكانت القبلة مشرّقة[2] جدّا، وإن قُرَّة بن شَرِيك لمّا هدم المسجد المذكور وبناه فى زمان الوليد بن عبد الملك بن مروان تيامن بها قليلا .

وذكر الليث بن سعد وعبد الله بن لهِيعةَ : [أنهما][3] كانا يتيامنان إذا صلّيا فى المسجد الجامع، ولم يكن للمسجد الذى بناه عمرو محراب مجوّف، وإنما قُرّة بن شريك المذكور جعل المحراب المجوّف .

وأوّل مَنْ أحدث ذلك عمر بن عبد العزيز، وهو يومئذ عامل الوليد بن عبد الملك على المدينة لياليَ أَسَّس مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا هُدِم وزاد فيه . وكان لمسجد عمرو بابان يقابلان دار عمرو بن العاص، وبابان فى بحريّه، وبابان فى غربيّه؛ وكان الخارج من زقاق القناديل يجِد ركن الجامع الشرقىّ محاذيا لركن دار عمرو الغربىّ، وكان طوله من القبلة الى البحرىّ مثل طول دار عمرو، وسقفه مطأطأ جدّا ولا صحن له؛ وكان الناس يصطفون بِفنائه؛ وكان بينه وبين دار عمرو سبعة أذرع؛ وكان الطريق محيطا به من جميع جوانبه، وكان عمرو قد اتخذ منبرا فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه يَعْزِم عليه فى كسره ويقول : أَما بِحَسْبِك أن تقوم قائما والمسلمون تحت عَقِبَيك ! فكسره عمرو .

---

(١) كذا فى المقريزى وحسن المحاضرة . وفى م : « محمية بن السبع » وهو خطأ .

(٢) كذا فى المقريزى وحسن المحاضرة . وفى م : « مشرقة حذاء إيوان قرة ... الخ » وظاهر تحريفه . (٣) زيادة يقتضيها السياق .

وأوّل مَن صُلِّيَ عليه من الموتى به فى داخله أبو الحسين سعيد بن عثمان (١) صاحب الشُّرْطة فى النصف من صفر، وكانت وفاته بجأة فأُخرج وصُلِّى عليه خَلْف المقصورة وكُبِّر عليه خمسا، ولم يُعلَم أحدٌ قبله صُلِّى عليه بالجامع وأنكر الناس ذلك .

أوّل من زاد فى جامع عمرو

وأوّل من زاد فى الجامع المذكور مَسْلَمة بن مُخَلَّد الأنصارى أمير مصر فى أيام معاوية سنة ثلاث وخمسين (٢)، فزاد فيه من بحريّه وجعله رحبة فى البحرىّ وبيّضه وزخرفه، ولم يغير البناء القديم ولا أحدث فى قبليّه ولا غربيّه شيئا .

وذكر أنه زاد فيه من شرقيّه حتى ضاق الطريق بينه وبين دار عمرو بن العاص وفرشه بالحصر وكان مفروشا قبل ذلك بالحَصْباء .

وقيل : إن مَسْلَمة نقض ما كان عمرو بناه وزاد فيه من شرقيّه وجعل له صوامع، وبنى فيه أربع صوامع فى أركانه الأربعة، وأمر ببناء المنار فى جميع المساجد، وأمر مسلمة أن يكتب آسمه على المنائر، وأمر مؤذّنى المسجد الجامع أن يؤذّنوا للفجر اذا مضى نصف الليل، فإذا فرغوا من أذانهم أذّن كل مؤذّن فى الفُسْطاط فى وقت واحد، فكان لأذانهم دوىّ شديد، وأمر ألّا يضرب بناقوس عند وقت الأذان، أعنى الفجر .

ثم إنّ عبد العزيز بن مَرْوان هدمه سنة تسع وسبعين، وهو أمير مصر من قبل أخيه عبد الملك بن مروان، وزاد فيه من ناحية الغرب وأدخل فيه الرحبة التى كانت فى بحريّه ولم يجد فى شرقيّه موضعا يوسّعه به .

---

(١) كذا فى المقريزى (ج ٢ ص ٢٤٧) وابن دقماق (ج ٤ ص ٦٣) وفى م : « سعد ابن عثان » وهو تحريف .

(٢) كذا فى كتاب ولاة مصر وقضاتها للكندى والمقريزى وحسن المحاضرة . وفى م : « ثلاث وستين » .

وذكر الكِنْدىّ فى كتاب الأمراء : أنه زاد فيه من جوانبه كلّها، ويقال : إنّ عبد العزيز المذكور لما أكمَل بناء المسجد المذكور خرج من دار الذهب عند طلوع الفجر فدخل المسجد فرأى فى أهله خِفّة فأمر بأخذ الأبواب على مَنْ فيه، ثم دعاهم رجلا رجلا، يقول للرجل : ألك زوجة؟ فيقول : لا ، فيقول : زوّجوه ، ألك خادم؟ فيقول : لا ، فيقول : أخدموه، أحَجَجْت؟ فيقول : لا ،[فيقول][1]: أحِجّوه، أعليك دَين؟ فيقول : نعم، فيقول : اقضوا دينه ، فأقام المسجد بعد ذلك دهرا عامرا ثم الى اليوم .

وأمر عبد العزيز المذكور برفع سقف الجامع وكان مطأطأ فى سنة تسع وثمانين[2]، ثم إنّ قُرّة بن شريك العبسىّ بن قَيْس عَيْلان هَدَمه فى مستهلّ سنة اثنتين وتسعين بأمر الوليد بن عبد الملك بن مروان، وقرّة أميرٌ على مصر من قبله ، وٱبتدأ فى بنائه فى شعبان من السنة المذكورة ، وجعل على بنائه يحيى بن حَنْظلة مولى بنى عامر ابن لُؤىّ ، وكانوا يُجَمِّعون الجُمَعة فى قَيْسارية العَسَل حتى فرغ من بنائه فى رمضان سنة ثلاث وتسعين ونصب المِنْبر الجديد فى سنة أربع وتسعين ونزع المنبر الذى كان فى المسجد ، وذُكر أنّ عمرو بن العاص كان جعله فيه .

قلتُ : ولعله كان وضعه بعد وفاة عمر بن الخطاب، فإنه كان منعه حسبما ذكرناه، وقيل : هو مِنْبر عبد العزيز بن مروان .

وذُكر أنه حمل اليه من بعض كنائس مصر . وذُكر أنّ زكريا بن مرقى[3] ملك النوبة أهداه الى عبد الله بن سعد بن أبى سرح وبعث معه نجارا يسمّى «بُقْطُر» حتى

---

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) كذا فى المقريزى وحسن المحاضرة . وفى م : «أربع وثمانين» . (٣) كذا فى م . وفى المقريزى (ج ٢ ص ٢٤٨) : «برقى» . وفى صبح الأعشى : «مرقيا» وفى ابن دقاق : «ابن مرقى» .

رَكّبه، ولم يزل هـذا المنبر فى الجامع الى أن زاد قُرّة بن شريك المذكور فى الجامع، فنصب منبرا سواه، ولم يكن إذ ذاك يُخطب فى القُرَى إلّا على العِصِىّ إلى أن وَلِى [عبد الملك بن مروان](١) بن موسى بن نُصَير اللَّخْمىّ مصر من قبل مروان بن محمد فأمر باتّخاذ المنابر فى القرى ، وذلك فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، ولا يُعرف مِنبرٌ أقدمُ من منبر قُرّة بن شريك بعد منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يزل كذلك الى أن قُلع وكُسر أيام العزيز بالله نزَار العُبَيدىّ بنظر الوزير ابن كِلّس فى يوم الخميس لعشر بقين من شهر ربيع الأوّل سـنة تسع وسبعين وثلثمائة وجُعِل مكانه منبر مذهب، ثم أخرج هـذا المنبر الى الاسكندرية وجعل بجامع عمرو بن العاص الذى بها ، ثم أنزل المنـبر الكبير الى الجامع المذكور فى أيام الحـاكم بأمر الله العُبَيدى فى شهر ربيع الأول سـنة خمس وأربعمائة ، وصُرف بنو عبد السميع عن الخطابة وجعلت خطابته لجعفر بن الحسن بن خداع الحسينىّ، وجعل الى أخيـه الخطابة فى الجامع الأزهر، وصُرف بنو عبد السميع من جميع المنابر، ثم وجد بعـد ذلك المنبر الجديد الذى نُصب بالجامع قد لُطّخ بالقَـذَر فوكّل به من يحفظه وعمـل له غشاء من أُدُم مذهب ، وخطب عليه ابن خداع وهو مُغَشّى ، وكانت زيادة قُرّة بن شريك من القبلىّ والشرقىّ وأخذ بعضَ دار عمرو بن العاص وابنه عبـد الله فأدخله فى المسجد وأخذ منهما الطريق التى بين المسجد و بينهما، وعوّض أولاد عمرو ما هو فى أيديهم من الرباع التى فى زقاق مليح فى النحاسين وقشرة، وأمر قُرّة بعمل المحراب المجوّف، وهو المحـراب المعروف بمحراب عمرو، [لأنه فى سَمْت محراب](٢) المسجد القديم الذى بناه عمرو، وكانت قبلة المسجد القديم عند العُمُد المذهبة فى صفّ التوابيت، وهى

(١) الزيادة عن كتاب ولاة مصر وقضاتها الكندى والمقريزى .

(٢) زيادة عن المقريزى (ج ٢ ص ٢٤٩) وابن دقاق (ج ٤ ص ٦٤) يقتضيها السياق .

أربعة عُمُد: اثنان فى مقابلة اثنين؛ وكان قرّة قد أذهب رءوسها، ولم يكن فى المسجد عمد مذهبة غيرها، وكانت قديما [حَلْقة أهل المدينة][1] ثم زوّق أكثر العمد وطوّق فى أيام الإخشيد سنة أربع وعشرين وثلثمائة ، ولم يكن للمسجد أيام قرّة غير هذا المحراب .

فأما المحراب الأوسط فيعرف بمحراب عُمَر بن مروان أخى عبد الملك بن مروان الخليفة، ولعله أحدثه فى الجدار بعد قرّة؛ وذكر قوم أنّ قرّة عمل هذين المحرابين ، وصار للجامع أربعة أبواب فى شرقيّه، آخرها باب إسرائيل ، وهو باب النحاسين ؛ وفى غربيّه أربعة أبواب شارعة فى زقاق يعرف بزقاق البلاط؛ وفى بحريه ثلاثة أبواب . انتهى ما أوردناه من أمر جامع عمرو بن العاص المذكور رضى الله عنه .

١٠

* * *

بناء بيت المال

وأما بناء عمرو بن العاص لبيت المال بالفُسْطاط — فالأصح أنما بناه أُسامة بن زَيد التَّنُوخىّ متولى الخراج بمصر فى سنة سبع وتسعين فى خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان ، وأمير مصر يوم ذاك عبد الملك بن رفاعة الآتى ذكره فى موضعه إن شاء الله تعالى . وقد خرجنا عن المقصود لطلب الفائدة ونعود الى ذكر عمرو بن العاص رضى الله عنه .

١٥

قيل : إنه رُئى وهو على بغلة هَرِمَة ، وهو إذ ذاك أمير مصر، فقيل له : أتركب هذه وأنت أمير مصر؟ فقال : لا ملل عندى لدابّتى ما حملتنى، ولا لامرأتى ما أحسنت عشرتى، ولا لصديق ما حفِظ سرى؛ إنّ الملل من كواذب الأخلاق .

(١) زيادة عن المقريزى (ج ٢ ص ٢٤٩) وابن دقاق (ج ٤ ص ٦٤) يقتضيها السياق .

وعن عمرو قيل له : صف الأمصار، قال : أهل الشام أطوع الناس للمخلوق وأعصاه للخالق ؛ وأهل مصر أكيَسُهم صغارا وأحمقهم كبارا؛ وأهل الحجاز أسرع الناس الى الفتنة وأعجزهم عنها؛ وأهل العراق أطلبهم للعلم وأبعدهم منه .

قال مُجَالد عن الشَّعْبيّ قال : دُهاة العرب أربعة: معاوية ، وعمرو، والمغيرة ابن شُعْبة ، وزِياد بن أبيه ؛ فأما معاوية فللأناة والحلم، وأما عمرو فللمعضلات، وأما المغيرة فللمبادرة، وأما زياد بن أبيه فللصغير والكبير . ٥

وقال أبو عمْران بن عبد البرّ: كان عمرو من فرسان قُريش وأبطالهم فى الجاهلية، مذكورا فيهم بذلك ، وكان شاعرا محسنا حُفِظ عنه فيه الكثيرُ فى مشاهد شتّى ، وله يخاطب عُمارة بن الوليد بن شعبة عند النجاشيّ :

اذا المرءُ لم يترك طَعاما يحبّه * ولم ينهَ قلبا غاويا حيث يمّمَا ١٠

قضى وَطَرًا منه وغادر سبّة * اذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

وقال الذهبيّ فى التذهيب: روى أحمد بن حنبل عن أبى عبدالله البصريّ عن أبى مُلَيكة قال قال عمرو بن العاص : إنى لأذكر الليلة التى وُلِد فيها عُمَر . قلت : ما قال هذا إلا لأنه أسنّ من عمر فلعل بينهما نحو خمسين سنة . انتهى كلام الذهبيّ باختصار . ١٥

خطبة عمرو

وقال ابن عبد الحكم فى تاريخه: خُطْبة عمرو . حدّثنا عبد الرحمن حدّثنا سعيد ابن مَيْسرة عن إسحاق بن الفُرات عن ابن لَهيعة عن الأسود بن مالك الحِمْيرىّ عن بَحِير بن ذاخر المَعَافِرىّ[(1)] قال :

---

(١) كذا فى فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم (ص ١٣٩ طبع ليدن سنة ١٩٢٠) والسند فى م خطأ . ٢٠

رُحتُ أنا ووالدى الى صلاة الجمعة [تهجيرا](١) وذلك آخر الشتاء بعد حَمِيم(٢) النصارى بأيام يسيرة، فأطلنا الركوع، إذ أقبل رجال بأيديهم السياط يَزْجُرون الناس، فذُعِرْتُ، فقلت : يا أبتِ، مَنْ هؤلاء؟ قال : يابُنَيّ، هؤلاء الشُّرَط، فأقام المؤذّنون الصلاة، فقام عمرو بن العاص على المنبر، فرأيت رَجُلا رَبْعَةً قَصْدَ(٣) القامة، وافر الهامة، أَدْعَجَ أَبْلج، عليه ثياب مَوْشِيّة كأنّ به العِقْيان يأتلق، عليه حُلّة وعمامة وجُبّة، فحَمِدَ الله وأثنى عليه حمدا مُوجَزا وصلّى على النبي صلى الله عليه وسلم ووعظ الناس وأمرهم ونهاهم، فسمعتُه يحضّ على الزكاة وصِلَة الأرحام ويأمر بالاقتصاد ويَنْهَى عن الفضول وكثرة العيال وقال فى ذلك : يامعشر الناس، إياكم وخلالا أربعة، فإنها تدعو الى النَّصَب بعد الراحة، والى الضِّيق بعد السَّعة، والى المذلّة بعد العزّة . إياكم وكثرة العيال، وإخفاض الحال، وتضييع المال، والقيل بعد القال، فى غير دَرَك ولا نَوال، ثم إنه لا بدّ من فراغ يؤول اليه المرء فى توديع جسمه والتدبير لشأنه، وتخليته بين نفسه وبين شهواتها، ومن صار الى ذلك فليأخذ بالقَصْد والنصيب الأقل، ولا يُضيع المرءُ فى فراغه نصيب العلم من نفسه، فيحُور من الخير عاطلا، وعن حَلال الله وحرامه غافلا .

يامعشر الناس، إنه قد تدلّت الجوزاء، وذَكَتْ الشِّعْرى، وأقلعت السماء، وارتفع الوَباء، وقلّ النَدَى، وطاب المَرْعَى، ووَضَعت الحوامل، ودَرَجت السخائل، وعلى الراعى بحسن رَعِيّته حُسْنُ النظر، فحَيَّ لكم على بركة الله الى ريفكم فنالوا من خيره ولبنه وخِرافه وصيده، وأَرْبِعوا خيلكم وأسمِنوها وصُونوها وأكرموها، فإنها جُنّتُكم من عدوّكم وبها مغانمكم وأنفالكم، واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيرا، وإياكم والمسوّمات(٤) والمعسولات فإنهنّ يُفسِدْنَ الدِّين ويُقَصِّرن الهمم .

(١) الزيادة من تاريخ ابن عبد الحكم . (٢) كذا فى تاريخ ابن عبد الحكم والمقريزى . والحميم : الغطاس الذى يقع فى ١١ طوبه وفى م : « خميس » وظاهر تحريفه . (٣) كذا فى تاريخ ابن عبد الحكم . ورجل قصد القامة : ليس بالطويل ولا بالقصير وفى م : « قصير » .
(٤) فى تاريخ ابن عبد الحكم : «والمشمومات» .

حدّثنى عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنّ الله سيفتح عليكم بعدى مِصْر فاستوصوا بقبطها خيرا فإنّ لكم منهم صِهْرا وذمّة"، فكفّوا أيديكم وعِفّوا فُروجَكم وغُضُّوا أبصارَكم، ولا أعلمنّ ما أتى رجل قد أسمن جِسْمَه وأهزل فرسه، وأعلموا أنى معترض الخيل كاعتراض الرجال، فمن أهزل فرسه من غير علّة حَطَطته من فريضته قَدْر ذلك، واعلموا أنكم فى رباط الى يوم القيامة لكثرة الأعداء حَوْلَكم وتشوّق قلوبهم اليكم والى داركم مَعْدِنِ الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية .

وحدّثنى عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اذا فَتَح الله عليكم مصر فاتّخذوا فيها جُنْدا كَثِيفا فذلك الجند خير أجناد الأرض" فقال له أبو بكر: ولِمَ يارسول الله؟ قال: "لأنهم وأزواجهم فى رِباط الى يوم القيامة". فاحمدوا الله مَعْشَرَ الناس على ما أولاكم، فتمتّعوا فى ريفكم ما طاب لكم، فإذا يبس العود وسَخُن العمود وكَثُر الذباب وحَمِض اللبن وصَوّح البَقْل وانقطع الورد من الشجر، فحَيَّ الى فُسطاطكم على بركة الله، ولا يَقْدَمنّ أحدٌ منكم ذو عِيال على عياله إلا ومعه تُحْفة لعياله على ما أطاق من سَعَته أو عُسرته، أقول قولى هذا وأستحفظ الله عليكم . قال: فحفِظتُ ذلك عنه، فقال والدى بعد انصرافنا الى المنزل — لما حكيت له خطبته — إنه يا بُنَيّ يحدو الناس اذا انصرفوا اليه على الرِّباط كما حداهم على الريف والدَّعة] .

* * *

السنة الأولى من ولاية عمرو بن العاص الأولى على مصر

السنة الأولى من ولاية عمرو بن العاص الأولى على مصر وهى سنة عشرين من الهجرة — فيها كانت غَزْوة تُسْتَر، وفيها توفى بِلال بن رَبَاح الحَبَشيّ مولى أبى بكر الصديق، وحمامة أمّه، وكان من السابقين الأوّلين وممن عُذِّب فى الإسلام

وشهد بَدْرا وكان مؤذِّن النبيّ صلى الله عليه وسلم، مات بدمشق بالطاعون فى هذه السنة، وقيل فى التى قبلها ودفن بدمشق بالباب الصغير، وله بضع وستون سنة رضى الله عنه؛ وفيها تُوُفِّيت زينب بنت جحش بن رِئاب الأسدىّ — أسَد خُزَيمة — أمّ المؤمنين، تزوّجها النبيّ صلى الله عليه وسلم سنة ثلاث وقيل سنة خمس وقيل سنة أربع وهو الأصح؛ وفيها توفى البَرَاء بن مالك الأنصارىّ أخو أَنَس بن مالك الأنصارىّ النّجّارىّ، كان أحد الأبطال الأفراد فى الصحابة رضى الله عنهم؛ وفيها توفى عِيَاض بن غَنْم أبو سعد من المهاجرين الأوّلين، شهد بدرا وغيرها رضى الله عنه؛ وفيها توفى سعيد ابن عامر بن حِذْيَم الجُمَحىّ، كان من أشراف بنى جُمَح، له صُحْبة ورواية، قال الذهبىّ: روى عنه عبد الرحمن بن سابط؛ وفيها توفى أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عمّ النبي صلى الله عليه وسلم، وكان رَضِيع النبىّ وشَبِيهه؛ وفيها توفى هِرَقْل عظيم الروم وقام ابنه قُسْطَنْطِين مكانه.

وفاة زينب بنت جحش

وفاة هرقل عظيم الروم

٥

١٠

§ أمر النيل فى هذه السنة، الماء القديم أربعة أذرع وتسعة أصابع، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وإحدى وعشرون إصبعا.

***

السنة الثانية من ولاية عمرو بن العاص الأولى على مصر وهى سنة إحدى وعشرين من الهجرة — فيها فُتِحت الإسكندرية فى مستهلّها على يد عمرو بن العاص بعد أمور وحروب، وفى آخرها افتتح عمرو بن العاص بُرْقة وصالحهم على ثلاثة عشر ألف دينار؛ وفيها اشتكى أهلُ الكوفة سَعْدَ بن أبى وَقّاص الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فصرفه عمر وولّى عليهم عَمّار بن ياسر على الصلاة، وولّى عبد الله بن مسعود على بيت المال، وولّى عثمان بن حُنَيف على مساحة أرض السواد؛ وفيها كان فَتْح نَهَاوَنْد، واستشهد أمير الجيش الذى توجّه اليها، وهو النعمان بن مُقَرِّن المُزَنىّ، واستشهد

السنة الثانية من ولاية عمرو الأولى على مصر

(٣٧)

١٥

٢٠

أيضا يومئذ طُلَيحة بن خُوَيلد بن نَوْفل وفُتِحت تُسْتَر، وفيها صَالَحَ أبو هاشم بن عُتْبة ابن ربيعة بن عبد شمس على أَنطاكِيَة ومَلَطِيّة وغيرهما ؛ وفيها تُوفِّى خالد بن الوليد ابن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القُرَشىّ المخزومىّ أبو سليمان سيف الله، كذا لَقّبه النبىّ صلى الله عليه وسلم، وأمّه لُبَابة أخت مَيمونة بنت الحارث أمّ المؤمنين ودُفن بحِمْص، وقبره مشهور يقصد للزيارة ؛ وفيها تُوفّى العَلَاء بن الحَضْرَمىّ، واسم الحضرمىّ عبد الله بن عبّاد بن أكبر بن ربيعة بن مقنع بن حضرموت حليف بنى أمية، وإلى أخيه تنسب بئر ميمونة التى بأعلى مكة آحتفرها فى الجاهلية ؛ وفيها تُوفّى الجارُود العَبْدىّ سَيِّد عبد القيس، وكنيته أبو عتّاب، وقيل أبو المنذر، وقيل آسمه بِشْر ولُقِّب جاروداً لأنه أغار على بَكْر بن وائل فأصابهم وجرّدهم، أسلم سنة عشر من الهجرة وفرح النبىّ صلى الله عليه وسلم بإسلامه .

وفاة خالد بن الوليد

§ أمر النيل فى هذه السنة، الماء القديم خمسة أذرع وإصبعان، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وخمسة أصابع .

***

السنة الثالثة من ولاية عمرو الأولى على مصر

السنة الثالثة من ولاية عمرو الأولى على مصر وهى سنة اثنتين وعشرين من الهجرة — فيها افتتح عمرو بن العاص طَرَابُلُس الغَرْب، وقيل فى التى بعدها ؛ وفيها غزا حُذَيفة مدينة الدِّينَوَر فافتتحها عَنْوة، وقد كانت فُتِحت قبلُ لسَعْد ثم انتقضت ؛ وفيها أيضا غزا حذيفة ماسَبَذان فافتتحها عنوة، وقيل كان افتتحها سعد ثم نقضوا ؛ وقال طارق بن شهاب : غزا أهل البصرة ماه، فأمدّهم أهل الكوفة وعليهم عمّار بن ياسر فأرادوا أن يَشْرَكوا فى الغنائم فأبى أهل البصرة، ثم كتب اليهم عُمَر: الغنيمة لمن شهد الوقعة ؛ وفيها فُتحت هَمَذَان قاله ابن جرير وغيره ؛ وفيها فُتحت الرَّىّ وما بعدها، ثم فتحت أَذْرَبِيجَان فى قول الواقدىّ وأبى مَعْشر، وقال سَيف : كانت فى سنة

ثمانى عشرة، وكان بين أهل هذه البلاد والمسلمين حروب كثيرة حتى فتح الله عليهم؛ وفيها توفى أُبَىّ بن كعب، فى قول الواقدىّ وابن نُمَير والدِّيلمى واليَزِيدىّ، وقيل فى سنة تسع عشرة .

§ أمرُ النيل فى هذه السنة الماء القديم، أعنى القاعدة، ستة أذرع واثنا عشر إصبعا، مبلغ الزيادة فيها ستة عشر ذراعا وثمانية عشر إصبعا . ٥

*
* *

السنة الرابعة من ولاية عمرو الأولى على مصر

السنة الرابعة من ولاية عمرو الأولى على مصر، وهى سنة ثلاث وعشرين من الهجرة — فيها فتح كَرْمان، وكان أميرها سَهْل بن عَدِىّ؛ وفيها فُتحت سِجِسْتان وكان أمير الجيش عاصم بن عَمْرو؛ وفيها فُتحت مُكْران، وكان أمير الجيش لفتحها (٣٨) الحَكَم بن عثمان وهى من بلاد الجبل؛ وفيها — ذكر سيف عن مشايخه — : أنّ سَارِيَة ١٠ ابن زُنَيم قَصَد فَسَا ودَارَابْجِرْد واجتمع له جموع من الفُرْس والأكراد عظيمة ودَهِمَ المسلمين منهم أمرٌ عظيم، ورأى عمر بن الخطاب فى تلك الليلة فيما يرى النائم مَعْركتهم وعددهم فى وقت من نهار وأنهم فى صحراء، وهُنَاك جَبَلٌ إن استندوا اليه لم يؤْتَوْا إلا من جهة واحدة . فنادى عُمَر من الغَدَاة للصلاة جماعة حتى اذا كانت

تحذير عمر لسارية فى مناداته

الساعة التى كان رأى أنهم اجتمعوا فيها خرج الى الناس، فصَعِد المنبر فخطب الناس ١٥ وأخبرهم بما رأى ثم قال : يا سَارِيَةُ، الجَبَلَ الجَبَلَ، ثم قال : إنّ لله جُنودا ولعلّ بعضها أن يُبَلِّغهم؛ قال : ففعلوا ما قال عمر، فنصرهم الله على عدوّهم وفتحوا البلد؛ وقيل فى رواية أخرى : إنما كان عمر فى خُطْبة الجمعة؛ وفيها حجّ عمر بن الخطاب بأزواج النبىّ صلى الله عليه وسلم وهى آخر حِجَّة حجَّها؛ وفيها غزا معاوية بن أبى سفيان الصائفة حتى بلغ عَمُّورِيَّة؛ وفيها توفى قَتَادة بن النعمان بن زيد بن عامر ٢٠ ابن سَوَاد بن كعب واسمه ظَفَر بن الخَزْرَج بن عمرو بن مالك بن الأَوْس أبو عمرو

الأنصاري الظَّفَرِيّ أخو أبي سَعيد الخُدْرِيّ لأمّه وقتادة الأكبر، شهد قتادة وَقْعة بَدْر، وأصيبتْ عَيْنه ووقعتْ على خدّه في يوم أُحُد فأتى النبيّ صلى الله عليه وسلم فغمز حَدَقَته وردّها الى موضعها فكانت أصحّ عينيه؛ وفيها توفي أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب بن نُفَيل بن عبد العُزَّى بن رِيَاح بن قُرْط بن رِزَاح بن عدىّ بن كعب ابن لؤىّ أبو حَفْص القُرَشيّ العَدَوِيّ الفاروق، استشهد في يوم الأربعاء لثمان بقين من ذي الحجة وقيل لأربع، وسنّه يوم مات نَيَّفتْ على ستين سنة، وقيل غير ذلك على أقوال كثيرة، ضربه أبو لؤلؤة واسمه فَيْروز عبد المغيرة بن شعبة بخنجر في خاصرته وهو في صلاة الصبح فمات بعد ثلاثة أيام، وتولى الخلافة بعده عثمان بن عفان رضي الله عنهما، وكانت خلافته عشر سنين ونصف لأنه وَلِيَ بعد وفاة أبي بكر الصدّيق في ثامن جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة.

وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قلت: ويضيق هذا المحل عن ذكر شيء من بعض مناقبه وما ورد في حقه من الأحاديث، وقد ذكرنا ذلك في غير هذا المكان.

§أمرُ النيل في هذه السنة، الماء القديم ثلاثة أذرع وثمانية عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا واثنا عشر إصبعا.

***

السنة الخامسة من ولاية عمرو بن العاص الأولى على مصر

السنة الخامسة من ولاية عمرو بن العاص الأولى على مصر وهي سنة أربع وعشرين من الهجرة — فيها سار منويل الخصيّ الى الإسكندرية فسأل أهلُ مصر عثمان إرسال عمرو بن العاص لقتال منويل المذكور، فجاء اليها عمرو وحارب حتى افتتحها الفتح الثاني في هذه السنة، وقيل: بل كان ذلك في سنة خمس وعشرين وهو الأصح؛ وفيها حج بالناس عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ وفيها — في قول سيف — عزل عثمان سعدا عن الكوفة وولّى الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيط

(٣٩)

مكانه ، فكان هذا مما نُقِم على عثمان ، وكنيته أبو وهب ، وهو أخو عثمان لأمه ، وله صحبة ورواية ، روى عنه أبو موسى الهَمَذانى والشَّعْبى ؛ وفيها فتح معاوية بن أبى سفيان الحصون وولد له ابنه يزيد ؛ وفيها توفى سُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم أبو سفيان المُدْلِجى .

٥ § أمر النيل فى هذه السنة ، الماء القديم ذراعان وأربعة عشر إصبعا ، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وستة أصابع .

ذكر ولاية ابن أبى سرح على مصر

ولاية ابن أبى سرح على مصر

هو عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح واسمه الحُسام (وسرح بالسين والحاء المهملتين) والحسام بن الحارث بن حُبيب (بالحاء المهملة مصغرا) بن جَذِيمة[1] ابن نصر بن مالك بن حِسْل[2] بن عامر بن لُؤَى ، أبو يحيى العامرى عامر قريش ، ١٠ وَلِى إمرة مصر بعد عزل عمرو بن العاص فى سنة خمس وعشرين ، كما تقدّم ذكره ، من قِبَل عثمان بن عفان ، وجاءه الكتاب بولايته وهو بالفيوم ، فجعل لأهل الجواب جُعلا فقدموا به مصر ، وسكن الفسطاط ومكث أميرا على مصر مدّة ولاية عثمان بن عفان كلها وهو أخو عثمان لأمه ؛ قاله ابن كثير ، قال : وهو الذى شفع له يوم الفتح ١٥ حين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدر دمه ، يأتى ذكر ذلك مفصلا فى آخر ترجمته من كلام ابن حجر بعد أن نذكر نبذة من أموره .

غزو إفريقية وافتتاحها

ولما ولِىَ مصر أحسن السيرة فى الرعية ، وكان جوادا كريما ، ثم أمره عثمان أن يغزوَ إفريقيّة ، فإذا افتتحها كان له خُمس الخُمس من الغنيمة نَفلا ، فسار عبد الله بن

---

(١) كذا فى طبقات ابن سعد وكتّاب ولاة مصر وقضاتها للكندى وأسد الغابة . وفى م ، ف : ٢٠ « خزيمة » . (٢) كذا فى طبقات ابن سعد وكتّاب ولاة مصر وقضاتها للكندى وأسد الغابة . وفى م ، ف : « حسيل » .

أبى سرح المذكور الى إفريقيّـة فى عشرة آلاف وغزاها حتى افتتح سهلها وجبلهـا وقتل خلقا كثيرا من أهلها، ثم اجتمعوا على الطاعة والإسلام وحَسُن إسلامهم، وأخذ عبـد الله بن أبى سرح المذكور خُمْس الخُمْس من الغنيمة وبعث بأربعة أخماسه الى عثمان، وقَسَّم أربعة أخماس الغنيمة فى الجيش فأصاب الفارسُ ثلاثةَ آلاف دينـار والراجلُ ألفَ دينار . ٥

قال الواقدىّ : وصالحـه بِطْرِيقُها على ألفى ألف دينـار وخمسمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار، فأطلقها عثمان كلها فى يوم واحد فى آل الحَكَم، ويقال: فى آل مَرْوان؛ ثم غزا عبد الله بن سعد بن أبى سرح المذكور إفريقيّة ثانية فى سـنة ثلاث وثلاثين حين نقض أهلها العهد حتى أقرّهم على الإسلام والجزية؛ وآستشهد معه فى هذه المرّة بإفريقيّة جماعة منهم : مَعبد بن العبّاس بن عبد المطلب وغيره . ١٠

غزوة ذات الصوارى

ثم غزا فى سـنة أربع وثلاثين غزوة ذات الصوارى فى البحر من ناحية الإسكندرية، فلقيه قُسْطنطين بن هِرَقْل فى ألف مركب، وقيل فى سبعمائة، والمسلمون فى مائتى مركب، وتقاتلا فانتصر الأمير عبد الله هذا وهزَم الروم؛ وإنمـا سُمِّيت غزوة ذات الصوارى لكثرة صوارى المراكب واجتماعها . وعاد الى مصر فبلغـه فى سنة خمس وثلاثين خبر مَنْ ثار على عثمان رضى الله عنه، ودخل منهم طائفة الى مصر بأمر عثمان، فإنه كان أخرج منهم جماعة الى البصرة والشام ومصر، فلما قَدِم مَن قدِم منهـم الى مصر وافقهم جمـاعة من المصريين على خلاف عثمان كُرْها فى ابن أبى سرح هـذا لكونه وَلِى بعد عمرو بن العاص، وأيضا لاشتغاله عنهم بقتال أهل المغرب وفتح بلاد البَرْبَر وأندلس وإفريقيّـة وغيرها، ونشأ بمصر طائفة من أبنـاء الصحابة يؤلِّبون النـاس على حرب عثمان وحرب عبد الله بن أبى سرح المذكور، ٢٠

واجتمعوا واستنفروا من مصر فى ستمائة راكب يذهبون الى المدينة فى صفة مُعْتَمرين
فى شهر رجب لينكروا على عثمان وساروا الى المدينة تحت أربع رايات، وأَمْرُ الجميع
الى عمرو بن بُدَيل بن وَرْقاء الخُزَاعى وعبد الرحمن التُّجيبى، وأقبل معهم محمد بن
أبى بكر الصديق، وأقام بمصر محمد بن حُذَيفة يُؤَلِّب الناس ويدافع عن هؤلاء،
٥ فكتب ابن أبى سرح الى عثمان يُعْلمه بقدوم هؤلاء القوم مُنْكِرين عليه فى صفة معتمرين،
فوقع لهم مع عثمان رضى الله عنه أمورٌ يطول شرحها الى أن سألوا عثمان عَزْل عبد الله
ابن أبى سرح هذا عن ولاية مصر ويُوَلِّى عليهم محمد بن أبى بكر الصدّيق، فأجابهم
الى ذلك، فلما رجعوا وجدوا فى الطريق بَرِيدًا يسير فأخذوه وفتّشوه، فاذا معه
فى إداوة كتابٌ كتبه مَرْوان بن الحَكَم كاتب عثمان وابن عمّه، والكتاب على لسان
١٠ عثمان، فيه الأمر بقَتْل طائفة منهم وصَلْب آخرين وقَطْع أيدى آخرين منهم وأرجلهم؛
وكان على الكتاب طَبْع خاتَم عثمان، والبريد أحدُ غلمان عثمان على جمله، فلما رجعوا
جاءوا بالكتاب الى المدينة وداروا به على الناس، فكلّم الناس عثمان فى أمر الكتاب؛ فقال
عثمان ما معناه: إنه دُلِّس عليه الكتاب ثم قال: والله لا كتبتُه ولا أمليتُه ولا دَرَيتُ
بشىء من ذلك والخاتم قد يزوَّر على الخاتم. فصدّقه الصادقون وكذّبه الكاذبون
١٥ فى ذلك؛ واستمرّ عبدالله بن أبى سرح على عمله على كُرْه من المصريين الى أن خرج
من مصر مُتَوَجِّها الى عثمان بعد أن استخلف عليها عُقْبة بن عامر الجُهَنى. وقُتل عثمان
رضى الله عنه واستخلف علىّ رضى الله عنه، فعزل عبدَ الله بن أبى سرح هذا عن مصر
وولّاها لقيس بن سعد بن عُبَادة رضى الله عنهما. ثم استولى على مصر جماعة من
قِبَل علىّ بن أبى طالب وقاتلوا عقبة بن عامر على ما سيأتى ذكره بعد أن نذكر مَنْ
٢٠ تُوُفّى فى أيام ولاية عبدالله بن سعد بن أبى سرح هذا على مصر كما هو عادة كتابنا

هــذا ، وكان عَزْل عبدالله بن أبى سرح عن مصر فى سنة ست وثلاثين بعــد أن حكمها نحوا من عشر سنين .

وأمّا عبد الله بن سعد بن أبى سرح صاحب الترجمة فلم أقف له على خبر بعــد ذلك، غير أنّ بعض المؤرّخين ذكروا أنه تُوفّى بِفِلَسْطِين فى سنة ست وثلاثين المذكورة، ويقال غير ذلك أقوال كثيرة؛ منها : ٥

قال الحافظ شِهاب الدين بن حَجَر العَسْقَلانىّ فى الإصابة : روى الحاكم من طريق السُّدّى عن مُصعب بن سعد عن أبيه قال : لمّا كان يوم فتح مكة أمّن النبىّ صلى الله عليه وسلم النــاسَ كلّهم إلا أربعةَ نَفَر وآمرأتين : عِكْرِمةَ وابنَ خَطَل ومِقْيَس بن صُبابة وابن أبى سرح، وذكر الحديث ، قال : فأمّا عبدالله فاختبأ عند (٤١) عثمان فجاء به عثمان حتى أوقفه على النبىّ صلى الله عليه وسلم وهو يبايع الناس، فقال: ١٠ يارسول الله، بايعْ عبدالله، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال : "أما كان فيكم رجلٌ رشيدٌ يقوم الى هذا حيث رآنى كَفَفْتُ يدى عن مُبايعته فيقْتلَه " .

ومن طريق يزيد النحوىّ عن عِكْرِمَة عن ابن عباس قال: كان عبدالله بن سعد ابن أبى سرح يكتب للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، فزيّن له الشيطان فلحق بالكفّار، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُقْتَلَ (يعنى يوم الفتح) فآستجار بعثمان ، ١٥ فأجاره النبىّ صلى الله عليه وسلم . أخرجه أبو داود .

ورَوَى ابن سعد من طريق ابن المسيِّب قال : كان رجل من الأنصار نذر إن رأى ابن أبى سرح أنْ يقتلَه ، فذكر نحوا من حديث مُصْعَب بن سعد عن أبيه.

ورَوَى الدارقُطْنِىّ من حديث سعيد بن يربوع المخزومىّ نحو ذلك ؛ ومن طريق الحَكَم بن عبدالله عن قَتادة بن أنس بمعناه؛ وأوردها ابن عساكر من حديث ٢٠

عثمان بن عفان أيضا، وأفاد سِبْط ابن الجَوْزىّ فى «مرآة الزمان» : أنّ الأنصارىّ الذى قال : فهلّا أومأتَ الينا ، هو عبّاد بن بِشْر، ثم قال : وقيل : إنّ الذى قال هو عمر .

وقال ابن يونس: شَهِد فَتْحَ مصر وآختطّ بها، وكان صاحب الميمنة فى الحرب مع عمرو بن العاص فى فتح مصر، وله مواقف محمودة فى الفُتوح، وأمّره عثمان على مصر، ولمّا وقعتْ الفتنة سكن عَسْقَلان ولم يبايع لأحد، ومات بها سنة ست وثلاثين، وقيل : كان قد سار من مصر الى عثمان وآستخلف السائب بن هِشام بن عمرو فبلغه قتلُه ، فرجَع فتغلّب على مصر محمّدُ بن أبى حُذَيفة فمنعه من دخولها، فمضى الى عَسْقَلان، وقيل الى الرملة، وقيل بل شَهِدَ صِفّين، وعاش الى سنة سبع وخمسين ذكره ابن مندة .

وقال البغوىّ[1] : له عن النبىّ صلّى الله عليه وسلم حديث واحد ونخرجه، ووقع لنا بعلوّ فى المعرفة لآبن مَنْدة . انتهى كلامُ ابن حَجَر باختصار ، وتأتى بقية ترجمة ابن أبى سَرْح هذا فى حوادث سِنِيه .

* * *

السنة الأولى من ولاية ابن أبى سرح على مصر

السـنة الأولى من ولاية عبد الله بن سـعد بن أبى سرح على مصر وهى سنة خمس وعشرين من الهجرة — فيهـا فى قول سَيف عَزَلَ عثمان سعدًا عن الكوفة، وفيها سار الجيش من الكوفة وعليهم سـليمان بن ربيعة الى بَرْذَعَة ، فقَتَل وسَبَى، وفيها حجّ بالناس عثمان بن عفان رضى الله عنه .

§أمرُ النيل فى هذه السنة، المـاء القديم ستة أذرع واثنا عشر إصبعا، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وخمسة أصابع .

(١) كذا فى كتاب الإصابة (ج ٤ ص ٧٧ طبعة مصر) وفى الأصل «المسعودى» .

*
* *

السنة الثانية من ولاية ابن أبى سرح على مصر

السنة الثانية من ولاية عبد الله بن سعد بن أبى سرح على مصر وهى سنة ست وعشرين من الهجرة — فيها فتحت سابور وكان أمير الجيش عثمان بن أبى العاص الثقفىّ، صالحهم على ثلاثة آلاف ألف وثمانمائة ألف؛ وفيها زاد عثمان (٤٢) ابن عفان رضى الله عنه فى المسجد الحرام ووسّعه واشترى الزيادة من قوم وأبى آخرون، فهدم عليهم ووضع الأثمان فى بيت المال، فصاحوا بعثمان، فأمر بهم الى الحبس وقال : ما جرّأكم علىّ إلا حِلْمى، وقد فعل هذا عمر فلم تصيحوا عليه؛ وفيها حجّ عثمان بن عفان بالناس .

§أمر النيل فى هذه السنة، الماء القديم خمسة أذرع وعشرون إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وأربعة إصابع، وقيل خمسة عشر إصبعا .

*
* *

السنة الثالثة من ولاية ابن أبى سرح على مصر

السنة الثالثة من ولاية ابن أبى سرح على مصر وهى سنة سبع وعشرين — فيها توفى عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبْذول، وكنيته أبو يحيى، وقيل : أبو الحارث، صحابىّ شهد بدرا؛ وفيها فُتحت الأندلس[(1)]، وكان أمير الجيش عبد الله بن الحُصَين وعبد الله بن عبد القيس، أتياها من قِبَل البحر، كتب اليهما عثمان رضى الله عنه يقول : إن القُسْطَنطِينيّة إنما تُفتح من قِبَل البحر، وأنتم اذا فتحتم الأندلس فأنتم شركاء لمن يفتح قسطنطينية فى الأجر آخر الزمان والسلام . قال ابن جرير : قال بعضهم وفى هذه السنة غزا معاوية قُبْرُس . وقال

غزوة قبرس

الواقدىّ : كان ذلك فى سنة ثمان وعشرين . وقال أبو مَعْشر : غزاها معاوية

(١) كذا فى الكامل لابن الأثير وتاريخ ابن جرير فى حوادث سنة ٢٧ ، والمعروف فى التاريخ أن الأندلس فتحت أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان سنة ٩٢ على يد طارق بن زياد وموسى بن نصير انظر الكامل لابن الأثير والطبرى فى حوادث ٩٢ وتاريخ ابن خلدون صحيفة ١١٧ ج ٤ طبع بولاق .

سنة ثلاث وثلاثين والله أعلم . وقال الواقدىّ : فى هذه السنة فتحت إصطخر ثانيا على يدى عثمان بن أبى العاص . وقال الذهبىّ : فيها غزا معاوية قبرس وكان معه عبادة بن الصامت وزوجة عُبادة أم حَرَام بنت مِلْحان الأنصارية فاستشهدت، كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يغشاها ويَقِيل عندها وبَشَّرها بالشهادة؛ وفيها صالح ٥ عثمان بن أبى العاص أهل أَرَّجان على ألفى ألف ومائتى ألف، وصالح أهل دَارَابْجِرْد على ألف ألف وثمانين ألفا؛ وفيها غزا أمير مصر ابن أبى سرح صاحب الترجمة إفريقية حسبما تقدّم، وكان معه عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو ابن العاص وعبد الله بن الزبير بن العوّام، وكان المسلمون فى عشرين ألفا، وكان العدوّ (يعنى جُرْجِير) فى مائتى ألف مقاتل، وفتح الله وغَنِم المسلمون شيئا كثيرا؛ ١٠ وفيها حجّ بالناس عثمان رضى الله عنه .

§ أمرُ النيل فى هذه السنة، الماء القديم أربعة أذرع وثلاثة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وخمسة عشر إصبعا .

* * *

السنة الرابعة من ولاية ابن أبى سرح على مصر وهى سنة ثمان وعشرين — ١٥ فيها فتحت قُبْرُس على يد معاوية، قاله الذهبىّ فى قول، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه منع المسلمين من الغزو فى البحر شفقة عليهم، فلما ولى عثمان استأذنه معاوية فأذن له ففتح الله على يده؛ وفيها غزا حبيب بن مَسْلَمة سُورِيَة من أرض الروم، قاله الواقدىّ، وفيها غزا الوليد بن عُقْبة أَذْرَبِيجَان . فصالحهم مثل صُلْح حذيفة؛ وفيها حج بالناس أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه .

السنة الرابعة من ولاية ابن أبى سرح على مصر

٢٠ § أمرُ النيل فى هذه السنة، الماء القديم ثلاثة عشر ذراعا وثمانية عشر إصبعا، مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا . (٤٣)

* * *

السنة الخامسة من ولاية ابن أبي سرح على مصر

السنة الخامسة من ولاية ابن أبي سرح على مصر وهى سنة تسع وعشرين — فيها افتتح عبد الله بن عامر إِصْطَخر، فى قول، عَنْوة فقتَل وسَبَى، وكان على مقدّمته عبد الله بن مَعْمَر بن عثمان التَّيمى وكلاهما صحابى؛ وفيها عَزَل عثمانُ أبا موسى الأشعرى عن البصرة بعد عمالة ست سنين، وقيل ثلاث، وولّى عليها عبد الله بن عامر بن كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وهو ابن خال عثمان؛ وجمع له بين جُنْد أبي موسى وجُنْد عثمان بن أبي العاص، وله من العمر خمس وعشرون سنة فأقام بها ست سنين؛ وفيها وسَّع عثمانُ بن عفّان مسجدَ النبي صلى الله عليه وسلم وبناه بالقَصَّة (وهى الكِلْس) كان يؤتى به من نخلة، والحجارةِ المنقوشة وجعل عُمُدَه حجارة مرصّعة وسَقَفَه بالساج، وجعل طوله ستين ومائة ذراع وعرضه خمسين ومائة ذراع، وجعل أبوابه ستة على ما كانت عليه فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه؛ وفيها حجّ بالناس عثمان بن عفان رضى الله عنه وضُرِب له بمِنًى فُسْطاط، فكان أوّل فُسطاط ضربه عثمان بمِنًى، وأتمّ الصلاة عامه هذا، فأنكرَ ذلك عليه غير واحد من الصحابة كعلىّ وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود؛ وفيها نقَضت أَذْرَبِيجَان فغزاهم سعيد بن العاص حتى افتتحها ثانيا؛ وفيها فتحت أَصْبَهان؛ وفيها عزل عثمانُ الوليدَ بن عُقْبَة بن أبي مُعَيْط عن الكوفة وولّاها سعيد بن العاص.

توسيع المسجد النبوى

§ أمر النيل فى هذه السنة، الماء القديم خمسة أذرع وستة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وثمانية عشر إصبعا.

* * *

السنة السادسة من ولاية ابن أبي سرح على مصر

السنة السادسة من ولاية ابن أبي سرح على مصر وهى سنة ثلاثين بعد الهجرة — فيها افتتح عبدالله بن عامر مدينة جُور من أرض فارس وغنم منها شيئا كثيرا،

ثم افتتح عبدالله المذكور أيضا بلادا كثيرة من أرض خُراسان ، ثم افتتح نَيْسابور صُلْحا ، ويقال عَنْوة ، ثم صالح أهل سَرَخْس على مائة وخمسين ألفا ، وصالح اهل مَرْو على ألفى ألف ومائتى ألف ، ولما فتح عبد الله بن عامر هذه البلاد الواسعة كَثُرَ الخَرَاج على عثمان وأتاه المال من كل وجه حتى اتخذ الخزائن وزاد الأرزاق ؛ وفيها نقض أهلُ خُراسان وتجمّعوا ، فنهض لقتالهم الأحنف بن قيس وقاتلهم حتى هزَمهم ، وكانت وقعة مشهورة ؛ وفيها تُوفّى الطُّفَيل بن الحارث بن عبدالمطلب المُطلِبيّ ، وهو أخو عُبَيدة بن الحارث والحُصَين بن الحارث ، وكان ممن شَهِد بدرا مع النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ وفيها تُوفّى أُبَىّ بن كعب فى قول الواقدىّ ، وقد تقدّم ، وهذا أثبت الأقوال فى موته ؛ وفيها تُوفّى حاطب بن أبى بَلْتَعة اللخمىّ حَليف بنى أَسَد بن عبد العزى ، وهو صحابىّ شَهِد بدرا رضى الله عنه ؛ وفيها توفى عبد الله بن كعب بن عمرو المَازِنى الأنصارىّ البدرىّ أيضا ، كنيته أبو الحارث وقيل أبو يحيى ، شَهِد بدرا وكان على الخُمْس يوم بدر رضى الله عنه ؛ وفيها توفى عِياض بن زُهَير بن أبى شدّاد بن ربيعة بن هِلال أبو سعد القُرَشىّ ، كان أيضا ممن شهد بدرا والمشاهد بعدها ، هكذا قال ابن سعد وفَرّق بينه وبين ابن أخيه عِياض ابن غَنْم بن زُهَير الفِهْرِىّ أمير الشام المتوفى سنة عشرين ؛ وفيها تُوفّى مَعْمَر بن أبى سرح ، واسمه ربيعة بن هلال القُرَشىّ الفهرىّ أبو سعيد ، وقيل اسمه عمرو ، وهو أيضا ممن شهد بدرا ؛ وفيها توفى مسعود بن ربيعة ، وقيل ابن الربيع أبو عمير القارىّ ، والقارة حلفاء بنى زُهْرة ، وهو أيضا ممن شهد بدرا وغيرها رضى الله عنه .

§ أمر النيل فى هذه السنة ، الماء القديم أربعة أذرع وستة عشر إصبعا ، مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعا وإحدى وعشرون إصبعا .

* * *

السنة السابعة من ولاية ابن أبى سرح على مصر

السنة السابعة من ولاية ابن أبى سرح على مصر وهى سنة إحدى وثلاثين من الهجرة — فيها تُوفّى أبو سُفْيان صَخْر بن حَرْب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف الأُمَوِىّ القُرَشِىّ، أسلم أبو سفيان يومَ الفتح وشَهِد حُنَيْنا وأعطاه النبىّ صلى الله عليه وسلم من الغنائم مائة من الإبل وأربعين أوقية، وقد فُقِئَت عينه يوم الطائف، ثم شهِد غَزْوة اليَرْموك، وفيها تُوفّى أبو الدرداء، واسمه عُوَيْمر بن يزيد، وقيل عبد الله بن قيس بن ثعلبة بن أمية بن مالك بن عامر بن عدىّ بن كعب بن الخزرج الأنصارىّ الصحابىّ المشهور رضى الله عنه؛ وفيها تُوفّى نُعَيم بن مسعود بن عامر الأَشْجعىّ، كنيته أبو سلمة له صحبة ورواية رضى الله عنه؛ وفيها تُوفّى كِسرَى مَلِك فارس وهو يَزْدَجِرْد بن شَهْريار، وسبب هلاكه أنه هَرَب من كِرْمان الى مَرْو فلم يتم له ذلك، فخرج أيضا هاربا إلى أن نزل برجل يَنْقُر الأرحاء فأوى اليه، فقتله الرجل وأخذ ما عليه من الجواهر.

مقتل كسرى

§ أمر النيل فى هذه السنة، الماء القديم ذراعان وعشرون إصبعا، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا واثنا عشر إصبعا.

* * *

السنة الثامنة من ولاية ابن أبى سرح على مصر

السنة الثامنة من ولاية ابن أبى سرح على مصر وهى سنة اثنتين وثلاثين — فيها سار عبد الله بن عامر من البصرة الى المشرق فافتتح بها بلادا كثيرة: الطالقَان وجُرْجان وبَلْخ وطَخارِسْتان، وكان على مقدّمته الأحنف بن قيس، وقيل بل جهّز عبد الله بن عامر الأحنف وأقام هو بالبصرة يمدّه بالمال والرجال؛ وفيها غزا عبد الرحمن بن ربيعة بَلَنْجَر، وكان صاحبها نازلا قريبا من باب الأبواب وبعث يطلب من سعيد بن العاص المدد فأمدّه بحبيب بن مَسْلمة الفِهْرىّ فأبطأ حبيب على

عبدالرحمن فسار عبدالرحمن نحو بَلَنْجَر المذكورة وحصرها ؛ وفيها توفى أبو ذَرّ الغِفَارىّ[1] ، وفاة أبى ذر الغفارى
وآسمه جُنْدُب بن جُنَادة بن كُعَيب بن صُعير بن الوقعة بن حرام بن سفيان بن عبيد
ابن حرام ، كان من أحد السابقين الأوّلين وكان خامسا فى الإسلام رضى الله عنه ؛
وفيها توفى العباس بن عبد المطلب بن هاشم أبو الفضل ، عمّ النبى صلى الله عليه وفاة العباس بن عبد المطلب
وسلم ، وولد قبل النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين أو بثلاث ، أسلم بعد وقعة بدر ٥
رضى الله عنه ، وقد استسقى به عمر بن الخطاب فى أيام خلافته فى بعض السنين ؛ (٤٥)
وفيها توفى عبدالله بن مسعود بن غافل بن حَبِيب بن شَمْخ بن فأْر بن مَخْزوم بن صاهِلَة
ابن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيل بن مُدْرِكة بن اليـاس بن مُضَر ،
أبو عبدالرحمن الهذلىّ حليف بنى زُهْرة ، أسلَم قبل عمر ، وكان سبب إسلامه مرور
النبىّ صلى الله عليه وسلم به وقصته مشهورة ، وهو أحد كِبار الصحابة رضى الله عنه ، ١٠
وهو من السابقين الأوّلين وشهد بدرا والمشاهد كلها ؛ وفيها توفى عبد الرحمن بن عوف
ابن الحارث بن زهرة بن كِلاب ، أبو محمد القُرَشىّ الزُّهْرىّ ، أحد العشرة المشهود
لهم بالجنة ، وأحد الثمانية الذين سبَقوا للإسلام ، وأحد الستة أصحاب الشُّورَى بعد
موت عمر لأجل الخلافة ؛ وفيها توفى أبو الدرداء عُوَيْمر وقد تقدّم ذكره ، والصحيح
أنه توفى فى هذه السنة ؛ وفيها توفى الحكم بن العاص بن أمية بن عبدشمس ، عمّ عثمان ١٥
ابن عفان رضى الله عنه ، وأبو مروان بن الحكم ، نفاه النبىّ صلى الله عليه وسلم الى
الطائف فدام به الى أن آستقدمه عثمان فى خلافتـه ، وسمى الحكم هـذا طريدَ
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ولعينَه ؛ وفيها توفى سلمان الفارِسىّ ، وكنيته أبو عبدالله ، وفاة سلمان الفارسى
ويقـال له سلمان الخير ، أصله من اصْطَخر ، وقيـل من أهل أصْبَهان ، من قرية
يقال لها جَىّ ، وهو من الطبقة الثانية من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، كان ٢٠

(١) صححنا نسبه من طبقات ابن سعد (ج ٤ قسم أوّل ص ١٦١) .

من المهاجرين، شَهِد بدرا وأُحُدا؛ وفيها توفى سِنان بن أبى سِنان بن مِحْصَن الأسدى من الطبقة الأولى من الصحابة، كان من المهاجرين، شهد بدرا وأُحدا والمشاهد كلّها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وفيها توفى عبد الله بن حُذافة بن قيس بن عَدِىّ ابن سعد بن سَهْم، كنيته أبو حُذافة، كان ممّن هاجر الهجرتين وشهد بدرا وأُحدا والخَنْدق والمشاهدَ كلّها، وهو رسول النبىّ صلى الله عليه وسلم الى كِسْرَى؛ وفيها تُوفّى

وفاة كعب الأحبار

كَعْب الأحبار بن نافع الحِمْيَرىّ من مُسْلِمى أهل الكتاب، كنيته أبو اسحاق، أسْلَم على يد أبى بكر الصدّيق، وقيل على يد عمر رضى الله عنهما، وهو من الطبقة الأولى من التابعين؛ وفيهــا توفى أبو مُسْلم الجَبَلىّ (بالجيم) وهو من جَبل صيدا بساحل دِمَشْق، أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَسْلم على يد أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه، وقيل بعد ذلك، وهو من الطبقة الأولى من التابعين؛ وفيهــا توفى مُعَيْقيب بن أبى فاطمة الدَّوْسِىّ الأَزْدىّ، حليف بنى عبد شمس بن عبد مناف، أَسْلَم بمكة قديما وهاجر الى الحبشَة وشهد خَيْبَر رضى الله عنه .

§ أمر النيل فى هذه السنة، المــاء القديم خمسة أذرع وثلاثة أصابع، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وتسعة أصابع .

* * *

السنة التاسعة من ولاية ابن أبى سرح على مصر

السنــة التاسعة من ولاية ابن أبى سرح على مصر وهى سنة ثلاث وثلاثين – فيها نَفَى عثمان رضى الله عنه جماعة من أهل الكوفة الى الشام كانوا يَعِيبون عليه و يَطْعَنون فيه ويَسُبُّون سعيد بن العاص والى الكوفة، فكتب سعيد الى عثمان بذلك، فكتب اليه عثمان يُسَيِّرهم الى الشام، فسَيَّرهم وفيهم عُرْوَة بن الجَعْد البارِق ومالك بن الحارث الأَشْتَر النَّخَعِىّ وجُنْدُب بن زُهير وعمرو بن الحَمِق وابن أبى زِياد وغيرُهم؛ وفيهــا غزا مُعاوية بن أبى سُفْيان بلاد الروم ووصــل الى

غزو بلاد الروم

حِصْن المَرْأة من أعمال مَلَطِيّة وآفتتحه ؛ وفيها غزا عبد الله بن سعد بن أبى سرح إفريقيّة وكانوا نقضوا كما تقدّم فى ترجمته ؛ وفيها بعث عبد الله بن عامر الأحنف ابن قيس الى خُراسان وكانوا أيضا قد نقضوا العهد فقاتلهم وظفِر بهم ولحقه عبد الله ابن عامر فهدَم مدينتها ؛ وفيها توفى المِقْداد بن عمرو بن ثَعْلبة بن مالك بن رَبيعة

٥ الكندىّ ، وكنيته أبو مَعْبَد ، ويقال له ابن الأسود لأنه كان حالف الأسود بن عبد يَغُوث فى الجاهلية فتبنّاه ، وإنما قيل له الكِنْدى لأن أباه كان حالف كِنْدة ، وهو فى الصحابة من الطبقة الأولى ، كان من المهاجرين الأوّلين ، شهِد بدرا وأحدا والمشاهد كلّها ، وكان يقال له فارس الإسلام رضى الله عنه .

§أمر النيل فى هذه السنة ، الماء القديم ذراعان وعشرون إصبعا ، مبلغ الزيادة

١٠ خمسة عشر ذراعا واثنا عشر إصبعا .

*
* *

السنة العاشرة من ولاية ابن أبى سرح على مصر

السنة العاشرة من ولاية ابن أبى سرح على مصر وهى سنة أربع وثلاثين — فيها غزا أمير مصر صاحب الترجمة غزوة ذاتِ الصَّوارى وآنتصر على الروم حسبما تقدم ذكره ؛ وفيها سارت ركائب المنحرفين عن عثمان وكان جُمْهورهم من أهل

١٥ الكوفة ؛ وفيها توفى إياس بن أبى البُكَيْر الكنانى حَليف بنى عدىّ ، كان من المهاجرين ، شهِد بدرا هو وإخوته : خالد وعاقل وعامر ، ولم يَشْهَد بدرا إخوة أربعة سواهم ، وقد شهد إياس هـذا فتح مصر رضى الله عنه ؛ وفيها توفى عُبادة ابن الصامت فى قول ، وقد تقدّم ذكره وهو أحد النُّقباء ليلة العقبة ومن كِبار الصحابة ؛ وفيها توفى مِسْطَح بن أُثاثة بن عبد المطلب بن عبد مناف المُطَّلِبىّ

٢٠ المذكور فى حديث الإفك ، شهد بدرا والمشاهد بعدها ، وكان فقيرا يُنْفِق عليه أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه ؛ وفيها توفى أبو عبس بن جبر بن عمرو الأنصارىّ الأوسى ،

وآسمه على الأصحّ عبد الرحمن، وكان اسمه فى الجاهلية عبد العزّى فغيّره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو من الذين قتلوا كَعْب بن الأشرف اليهوديّ وشهد بدرا وغيرها؛ وفيها توفى أبو طلحة الأنصاريّ، وآسمه زيد بن سَهْل بن الأسود، أحد بنى مالك بن النجار، كان من النُّقباء ليلة العقبة، شهد بدرا والمشاهد بعدها .

§ أمر النيل فى هذه السنة ، الماء القديم ستة أذرع وتسعة أصابع، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وستة أصابع . ٥

* * *

السنة الحادية عشرة من ولاية ابن أبى سرح على مصر

السنة الحادية عشرة مِن ولايةِ عبد الله بن سعد بن أبى سرح على مصر وهى سنة خمس وثلاثين — فيها عُزِل عبدالله بن أبى سرح عن مصر فى قول؛ وفيها كانت غَزْوَة ذى خُشُب وأمير المسلمين فيها مُعاوية بن أبى سُفْيان ؛ وفيها كان خروج أمير مصر عبد الله بن سعد بن أبى سرح من مصر مُتَوجِّها الى عثمان، واستخلف على مصر عُقْبة بن عامر الجُهَنيّ ، وقيل السائب بن هشام العامِرِيّ ، وجعل على خراجها سُلَيم بن عِتْر(١) التُّجيبيّ ، وكان ذلك فى رجب من سنة خمس وثلاثين وسار الى عثمان فاستمرّ أمر مصر مستقيما الى شوّال من السنة ؛ وفيها خرج محمد ابن [أبى](٢) حُذَيْفة بن عُتْبة بن ربيعة على عُقْبة بن عامر خليفةِ عبدالله بن أبى سرح على مصر، وملك مصر على ما سيأتى ذكره ؛ وفيها كانت مَقْتلة عثمان بن عفان رضى الله عنه فى ذى الحجة منها وقصته مشهورة ، وقد استوعب ذلك جماعةٌ من المؤرخين فى عدّة كراريس لا سبيل الى تلخيصها فى هذا المحل ، غير أننا نذكر نسبته ومدّة خلافته لا غير، فنقول :

غزوة ذى خشب ١٠

(٤٧) ١٥

مقتل عثمان ابن عفان

(١) كذا فى تاريخ ابن عبد الحكم وكتاب الولاة والقضاة للكندى ، وفى الأصل : «عمير
(٢) الزيادة عن كتاب الولاة والقضاة للكندى والطبرى .

نسب عثمان ومدة خلافته

هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أُميّة بن عبد شمس أمير المؤمنين ، أبو عمرو ، وقيل أبو عبد الله القرشيّ الأُمَويّ ؛ وأمه أَرْوَى ، هو أحد السابقين الأوّلين وذو النورين وصاحب الهِجْرَتَيْن وزَوْج الابنَتَيْن ، مولده قبلَ عام الفيل بستة أعوام ، وقيل بعده بستة أعوام ، وخلّفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر لمرض زوجته رُقَيّة بنت النبي صلى الله عليه وسلم فتوفيت بعد بدر بليال ، وضَرَب له النبي صلى الله عليه وسلم بسَهْم من بدر وأجره ، ثم زوّجه بالبنت الأخرى أمّ كُلْثوم.
قال الذهبيّ : رَوَى عطيّة عن أبى سعيد قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رافعا يَدَيْه يدعو لعثمان ، وعن عبد الرحمن بن سَمُرَةَ قال : جاء عثمان الى النبيّ صلى الله عليه وسلم بألف دينار فى ثوبه حين جهّز جيش العُسْرة ، فصبّها فى حجر النبيّ صلى الله عليه وسلم فجعل يُقَلّبها بيده ويقول : "ما ضرّ عثمانَ بعد اليوم ما عمِلَ" رواه أحمد فى مُسْنَده ، وفضائله كثيرة يَضيق هذا المحل عن ذكر شيء منها .

قلت : بويع عثمان بالخلافة لما مات عمر فى ذى الحجة سنة أربع وعشرين من الهجرة ، فدام فى الخلافة حتى قتل فى هذه السنة رضى الله عنه ، وتولّى الخلافة من بعده علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ؛ وفيها توفى كَعْب الأحبار[1] ، وكان أَسْلم فى خلافة أبى بكر الصدّيق ، وكان من أَوْعِية العلم ؛ وفيها توفى عُبادة بن الصامت الأنصاريّ الصحابيّ المشهور أحد النقباء مات بالرَّمْلة .

§ أمر النيل فى هذه السنة ، الماء القديم ثلاثة أذرع وأربعة وعشرون إصبعا ، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وإصبعان .

---

(١) سبق للؤلف ذكره فيمن توفوا سنة اثنتين وثلاثين .

ذكر استيلاء محمد بن [أبى] حذيفة على مصر

ذكر استيلاء محمد ابن أبى حذيفة على مصر

هو محمد بن [أبى] حُذيفة بن عُتْبة بن ربيعة بن عبدشمس بن عبد مَنَاف، وثب على مصر وملكها من غير وِلَاية من خليفة، فلذلك لم يعدّه المؤرّخون من أمراء مصر، وكان من خبره أنّه جمع جمعا وركِب بهم على عُقْبة بن عامر الجُهَنىّ خليفة عبد الله بن سعد بن أبى سرح وقاتله وهزمَه وأخرَجه من الفُسْطاط، ثم دعا الناس ٥ لخلع عثمان من الخلافة وصار يُعدّد أفعاله بكل شىء يقدِر عليه، فاعتزله شِيعة عثمان وقاتلوه وهم: مُعاوية بن حُدَيج وخارجة بن حُذافة السَّهمىّ وبُسْر بن أبى أَرْطاة ومَسْلَمَة بن مُخَلَّد فى جمع كثير من الناس، وبعثوا الى عثمان بذلك، وبينا أن يأتى الخبر من عثمان قويت شوكة محمد هذا، ثم حَضَر من عند عثمان سعد بن أبى وقّاص لِيُصْلِح أمرهم ويتألف الناس، فخرج اليه جماعة من أعوان محمد بن أبى حذيفة ١٠ المذكور وكلموه وخاشنوه، ثم قلبوا عليه فُسْطاطه وشجّوه ونهبوه، فركب من وقته وعاد راجعا ودعا عليهم لِما فعلوه به، ثم عاد الى مصر عبد الله بن أبى سرح راجعا فمنعه أن يدخل الى مصر وقاتلوه، فكرّ راجعا الى عَسْقَلان ثم قُتِل فى هذه الأيام بفِلَسْطِين، وقيل بالرَّمْلة حسبما ذكرناه فى آخر ترجمته فى هذا الكتاب، ثم أراد محمد ابن أبى حذيفة أن يبعَث جيشا الى عثمان فجهّز اليه ستمائة رجل عليهم عبد الرحمن ١٥ ابن عُدَيْس البَلَوىّ، وبينما هم فى ذلك إذ قدِم عليهم الخبر بقتل عثمان رضى الله عنه فى ذى الحجة من السنة، فلما وصل الخبر بذلك ثار شيعة عثمان بمصر وعقدوا لمُعاوية ابن حُدَيج وبايعوه على الطلب بدم عثمان وساروا الى الصعيد، فبعث اليهم محمد ابن أبى حُذَيفة جماعة كثيرة فتقاتلا فهزَمتْ جيشَ محمد وافترقا، وتوجّه معاوية بأصحابه الى جهة بَرْقَة فأقام بها مدّة ثم عاد الى الإسكندرية، فبعث اليه محمد ٢٠ ابن أبى حُذَيفة بجيش آخر فاقتتلوا بخَرِبْتا أوّل شهر رمضان من سنة ست وثلاثين

فانهزم جيش محمد أيضا ، وأقامت شيعة عثمان بخَرِبْتا الى أن قدم مُعاوية بن أبى
سفيان من الشأم الى مصر، فخرج اليه محمد بن أبى حُذَيفة بأصحابه ومنعوه من
الدخول الى الفُسْطاط ، ثم اتفقا على أن يجعلا رهنا ويتركا الحرب ، فاستخلف محمد
ابن أبى حذيفة على مصر الحكم بن الصَّلت وخرج فى الرهن هو وآبن عُدَيْس وعدّة
٥ من قتلة عثمان، فلما وصلوا الى معاوية قبض عليهم وحبسهم وسار الى دمشق
فهربوا من السجن ، فتتبعهم أمير فلسطين حتى ظفر بهم وقتلهم فى ذى الحجة
سنة ست وثلاثين ، فلما بلغ الخبر أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه
بمصاب محمد بن حذيفة ولّى على مصر قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى رضى
الله عنه .

١٠ ذكر ولاية قيس بن سعد بن عبادة على مصر

ذكر ولاية قيس ابن سعد على مصر

هو قيس بن سعد بن عُبادة بن دُليم الأنصارى الخزرجىّ المدنىّ ؛ قال
الذهبىّ : كان من النبىّ صلى الله عليه وسلم بمنزلة ، وله عدّة أحاديث ، روى عنه
عبد الرحمن بن أبى ليلى وعروة بن الزبير والشعبىّ وميمون بن أبى شبيب وغريب
ابن حميد الهمدانىّ وجماعة ، وكان ضخما جسيما طويلا جدّا سيدا مطاعا كثير المال
١٥ جوادا كريما يعدّ من دهاة العرب . قال عمرو بن دينار : كان ضخما جسيما صغير الرأس
ليست له لحية، واذا ركب الحمار خَطَّت رجلاه الأرض؛ روى عنه أنه قال :
لولا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "المكر والخديعة فى النار"
لكنت من أمكر هذه الأمة . وقال الزهرىّ : أخبرنا ثعلبة بن أبى مالك أنّ قيس
ابن سعد كان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال جويرية بن أسماء:
٢٠ كان قيس يستدين ويطعمهم، فقال أبو بكر وعمر : إن تركنا هذا الفتى أهلك مال

أبيه، فمشيا فى الناس فصلى النبىّ صلى الله عليه وسلم يوما فقام سعد بن عبادة خلفه، فقال : من يعذرنى من ابن أبى قحافة وآبن الخطاب يبخلان علىّ ابنى اه .

وقال موسى بن عقبة : وقفت على قيس عجوز فقالت : أشكو اليك قلة الجرذان، فقال : ما أحسن هذه الكناية ! املئوا بيتها خبزا ولحما وسمنا وتمرا . وقال أبو تُمَيلة[1] يحيى بن واضح : أخبرنا أبو عثمان من ولد الحارث بن الصِّمَّة قال : بعث قيصر الى معاوية : ابعث الىّ سراويل أطول رجل من العرب، فقال لقيس بن سعد : ما أظنّ إلا قد احتجنا الى سراويلك، فقام وتنحى وجاء بها فألقاها ، فقال : ألا ذهبت الى منزلك ثم بعثت بها ! فقال :

أردتُ بها أن يعلم النـاس أنها * سراويل قيس والوفود شهود
وألا يقولوا غاب قيس وهـذه * سراويل عادىّ نمتـه ثمـود
وانى من الحىّ اليمانى لسـيّد * وما الناس إلا سـيّد ومسود
فكدهم بمثلى إن مثلى عليهـم * شـديد وخَلْقِى فى الرجال مديد

فأمر معاوية أطول رجل فى الجيش فوضعها على أنفه، قال: فوقفت بالأرض اه .

ولمـا ولاه أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب على مصر لمـا ولى الخلافة بعد قتل عثمان بعثه الى مصر فوصل اليها فى مستهل شهر ربيع الأول سـنة سبع وثلاثين فدخلها قيس ومهـد أمورها وآستمال الخارجيـة بخربتا من شيعة عثمان وردّ عليهم أرزاقهم، وقدموا عليه بمصر فأكرمهم وأنعم عليهم، وكان عنده رأى ومعرفة ودهاء، فعظم على معاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص ولايتـه لمصر فإنه كان من حزب على بن أبى طالب رضى الله عنه، وآجتهدا كثيرا ليخرجاه منها فلم يقـدرا على ذلك

---

(١) أبو تميلة بمثناة مصغرا .

حتى عَمِل معاوية على قيس من قِبَل علىّ بن أبى طالب وأشاع أن قيسا من شيعته ومن حزبه، وأنه يبعث اليه بالكتب والنصيحة سرّا، ولا زال يُظهر ذلك حتى بلغ عليا، وساعده فى ذلك محمدُ بن أبى بكر الصدّيق لحبه مصر أو لإمرتها وعبدُ الله بن جعفر، فما زالا بعلىّ حتى كتب لقيس بن سعد يأمره بالقدوم عليه، وعزَله عن ٥ مصر، فكانت ولايتُه على مصر من يوم دخلها الى أن صُرِف عنها أربعةَ أشهر وخمسة أيام وكان عزلُه فى خامس رجب من سنة سبع وثلاثين، ووُلّى عليها الأشتر النخعىّ .

وروينا عن أبى المظفر شمس الدين يوسف بن قزأوغلى كما أخبرنا أبو الحسن علىّ بن صدقة الشافعىّ أخبرنا القاضى الإمام تاج الدين أحمد الفرغانىّ الحنفىّ أخبرنا ١٠ حيدرة بن المحيا العباسىّ حدّثنا صالح بن الصباغ أخبرنا أبو المؤيد محمود قال حدّثنا الحافظ شمس الدين يوسف بن قزأوغلى إجازةً بكتابه «مرآة الزمان» قال: خرج قيس ابن سعد بن عبادة من عند علىّ حتى دخل مصر فى سبعة نفر وصعد المنبر وقعد عليه وقرأ كتاب علىّ على الناس، وفيه : "من عبد الله علىّ بن أبى طالب أمير المؤمنين الى من بلغه كتابى هذا من المسلمين والمؤمنين سلام عليكم، أما بعد، فإنى أحمد اليكم ١٥ الله الذى لا إله إلا هو، وأصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم، وذكر الأنبياء وأنّ الله توفى رسوله وآستخلف بعده خليفتين صالحين عَمِلا بالكتاب والسنة وأحسنا السيرةَ ثم توفاهما الله تعالى على ما كانا عليه، ثم ولى بعدهما وال أحدث أحداثا فوجَدَت عليه الأمة مقالا [فقالوا ثم][1] نَقِموا عليه وغيّروه، ثم جاءونى و بايعونى، ولله علىّ العملُ بكتابه وسنة رسوله والنصح للرعية ما بقيتُ والله المستعان، وبعثتُ اليكم بقيس بن ٢٠ سعد بن عبادة أميرا، فوازروه وعاشروه وأعينوه على الحق، وقد أمرته بالإحسان

كتاب علىّ رضى الله عنه

(١) الزيادة عن الطبرى (ص ٣٢٣٦ من القسم الأوّل) .

الى محسنكم والشـدّة على مريبكم والرفق بعوامّكم وخواصّكم ، وهو ممّن أرضى هديه وأرجو صلاحَه ونصيحته ، وأسال الله لنا ولكم عملا صالحا وثوابا جزيلا ورحمة واسعة والسلام عليكم . وكتبه عبد الله[1] بن أبى طالب فى رابع صفر سنة ست وثلاثين "

ثم قال قيس : أيها النـاس قد جاء الحق وزهق الباطل، و بايعنا خيرَ من نعـلم بعد نبينا صلى الله عليه وسلم فقوموا فبايعوا على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإن نحن لم نعمل بذلك فلا بيعةَ لنا عليكم ، فقام النـاس و بايعوا وآستقامت مصرُ ، وبعث عليها عمّالَه إلا قرية من قرى مصر يقال لها : "خَرِبْتَا" فيها أناس قد أعظموا قتلَ عثمان ، وبها رجل من كنانة من بنى مُدْلج يقال له : يزيد بن الحارث بن مدلج ، فأرسلوه الى قيس بن سعد : إنا لا نقاتلك فآبعث عُمّالك فالأرض أرضك ، ولكن أقرّنا على حالنا حتى ننظر ما يصير اليه أمر الناس . ووثب مسلمة بن مخلّد الأنصارىّ فنعى عثمانَ ودعا الى الطلب بدمه ، فأرسل اليه قيس بن سعد : ويحك ! علىّ تثب ! فوالله ما أُحِبّ أن لى ملكَ مصر الى الشأم وأنى قتلتُـك فبعث اليه مسلمةُ يقول : إنى كافّ عنـك ما دمتَ والىَ مصر ، وكان قيس بن سـعد له رأى وحزم ، فبعث الى الذين بخربتا : إنى لا أُكْرِهكم على البيعة وأكفّ عنكم ، فهادنهم وهادن مسلمة ابن مخلّد وأقام قيس يَجْبِى الخراج ولا ينازعه أحد من الناس ، وخرج أمير المؤمنين الى وقعة الجمـل ورجع الى الكوفة وقيس مكانه ، فكان قيس أثقـلَ خلق الله على معاوية بن أبى سفيان لقربه من الشأم مخافة أن يقفُلَ عليـه علىّ بن أبى طالب من العراق ويُقبِلَ اليه قيسٌ بأهل مصر فيقع معاوية بينهما فأخذ يخدعه .

كتاب معاوية الى قيس بن سعد

فكتب معاوية الى قيس :

---

(١) فى الطبرى (ص ٣٢٣٧ من القسم الاوّل) عبيد بن أبى رافع .

«من معاوية بن أبى سفيان الى قيس بن سعد بن عبادة: سلام عليك، أما بعد، فإنكم إن كنتم نقمتم على عثمان فى أمور رأيتموها أو ضربة سوط ضربها أو شتمة شتمها أو فى سَيرِ سيّره أو فى ٱستعماله الفىء فقد علمتم أنّ دمه لم يكن حلالا لكم، فقد ركبتم عظيما من الأمر وجئتم شيئا إدّا، فتب الى الله يا قيس بن سعد، فإنك ممن أعان على قتل عثمان، إن كانت التوبة من قتل المؤمن تُغنى شيئا؛ وأما صاحبك فقد تيقنا أنه الذى أغرى به وحملهم على قتله حتى قتلوه، وأنه لم يسلم من دمه عُظْمُ قومك، فإن استطعت أن تكون ممن يطلب بدم عثمان فافعل، فإن بايعتنا على هذا الأمر فلك سلطان العراقين، ولمن شئت من أهلك سلطان الحجاز ما دام لى سلطان، وسلنى غير هذا مما تحب، فإنك لا تسألنى شيئا إلا أوتيته، وٱكتب إلىّ برأيك فيما كتبتُ به إليك والسلام».

كتاب قيس بن سعد الى معاوية

فلما جاءه كتاب معاوية أحبّ قيس أن يدافعه ولا يبدى له أمره ولا يتعجل حربه؛ فكتب اليه:

«أما بعد، فقد بلغنى كتابك وفهمتُ ما ذكرتَ فيه، فأما ما ذكرت من أمر عثمان فذلك أمر لم أقاربه (١) ولم أتنطف (٢) به؛ وأما قولك: إن صاحبى أغرى الناس بعثمان فهذا أمر لم أطلع عليه، وذكرتَ أن معظم عشيرتى لم يسلموا من دم عثمان، فأوّل الناس فيه قياما عشيرتى ولهم أُسوة غيرهم؛ وأما ما ذكرتَ من مبايعتى إياك وما عرضت علىّ فلى فيه نظر وفكرة وليس هذا مما يسارَعُ اليه، وأنا كافّ عنك ولن يبدوَ لك من قبلى شىء مما تكره والسلام».

(١) رواية الطبرى (ص ٣٢٣٩ من القسم الاوّل) لم أقارفه ولم أطف به.

(٢) يقال تنطف بالأمر اذا تلطخ به واتهم.

كتاب آخر من معاوية الى قيس بن سعد

فلما قرأ كتابه معاوية لم يره إلا مباعدا مفارقا فلم يأمن مكره ومكيدته، فكتب اليه ثانيا :

«أما بعد، فقد قرأتُ كتابك فلم أرك تدنو فأعدّك سلما، ولم أرك مباعدا فأعدّك حربا، وليس مثلى مَنْ يخدع وبيده أعنة الخيل ومعه أعداد الرجال والسلام» .

كتاب آخر من قيس الى معاوية

فلما قرأ قيسٌ كتابه ورأى أنه لا يقبل منه المدافعةَ والمماطلةَ أظهر له ما فى نفسه، وكتب اليه : ٥

«أما بعد، فالعجب من اغترارك بى يا معاوية وطمعك فى تسومنى الخروجَ عن طاعة أولى الناس بالإمرة، وأقربهم بالخلافة، وأقولهم بالحق، وأهداهم سبيلا، وأقربهم الى رسوله وسيلة، وأوفرهم فضيلة . وتأمرنى بالدخول فى طاعتك طاعةِ أبعد الناس من هذا الأمر، وأقولهم بالزور وأضلهم سبيلا، وأبعدهم من الله ورسوله ١٠ [وسيلة](١) ولد ضالين مضلين طاغوت(٢) من طواغيت إبليس، وأما قولك : معك أعنة الخيل وأعداد الرجال لتشتغلنّ بنفسك حتى العدم .

وقال هشام : ولما رأى معاوية أن قيس بن سعد لا يلين له كاده من قبل علىّ؛ وكذا روى عبد الله بن أحمد بن حنبل باسناده ا هـ .

وقال هشام بن محمد : عن أبى مِخْنف وجه آخر فى حديث قيس بن سعد ١٥ ومعاوية، قال : لما أيس معاويةُ من قيس بن سعد شقّ عليه لما يعرف من حزمه وبأسه، فأظهر للناس أن قيسا قد بايعه، وآختلق معاوية كتابا فقرأه على أهل الشأم وفيه :

---

(١) الزيادة عن الطبرى . (٢) كذا بالطبرى . وفى الأصل : « ضالين مضلين طاعون ابن طاعون . وأما ... الخ » . ٢٠

ثما فى كتاب معاوية المختلق

أمّا بعد، لمّا نظرت أنه لا يسعنى مظاهرة قوم قتلوا إمامهم مُحرِما مسلما برّا تقيا مستغفرا و إنى معكم على قتله بما أحببتم من الأموال والرجال متى شئتم عجلتُ اليكم .

قال : فشاع فى أهل الشام أن قيسا قد بايع معاويةَ و بلغ عليا ذلك فأكبره وأعظمه ، فقال له عبد الله بن جعفر : دع ما يَريبك الى ما لا يَريبك ، اِعزل قيسا
٥ عن مصر، فقال علىّ : والله ما أصدّق هذا على قيس ، ثم عزله وولّى الأشتر، وقيل محمد بن أبى بكر الصدّيق فى قول ابن سيرين ، فلما عزله عرف قيسٌ أن عليّا قد خُدِع وتوجه اليه وصار معه ؛ قال عروة : وكان قيس بن سعد مع علىّ فى مقدّمته ومعه خمسة آلاف قد حلقوا رءوسهم بعد موت علىّ ، فلما دخل الجيش فى بيعة معاوية أبى قيس أن يدخل ، وقال لأصحابه : ما شئتم ، إن شئتم جالدت بكم أبدا
١٠ حتى يموت الأعجلُ ، وإن شئتم أخذت لكم أمانا ، قالوا : خذ لنا ففعل ؛ فلما ارتحل نحو المدينة جعل ينحر كلّ يوم جزورا . قال الواقدىّ وغيره : إنه توفى فى آخر خلافة معاوية رضى الله عنهم أجمعين .

السنة التى حكم فى بعضها قيس بن سعد

السنة التى حكم فى بعضها قيسُ بن سعد بن عبادة على مصر

وهى سنة ست وثلاثين — فيها كانت وقعة الجمل بين علىّ رضى الله عنه و بين
١٥ عائشة أمّ المؤمنين رضى الله عنها ومعها طلحةُ بن عبيد الله والزبير بن العوام وغيرهما، وكانت فيها مقتلةٌ عظيمة قُتِل فيها عدّة من الصحابة وغيرهم ؛ قال البلاذُرىّ : التقَوْا بمكان يقال له « الخُرَيْبَة » فى جمادى الأولى سنة ست وثلاثين اھ .

(٥٣)

قلت : وممن قُتِل فى هذه الوقعة طلحةُ بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرّة التيمىّ ، أحد السابقين الأوّلين ، وأحد العشرة المشهود لهم
٢٠ بالجنة ، وأحد الستة أهل الشورى بعد موت عمر بن الخطاب قتله مروان بن الحكم

فى منصرفه من وقعة الجمل بساعة ، وكان مروان مع عائشة أيضا غير أنه لما رأى انصرافه رمى عليه بسهم قتله ، وقال لأبان بن عثمان بن عفان : قد كفيتك بعض قتلى أبيك ـ يعنى أنه كان مواريا على عثمان فى أول الأمر ـ وفيها قتل الزبير بن العوّام ابن خالد بن أسد بن عبد العزّى بن قصىّ بن كلاب أبو عبد الله القرشىّ الأسدىّ المكىّ حوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وآبن عمته صفية ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أهل الشورى ، شهد بدرا وأُحُدا والمشاهد كلها ، أسلم وهو ابن ست عشرة سنة وهو من السابقين ، قتله عمير[1] بن جرموز بعد انصرافه من وقعة الجمل بساعة ؛ وفيها تُوُفِّىَ حذيفة بن اليمان واسم اليمان حِسيل (ويقال حسيل بالتصغير) بن جابر بن أسيد ، وقيل ابن عمرو ، أبو عبد الله العبسى حليف الأنصار ، صاحب سرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وفيها توفى سلمان الفارسىّ رضى الله عنه فى قول وقد تقدّم ذكره .

§ أمر النيل فى هذه السنة ، الماء القديم سبعة أذرع وثمانية عشر إصبعا ، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا و إصبعان .

ذكر ولاية الأَشْتَر النَّخَعِىّ على مصر

ولاية الأشتر النخعى على مصر

وفى ولاية الأشتر هذا على مصر قبل محمد بن أبى بكر الصدّيق اختلافٌ كثير ، حكى جماعة كثيرة من المؤرّخين وذكروا ما يدل على أنّ ولاية محمد بن أبى بكر كانت هى السابقة بعد عزل قيس بن سعد بن عُبادة ، وجماعة قدّموا ولاية الأشتر هذا ، ولكل منهما استدلال قوىّ ، والذين قدّموا الأشتر هم الأكثر ، وقد رأيت فى عدّة كتب ولاية الأشتر هى المقدّمة فقدّمته لذلك .

(١) فى ف « ابن عمير »

والأشتر اسمه مالك بن الحارث، قال أبو المُظَفَّر فى مرآة الزمان : قال علماء السيرة كابن إسحاق وهشام والواقدىّ قالوا : لما اختلّ أمر مصر على محمد بن أبى بكر الصدّيق وبلغ أميرَ المؤمنين علىّ بن أبى طالب قال : ما لمصر إلا أحد الرجلين ، صاحبنا الذى عزلناه عنها — يعنى قيس بن سعد بن عُبادة — أو مالكُ ٥ ابن الحارث — يعنى الأشتر هذا .

قلت : وهذا مما يدل على أنّ ولاية محمدبن أبى بكر الصدّيق كانت هى السابقة، اللهم إلا إن كان لما اختل أمر مصر على محمد عزله علىّ رضى الله عنه بالأشتر، ثم استقرّ محمد ثانيا بعد موت الأشتر على عمله حتى وقع من أمره ما سنذكره، وهذا هو أقرب للجمع بين الأقوال لأن الأشتر تُوُفِّيَ قبل دخوله الى مصر والله أعلم ؛ وكان ١٠ علىّ رضى الله عنه حين انصرف من صِفِّين ردّ الأشتر الى عمله على الجزيرة وكان عاملا عليها ، فكتب إليه وهو يومئذ بنَصِيبِين : سلام عليك يا مالك، فإنك ممن استظهرتك على إقامة الدين ؛ وكنت قد ولّيت محمد بن أبى بكر مصر فخرجتْ عليه خوارج، وهو غلام حَدَثُ السنّ غِرّ ليس بذى تَجرِبة للحرب ولا مجرِّب للأشياء، فاقدم علىّ لننظر فى ذلك كما ينبغى واستخلف على عملك أهل الثقة والنَّصَفَة من ١٥ أصحابك والسلام. فأقبل مالك — أعنى الأشتر — على علىّ رضى الله عنه فأخبره بحديث محمد وما جرى عليه، وقال : ليس لها غيرك ، فاخرج رحمك الله فإنى إن لم أُوصك اكتفيت برأيك فاستعنْ بالله على ما أهمّك ، واخلِط الشدّة باللين وارفق ما كان الرفق أبلغ . فخرج الأشتر من عند علىّ وأتى رحله وتهيّأ للخروج الى مصر، وكتب عيون معاوية إليه بولاية الأشتر على مصر فشقّ عليه وعظم ذلك لديه ، وكان قد ٢٠ طمع فى مصر وعلم أن الأشتر متى قدمها كان أشدّ عليه ، فكتب معاوية الى الخانْسيار[1]

(١) كذا بالأصل . وفى الطبرى (ص ٣٣٩٣ من القسم الاول) الجايستار .

(رجل من أهل الخراج ، وقيل كان دِهْقان القُلْزُم) يقول : إن الأشتر واصلٌ الى مصر قد وليها، فإن أنت كفيتنى إيّاه لم آخذ منك خراجا ما بقيتَ ، فأقبل لهلاكه بكل ما تقدر عليه ؛ فخرج الخانسيار حتى قدِم القلزم فأقام به ، وخرج الأشتر من العراق يريد مصر حتى قدِم الى القُلْزُم فاستقبله الخانسيار فقال له : انزل فإنى رجل من أهل الخراج وقد أحضرت ما عندى ، فنزل الأشتر فأتاه بطعام وعلف وسقاه شربة من عسل جعل فيها سمّا ، فلما شربه مات ، وبعث الخانسيار [مَن](١) أخبر بموته معاوية ، فلما بلغ معاوية وعمرو بن العاص موت الأشتر قال عمرو بن العاص : إن لله جنودا من عسل .

وقال ابن الكلبىّ عن أبيه : لما سار الأشتر الى مصر أخذ فى طريق الحجاز فقدِم المدينة ، فجاءه مولى لعثمان بن عفان يقال له نافع ، وأظهر له الودّ وقال له : أنا مولى عمر بن الخطاب ، فأدناه الأشتر وقرّبه ووثق به وولّاه أمره ، فلم يزل معه الى عين شمس (أعنى المدينة الخراب خارج مصر بالقرب من المطرية) وفيها ذلك العمود المذكور فى أوّل أحوال مصر من هذا الكتاب ، فلما وصل الى عين شمس تلقاه أهل مصر بالهدايا وسقاه نافع المذكور العسل فمات منه .

وقال ابن سعد : إنه سمّ بالعريش ؛ وقال الصورىّ : صوابه بالقُلْزُم ؛ وقال أبو اليقظان : كان الأشتر قد ثقُل على أمير المؤمنين علىّ أمرُه ، وكان مُتَجرِّيا عليه مع شدّة محبته له .

وحكى عن عبد الله بن جعفر قال : كان علىّ قد غضب على الأشتر وقلاه واستثقله ، فكلّمنى أن أكلّمه فيه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ولّه مصر فإن ظفروا به استرحت منه فولّاه ، وكانت عائشة رضى الله عنها قد دعت عليه فقالت : اللهم

(١) زيادة يقتضيها السياق .

ارمه بسهم من سهامك؛ وآختلفوا فى وفاة الأشتر، فقال ابن يونس : مات مسموما سنة سبع وثلاثين، وقال هشام : سنة ثمان وثلاثين فى رجب؛ وكان الأشتر شجاعا مِقداما، وقصته مع عبد الله بن الزبير مشهورة، وقول ابن الزبير بسببه :

آقتُــلانى ومالكًا * وآقتُلا مالكًا معى

حتى صار هذا البيت مثلا .

وشرح ذلك : أن مالك بن الحارث (أعنى الأشتر النَّخَعِىّ) كان من الشجعان الأبطال المشهورين ، وكان من أصحاب علىّ وكان معه فى يوم وقعة الجمل، فتماسك فى الوقعة هو وعبد الله بن الزبير بن العوام ، وكان عبد الله أيضا من الشجعان المشهورين،وكان عبد الله بن الزبير من حزب أبيه، وخالته عائشة أم المؤمنين رضى الله عنهم ، وكانوا يحاربون عليّا رضى الله عنه فلما تماسكا صار كل واحد منهما اذا قوِى على الآخر جعله تحته وركب صدره، وفعلا ذلك مرارا وآبن الزبير يقول :

آقتُــلانى ومالكًا * وآقتُلا مالكًا مــعى

يريد قتل الأشتر بهذا القول والمساعدة عليه حتى افترقا من غير أن يقتل أحدهما الآخر؛ وقال عبد الله بن الزبير المذكور: لقِيت الأشتر النَّخَعِىّ يوم الجمل فما ضربته ضربة إلّا ضربنى ستا أو سبعا ، ثم أخذ رجلى وألقانى فى الخندق وقال : والله لولا قرابتك من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما آجتمع منك عُضْو الى عضو أبدا .

وقال ابن قيس : دخلت مع عبد الله بن الزبير الحمام واذا فى رأسه ضربة لو صُبّ فيها قارورة لاستقرّ ، فقال : أتدرى من ضربنى هذه الضربة؟ قلت : لا، قال : ابن عمّك الأشتر النخعىّ .

وقال أبو بكر بن أبى شَيْبَة : أعطتْ عائشة رضى الله عنها لمن بشّرها بسلامة ابن أختها عبد الله بن الزبير لما لاقى الأشتر عشرةَ آلاف درهم . وقيل : إن الأشتر دخل بعد ذلك على عائشة رضى الله عنها ، فقالت له : يا أشتر، أنت الذى أردتَ قتل ابن أختى يوم الوقعة، فأنشد :

أعائشُ لولا أننى كنتُ طاوياً * ثلاثاً لألفيتِ ابنَ أختك هالكَا ٥
غداةَ يُنادى والرماح تنوشه * بأخرِ صوتٍ أقتلانى ومالكَا
فنجّاه منّى أكلُهُ وسِنانُه * وخلْوةُ جوفٍ لم يكن مُتمالكَا

ذكر ولاية محمد بن أبى بكر الصدّيق

رضى الله عنه على مصر

ولاية محمد بن أبى بكر على مصر

هو محمد بن أبى بكر الصدّيق ، واسم أبى بكر عبدُ الله بن أبى قُحافة، واسم ١٠ أبى قُحافة عثمانُ، أسلم أبو قُحافة يوم الفتح فأتى به ابنه أبو بكر الصدّيق الى النبىّ صلى الله عليه وسلم يقوده لكبر سنّه ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : "لِمَ لا تركتَ الشيخ حتّى نأتيَه" إجلالا لأبى بكر رضى الله عنه . اهـ .

وأبو قُحافة المذكور ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لُؤَىّ القرشىّ التيمىّ ، وكنية محمد هذا (أعنى صاحب الترجمة) أبو القاسم ، ١٥ وأمه أسماء بنت عُمَيْس الخَثْعَمِيّة ، ومولده سنة حجة الوداع بذى الحُلَيْفَة فى عَقِب ذى القعدة ، فأراد أبو بكر أنْ يردّ أسماء الى المدينة ، فسأل النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : "مُرْها أن تغتسل وتُهِلّ" وكان محمد هذا فى حِجْر علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه لمّا تزوج أمّه أسماء بعد وفاة أبى بكر الصدّيق فتولّى تربيته ، ولما سار علىّ الى وقعة الجمل كان محمد هذا معه على الرجّالة ، ثم شهد معه وقعة صِفّين ، ٢٠

ثم ولّاه مصر فتوجّه إليهـا ودخلها فى النصف من شهر رمضان سنة سبع وثلاثين، فتلقّـاه قيس بن سـعد المعزول عن ولاية مصر، وقال له : يا أبا القاسم، إنّك قد جئت من عنـد أمير لا رأى له، وليس عَزْله إيّاى بمانعى أن أنصح لك وله، وأنا من أمركم هـذا على بصيرة، وإنّى أدلّك على الذى كنت أكيد به معاوية وعمـرا وأهل خِربِتَا فكايدهم به، فإنّك إن كايدتهم بغـيره تَهْلك، ووصف له المكايدة التى يكايدهم بها فاستغشه محمـد بن أبى بكر وخالفه فى كلّ شىء أمره به، ثم كتب إليه علىّ يشجّعه ويقوّى عزمه، ففتك محمـد فى المصريين وهدم دور شيعة عثمان بن عفّان ونهب دورهم وأموالهم وهتك ذراريّهم، فنصبوا له الحرب وحاربوه، ثم صالحهم على أن يُسَيّرهم الى معاوية، فلحقوا بمعاوية فى الشام، وكان أهل الشام لما آنصرفوا من وقعة صِفّين ينتظرون ما يأتى به الحَكَمان، فلما آختلف الناس بالعراق على علىّ رضى الله عنه طمِع معاوية فى مصر، وكان أهل خِربِتَا عثمانية ومن كان من الشيعة كان أكثر منهم، فكان معاوية يهاب مصر لأجل الشيعة وقصد معاوية أن يستعين بأخذ مصر على حرب علىّ رضى الله عنـه قال : فاستشار معاوية أصحـابه عمرو بن العاص وحبيب بن مَسْلَمَة وبُسْر بن أبى أَرْطاة والضحاك بن قيس وعبـد الرحمن ابن خالد وأبا الأعور عمرو بن سـفيان السُّلَمىّ وغيرهم (وهؤلاء المذكورين كانوا خواصّه) لجمـع المذكورين وقال : هل تدرون ما أدعوكم إليـه؟ قالوا : لا يعلم الغيب إلا الله، فقال له عمرو بن العاص : نعم، أهمّك أمر مصر وخراجها الكثير وعدد أهلها فتدعونا لنشير عليك فيها فاعزم وآنهض، فى افتتاحها عزّك وعزّ أصحابك وكَبْتُ عدوّك، فقـال له : يا بن العاص، إنّمـا أهمّك الذى كان بيننا (يعنى أنّه كان أعطاه مصر لـمّـا صالحه على قتال علىّ) وقال معاوية للقوم : ما ترَوْن؟ قالوا: ما نرى إلّا رأى عمرو، قال : فكيف أصنع ؟ فقـال عمرو : ابعث جيشا كثيفا

عليهـم رجل حازم صارم تثق إليه فيأتى الى مصر، فإنه سيأتيه من كان من أهلها
على رأينا فنظاهره على من كان بها من أعدائنا، قال معاوية : أو غير ذلك؟ قال :
وما هو؟ قال : نكاتب من بها من شيعتنا نأمرهم على أمرهم ونمنّيهـم قدومنا عليهم
فتقوَى قلوبهـم ونعلم صديقنا من عدوّنا، وإنّك يابن العاص بورك لك فى العجلة،
قال عمرو : فاعمَل برأيك فوالله ما أرى أمرك إلا صائرا للحرب، قال: فكتب إليهم ٥
معاوية كتابا يُثنى عليهم ويقول : هنيئا لكم بطلب دم الخليفة المظلوم وجهادكم أهل
البغى، وقال فى آخره : فاثبتوا فإنّ الجيش واصل إليكم والسلام . وبعث بالكتاب
مع مولى يقال له سُبَيْع فقدِم مصر، وأميرها محمد بن أبى بكر الصدّيق، فدفع الكتاب
الى مَسْلَمة بن مُخَلَّد الأنصارىّ والى معاوية بن حُدَيْج، فكتبا جوابه :

ما كتبه مسلمة بن مخلد ومعاية بن حديج الى معاوية

أما بعد، فعجل علينا بخيلك ورَجْلك، فإنّ عدوّنا قد أصبحوا لنا هائبين، فإنْ ١٠
أتانا المدد من قِبَلك يفتح الله علينا، وذكرا كلاما طويلا ؛ وكان مَسْلَمَة ومعاوية
ابن حُدَيْج يقيمان بخِرِبْتا فى عشرة آلاف، وقد باينوا محمد بن أبى بكر ولم يحسن محمد
تدبيرهم كما كان يفعله معهم قيس بن سعد بن عُبادة أيام ولايته على مصر، فلذلك
انتقضت على محمـد الأمورُ وزالت دولته ؛ ولما وقف معاوية على جوابهما وكان
يومئذ بفِلَسْطين جهّز عمرو بن العاص فى ستة آلاف وخرج معـه معاوية يودّعه ١٥
وأوصاه بمـا يفعل، وقال له : عليك بتقـوى الله والرفق فإنه يُمْنٌ والعجلة من
الشيطان، وأن تقبـل ممن أقبل وتعفوَ عمن أدبر، فإن قبِل فهـذه نعمة، وإن أبى
فإن السطوة بعد المعذرة أقطع من الحجة ، وآدعُ الناس الى الصلح والجمـاعة؛ فسار

كتاب عمرو بن العاص الى محمد بن أبى بكر

عمرو حتى وصـل الى مصر وآجتمعت العثمانيـة عليه ، فكتب عمرو الى محمـد بن
أبى بكر صاحب مصر : ٢٠

أما بعد ، فنحّ عنّى بدمك فإنى لا أحب أن يصيبك منى قُلامةَ ظفر ، والناس بهذه البلاد قد آجتمعوا على خلافك [وهم مسلموك] (١) فاخرج منها إنى لك من الناصحين ؛ ومعه كتاب معاوية يقول : يا محمد ، إنّ [غِبّ] (٢) البغى والظلم عظيم الوبال ، وسَفْكَ (٥٦) الدماء الحرام من النِّقمة فى الدنيا والآخرة ، وإنا لا نعلم أحدا كان على عثمان أشد منك ، فسعيتَ عليه مع الساعين وسفكت دمه مع السافكين ، ثم أنت تظن أنى نائم ٥ عنك وناسٍ سيئاتك ؛ وكلام طويل من هذا النمط حتى قال : ولن يسلمك الله من القصاص أينما كنت والسلام . فطوى محمد الكتابين وبعث بهما الى علىّ بن أبى طالب وفى ضمنهما يستنجده ويطلب منه المدد والرجال ، فردّ عليه الجواب من عند علىّ بن أبى طالب بالوصية والشدّة ، ولم يمدّه بأحد .

كتاب محمد بن أبى بكر الى معاوية وعمرو

١٠ ثم كتب محمد الى معاوية وعمرو كتابا خشّن لهما فيه فى القول ، ثم قام محمد فى الناس خطيبا فقال :

أما بعد ، فإن القوم الذين يَنتهكون الحرمة ويَشُبّون نار الفتنة قد نصبوا لكم العداوة وساروا اليكم بجيوشهم ، فمن أراد الجنة فليخرج اليهم فليجاهدهم فى الله ، انتدبوا مع كِنانة بن بِشر ؛ فانتدب مع كِنانة نحوا من ألفى رجل ، ثم خرج محمد بن ١٥ أبى بكر فى ألفى رجل ، وآستقبل عمروٌ (٣) بن العاص كِنانة وهو على مقدّمة محمد ، وكِنانة يسرّح لعمرو الكتائب ، فلما رأى عمرو ذلك بعث الى معاوية بن حُدَيْج السَّكُونىّ . وفى رواية لما رأى عمرو كِنانةَ سرّح اليه الكتائب من أهل الشام كتيبة بعد كتيبة وكنانة يهزمها فاستنجد عمرو بمعاوية بن حُدَيْج السَّكُونى فسار فى أصحابه وأهل الشام فأحاطوا بكنانة .

٢٠ (١) الزيادة عن الكامل لابن الأثير (ج ٣ ص ٢٩٨ طبعة ليدن) . (٢) الزيادة عن الطبرى .
(٣) كذا فى م . وفى ف والطبرى (قسم أوّل ص ٣٤٠٤) : «وعمرو يسرح لكنانة الكتائب ... الخ» .

فلما رأى كنانة ذلك ترجّل عن فرسه وترجل أصحابه، وقرأ ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ﴾ إلى قوله ﴿ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ فقاتل حتّى قتل بعد أن قتل من أهل الشام مَقْتلة عظيمة، فلما رأى أصحاب محمد ذلك تفرّقوا عنه فنزل محمد عن فرسه ومشى حتى انتهى الى خَرِبة فأوى إليها، وجاء عمرو بن العاص ودخل الفُسْطاط، وخرج معاوية بن حُدَيْج فى طلب محمد بن أبى بكر، فسأل قوما من العُلُوج وكانوا على الطريق فقال: هل رأيتم رجلا من صفته كذا وكذا؟ فقال واحد منهم: قد دخل تلك الخَرِبة، فدخلوها فاذا برجل جالس، فقال معاوية بن حُدَيْج: هو وربّ الكعبة، فدخلوها وآستخرجوه وقد كاد يموت عطشا، فاقبلوا به على الفُسْطاط ووثب أخوه عبد الرحمن بن أبى بكر الصدّيق إلى عمرو بن العاص وكان فى جنده، فقال: أيُقتل أخى صبرا؟ فأرسل عمرو إلى معاوية بن حُدَيْج يأمره أن يأتيه بمحمد بن أبى بكر كرامة لأخيه عبد الرحمن ابن أبى بكر، فقال معاوية: أيُقتل كنانة بن بِشر وأخلّى أنا محمدا هيهات هيهات! فقال محمد: اسقونى ماء، فقال معاوية بن حُدَيْج: لا سقانى الله إن سقيتُك قطرة، إنكم منعتم عثمان الماء، ثم قتلتموه صائما فتلقّاه الله بالرحيق المختوم، والله لأقتلنّك يابن أبى بكر فليسقِك الله من الجحيم؛ فقال محمد لمعاوية: يآبن اليهودية النساجة ليس ذلك إليك، أما والله لو كان سيفى بيدى ما بلغتم بى هذا؛ فقال له معاوية: أتدرى ما أصنع بك؟ أدخلك فى جوف حمار، ثم أحرقه عليك بالنار؛ قال محمد: إن فعلتم ذلك لطالما فعلتموه بأولياء الله تعالى؛ ثم طال الكلام بينهما حتى أخذ معاوية محمدا ثم ألقاه فى جِيفَة حمار ميت ثم حرقه بالنار؛ وقيل: إنه قطع رأسه وأرسله[1] إلى معاوية بن أبى سفيان بدِمَشْق وطيف به[1]، وهو أوّل رأس طيف به

خروج معاوية بن حديج فى طلب محمد بن أبى بكر

(٥٧)

قتل محمد بن أبى بكر

(١) فى الأصلين «بها» والرأس مذكر والسياق يؤكده.

فى الإسلام . ولما بلغ عائشة رضى الله عنها قتل أخيها محمد بن أبى بكر هذا وَجِدَت عليه وجدا عظيما وأخذت أولاده وعياله وتولت تربيتهم .

وقال أبو مِخْنَف بإسناده : ولما بلغ علىّ بن أبى طالب مَقْتل محمد بن أبى بكر وما كان من الأمر بمصر وتملّك عمرو لها وآجتماع النـاس عليه وعلى معاوية قام فى الناس خطيبا فحثّهم على الجهاد والصبر والسير إلى أعدائهم من الشاميين والمصريين، ٥ وواعدهم الجَرَعَة بين الكوفة والحيرة .

خطبة علىّ عند ما بلغه قتل محمد بن أبى بكر

فلما كان من الغـد خرج يمشى إليها حتى نزلها فلم يخرج إليه أحد من الجيش، فلما كان العشىّ بعث إلى أشراف الناس فدخلوا عليه وهو حزين كئيب فقام فيهم خطيبا فقال :

١٠ الحمـد لله على ما قضى من أمر وقدّر من فعل ، وآبتـلانى بكم وبمن لا يُطيع اذا أمرت ولا يجيب اذا دعوْت، أوليس عجيبـا أنّ معاوية يدعو الجُفَـاة الطَّغام فيتّبعونه بغـير عطاء ويجيبونه فى السـنة المرّتين والثلاث الى أىّ وجه شاء ! وأنا أدعوكم وأنتم أُولو النُّهى وبقية الناس على معاوية وطائفة[(١)] من العطاء فتتفرقون عنّى وتَعْصُونى وتختلفون علىّ ! فقام مالك بن كعب الأَرْحَبِىّ فندب الناس الى امتثال ١٥ أمر علىّ والسمع والطاعة له ، فانتدب ألفان فأمّر عليهم مالك بن كعب هذا فسار بهم خمسا، ثم قدم علىّ على جماعة ممن كان معْ محمـد بن أبى بكر الصـدّيق بمصر، فأخبروه كيف وقع الأمر وكيف قتل محمد بن أبى بكر وكيف استقرّ أمر عمرو فيها، فبعث الى مالك بن كعب فردّه من الطريق، وذلك لأنه خشى عليهم من أهل الشام قبل وصولهم الى مصر، واستقرّ أمر العراقين على خلاف علىّ فيما يأمرهم به وينهاهم

٢٠ (١) فى الطبرى (قسم أوّل ص ٣٤١٠) : « على المعونة وطائفة منكم على العطاء ... الخ » .

عنه والخروج عليه والنقد على أحكامه وأقواله وأفعاله لجهلهم وقلّة عقلهم وجفائهم
وغلظتهم وفُجُور كثير منهم، فكتب علىّ عند ذلك الى ابن عباس رضى الله عنه وهو
نائبه على البصرة يشكو اليه ما يلقاه من الناس من المخالفة والمعاندة ، فردّ عليه ابن
عباس يُسلّيه فى ذلك ويُعزّيه فى محمد بن أبى بكر ويحثّه على تلاقى الناس والصبر
على مُسيئهم، فإن ثواب الجنة خير من الدنيا، ثم ركب ابن عباس الى الكوفة الى ٥
علىّ واستخلف على البصرة زيادا ؛ وقد خرجنا عن المقصود .

* * *

السنة التى حكم فيها محمد بن أبى بكر

السنة التى حكم فيها محمد بن أبى بكر الصديق وغيرُه على مصر وهى سنة
سبع وثلاثين من الهجرة ـ فيها كانت وقعة صِفّين بين علىّ بن أبى طالب رضى الله
عنه وبين معاوية بن أبى سُفيان ؛ وفيها قتل عمّار بن ياسر بن عامر بن مالك بن ١٠
كِنانة المُذْلِجىّ العبسىّ أبو اليقظان ، كان من نجباء الصحابة وشهد بدرا والمشاهد
كلّها وقُتل فى صفّين ، وكان من أصحاب علىّ رضى الله عنه ؛ وفيها توفى خَبّاب بن
الأرَتّ بن جَنْدلة بن سعد بن خُزَيْمة التَّيمىّ(١) مولى أمّ سِباع بنت أنمار، كنيته
أبو عبد الله، كان من المهاجرين الأوّلين ، شهد بدرا والمشاهد بعدها وروى عنه
أحاديث، وفيها أيضا قتل بصفّين من أصحاب علىّ رضى الله عنه أُوَيْس بن عامر ١٥
المُرَادىّ القَرَنىّ الزاهد سيد التابعين، كنيته أبو عمرو، أسلم فى خلافة عمر بن الخطاب
رضى الله عنه ؛ وفيها قتل فى وقعة صفّين من أصحاب علىّ رضى الله عنه هاشم بن
عتبة بن أبى وقّاص الزهرىّ ؛ وفيها توفى عبيد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله
عنهما ؛ وفيها قتل كُرَيْب بن صَبّاح الحِمْيَرىّ ، أحد الأبطال من أصحاب معاوية .

(١) كذا فى ف، م . وفى أسد الغابة (ج ص ١٠٦) والطبرى (قسم ثالث ص ٢٣٨٢) : ٢٠
« التيمى » .

§أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمسة أذرع وثلاثة أصابع، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وثلاثة أصابع .

ذكر ولاية عمرو بن العاص ثانيا على مصر

مجمل تاريخ عمرو ابن العاص بعد فتنة الجمل

قد تقدّم الكلام فى أوّل ولايته على نسبه وصحبته للنبيّ صلى الله عليه وسلم ثم أخذه مصر ثانيا فى ترجمة محمد بن أبى بكر الصدّيق وكيفية قتاله وكيف مَلَك مصر منه . وولاية عمرو بن العاص هذا فى هذه المرّة من قِبَل معاوية بن أبى سُفْيان ، وكان دخوله إلى مصر فى شهر ربيع الأوّل من سنة ثمان وثلاثين ، وجمع اليه معاوية الصلاة والخراج فى ولايته هذه . وسبب انتماء عمرو الى معاوية أن عمرا كان لما عزله عثمان بن عفّان عن مصر بعبد الله بن سعد بن أبى سَرْح المقدّم ذكره توجّه عمرو وأقام بمكة منكفّا عن الناس حتى كانت وقعة الجمل .

استشارته لابنيه فيما يعتزم وما أجاباه به

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبى قال جُوَيْرِيَة بن أسماء حدّثنى عبد الوهاب ابن يحيى بن عبد الله بن الزبير حدّثنا أشياخنا أن الفتنة وقعت وما رجل من قريش له نباهة أعمى فيها من عمرو بن العاص ، وما زال مقيما بمكة ليس فى شىء مما فيه الناس حتى كانت وقعة الجمل، فلما فرغتْ بعث الى ولديه عبد الله ومحمد فقال : إنى قد رأيت رأيا ولستما باللذين تردّانى عن رأيى ولكن أشيرا علىّ ، إنى رأيت العرب صاروا عَنْزَين يضطربان ، وأنا طارح نفسى بين جزارِى مكة ولست أرضى بهذه المنزلة ، فإلى أىّ الفريقين أعمِد ؟ قال له ابنه عبد الله : إن كنت لا بدّ فاعلا فإلى علىّ ؛ قال : إنى إن أتيت عليا قال : إنما أنت رجل من المسلمين ، وإن أتيت معاوية يَخْلِطنى بنفسه ويُشْرِكنى فى أمره ، فأتى معاوية

وعن عروة وغيره قال : دعا عمرو ابنيه ، فأشار عليه عبد الله أن يلزم بيته لأنه أسلم له ؛ فقال محمد : أنت شريف من أشراف العرب وناب من أنيابها ، لا أرى

أن يتخلف ؛ فقال عمرو لابنه عبد الله : أما أنت فأشرت علىّ بما هو خير لى في آخرتى ؛ وأما أنت يا محمد فأشرت علىّ بما هو أنبه لذكرى، ارتحلا ؛ فارتحلوا الى الشام غُدْوَة وعشيّة حتى أتَوُا الشام . فقال : ياأهل الشام، إنكم على خير والى خير، تطالبون بدم عثمان ، خليفةٌ قتل مظلوما ؛ فمن عاش منكم فإلى خير، ومن مات فإلى خير . فما زال مع معاوية حتى وقع من أمره ما حكيناه فى أوّل ترجمته وغيرها. ودخل مصر ووَلِيها بعد محمد بن أبى بكر الصديق ومهّد أمورها، ثم خرج منها وافدا على معاوية بالشام واستخلف على مصر ولده عبد الله بن عمرو، وقيل خارجةَ بن حُذافة، وحضر أمر الحكمين، ثم رجع الى مصر على ولايته، ودام بها الى أن كانت قصّة الخوارج الذين خرجوا لقتل علىّ ومعاوية وعمرو هذا ، فخرج عبد الرحمن بن مُلْجَم لقتل علىّ رضى الله عنه، وقيسٌ الى معاوية ، و يزيدُ الى عمرو بن العاص، وسار الثلاثة كل واحد الى جهة مَنْ هو متوجّه لقتله ، وتواعد الجميع أن يثب كلّ واحد على صاحبه فى سابع عشر شهر رمضان ؛ فأما عبد الرحمن فإنه وثب على علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه وقتله حسبما نذكره فى ترجمته؛ و [أما] (1) قيس فوثب على معاوية وضربه فلم تؤثّر فيه الضربة غير أنه جرح؛ وأما يزيد فإنه توجّه الى عمرو هذا فعَرَضت لعمرو علّة تلك الليلةَ منعته من الصلاة فصلّى خارجة بالناس، فوثب عليه يزيد يظنّه عمرا وقتله، وأُخذ يزيد وأدخل على عمرو فقال يزيد : أما والله ما أردتُ غيرك؛ فقال عمرو : ولكنّ الله أراد خارجة؛ فصار مثلا : «أردتُ عمرا وأراد الله خارجة» . وأقام عمرو بعد ذلك مدّة سنين حتى مات بها فيما نذكره إن شاء الله تعالى فى آخر هذه الترجمة .

(١) زيادة يقتضيها السياق .

وفاة عمرو بن العاص وما قاله فى احتضاره

قيل : إنه لما حضر عمرَو بن العاص الوفاةُ بكى ؛ فقال له ابنه : أتبكى جزعا من الموت ؟ فقال : لا والله ، وجعل ابنه يذكّره بصحبته رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وفتوحه الشام ؛ قال عمرو : تركتَ أفضل من ذلك : شهادةَ أن لا إله إلا الله ، إنى كنت على ثلاثة أطباق ليس منها طبقة إلّا عرَفت نفسى فيها : كنت أوّل شىء كافرا وكنت أشدّ الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلو متّ حينئذ لوجبتُ لى النار ؛ فلمّا بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت أشدّ الناس منه حياء ما ملأت عينى منه ، فلو متّ حينئذ لقال الناس : هنيئا لعمرو أسلم على خير ومات على خير أحواله ، ثم تلبّست بعد ذلك بأشياء فلا أدرى أعلىّ أم لى ، فاذا أنا متّ فلا يُبكى علىّ ولا تُتبعونى نارا ، وشدّوا علىّ إزارى فإنى مخاصَم ، فاذا أوليتمونى فاقعدوا عندى قدرَ نحر جزور وتقطيعها أستأنس بكم حتى أعلم ما أراجع به رسل ربّى . قال الذهبى : أخرجه أبو عَوانة فى مسنده . وفى رواية : أنه بعدها حوّل وجهه الى الجدار وهو يقول : اللهم أمرتنا فعصَينا ، ونهيتنا فما آنتهينا ، ولا يسَعُنا إلّا عفوُك . وفى رواية : أنه وضع يده على موضع الغُلّ من عنقه ورفع رأسه الى السماء وقال : اللهم لا قوىٌّ فأنتصر ، ولا برىء فأعتذر ، ولا مستكبر بل مستغفر ، لا إله إلا أنت ؛ فلم يزل يردّدها حتى مات رضى الله عنه .

(٦٠)

وقال الزهرىّ عن حُمَيد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو أن أباه قال : اللهم أمرتَ بأمور ونهيتَ عن أمور ، فتركنا كثيرا مما أمرت ووقعنا فى كثير مما نهيت ، اللهم لا إله إلا أنت ؛ ثم أخذ بإبهامه فلم يزل يهلّل حتى تُوُفّى .

قال الذهبىّ ، وأنبأنا الطحاوى ، حدّثنا المُزَنِىّ سمعت الشافعىّ رضى الله عنه يقول : دخل ابن عباس على عمرو بن العاص وهو مريض فقال : كيف أصبحت؟ قال :

أصبحتُ وقد أصلحت من دنياىَ قليلا ، وأفسدت من دينى كثيرا ، فلو كان ما أصلحتُ هو ما أفسدت لفُزْت ، ولو كان ينفعنى أن أطلب طلبت ، ولو كان يُنْجِينى أن أهرُب لهربت ، فعِظْنى بموعظة أنتفع بها يابن أخى ؛ فقال : هيهات يا أبا عبد الله ! فقال : اللهم إن ابن عباس يُقْنِطُنِى من رحمتك فخذ منى حتى ترضى .

٥ وكانت وفاة عمرو المذكور فى ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وأربعين فصلّى عليه ابنه ودفنه ثم صلّى بالناس صلاة العيد . قاله أبو فِراس مولى عبد الله بن عمرو . وقال الليث بن سعد والهيثم بن عدى والواقدى وابن بُكَير : وسنه نحو مائة سنة . وقال أحمد العِجْلى وغيره : تسع وتسعون سنة . وقال ابن نُمَيْر : توفّى سنة اثنتين وأربعين .

دهاء عمرو بن العاص

قلت : والأوّل هو المتواتر. وكان عمرو رضى الله عنه من أدهى العرب وأحسنهم ١٠ رأيا وتدبيرا . قيل : إنه اجتمع مع معاوية بن أبى سفيان مرّة فقال له معاوية : مَنِ الناس ؟ فقال : أنا وأنت والمُغيرة بن شعبة وزياد ؛ قال معاوية : كيف ذلك ؟ قال عمرو : أما أنت فللتأنّى ، وأما أنا فللبديهة ، وأما المغيرة فللمعضلات ، وأما زياد فللصغير والكبير ؛ قال معاوية : أما ذانك فقد غابا فهات بديهتك يا عمرو ؛ قال : وتريد ذلك ؟ قال نعم ؛ قال : فأخرِجْ مَنْ عندك ، فأخرجهم ١٥ معاوية ؛ فقال عمرو : يا أمير المؤمنين أُسارّك ، فأدنى معاوية رأسه منه ؛ فقال عمرو : هذا من ذاك ، من معنا فى البيت حتى أسارّك ! ولما مات عمرو وَلِى مصر عُتْبَة بن أبى سُفيان من قبل أخيه معاوية .

* * *

ما وقع من الحوادث فى السنة الأولى من ولاية عمرو الثانية

السنة الأولى من ولاية عمرو بن العاص الثانية على مصر وهى سنة ثمان ٢٠ وثلاثين من الهجرة — فيها توجّه عبد الله بن الحَضْرَمى من قبل معاوية الى البَصْرة ليأخذها ، وكان بها زياد بن أبيه ووقع بينهما أمور . وفيها سارت الخوارج لقتال علىّ

رضى الله عنه ، وكان كبيرهم عبد الله بن وهب ، فهزمهم علىّ وقتل أكثرهم وقتل ابن وهب المذكور، وقُتل من أصحاب علىّ رضى الله عنه اثنا عشر رجلا ، وكانت الوقعة فى شعبان من هـذه السنة . وفيها تُوُفّى صُهَيْب بن سِنان بن مالك الرومىّ ، سبَتْه (٦٦) الروم فجُلِب الى مكة فاشتراه عبد الله بن جُدْعان التَّيْمىّ ، وقيل : بل هرب من الروم فقـدم مكة وحالف ابن جُدْعان ، وكان صُهَيْب من السـابقين الأوّلين شهد بدرا ٥ والمشـاهد كلّها ، روى عنـه أولاده حبيب[1] وزياد وحمزة ؛ وسـعيد بن المُسَيَّب وعبـد الرحمن بن أبى ليـلى وكعب الأحبـار ، وكنيته أبو يحيى ، توفى بالمدينـة فى شوّال . ونشأ صُهَيْب بالروم فبقيت[2] فيه عجمة . وفيها توفّى سهل بن حُنَيْف[3] بن واهب الأنصارىّ كان من أهل مسجد قُباء ، وكنيته أبو سهل وقيـل أبو عبد الله ، وهو من الطبقة الأولى من الأنصار آخى رسولُ الله صلى الله عليـه وسلم بينه و بين ١٠ علىّ بن أبى طالب ، وهو ممن شهد بدرا وأُحُدا والخَنْدَق . وفيها توفّيت أسماء بنت عُمَيْس بن مَعَـد بن تَيم[4] بن الحارث بن كعب بن مالك ، أسلمت قبـل دخول رسول الله صلى الله عليـه وسلم دار الأَرْقَم بمكّة وبايعت وهاجرت الى الحبشـة مع زوجها جعفر بن أبى طالب ، ووُلِد هنالك عبد الله بن جعفر ، ثم تزوّجها بعد جعفر أبو بكر الصـدّيق ، فاستولدها محمدا أمير مصر المقدّمَ ذكرُه ، ثم تزوّجها بعد أبى بكر ١٥ علىّ بن أبى طالب ، فولدت منه يحيى وعونا .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربعة أذرع وخمسةَ عشرَ إصبعا ، مبلغ الزيادة ستةَ عشرَ ذراعا وتسعة أصابع . وفى كتاب درر التيجان : تسعةَ عشرَ إصبعا .

(١) هكذا فى ف ، م . وفى كتاب المعارف لابن قتيبة (ص ١٣٥) وأولاده . حمزة وصيفى وعمارة . وفى تهذيب التهذيب (ج ٤ ص ٤٣٩) روى عنه بنوه : حبيب وضمرة وسعد وصالح وصيفى وعباد ٢٠ وعثمان ومحمد ، ... وابن ابنه زياد بن صيفى بن صهيب . (٢) فى الأصلين : « بقيت » . (٣) كذا فى الطبرى والتهذيب . وفى ف ، م « حبيب » وهو خطأ . (٤) كذا فى م ، ف . وفى طبقات ابن سعد : « ابن تيم » .

ما وقع من الحوادث فى السنة الثانية من ولاية عمرو الثانية

السنة الثانية من ولاية عمرو الثانية على مصر وهى سنة تسع وثلاثين — فيها أيضا كانت وقعة الخوارج مع علىّ بن أبى طالب بحَرُوراء و بالنُّخَيْلة ، قاتلهم علىّ فكسرهم وقتل رءُوسهم، وسجد لله شكرا لمّا أُتى بمُخْدَج اليد[1] مقتولا، وكان رءوس الخوارج زيد بن حفص[2] الطائىّ وشُرَيْح بن أَوْفَى[3] العبسىّ وكانا على المُجَنِّبَتَيْن، وكان رأسهم عبد الله بن وهب الراسبىّ، وقد تقدّم ذكرها فى السنة الماضية، والأصح أنها فى هذه السنة ؛ وكان على رجّالتهم حُرْقُوص بن زهير . وفيها بعث معاوية يزيد ابن شَجَرة الرَّهَاوِىّ ليقيم الحجّ، فنازعه قُثَم بن عباس ومانعه، وكان من جهة علىّ، فتوسّط بينهما أبو سعيد الخُدْرِىّ وغيره، فاصطلحا على أن يقيم المَوْسم شيبة[4] بن عثمان العَبْدَرِىّ حاجب الكعبة. وفيها أيضا بعث معاوية ابن عوف فى ستة آلاف فارس وأمره أن يأتى هِيتَ والأَنْبار والمدائن، وكان بهيت أَشْرَس[5] بن حسّان البلوىّ من جهة علىّ وقد تفرّق عنه أصحابه ولم يبق معه سوى ثلاثين رجلا، فخرج اليهم وقاتلهم وقتل ابن أشرس وأصحابه . وفيها أرسل معاويةُ الضحّاكَ بن قيس فى ثلاثة آلاف وأمره بالغارة على من هو فى طاعة علىّ من الأعراب . وفيها توفى سعد بن عابد و يعرف بسعد القَرَظ مولى عمّار بن ياسر (والقَرَظ : ورق السَّلَم كان يجلبه ويبيعه للدباغ فسمّى به) وكان سعد يؤذّن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بقُبَاء ثم أذّن على عهد أبى بكر وعمر، وهو من الصحابة وله رواية .

(١) كذا فى الكامل للبرد (ص ٥٦٥ طبعة ليبسيك) وفى الأصل : «بالمدع اليه» وهو تحريف ؛ لأن مخدج اليد لقب عمرو ذى الخويصرة أو الخنيصرة . (٢) فى الطبرى : زيد بن حصين أو حصن، وفى الكامل : زيد بن حصن . (٣) كذا فى ف والطبرى والكامل لابن الأثير . وفى م : شريح بن أبى أوفى . (٤) كذا فى الطبرى والكامل والمعارف لابن قتيبة . وفى الأصل : شيبان بن عثمان . (٥) فى الطبرى (ص ٣٤٤٦ من القسم الأوّل) : «أشرس بن حسان البكرى» .

§أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمسة أذرع وإصبعان، مبلغ الزيادة ستة عشرَ ذراعا وخمسة أصابع .

*
* *

(٦٣)
ماوقع من الحوادث فى السنة الثالثة من ولاية عمرو الثانية
علىّ بن أبى طالب ومقتله

السنة الثالثة من ولاية عمرو بن العاص الثانية على مصر وهى سنة أربعين — فيها بعث معاوية بُسْر بن أبى أَرْطاة فى ثلاثة آلاف من المقاتلة الى الحجاز، فقدم المدينة وعاملُ علىّ متوليها وهو أبو أيّوب الأنصارىّ فنفر منها أبو أيّوب . وفيها قُتل أمير المؤمنين أبو الحسن علىّ بن أبى طالب ، وآسم أبى طالب عبد مناف بن عبد المُطّلِب ، وآسم عبد المطلب شيبة الحمد بن هاشم بن عبد مناف القرشىّ الهاشمىّ ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية ، وهى بنت عم أبى طالب كانت من المهاجرات ، تُوُفِّيت فى حياة النبىّ صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وهو أحد السابقين الأوّلين وأحد العشرة المشهود لهم بالجنّة ؛ وأمّا ما ورد فى حقّه من الأحاديث وما وقع له فى الغزوات فيضيق هذا المحلّ عن ذكر شىء منها ، وفى شهرته رضى الله عنه ما يُغْنى عن الإطناب فى ذكره ؛ قتله عبد الرحمن بن مُلْجَم ، جلس له مقابل السُّدّة[(١)] التى يخرج منها علىّ الى الصلاة ، فلما أن خرج علىّ الى صلاة الصبح شدّ عليه عبد الرحمن المذكور فضربه بسكّين كانت معه أو بسيف فى جبهته وفى رأسه فحمل من وقته وقبض على عبد الرحمن المذكور ، فقال علىّ : أطعموه وآسقوه فإن عِشت فأنا ولىّ دمى ، إن شئت قتلت وإن شئت عفوت ؛ وإن متّ فآقتلوه قِتْلتى ولا تعتدوا إنّ الله لا يُحبّ المعتدين . وكان عبد الرحمن قد سمّ سيفه ، فتم علىّ رضى الله عنه جريحا يوم الجمعة والسبت وتُوُفّى ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقين من شهر رمضان من السنة ، وتولّى الخلافة من بعده ابنه الحسن بن علىّ رضى الله عنهما ، وكانت خلافة علىّ رضى الله عنه أربع سنين وتسعة أشهر . ولما دُفن علىّ أُحضر عبد الرحمن بن مُلْجَم

(١) السدّة : الظلة على الباب تقى الباب من المطر . وقيل هى الباب نفسه . وقيل هى الساحة بين يديه .

فاجتمع الناس وجاءوا بالنِّفط والبَوَارِىّ ، فقال محمد بن الحنفية والحسن والحسين ولدا علىّ وعبدالله بن جعفر ابن أخيه : دعونا نَشْتَفِ منه ، فقطّع عبد الله يديه ورجليه فلم يجزَع ولم يتكلم وكحّل عينيه ، وجعل يقول : إنّك لتكحل عينى عمك هذا[1] ، وعيناه تسيلان على خدّيه ، ثم أمر به فعولج على قطع لسانه ، فجزع ، فقيل له فى ذلك ، فقال : ما لذاك أجزع ولكن أكره أن أبقى فى الدنيا لا أذكر الله ! فقطعوا لسانه ، ثم أخرجوه فى قَوْصَرة[2] ، وكان — قبحه الله ولعنه — أسمرَ حسنَ الوجه أفلج فى جَبْهته أثر السجود . وقال جعفر بن محمد عن أبيه قال : صلّى الحسن على علىّ رضى الله عنه ودُفِن بالكوفة عند قصر الإمارة وعُمِّىَ قبرُه لئلا تنبشه الخوارج . وقال شريك وغيره : نقله الحسن الى المدينة . وذكر المبرّد عن محمد بن حبيب ، قال : أوّل من حُوّل من قبر الى قبر علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه . وفيها تُوُفِّىَ لَبِيد بن ربيعة بن كِلاب بن مالك بن جعفر بن كلاب الصحابىّ العامرىّ الشاعر المشهور ، كنيته أبو عَقِيل ، ذكره ابن سعد فى الطبقة الرابعة من القبائل الذين أسلموا بعد الفتح ، ووفَد على النبىّ صلى الله عليه وسلم سنة تسع من الهجرة وأسلم . وفيها تُوُفِّىَ تَمِيم بن أَوْس ابن خارجة أبو رُقَيّة اللَّخْمِىّ الدارىّ الصحابىّ المشهور ، واختلف فى نسبه الى الدار ابن هانئ أحد بنى لَخْم . أسلم تميم سنة تسع ، رضى الله عنه .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثمانية أذرع وستةَ عشرَ إصبعا ، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وسبعةَ عشر إصبعا ؛ وفى كتاب درر التيجان : وستة أصابع .

---

(١) وردت هذه العبارة هكذا فى النسختين وهى غير واضحة ، ورواها المبرد فى الكامل طبع أوربا ص ٥٥١ هكذا : «فقال عبد الله بن جعفر يا أبا محمد ادفعه الىّ أشف نفسى منه فاختلفوا فى قتله فقال قوم : أحمى له ميلين وكحله بهما فجعل يقول انك يابن أخى لتكحل عمك بملمولين مضاضين وقال قوم بل قطع يديه ورجليه . وقال قوم بل قطع رجليه الخ » . (٢) فى ف ، م : « الى قوصرة » والسياق يقتضى ما أثبتناه . والقوصرة : وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البوارىّ .

*
* *

ما وقع من الحوادث فى السنة الرابعة من ولاية عمرو الثانية

السنة الرابعــة من ولاية عمرو بن العاص الثـانية على مصر وهى سـنة إحدى وأربعين، وتسمّى هذه السنة عام الجماعة لآجتماع الأمّة فيه على خليفة واحد وهو معاوية بن أبى سُفيان — فيها (أعنى فى سنة إحدى وأربعين) بايع الحسن بن علىّ ٥ رضى الله عنه بالخلافة معاوية وخلع نفسه . وسببُه : أنه لمـا وَلِىَ الخلافة بعد وفاة والده علىّ رضى الله عنه أحبّه الناس حبًّا شديدا زائدا وآجتمعوا على طاعته، وآستمرّ فى الخلافة أشهرا، فلمّا رأى الأمرَ مآلَه للقتال مع معاوية وألحّ عليه أهل العراق حتّى خرج فى جموعه الى نحو الشام وخرج معاوية أيضا بجيوشه فى طلب الحسن رضى الله عنه، ثم أرسل معاوية الى الحسن يطلُب الصلح . قال خليفة : فاجتمعا بمَسْكِن، وهى ١٠ بأرض الســواد من ناحية الأنبار، فاصطلحا فى ربيع الآخر وسلّم الحسن الأمر الى معاوية، لا من جزع بل شفقة على المســلمين ، فإن الذى كان آجتمع للحسن من العساكر أكثر ممـا كان اجتمع لأبيــه ولكن ترك ذلك خوفا من ســفك الدماء . ولمـا وقع ذلك دخل على الحسن سفيان أحدُ أصحابه وقال : السلام عليك يا مذلّ المؤمنين؛ فقال الحسن: لا تقل ذلك، إنى كرِهت أن أقتلكم فى طلب الملك . قال ١٥ الحافظ الذهبىّ قال أبو بَكْرَة : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المِنْبر والحسن ابن علىّ الى جنبــه وهو يقول : " إنّ آبنى هــذا سيّد ولعلّ الله أن يُصلح به بين فِئَتَيْن عظيمتين من المسلمين". أخرجه البخارىّ . وفيها تُوُفّى صَفْوَان بن أُمَيّــة بن خلف الجُمَحِىّ، شهِد حُنَيْنًا مع النبىّ صلى الله عليه وسلم ثم أسلم بعدها، وأعار النبىّ صلى الله عليه وسلم سلاحا كثيرا . وفيهـا تُوُفّيت حَفْصَة أمّ المؤمنين رضى الله عنها ٢٠ بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

§ أمر النيل فى هذه — السنة الماء القديم ثمانية أذرع وستةَ عشرَ إصبعا، مبلغ الزيادة ثمانيةَ عشرَ ذراعا وسبعة أصابع .

***

ماوقع من الحوادث فى السنة الخامسة من ولاية عمرو الثانية

السنة الخامسة من ولاية عمرو بن العاص الثانية على مصر وهى سنة اثنتين وأربعين — فيها بعث معاوية المُغيرة بن شُعْبَة الى زياد بن أبيه فخدعه وأنزله من قلعته . وفيها ولّى معاوية مَرْوَان بن الحكم المدينة فاستقضى مَرْوَانُ عبدَ الله بن الحارث بن نوفل . وفيها تحرّكت الخوارج الذين بقَوْا من يوم النَّهْرَوان . وفيها تُوُفّى حبيب بن مَسْلَمة بن مالك الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن واثلة بن عمرو بن سُفْيان[1] ابن حارث أبو عبد الرحمن وقيل أبو مَسْلَمة، ذكره ابن سعد فى الطبقة الخامسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفيها تُوُفّى عثمان بن طلحة بن أبى طلحة بن عبد الدار بن قُصَىّ الجُمَحِىّ، ذكره ابن سعد فى الطبقة الثالثة من المهاجرين ممن أسلم فى هدنة الحُدَيْبِية .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربعة أذرع وثلاثة أصابع، مبلغ الزيادة سبعةَ عشرَ ذراعا وخمسة أصابع . وفى درر التيجان : أربعة أذرع وثلاثة أصابع .

(٦٤)

ذكر ولاية عُتْبَة بن أبى سُفيان على مصر

عتبة بن أبى سفيان وولايته على مصر

هو عُتْبَة بن أبى سُفيان — واسم أبى سفيان صخر بن حرب بن أميّة بن عبد شمس — أخو معاوية بن أبى سُفيان لأبيه . ولّاه أخوه معاوية إمارة مصر بعد وفاة عمرو بن العاص رضى الله عنه فى شوّال سنة ثلاث وأربعين . ودخل عُتْبَة مصر

---

(١) فى الطبقات الكبرى لابن سعد (ج ٧ ص ١٣٠ من القسم الثانى) «ابن عمرو بن شيبان» .

فى ذى القعدة منها . وكان عتبة هذا شهد مع عثمان بن عفّان يوم الدار. قال الحافظ ابن عساكر فى تاريخه : قَدِمَ على أخيه معاوية بدِمَشق، وكان له بها فى درب الحمّالين[1] دار، ووَلِىَ المدينة والطائف والموسم لأخيه معاوية غير مرّة، وشهد وقعة الجمل مع عائشة رضى الله عنها ثم انهزم، فعيره عبد الرحمن بن الحكم[2] :

لَعَمْرى والأمورُ لها دواعٍ * لقد أبعدتَ يا عُتْبَ الفِرارا

٥

وقال ابن عساكر عن الهيثم بن عدىّ قال: ذكر ابن عباس عتبة بن أبى سفيان فى العُور، ذَهبَتْ عَيْنُه يوم الجَمَل مع عائشة . وقال أبو بكر الخطيب : حجّ عتبة ابن أبى سفيان بالناس سنة إحدى وأربعين وسنة اثنتين وأربعين . وقال الأصمعىّ : الخطباء من بنى أمية : عتبة بن أبى سفيان، وعبد الملك بن مَرْوان . وقال أبو حاتم :

وصيته لمؤدب ولده

١٠

أوصى عتبة بن أبى سفيان مؤدّب ولده[3] فقال : ليكن أوّل إصلاحك بنىّ إصلاحَك لنفسك، فإنّ عُيوبَهم معقودةٌ بعَيْبك، فالحسنُ عندهم ما فعلتَ، والقبيح ما تركتَ، وعلّمهم كتابَ الله ولا تُمِلّهم فيترُكوا، ولا تدعهم منه فيَهْجُروا ؛ وروّهم من الحديث أشرفَه، ومن الشعر أعفَّه ؛ ولا تخرجهم من علم الى علم حتى يُحكموه[4] ، فإنّ ازدحام الكلام فى السمع مَضَلّةٌ[5] للفهم ؛ وهدّدهم بى وأدّبهم دُونى ؛ وكُنْ بهم كالطبيب الرفيق الذى لا يَعْجَل بالدواء حتى يَعْرِف الداء ، وامنعهم من محادثة النساء، واشغَلْهم بسِيَرِ الحكماء ؛ واستزِدْنى بآدابهم أزِدْك ، ولا تتّكلَنّ على عُذْر منّى فقد اتّكلتُ على كفاية منك . انتهى .

١٥

(١) فى ف : « الحبالين » . (٢) كذا فى أحد الاصلين . وفى الآخر: « عبد الرحمن ابن أم الحكم » . (٣) وردت هذه الوصية فى عيون الأخبار (ج ٢ ص ١٦٦ طبعة دار الكتب) وفى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٣٥ طبعة القاهرة سنة ١٣٣٢ هـ) والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧ طبعة بولاق) باختلاف يسير فى بعض التراكيب لا يخرجها عن المعنى المراد ؛ ونسبها صاحب العقد لعمرو بن عتبة .

٢٠

(٤) كذا فى العقد الفريد وعيون الأخبار . وفى الأصلين : «ولا تخرجهم من باب العلم الى غيره» .
(٥) كذا فى البيان والتبيين . وفى العقد الفريد : «مشغلة» . وفى م : «فضلة الفهم» وهو تحريف .

خطبة له فى أهل مصر

ولمّا قَدِمَ عتبة الى مصر فى ذى القعدة سنة ثلاث وأربعين أقام بها أشهرا ثم خرج منها وافدا على أخيه معاوية بدمشق، واستخلف على مصر عبد الله بن قيس ابن الحارث، وكانت فى عبد الله المذكور شِدّة فكَرِهَهُ الناس بمصر، فبلغ ذلك عتبةَ هذا فرجع الى مصر وصعِد المنبر وقال : ياأهل مصر، قد كنتم تَعذِرون ببعض المنع منكم لبعض الجَوْر عليكم ، وقد وَلِيَكُم مَن إن قال فعَل، فإن أبيتم درأكم[1] بيده، فإن أبيتم دَرَأكم بسيفه، ثم جاء فى الآخِر[2] ما أدرك فى الأوّل، إنّ البيعة شائعة[3]، لنا عليكم السمع والطاعة ، ولكم علينا العدل ، فأيُّنا غَدَرَ فلا ذِمّة له عند صاحبه ؛ فناداه المصريُّون من جنَبَات المسجد : سمعًا سمعًا ؛ فناداهم عتبة : عدلًا عدلا . ثم نزل .

فجمع له أخوه مُعَاوية الصلاة والخَرَاج، وعقَد عُتبة هذا لعَلْقَمة بن يزيد على الاسكندرية فى اثنَىْ عشر ألفا من أهل الديوان تكون بها مُرَابِطة، ثم خرج اليها عتبة بعد ذلك مرابطا فى ذى القعدة وقيل فى ذى الحجة، وهو الأشهر، سنة أربع وأربعين من الهجرة، فمات بها فى الشهر المذكور . وتولى مصر بعده عُقْبة بن عامر الجُهَنِىّ، وكانت ولاية عتبة على مصر سنة واحدة وشهرا واحدا .

* * *

ماوقع من الحوادث فى السنة الأولى من ولاية عتبة

السنة التى حكم فيها عتبة بن أبى سفيان على مصر وهى سنة ثلاث وأربعين — فيها شتّى بُسْر بن أبى أرطاة بأرض الروم مُرَابِطا : وفيها فتح عبد الرحمن بن سَمُرَة

(١) كذا فى تاريخ ولاة مصر وقضاتها للكندى (ص ٣٥) والمقريزى (ج ١ ص ٣٠١) وفى م : « دواكم » . وفى ف «داواكم» . (٢) كذا فى الكندىّ . وفى الأصلين : « ثم جاء فى الأخير » . وفى المقريزىّ : « ثم رجا فى الأخير » . وقد ذكرت هذه الخطبة فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٤) بصيغة تختلف قليلا عما هنا . (٣) كذا فى تاريخ ولاة مصر وقضاتها والمقريزى . وفى م : « متبايعة » . وفى ف : « متتابعة » باهمال الحرف الخامس .

الزَّنْج(١) وغيرها من بلاد سِجِسْتان. وفيها افتتح عُقْبة بن نافع الفِهْرِىّ كُوَرًا من بلاد السودان ووَدّان من بلاد بَرْقة. وفيها توفى عبد الله بن سَلَام الاسرائيلى — ذكره ابنُ سَعْد فى الطبقة الثالثة من الأنصار، وقال : كنيته أبو يوسف ، وكان آسمه الحُصَين، فلما أسلم فى السنة الأولى من الهجرة سمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله . وهو رجل من بنى اسرائيل من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام، وهو صاحب القصة مع اليهود . وفيها توفى محمد بن مَسْلمة بن خالد الأنصارىّ الصحابىّ، مذكور فى الطبقة الأولى من الأنصار، أسلم بالمدينة على يد مُصْعَب ابن عُمَير ، وآخى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبى عُبَيدة بن الجرّاح وشهد بدرا والمشاهد كلها ومات فى صفر .

§أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم تسعة أذرع وثلاثة أصابع، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وخمسة أصابع . وذُكر فى دُرَر التِّيجان : أنّ الماء القديم فى هذه السنة أربعة أذرع وثلاثة أصابع .

*
* *

ما وقع من الحوادث فى السنة الثانية من ولاية عتبة

السنة الثانية من ولاية عُتْبة بن أبى سُفْيان على مصر وهى سنة أربع وأربعين — فيها توفّى عتبة صاحب الترجمة حسبما تقدّم ذكره . وفيها غزا المُهلّب بن أبى صُفْرة أرض الهند وسار الى قَنْدَابِيل(٢) وكَسَر العدو وسَلِم وغَنِم ، وهى أوّل غَزَوَاته . وفيها حجّ الخليفة مُعَاوية بن أبى سُفْيان بالناس من الشام . وفيها زاد معاوية فى مقصورة جامع دمشق ،وكان قد أحدثها لمّا وَثَب عليه البُرَك ليقتله . ثم أحدث فى هذه السنة أيضا مَرْوان بن الحَكَم مقصورة المدينة وهو والٍ عليها . وفيها أَوْغل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فى بلاد الروم وشتّى بها . وفيها غزا بُسْر

(١) كذا فى م . وفى ف : الرخج . وكلتاهما من بلاد سجستان . (٢) مدينة بالسند، وهى قصبة لولاية يقال لها الندهة .

ابن أبى أرطاة فى البحر . وفيها عزل معاوية عبد الله بن عامر عن البصرة . وفيها تُوُفِّى الحارث بن خَزَمة بن عدىّ بن أُبَىّ[1] بن غَنْم الأشهلى أبو بشير الصحابىّ، هو من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد بدرا والمشاهد كلها، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين إياس بن أبى البُكَير . وفيها تُوُفِّيت أم المؤمنين أمّ حَبيبة بنت أبى سُفيان على الصحيح، وآسمها رَمْلة، وهى أخت معاوية لأبيه، وأمها صفيّة بنت أبى العاص بن أميّة بن عبد شمس، وهى آبنة عمّة عثمان بن عفان، وكان تزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحبشة، وذلك فى سنة ستّ من الهجرة أو سبع . وفيها تُوُفِّى أبو بُرْدة بن نِيار بن عمرو بن عُبَيد بن عمرو بن كلاب، وهو من الطبقة الأولى من الأنصار من الصحابة، شَهِد العَقَبة مع السبعين وشهد بدرا وأُحُدا والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفيها تُوُفِّى أبو موسى الأَشْعَرِىّ واسمه عبد الله بن قَيْس بن سُلَيم اليمانىّ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قَدِمَ عليه مُسْلما مع أصحاب السفينتين واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على زَبِيد وعَدَن، ثم وَلِىَ الكوفة والبصرة لعمر بن الخطاب رضى الله عنهما. ومات فى ذى الحجة .

§ أمرُ النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثلاثة أذرع وثمانية عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وإصبع واحد .

ذكر ولاية عقبة بن عامر على مصر

عقبة بن عامر وولايته على مصر

هو عُقْبة بن عامر بن عَبْس بن عمرو بن عدىّ بن رفاعة بن مودوعة بن عدىّ ابن غَنْم بن الربعة بن رَشْدان بن قيس بن جُهَينة الجُهَنىّ، أبو حَمّاد الصحابىّ،

(١) كذا فى طبقات ابن سعد (ص ٢١ من القسم الثانى ج ٣ طبعة ليدن) وفى م، ف: «ابن أبى غنم» .

شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص ثم وَلِيَهـا من قِبَل مُعاوية بن أبى سُفيان بعد مَوْت أخيه عُتْبة بن أبى سُفيان فى سنة أربع وأربعين، وكان يخضّب بالسَّوَاد .

قال صاحب البُغية : ودام بمصر الى أن قدِم مَسْلَمة بن مُخَلَّد على مُعاوية بدمشق، فولّاه مصر وأمره أن يكتم ذلك عن عقبة بن عامر، ثم سَيَّره الى مصر وأمر معاوية عقبة بغَزْو رُودِس ومعه مَسْلَمة بن مخلد المذكور، وخرجا الى الإسكندرية ثم توجّها فى البحر، فلمّا سار عُقْبة استولَى مسلمة على سرير إمْرته، فبلغ ذلك عُقْبة ابن عامر، وكان ذلك لعشر بقين من ربيع الأول سنة سبع وأربعين، وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر، وتولّى مَسْلَمَة . وآخر من رَوَى عن عُقْبة بمصر أبو قَبِيل . انتهى .

وقال الحافظ شهاب الدين أحمد بن حَجَر فى الإصابة : رَوَى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، ورَوَى عنه جماعةٌ من الصحابة والتابعين، منهم ابن عبّاس وأبو أُمامة وجُبَير بن نُفَير وبَعْجَة بن عبد الله الجُهَنِيّ وأبو إدريس الخَوْلانى وخَلْقٌ من أهل مصر .

قال أبو سعيد بن يونس : كان قارئا عالمـا بالفرائض والفقه صحيحَ اللسان شاعرا كاتبا، وهو آخر مَن جمع القرآن . قال: ورأيتُ مصحفه بمصر على غير تأليف مصحف عثمان، وفى آخره : كتبه عقبة بن عامر بيده .

وفى صحيح مُسلم من طريق قَيْس بن أبى حازم عن عقبة بن عامر قال : قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ وأنا فى غَنَم لى أرعاها فتركتُها ثم ذهبتُ اليه فقلتُ : بايِعْنِى فبايَعَنى على الهجرة . وهذا الحديث أخرجه أبو داود والنَّسائِيّ . وشَهِد عقبة بن عامر الفتوح، وكان هو الرائد الى عُمَر بفتح دِمَشْق . وشهد صِفِّين مع مُعَاوية وأمَّره بعد ذلك على مصر .

وقال أبو عمر الكِنْدىّ : جمع له مُعاوية فى إمْرة مصر بين الخَرَاج والصَّلاة ، فلمّا أراد عَزْله كتب اليه أن يَغْزُو رُودِس ، فلمّا توجّه مسافرا استولى مَسْلَمة ، فبلغ عُقْبة فقال : أغُرْبةً وعَزْلا ! وذلك فى سنة سبع وأربعين . ومات فى خلافة معاوية على الصحيح .

اختلاف المؤرّخين فى موت عقبة

٥ وحكى أبو زُرْعة فى تاريخه عن عَبَّاد بن بِشر قال : رأيتُ رجلا يحدّث فى خلافة عبد الملك فقلتُ : مَن هذا؟ فقالوا : عقبة بن عامر الجُهَنِىّ . قال أبو زُرْعة : فذكرتُه لأحمد بن صالح ، فقال : هذا غَلَطٌ ، مات عقبة فى خلافة مُعاوية . وكذلك أرّخه الواقدىّ وغيره ، زاد فى آخرها : وأما قول خليفة بن خَيّاط : قُتِل فى النَّهْرَوَان من أصحاب علىّ ، أبو عمرو(1) عُقْبة بن عامر الجُهَنِىّ فهو آخرُ ، بدليل قول خليفة فى تاريخه ١٠ فى سنة ثمان وخمسين مات عقبة بن عامر الجهنىّ . انتهى كلام شيخ الإسلام ابن حجر .

وقال صاحب كتاب "العقود الدرّية فى الأمراء المصرية" : توفى عقبة فى سنة ثمان وخمسين بمصر ، وقبره يزار بالقرافة .

وقال صاحب كتاب " مهذب الطالبين الى قبور الصالحين " : عقبة بن عامر الجهنىّ من أعلام الصحابة معدود من خدّام النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وكان يأخذ ١٥ بزِمام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقودها فى الأسفار ، وعدّد له رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلَ المُعَوِّذَتين وحثّه على قراءتهما ؛ وهو أحد مَن شهد فتح مصر من الصحابة ، ووَلِىَ مصر لمعاوية بن أبى سُفيان بعد عُتبة بن أبى سفيان ، ثم غزا فى البحر سنة سبع وأربعين . وهو أوّل من نَشَر الرايات على السفن ، فلما خرج الى الغزو جاء كتاب معاوية بعَزْله وولاية مَسْلمة ، فلم يظهر مسلمة ولايته ، فقال عُقبة : مالى أرى ٢٠ الأمر أبطأ علىّ؟ قالوا : ولّى مَسْلمة بن مُخَلَّد ، قال عقبة : ما أنصفنا معاوية عَزَلنا وغَرَّبنا .

(1) فى ف : «أبو عامر» .

قال : ولأهل مصر فيه اعتقاد عظيم، ولهم عنه نحو مائة حديث. وقد ذكر ابن عبد الحَكَم أحاديثه التى رواها عنه أهل مصر.

أحاديثه التى رواها عنه أهل مصر

الحديث الأول — منها: "مَن توضّأ فأحسنَ وضوءه ثم صلّى [صلاة][1] غير ساه ولا لاهٍ كُفِّر عنه ما كان قَبْلها من سيّئاته[2]" .

٥ الحديث الثانى — قال عقبة: سمعتُ النبى صلى الله عليه وسلم يقول : "تعجّب[3] ربّك من شابٍّ ليس له صَبْوة"

الحديث الثالث — قال عُقْبة[4]: كنتُ آخُذ بزمام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض غاب المدينة، فقال لى: "ياعُقْبة ألَا تركب" فأشفقتُ أن تكون معْصية، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وركبتُ هُنَيهة، ثم ركب فقال : "ألَا أُعلّمك

١٠ سُورتين" فقلتُ : بلى يا رسول الله، قال : فأقرأنى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ثم أقيمت الصلاة فتقدّم وصلّى بهما وقال: "اقرأهما كلّما نِمْتَ وقمتَ" .

ثم قال : وليس فى الجبّانة قبر صحابىّ مقطوعٌ به إلا قبر عُقْبة فإنه زاره الخلف عن السلف .

١٥ وقال الشيخ الموفّق ابن عثمان فى تاريخه المرشد ناقلا عن حَرْملة من أصحاب الشافعىّ : إن البقعة التى دُفن فيها عُقبة المذكور بها أيضا قبر عمرو بن العاص وقبر

---

(١) الزيادة عن تاريخ ابن عبد الحكم (ص ٢٩١) . (٢) فى تاريخ ابن عبد الحكم : «ما كان قبلها من سيئة» . (٣) فى لسان العرب والنهاية لابن الأثير : «عجب ربك ... الخ» ولم نجد هذا الحديث فى تاريخ ابن عبد الحكم المطبوع. (٤) فى تاريخ ابن عبد الحكم (ص ٢٩٤) :

٢٠ «عن عقبة بن عامر قال : اتبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكب فوضعت يدى على قدمه فقلت : أقرئنى من سورة هود أو سورة يوسف فقال : «لن تقرأ أبلغ عند الله من قل أعوذ برب الفلق» .

أبى بَصْرة الصحابيّين، تحويهم القبّة التى هدمها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ثم بناها البناء المعهود الآن . ورُئِىَ بعضُ الأمراء فى النوم ممّن جاوره، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال: غفر لى بمجاورة عقبة . ورُوِىَ له من البركات روايات كثيرة : منها أنّ رجلا أُسِر له ولد فأتى قبر عقبة ودعا الله عزّ وجل فقام من عند قبره فلقى ابنه فى الطريق . انتهى كلام صاحب مهذّب الطالبين . ٥

***

(٦٨) حوادث السنة الأولى من ولاية عقبة بن عامر

السنة الأولى من ولاية عقبة بن عامر الجهنىّ على مصر وهى سنة خمس وأربعين — فيها غزا معاوية بن حُدَيْج إفريقيّة من بلاد المغرب . وفيها سار عبد الله بن سَوّار العَبْـدىّ فافتتح القِيقَان وغنم وسلم وعاد . وفيها عُزِل عبد الله ابن عامر عن البصرة ، فاستعمل عليها معاوية الحارثَ بن عمرو الأزْدىّ ثم عُزِل ١٠ عن قريب وولّى عليها زياد بن أبيه، فبادر زياد وقتل سَهْم بن غالب الذى كان خرج فى أوّل الأمر على معاوية وصلبه . وفيها توفّيت أمّ المؤمنين حَفْصة بنت عمر ابن الخطاب زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمّها زينب بنت مَظْعُون أخت عثمان بن مظعون . قال ابن سعد بإسناده : وُلدت حفصة وقريش تَبْنى البيت قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين . وذكر الذهبىّ وفاتها ١٥ فى سنة إحدى وأربعين وتابعه جماعة على ذلك . وفيها تُوفّى زَيْد بن ثابت بن الضحّاك ابن زيد الأنصارىّ الصحابىّ، وهو من الطبقة الثالثة من الأنصار، كنيته أبو سعيد وقيل أبو خارجة . قال الإمام أحمد بن حنبل حدّثنا وكيع عن سُفْيان عن خالد الحَذّاء عن أبى قِلَابة عن أَنَس، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أرحمُ أمّتى أبو بكر وأشدّها فى دين الله عُمَر وأصدقها حياءً عثمان وأعلمها بالفرائض زيد ٢٠ بن ثابت" .

قلت : وهو من كتّاب الوحى والقرّاء . وفيها توفّى سَلَمة بن سلامة وكنيته أبو عوف . وقيل أبو ثابت . وهو من الطبقة الأولى من الأنصار، صحابىّ مشهور، شهد العَقَبَتين وبدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفيها تُوفّى سَهْل ابن عمرو بن زيد بن جُشَم الأنصارىّ، ذكره ابن سعد فى الطبقة الثالثة من الصحابة ممن شهد أُحدا[1] والخندق وما بعدهما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفيها تُوفّى عاصم ابن عَدِىّ، وهو من الطبقة الأولى من الأنصار، وكنيته أبو عمرو[2] وقيل أبو عبد الله ، وهو الذى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر الى قُباء .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ذراعان وسبعة أصابع . وقال صاحب دُرَر التّيجان : وسبعة عشر إصبعا ، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وخمسة أصابع .

*
* *

حوادث السنة الثانية من ولاية عقبة بن عامر

السنة الثانية من ولاية عُقبة بن عامر الجهنىّ على مصر وهى سنة ست وأربعين — فيها عزل الخليفةُ معاويةُ عبدَ الرحمن بن سَمُرة عن سِجِسْتان وولّاها الربيع بن زياد الحارثىّ، فخاف التُّركُ وجمع مَلِكهم « كابُل شاه » الجموعَ وزحف على المسلمين فتزح المسلمون عن مدينة كابُل، ثم لقِيهم الربيع هذا وقاتلهم (أعنى الترك) فهزمهم الله تعالى ؛ وساق وراءهم المسلمين الى الرُّخَّج، وغنموا منهم شيئا كثيرا . وشتّى المسلمون بأرض الروم فى هذه السنة . وفيها توفى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد لمّا رجع من بلاد الروم الى حِمْص ، وكان قد شتّى بالروم وفتح حصونا كثيرة، فسقاه ابن أُثال[3] النصرانىّ شرْبةً مسمومة فمات منها . وهو ممن أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) كذا فى ب وأسد الغابة (ج ٢ ص ٣٦٨) والاصابة . وفى م : « بدرا » .
(٢) كذا فى ب، م، وأسد الغابة والاصابة . وفى طبقات ابن سعد : « كان يكنى أبا بكر » .
(٣) كذا فى تاريخ الطبرى وابن الأثير فى حوادث سنة ست وأربعين . وفى م ، ف : « أثابك » .

وقيل إنه مات فى سنة تسع وأربعين . وفيها توفى هَرِم بن حَيّان العبدىّ[(١)] البصرىّ ذكره ابن سعد فى الطبقة الأولى من الفقهاء المحدّثين والزهّاد من أهل البصرة، وهو أحد الزهاد الثمانية .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمسة أذرع وسبعة[(٢)] أصابع، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وتسعة أصابع . وفى الدرر : ثمانية عشر ذراعا وتسعة أصابع . ٥

***

حوادث السنة الثالثة من ولاية عقبة بن عامر

السنة الثالثة من ولاية عُقبة بن عامر الجهنىّ على مصر وهى سنة سبع وأربعين — فيها عزل عقبة المذكور عن مصر . وفيها سار رُوَيْفِع بن ثابت الأنصارىّ من طرابُلس الغرب ودخل إفريقيّة ثم عاد من سنته . وفيها غزا عبد الله بن سَوّار العبدىّ القِيقان أيضا، فجمع له الترك والتقَوْا معه فاستُشهد عبد الله وسائر مَن كان ١٠ معه من الجيوش . وفيها شتّى مالك بن هُبَيرة بأرض الروم . وفيها أقام الموسم عَنْبسة ابن أبى سفيان . وفيها تُوفّى قيس بن عاصم بن سِنان، ذكره ابن سعد فى الطبقة الرابعة فى الصحابة ممن أسلم من العرب ورجع الى بلاد قومه، وكنيته أبو على وقيل أبو قبيصة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربعة أذرع وثلاثة عشر إصبعا . ١٥ وفى درر التيجان : وثلاثة وعشرون إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وسبعة أصابع .

ذكر ولاية مسلمة بن مخلد على مصر

ترجمة مسلمة بن مخلد وولايته على مصر

هو مَسْلَمَة بن مُخَلَّد بن صامت بن نِيار بن لَوذان بن عبد وُدّ بن زَيد بن ثَعْلبة ابن الخَزْرَج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة، أبو معن[(٣)] وقيل أبو سعيد،

(١) كذا فى طبقات ابن سعد، والطبرى، وابن الأثير . وفى ف، م : «الأزدى» . ٢٠

(٢) كذا فى ف . وفى م : «ستة» . (٣) فى طبقات ابن سعد : «أبو عمر» .

الصحابىّ الأنصــارىّ (ومسلمة بفتح الميم وسكون السين المهملة، ومخلد بضم الميم وتشديد اللام) . ولّاه معاوية بن أبى سفيان مصر بعد عَزْل عُقبة بن عامر الجُهَنىّ فى ســنة سبع وأربعين حسبما تقــدّم ذكره فى آخر ترجمة عقبــة، وجمع له معاوية الصــلاة والخَرَاج وبلاد المغرب . فلمّــا ولى مسلمة مصر انتظمت غَزَوَاته فى البر

٥ والبحر : منها غزوة القسطنطينيّة الآتى ذكرها، ولم يحضرها غير أنه حسّن لمعاوية غزوها . وفى أيام ولايتــه على مصر نزلت الرُّوم البُرُلُّس[(١)] فى ســنة ثلاث وخمسين فاستُشهد فى الوقعة وَرْدَان مولى عمرو بن العاص فى جَمْع من المسلمين . وفى إمرته لمصر أيضا هدم ما كان عمرو بن العاص بناه من المسجد بمصر وبناه هو وأمر ببناء مَنار المسجد، وهو أوّل مَن أحدث المنار بالمساجد والجوامع . وخرج مسلمة الى

أوّل من أحدث المنار بالمساجد والجوامع

١٠ الإسكندرية فى سنة ستين واستخلف على مصر عابس بن سعيد، فجاءه الخبر بموت معاوية بن أبى سفيان فى شهر رجب منهــا واستخلاف يزيد بن معاوية بعد أبيه، وكتب اليه يزيد بن معاوية وأقرّه على عمل مصر، وكتب اليه أيضا بأخذ البَيْعة له؛ فندب مسلمة عابسا وكتب اليه من الإسكندرية بذلك؛ فطلب عابس أهل مصر وبايع ليزيد فبايعه الجُنْــد والناس إلا عبــد الله بن عمرو بن العاص، فدعا عابس

١٥ بالنار ليحرق عليه بابه، فحينئذ بايع عبد الله بن عمرو ليزيد على كُرْه منه . ثم قدم مسلمة من الإسكندرية فجمع لعابس مع الشرطة القضاء فى أوّل سنة إحدى وستين . اهـ .

(٧٠)

وقال الذهبىّ: مسلمة بن مخلّد الأنصارىّ له صُحبة ورواية، وحدّث عنه شَيبان ابن أميّة وعُلَىّ بن رَبَاح ومُجاهد وعبد الرحمن بن شُماسة وغيرهم، قال : وُلدتُ حين

(١) كذا ضبط فى القاموس وكتاب ولاة مصر وقضاتها للكندى (ص ٣٨) بضم الباء والراء وضم اللام

٢٠ أيضا وتشديدها . وفى تاريخ ابن عبــد الحكم (ص ١٢٤) ومعجم ياقوت وغيره من الكتب الجغرافيــة : بفتح الباء والراء وضم اللام وتشديدها .

قدم النبيّ صلى الله عليه وسلم المدينة، وقد ولى ديار مصر لمعاوية . انتهى كلام الذهبيّ .

وقال ابن عبد الحَكَم[1] : مسلمة بن مخلَّد الأنصاريّ لهم عنه حديث واحد ليس [لهم][2] عنه غيره، وهو حديث موسى بن عُلَيّ عن أبيه أنه سمعه يقول وهو على المنبر : تُوفّى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا آبن عشر سنين . لم يرو عنه غير أهل مصر، وأهل البصرة[3] لهم عنه حديث واحد ، وهو حديث أبى هلال الراسبيّ قال حدّثنا جَبَلة ابن عَطيّة عن مسلمة بن مخلَّد : أنه رأى معاوية يأكل ، فقال لعمرو بن العاص : إن آبنَ عمّك لمخْضَد ، ثم قال : أَمَا إنى أقول هـذا وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "اللهمّ عَلِّمْه الكتاب ومَكِّن له فى البلاد وَقِه العذاب" . وربما أدخل بعض المحدّثين بين جَبَلة بن عطيّة وبين مسلمة رجلا .

وقد وَلِيَ مسلمة بن مخلَّد مصر ، وهو أوّل من جُمع له مصر والمغرب، وتُوفّى سنة اثنتين وستين ، وكان يكنى أبا سعيد . انتهى كلام ابن عبد الحكم . وكان مسلمة كثير العبادة .

قلت: وأما غزوة القسطنطينية التى وعدنا بذكرها فإنها كانت فى سنة تسع وأربعين؛ وكان مسلمة هذا حرّض معاوية عليها، فأرسل اليها معاوية جيشا كثيفا وأمّر عليهم سفيان بن عَوْف وأمر ابنه يزيد بالغزاة معهم، فتثاقل يزيد وآعتذر ، فأمسك عنه أبوه، فأصاب الناس فى غزاتهم جُوع ومرض شديد، فأنشد يزيد يقول :

---

(١) راجع تاريخه «فتوح مصر وأخبارها» (ص ٢٧٦ طبعة ليدن) . (٢) الزيادة عن تاريخ ابن عبد الحكم . (٣) كذا فى ف وتاريخ ابن عبد الحكم . وفى م : « وأهل البصرة ولهم » .

ما إن أُبالى بما لاقتْ جموعهمُ * بالفَذْقَذُونة[1] من حُمَّى ومن مُـومِ

اذا آتّكأت على الأنماط مرتفقا * بدَيْر مُرّان عنـدى أمّ كُلثومِ

— وأمّ كلثوم آمرأته وهى ابنة عبد الله بن عامر — فبلغ معاويةَ شعره فأقسم عليه ليلحقنّ بسفيان بأرض الروم ليصيبه ما أصاب الناس، فسار ومعه جمع كبير . وكان ٥ فى هـذا الجيش ابن عباس وآبن عمر وآبن عمرو[2] وآبن الزُّبير وأبو أيّوب الأنصارىّ وغيرهم، فأوغلوا فى بلاد الروم [حتى بلغوا القسطنطينيّة][3]، فاقتتل المسلمون والروم وآشتدّ الحرب بينهم، فلم يزل عبد العزيز يتعرّض للشهادة فلم يُقتَل ، ثم حمل بعـد ذلك عليهـم وآنغمس بينهم فشجره الروم برماحهـم حتّى قتلوه ، فبلغ معاوية قتله فقال لأبيـه : هلك والله فتى العرب ! فقال أبوه لمعاوية : ابنى أم ابنك ؟ فقال : ١٠ ابنك، فآجرك الله، فقال :

فإن يكن الموت أودَى به * وأصبح مُخّ الكلابىّ زِيرا

فكلّ فتًى شاربٌ كأسـه * فإمّا صـغيرا وإمّا كبيرا

(٧٦) قال مُجاهـد : صلّيتُ خَلف مسلمة بن مخلّد، فقرأ سورة البقرة فما ترك أَلِفا ولا واوا .

١٥ وقال ابن سعد فى كتاب الطبقات الكبرى من تصنيفه : حدّثنا مَعْن بن عيسى حدّثنا موسى بن عُلَىّ بن رَباح عن أبيه عن مسلمة بن مخلّد قال : أسلمتُ وأنا آبن أربع سنين، وتُوفّى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن أربعة عشرة سنة .

---

(١) كذا فى معجم البلدان لياقوت فى باب الغين والذال وما يليهما . وفى م : « بالفرقدونة » وفى ف : « بالفرقذونة » وكلاهما خطأ . (٢) هـذا الاسم غير موجود فى ابن الأثير .

٢٠ (٣) زيادة عن ابن الأثير .

وقال محمد بن عمرو (١) : يَروى مسلمة بن مخلّد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : وتحوّل الى مصر ونزلها، وكان مع أهل خَرِبْتَا (٢)، وكانوا أشــد أهل المَغرِب [وأعَدّه] (٣)، وكان له بها ذِكْر ونباهة، ثم صار الى المدينة فمات بها فى خلافة معاوية. اه.

قلت : وهــذا القول يخالف فيه الجمهور . والذى قاله المؤرّخون : إنه آستمرّ على عمله حتى تُوفّى لخمس بقين من شهر رجب سنة اثنتين وستين . وكانت ولايته على مصر خمس عشرة سنة وأربعة أشهر . وتولّى مصر من بعده سعيد بن يزيد .

وقال الحافظ أبو سعيد عبــد الرحمن بن يونس على ما أخبرنا : شهد مســلمة فتح مصر وآختطّ بها ، ووَلِيَ الجُند لمعاوية بن أبى سفيان ولآبنه يزيد بن معاوية ؛ ورَوَى عنه من أهل مصر عُلَيّ بن رَبَاح وهشــام بن أبى رُقَيّــة وأبو قَبِيل وهلال ابن عبــد الرحمن ومحمد بن كعب وغيرهم، تُوفّى بالإسكندرية ســنة اثنتين وستين فى ذى القعدة .

حدّثنا على بن سعيد الرازى حدّثنا عثمان بن أبى شَيبة أخبرنا وكيع حدّثنا موسى ابن عُلَيّ عن أبيــه قال : سمعت مســلمة بن مخلّد يقول : وُلدتُ حين قــدم النبىّ صلى الله عليه وسلم المدينــة ، وتُوفّى وأنا ابن عشر سنين . قال ابن يونس : هــذا الحديث غريب، وقد رواه مَعْن بن عيسى وعبد الرحمن بن مهدىّ وغيرهما عن موسى ابن عُلَيّ . انتهى كلام ابن يونس .

هذا ما وقع لنا من أخبار مسلمة بن مخلّد المذكور، ويأتى ذكره أيضا فى سِنِي ولايته على مصر كما هى عادتنا فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

---

(١) فى طبقات ابن ســعد (ج ٧ ص ١٩٥ من القسم الثانى طبعة ليدن) « محمــد بن عمر » .

(٢) كذا فى طبقات ابن سعد . وفى م ، ف : «وكان» . (٣) الزيادة عن طبقات ابن سعد .

* * *

ما وقع من الحوادث في السنة الأولى من ولاية مسلمة بن مخلد

السنة الأولى من ولاية مسلمة بن مخلَّد على مصر وهى سنة ثمان وأربعين — فيها كتب معاوية بن أبى سفيان الخليفة الى زياد لمّا بلغه قتل عبد الله بن سَوّار: أُنظر لى رجلا يصلُح لثغر الهنـد أوجِّهه اليه؛ فوجَّه اليه زيادٌ سِنانَ بن سَلَمة [1] الهُذَلىّ، فولّاه معاوية الهند. وفيها عَزَل معاويةُ مَرْوانَ بن الحَكَم عن إمْرَة المدينة بسعيد بن العـاص الأُمَوىّ. وفيها قُتل بالهنـد عبد الله بن عيّاش بن أبى ربيعـة المخزومىّ. وفيها تُوفّى الحارث بن قيس الجُعْفىّ الفقيه صاحب عبد الله بن مسعود، وقيل: إنه مات فى غير هذه السنة. وفيها كان مَشْتَى عبد الرحمن القَينىّ [2] بأنطاكِيَة. وفيها كانت صائفة عبـد الله بن قيس الفزارىّ. وفيها كانت غَزْوة مالك بن هُبَيرة السَّكونىّ فى البحر. وفيها آستعمل زيادٌ غالبَ بن فَضالة الليثىَّ على خُرَاسان، وكانت له صُحْبة. وفيها حجّ بالناس مَرْوان بن الحكم، وهو يتوقّع العَزْل لمَوْجِدَةٍ كانت من معاوية عليه، وآرتجع معاويةُ منه فَدَك وكان وَهَبها له.

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ستة أذرع وعشرون إصبعا، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا و إصبعان.

* * *

ما وقع من الحوادث في السنة الثانية من ولاية مسلمة بن مخلد (٧٣)

السنة الثانية من ولاية مسلمة بن مخلَّد على مصر وهى سنة تسع وأربعين — فيها شتّى مالك بن هُبَيرة بأرض الروم، وقيل ماشتّى بها إلّا فَضَالة بن عُبَيد الأنصارىّ. وفيها حجّ بالناس سعيد بن العاص؛ وفيها قتل زيادٌ بالبصرة الخِطيمَ الباهلىّ الخارجىّ.

---

(١) كذا فى ف ومعجم البلدان لياقوت (ج ١ ص ٧٦١؛ ج ٤ ص ١٠٥ و ٦١٣ طبعة ليدن). وفتوح البلدان ص ٤٣٥؛ وفى م: «زياد بن سنان بن مسلمة» وهو خطأ. (٢) كذا فى تاريخ الطبرى وابن الأثير فى حوادث سنة ثمـان وأربعين، وفى ف، م: «العينىّ».

وفيها خرج على المُغيرة بن شُعْبة وهو والى الكوفة شَبيبُ بن بَجَرة الأشجعىّ ، وهو غير شَبيب الذى خرج على الحجاج بن يوسف ، فوجّه اليه المغيرةُ كَثيرَ بن شِهاب الحارثىّ فقتله بأذربيجان . وكان شَبيب ممن شهد النهروان . وفيها كانت غزوة فَضالة بن عُبيد جَرْبةَ[1] وشتّى بها ، وفُتحت على يده وأصاب فيها سبايا كثيرة . وفيها كانت صائفة عبد الله بن كُرْز البَجَلىّ . وفيها كانت غزوة يزيد بن شَجَرة الرهاوىّ بالبحر فشتّى بأهل الشام . وفيها كانت غزوة عُقْبة بن نافع فى البحر فشتّى بأهل مصر . وفيها عُزل مَرْوان عن المدينة بسعيد بن العاص فى شهر ربيع الأوّل ، فكانت ولاية مروان ثمانى سنين وشهرين، وكان على قضاء المدينة عبد الله بن الحارث بن نَوْفل فعزله سعيد حين وُلّىَ واستقضى أبا سَلمة بن عبد الرحمن . وفيها تُوفّى الحسن بن علىّ، والأصحّ أنه فى الآتية، كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمسة أذرع وإصبعان، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وستة أصابع .

***

ما وقع من الحوادث فى السنة الثالثة من ولاية مسلمة بن مخلد

السنة الثالثة من ولاية مسلمة بن مخلَّد على مصر وهى سنة خمسين من الهجرة — فيها وجّه زيادٌ الربيعَ الحارثىَّ إلى خُرَاسان فغزا بَلْخَ وكانت قد انتقضتْ بعد رَوَاح الأحنف بن قيس عنها فصالحوا الربيع هذا ورحل عنها وغزا قُوهِسْتان فافتتحها عَنْوة . وفيها أراد معاوية نقل مِنبر النبىّ صلى الله عليه وسلم من المدينة وأن يُحمل الى الشام، وقال : لا يُترك هو وعصا النبىّ صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهم قَتَلَةُ عثمان ، فطلب العصا وهى عند سَعْد القَرَظ ، وحُرِّك المنبر فكُسفت

عزم معاوية على نقل منبر النبىّ صلى الله عليه وسلم من المدينة الى الشام

(١) كذا فى الطبرى فى حوادث سنة تسع وأربعين . وفى م، ف : «حرة» بالراء . وفى ابن الأثير فى حوادث سنة تسع وأربعين : «حزة» بالزاى .

الشمس حتى رُئيت النجوم باديةً[(١)] ، فأَعظمَ النـاس ذلك فتركه . وقيـل : بل أتاه جابر وأبو هُرَيرة فقالا له : يا أمير المؤمنين ، لا يصلح أن يخرج منبر النبي صلى الله عليه وسلم من موضع وضعه وتنقل عصاه الى الشام، فٱنقُلِ المسجد ؛ فتركه معاوية وزاد فيه ستّ دَرَجات وٱعتذر ممـا صنع . وفيها ٱفتتح معاوية بن حُدَيج (بضم الحاء المهملة مصغّرا) فتحا كبيرا بالمغرب ، وكان قد جاءه عبـد الملك بن مروان فى مَدَد أهل المدينة . وهذه أوّل غَزْوة لعبد الملك بن مروان . وفيها وَلّى معاوية زيادا البصرة والكوفة معا بعـد موت المُغيرة بن شُـعْبة ، فعزل زيادٌ الربيعَ عن سِجِسْتان وولّاها لعُبَيد الله بن أبى بَكْرة . وفيها غزا يزيد بن معاوية القسطنطينية وكان معـه فيها وجوه الناس ، وممن كان معه أبو أيوب الأنصارىّ وقد ذكرناها (أعنى هـذه الغزوة فى أصل الترجمة) . وفيها توفى السيد حسن بن علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه ، وكنيته أبو محمد الهاشمىّ ، القرشىّ السيد ابن السيد ابن السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وُلد فى شعبان سنة ثلاث من الهجرة ، وقيـل فى نصف شهر رمضان منها ، قاله الواقدىّ . وكان ريحانة النبىّ صلى الله عليه وسلم وشبيها به . وَلِىَ الخلافة بعد موت أبيه علىّ بن أبى طالب فى شهر رمضان سـنة أربعين ، وٱجتمع عليه المسلمون وأحبّوه حبّا شـديدا وألزموه حرب معاوية ، فسار على كُرْه منه ، فلمّا كان فى بعض الطريق ٱختلف عليه بعض أصحابه فضاق صدره ، ثم أرسل الى معاوية يسأله الصلح ويُسَـلِّم له الأمر ، فوقع ذلك وشقّ على أصحابه وكادت نفوسهم تذهب ، ودخل عليه سفيان أحد أصحابه وقال له : السلام عليك

---

(١) فى تاريخ الطبرى فى حوادث سنة خمسين : «حتى رئيت النجوم بادية يومئذ فأعظم الناس ذلك فقال : لم أرد حمله إنما خفت أن يكون قد أرض فنظرت اليه ثم كساه يومئذ» .

يا مذلّ المؤمنين ؛ فقال الحسن : لا تَقُـل ذلك، إنى كَرِهت أن أقتلكم فى طلب المُـلْك .

قال الحافظ الذهبيّ قال أبو بَكْرة : رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن علىّ الى جنبه وهو يقول : "إنّ ٱبنى هذا سيّد ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين" أخرجه البخارى . ٥

وعن أبى سعيد الخُدْرِىّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة » صحّحه الترمذىّ .

قلت : ومناقب الحسن كثيرة يضيق هـذا المحلّ عن ذكرها ، وكانت وفاته بالمدينـة فى شهر ربيع الأوّل ودُفن بالبَقِيع رضى الله عنه . وفيها تُوفّيت أمّ المؤمنين صَفيّة بنت حُيَيّ بن أخْطب بن سعية(١) من سِبْط لَاوِى بن يعقوب بن إسحاق بن ١٠ ابراهيم عليهم السـلام، ثم من ولد هارون أخى موسى عليهما السـلام؛ سباها النبيّ صلى الله عليه وسلم يوم خَيْبر، وجعل عِتْقها صداقها وتزوّجها ، وماتت فى هذه السنة وقيل فى سنة ستّ وثلاثين ،والأوّل أشهر . وفيها كانت بناية مدينة القَيْرَوَان بالمغرب . وفيها كان الطاعون العظيم بالكوفة وأميرها المُغيرة بن شُعْبة ، ومات فيه بعد أن فرّ منه . وهذا الطاعون رابع طاعون مشهور وقع فى الإسلام؛ فإن الأوّل كان بالمدائن ١٥ فى عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ والثانى طاعون عَمَوَاس(٢) فى زمان عُمَر رضى الله عنه؛ والثالث بالكوفة وأميرها أبو موسى الأشعرىّ ؛ ثم هذا الطاعون أيضـا بالكوفة . وفيها تُوفّى المغيرة بن شُعْبة بن أبى عامر بن مسعود ، أبو عيسى ويقال أبو محمـد ،

---

(١) كذا فى الطبرى (ص ١٧٧٣ من القسم الأوّل) . وفى شرح القاموس مادة «سعى» وطبقات ابن سعد . وفى ف : « شـعية » . وفى م : « شعبة » . وفى أسد الغابة : « سـعنة » ٢٠ وكلها تحريف . (٢) عمواس : كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس .

صحابىّ مشهور، وكان من دُهَاة العرب، يقال له: مُغيرة الرأى، وكان كثير الزواج.
قال المغيرة: تزوّجت بسبعين آمرأة. وقال مالك: كان المغيرة نكّاحا للنساء،
ويقول: صاحب المرأة إن مَرِضتْ مَرِض وإن حاضتْ حاض، وصاحب المرأتين
بين نارَيْن تُشْعلان. وقال ابن المبارك: كان تحت المغيرة أربع نسوة فصفّهنّ بين
٥ يديه وقال: أنتنّ حِسان الأخلاق، طَويلات الأعناق، ولكنّى رَجُلٌ مِطْلاق،
فأنتنّ الطلاق.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ذراعان وستة عشر إصبعا، مبلغ
الزيادة ستة عشر ذراعا وأربعة أصابع.

* * *

(٧٤) ما وقع من الحوادث فى السنة الرابعة من ولاية مسلمة بن مخلد

١٠ السنة الرابعة من ولاية مسلمة بن مخلد على مصر وهى سنة إحدى وخمسين
من الهجرة — فيها حجّ بالناس معاوية وأخذهم ببيعة ابنه يزيد. وفيها كانت مَقْتَلة
حُجْر بن عدىّ وعمرو بن الحِمِق وأصحابهما. قال ابن الأثير فى تاريخه الكامل قال
الحسن(١): أربعُ خصال كنّ فى معاوية لو لم تكن فيه إلّا واحدة لكانت مُوبقة:
انتزاؤه(٢) على هذه الأمّة بالسيف حتّى أخذ الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة
١٥ وذوو الفضيلة، وآستخلافه آبنه بعده سكّيرا خمّيرا يلبَس الحرير ويضرب بالطنابير،
وآدّعاؤه زيادا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الولد للفراش وللعاهر الحَجَر"،
وقتله حُجْرا وأصحاب حُجْر، فياويلاه من حُجْر! وياويلاه من أصحاب حُجْر!! وفيها توفى
سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل بن عبد العزّى أبو الأعور القُرَشىّ العدوىّ الصحابىّ؛

(١) هو الحسن البصرى كما فى تاريخ الكامل لابن الأثير (ج ٣ ص ٤٠٧ طبعة ليدن).
٢٠ (٢) كذا فى تاريخ ابن الأثير، وفى حديث وائل بن حجر: «إن هذا انتزى على أرضى فأخذها».
وفى م: «استشاروه» وفى ف: «اجتراؤه» وانتزاؤه: توثبه.

أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، كان أميرا على رَبْع[(١)] المهاجرين، ووَلِىَ دمشق نيابة عن أبى عُبَيدة بن الجرّاح وشهد فتحها ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها بعد بدر . وقال الواقدىّ : تُوفّى سنة إحدى وخمسين ، وهو ابن بضع وسبعين سنة ، وقبره بالمدينة ونزل فى قبره سعد وآبن عُمَر، وكان رجلا آدَمَ طويلا أشعرَ . وفيها تُوفّى أبو أيّوب الأنصارىّ خالد بن زَيد بن كُلَيب بن ثعلبة بن عبد [بن][(٢)] عَوْف بن غَنْم بن مالك بن النجّار، الخَزْرَجىّ النجّارىّ المدنىّ الصحابىّ، شهد بدرا والعَقَبة ، وعليه نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا قدم المدينة فبقى فى داره شهرا حتى بُنِيت حُجْرته ومسجده، وكان من نُجَباء الصحابة رضى الله عنهم أجمعين . وفيها تُوفّيت أمّ المؤمنين مَيْمونة بنت الحارث الهلاليّة، تزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة سبع من الهجرة، وروى عنها مَوْلياها عطاء وسليمان ابنا يسار وآبن أختها يزيد بن الأصمّ وآبن أختها عبد الله بن عباس وآبن أختها عبد الله ابن شدّاد بن الهاد وجماعة أُخَر، وكانت قبل النبى صلى الله عليه وسلم عند أبى رُهْم ابن عبد العزّى العامرىّ فتأيّمت منه ، فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت أمرها الى العبّاس فزوّجها منه ، وبنى بها بسَرِف بطريق مكة لمّا رجع من عُمرة القَضَاء ، وهى أخت لُبَابة الكبرى زوجة العبّاس ولُبابة الصغرى أمّ خالد بن الوليد ، وأخت أسماء بنت عُمَيس لأمّها، وأخت زينب بنت خُزَيمة أيضا لأمّها .

§أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثلاثة أذرع وخمسة أصابع، مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا وثلاثة وعشرون إصبعا . وفى در ر التيجان: وستة وعشرون إصبعا.

---

(١) فى م : « ربع » بالباء الموحدة، وفى ف وردت مهملة . ولعل ما أثبتناه هو المناسب.

(٢) التكلة عن طبقات ابن سعد (ج ٣ ص ٤٩ من القسم الثانى طبعة ليدن) .

*
* *

ما وقع من الحوادث فى السنة الخامسة من ولاية مسلمة بن مخلد

السنة الخامسة من ولاية مسلمة بن مخلّد على مصر وهى سنة آثنتين وخمسين — فيها شتّى بُسْر بن أبى أرطاة بأرض الروم (وهو بضم الموحّدة وسكون السين المهملة). وفيها حجّ بالناس سعيد بن العاص . وفيها تُوفّى أبو أيّوب الأنصارى، وآسمه خالد بن زيد فى قول بن الأثير، كان من نُجَباء الصحابة، شهد العقبة وبدرا وأُحُدا وقد تقدّم ذكره ووفاته فى سنة تسع وأربعين. وفيها تُوفى كعب بن عُجْرة ولد خمس وسبعون سنة. وفيها صَالَحَ عُبَيْدُ الله بن أبى بَكْرة الثقفىّ رُتْبِيل[1] وبلاده على ألف ألف درهم. وفيها وُلد يزيد بن أبى حبيب فقيه أهل مصر. وفيها تُوفّى عِمْران بن الحُصَين بن عُبَيد ابن خلف، أبو نُجَيد (بضم النون مصغرا)، الخزاعىّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وَلِىَ قضاء البصرة، كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعثه اليهم ليفقّههم . وفيها توفّى معاوية بن حُدَيج التُّجيبىّ الكندىّ، وقد تقدّم من أخباره نبذ كثيرة فيما تقدّم. وهو من كبار العثمانية وممن كان بخَرِبْتَا وحارب جيش علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وقتل محمد بن أبى بكر الصدّيق وكان من أنياب العرب وكبارها . وفيها خرج زِيَاد بن خِرَاش العِجْلىّ فى ثلثمائة فارس فأتى أرض مَسْكِن من السواد، فسيّر اليه زياد خيلا عليها سعد بن حُذَيفة أو غيره . فقتلوهم وقد صاروا الى ماه . وخرج أيضا على زياد رجل من طيّئ يقال له مُعاذ، فأتى نهر عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم فى ثلاثين رجلا، فبعث اليه زياد مَنْ قتله وقتل أصحابه، وقيل بل حلّ لواءه وآستأمن؛ ويقال لهم أصحاب نهر عبد الرحمن .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ذراعان وثلاثة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وعشرون إصبعا .

---

[1] كذا فى م ، وفى ف : « زنبيل » وكلاهما ورد فى هذا الاسم .

ما وقع من الحوادث فى السنة السادسة من ولاية مسلمة بن مخلد

السنة السادسة من ولاية مسلمة بن مخلد على مصر وهى سنة ثلاث وخمسين — فيها آستعمل معاوية على الكوفة الضحّاك بن قيس الفِهْرِىّ بعد موت زياد بن أبيه، وآستعمل على البصرة سَمُرة بن جُنْدَب، وعزل عُبَيد الله ابن أبى بَكْرة عن سِجِستان وولّاها لعبّاد بن زياد بن أبيه، فغزا عبّاد المذكور قُنْدُهار حتى بلغ بيت الذهب، فجمع له الهند جمعا هائلا، فقاتلهم عبّاد حتى هزمهم، ولم يزل على إمْرة سجستان حتى تُوفّى معاوية بن أبى سفيان. وفيها تُوفّى عبد الرحمن ابن أبى بكر الصدّيق فى نَوْمة نامها، وآسم أبى بكر عبد الله بن أبى قحافة عثمان التيمىّ القُرَشىّ الصحابىّ، مات بمكة وكان شجاعا راميا، أسلم قبل الفتح. وفيها تُوفّى عمرو بن حَزْم الخزرجىّ الصحابىّ، استعمله النبىّ صلى الله عليه وسلم على نَجْران، وكان من نُجباء[(١)] الصحابة. وفيها شتّى عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم بأرض الروم. وفيها أقام الموسمَ سعيدُ بن العاص. وفيها أمَّر معاويةُ على خُرَاسان عُبَيدَ الله بن زياد. وفيها قُتل عابد بن ثعلبة البَلَوىّ أحد الصحابة، قتله الروم بالبُرُلُّس. وفيها فُتحت رُودِس (جزيرة فى البحر) فتحها جُنَادة بن أبى أميّة الأَزْدىّ ونزلها المسلمون وهم على حَذَر من الروم، وكانوا أشدّ شىء على الروم يعترضونهم فى البحر ويأخذون سفنهم، وكان معاوية يَدِرّ لهم العطاء، وكان العدوّ قد خافهم، فلمّا مات معاوية أقفلهم آبنه يزيد. وفيها تُوفّى زياد بن أبيه، كان وَلِىَ الكوفة والبصرة والعراق لمعاوية، وكان من دُهاته[(٢)]؛ وقال مِسكين الدارمىّ يرثيه بقوله:

رأيتُ زِيادةَ الإسلام وَلَّتْ * جِهارًا حِينَ وَدَّعنا زيادُ

(١) كذا فى م. وفى ف: «كبار».

(٢) كذا فى م. وفى ف: «دعاته».

§أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمسة أذرع وسبعة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وأربعة أصابع .

(٧٦)

* * *

حوادث السنة السابعة من ولاية مسلمة بن مخلد

السنة السابعة من ولاية مسلمة بن مخلّد على مصر وهى سنة أربع وخمسين — فيها عَزَل معاويةُ سعيدَ بن العاص عن إمرة المدينة وولّاها لمروان بن الحَكَم ثانية . وفيها غزا عُبَيد الله بن زياد وقطع النهر وعدّى الى بُخَارا على الإبل، فكان أوّل عربىّ قطع النهر، وافتتح بها البلاد . وفيها وجّه الضحّاكُ بن قيس من الكوفة ابنَ هُبَيرة الشيبانىّ الى غزو طَبَرِسْتَان، فصالحه أهلها على خمسمائة ألف درهم . وفيها عَزَل معاويةُ سَمُرَةَ ابن جُنْدَب عن البصرة وولّاها لعبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفىّ . وفيها حجّ بالناس مروان بن الحَكَم أمير المدينـة ، وقال ابن الأثير(1) : سعيد بن العاص ، وكان عامل المدينـة . وفيها تُوفّى أُسامة بن زيد بن حارثة بن شَرَاحيل الكلبىّ، حِبّ رسول الله صلى الله عليـه وسلم وابن حِبّه ومَوْلاه ، كنيته أبو زيد ، وقيـل أبو محمد، وقيـل أبو حارثة . ففى الصحيح عن أُسامة قال : كان النبىّ صلى الله عليـه وسلم يأخذنى والحسين ويقول : " اللهمّ إنى أحبّهما فأحبّهما ". وأمّه أمّ أَيْمَن بركـة حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولاته ، وكان أسود كالليل وأبوه أبيض أشقر، قاله إبراهيم بن سعد . وفيها تُوفّى ثَوْبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفيها تُوفّى جُبَير(2) بن مُطْعِم بن عَدِىّ بن نَوْفل النوفلىّ الصحابىّ، أسلم بعـد بدر وحضر عدّة مشاهد مع النبىّ صلى الله عليه وسلم . وفيها تُوفّى حسّان بن ثابت بن المنذر بن حَرَام

(١) كذا فى ف ، م . والموجود فى ابن الأثير : أن سعيد بن العاص حج بالناس سنة ثلاث وخمسين . واقتصر ابن الأثير فى حوادث سنة أربع وخمسين على أن الذى حج بالناس هو مروان بن الحكم .

(٢) كذا فى م ، ف . والذى فى الكامل لابن الأثير : أنه توفى سنة سبع وخمسين . وفى أسد الغابة لابن الجزرى : أنه توفى سنة سبع وخمسين وقيل سنة ثمان وخمسين وقيل سنة تسع وخمسين .

النّجاريّ الصحابيّ شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤيّد بروح القدس وعاش هو وأبوه وجدّه وجدّ أبيه كل واحد مائة وعشرين سنة. وفيها توفى سعيد بن يربوع المخزوميّ الصحابيّ عن مائة وعشرين سنة أيضا، أسلم فى الفتح . وفيها تُوفّى عبد الله ابن أُنَيس الجُهَنىّ الصحابىّ حليف الأنصار شهد العَقَبة . وفيها تُوفّى حَكيم بن حِزَام ابن خُويلد بن أسد أبو خالد الأسدىّ الصحابىّ ابن أخى خَديجة زوجة النبىّ صلى الله عليه وسلم، أسلم فى الفتح وكان سيّدا شريفا، وُلد فى جَوْف الكعبة وأَعتق فى الجاهلية والإسلام مائتى رَقَبة وجاوز مائة السنة من العمر . وفيها توفى أبو قَتَادة الأنصارىّ السَّلَمىّ فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه الحارث بن رِبْعِىّ. وكان من نُجَبَاء الصحابة رضى الله عنهم . وفيها تُوفّى مَخْرمة بن نَوْفل الزُّهْرِىّ الصحابىّ عن مائة وخمس عشرة سنة[1]، وكان من المؤلَّفة قلوبهم، والمِسْوَر هو ابنه . وفيها مات فيروز الدَّيلمىّ وكانت له صُحْبة وكان مع معاوية واستعمله على صَنْعاء . وفيها مات فَضَالة ابن عُبَيـد الأنصارىّ بدمشق وكان قاضيها ، وقيل فى موته غير ذلك ، شهد أُحُدا وما بعدها. وخرجت[2] هذه السنة وعلى الكوفة عبدُالله بن خالد بن أَسِيد، وعلى البصرة سَمُرَة، وعلى خُرَاسان خُلَيد بن يَرْبوع الحنفى (وأسيد بفتح الهمزة وكسر السين المهملة وسكون الياء المعجمة باثنتين من تحت) .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربعة أذرع وثلاثة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وثمانية أصابع .

(١) كذا فى م، ف . والوارد فى تاريخ ابن الأثير : أنه توفى سنة ثلاث وخمسين . وفى تهذيب التهذيب : أنه مات فى زمن عثمان ، وقيل مات باليمن فى إمارة معاوية سنة ثلاث وخمسين .

(٢) كذا فى م، ف . وقد ذكر هذا ابن الأثير والطبرى فى حوادث سنة ثلاث وخمسين .

حوادث السنة الثامنة من ولاية مسلمة بن مخلد

السنة الثامنة من ولاية مسلمة بن مخلَّد على مصر وهى سنة خمس وخمسين — فيها عَزَل معاويةُ عن البصرة عبدَ الله الثقفىّ وولّاها لعُبَيد الله بن زِيَاد . وفيها حجّ بالناس مروانُ بن الحَكَم أمير المدينة . وفيها عَزَل معاويةُ عبدَ الله بن خالد عن الكوفة
٥ وولّاها الضحّاكَ بن قيس . وفيها توفى أبو اليَسَر (بفتح الياء المثناة من تحت والسين) السَّلَمىّ (بفتحتين أيضا) اسمه كعب بن عمرو ، وهو من أعيان الصحابة الأنصار ، وهو الذى أسر العباس يوم بدر وشهد العقبة مع النبىّ صلى الله عليه وسلم وله عشرون سنة . وفيها تُوفّى سعد بن أبى وقّاص واسمه مالك بن أُهيب بن عبد مناف ابن زُهْرة بن كلاب بن مرّة ، كنيته أبو إسحاق الزُّهْرىّ ، أحد العشرة المشهود
١٠ لهم بالجنة وأحد السابقين الأولين ، كان يقال له : فارس الإسلام ، وهو أوّل مَنْ رَمَى بسهم فى سبيل الله ، وكان مقدّم الجيوش فى فتح العراق ، وكان مُجَاب الدعوة كثير المناقب وشهد بدرا . ورَوَى عثمان بن عبد الرحمن عن الزُّهْرىّ قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سَرِيّة فيها سعد بن أبى وقّاص الى رابِغ وهى من جانب الجُحْفَة ، فانكفأ المشركون على المسلمين فحماهم سعد يومئذ بسهامه ، وهو أول قتال كان
١٥ فى الإسلام ، فقال سعد :

ألا هل أتى رسولَ الله أنّى * حَمَيْتُ صَحابتى بصُدُور نَبْلِى[1]

فما يعتَدُّ رامٍ فى عَدُوٍّ * بسَهْمٍ يا رسول الله قَبْلِى

وفيها تُوفّى الأرقَم بن أبى الأرقَم المخزومىّ ، وهو الذى كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يختفى فى داره بمكة ، وكان عمره ثمانين سنة وزيادة ، وقيل مات يوم مات أبو بكر
٢٠ الصدّيق رضى الله عنه .

(١) كذا فى ف والسيرة لابن هشام (ص ٤١٨ طبعة أوروبا) وورد هذا الشطر فى م محرّفا . قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر أن الأبيات لسعد .

§أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ستة أذرع و إصبعان، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وستة أصابع .

* * *

حوادث السنة التاسعة من ولاية مسلمة بن مخلد

السنة التاسعة من ولاية مسلمة بن مخلَّد على مصر وهى سنة ست وخمسين — فيها عَزَل معاويةُ عُبيدَ الله بن زِياد عن خُراسان وولّى عليها سعيد بن عثمان بن عفان ، فغزا سعيد سَمَرْقَند ومعه المُهَلَّب بن أبى صُفْرة الأزدىّ وطَلْحة الطلحات وأوس بن ثعلبة، وخرج إليه الصُّغْد[1] فقاتلوه فألجأهم الى مدينتهم، فصالحوه وأعطَوْه رهائن . وفيها شتّى المسلمون بأرض الروم. وفيها تُوفّيت أمّ المؤمنين جُوَيْرية المُصْطَلِقيّة ، وقيل : إنها ماتت فى سنة خمسين ، وهى جُوَيرية بنت الحارث بن أبى ضِرار المُصْطَلِقىّ، سباها النبىّ صلى الله عليه وسلم يوم المُرَيْسِيع فى السنة الخامسة، وكان آسمها بَرّة فغيّر النبىّ صلى الله عليه وسلم آسمها وتزوّجها وجعل صَداقها عِتْق جماعة من قومها، ثم قدِم أبوها الحارث بن أبى ضِرار على النبىّ صلى الله عليه وسلم. وعن جُوَيرية قالت : تزوّجنى النبىّ صلى الله عليه وسلم وأنا بنت عشرين سنة، وكانت قبل النبىّ صلى الله عليه وسلم عند آبن عمّها صَفْوان ذى الشُّفْر[2] . وفيها غزا يزيد بن شَجَرة فى البحر، وفى البرّ عِياض بن الحارث. وفيها آعتمر معاوية فى رجب. وحجّ بالناس الوليد بن عُتْبة بن أبى سُفيان. وفيها كانت البَيْعة ليزيد بن معاوية بولاية العهد . وفيها تُوفّى عبد الله بن قُرْط الأَزْدىّ الصحابىّ أمير حِمْص .

(١) كذا فى تاريخ الإسلام للذهبى وتاريخ الطبرى والكامل لابن الأثير فى حوادث سنة ست وخمسين . وفى الأصل : « الصغد وقاتلوه حتى التجأ إلى مدينة سمرقند فصالحهم وأعطاهم رهائن » وهو خطأ .

(٢) كذا فى الطبرى (ص ٢٤٥٠ من القسم الثالث) وطبقات ابن سعد (ج ٨ ص ٨٣ طبعة أوروبا) . وفى م : « صفوان بن أبى الشقر » وفى ف : « صفوان بن أبى السفر» . وابن عمها هو مسافع بن صفوان .

§أمر النيل فى هــذه السنة — المـاء القديم سبعة أذرع وسبعة أصابع ، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و إصبعان .

* * *

حوادث السنة العاشرة من ولاية مسلمة بن مخلد

السنة العاشرة من ولاية مسلمة بن مخلَّد على مصر وهى سنة سبع وخمسين — فيهـا وجّه معاويةُ حسانَ بن النعمان الغسّانىّ إلى إفريقيــة ، فصالحوه[1] مَنْ يليه من البربر وضرب عليهــم الخراج وبقى عليها حتى تُوفّى معاوية وتخلّف آبنه يزيد . وفيها عَزَل معاويةُ الضحّاكَ عن الكوفة وولّاها عبــد الرحمن بن أمّ الحَكَم . وفيها عَزَل معاويةُ مَرْوانَ بن الحَكَم عن المدينــة وأمّر عليها الوليد بن عُتْبةَ بن أبى سـفيان . وفيها عَزَل معاويةُ سـعيدَ بن عثمان عن خُراسان وأعاد عليهـا عُبَيد الله بن زِيَاد . وفيهـا شتّى عبــد الله بن قيس بأرض الروم . وفيهـا تُوفّى السائب بن أبى وَدَاعة السهمىّ الصحابىّ وكان أُسر يوم بدر وأسلم بعد ذلك . وفيهـا توفى عثمان بن طلحة ابن شَيْبة العَبْدَرىّ ، وقيل فى سنة تسع وخمسين وهو جدّ بنى شَيْبة حَجَبة الكعبة ، وأسلم يوم الفتح ، وقيل يوم حُنَين . وفيها غزا مالك بن عبد الله الخثعمىّ أرض الروم وعمرو بن يزيد[2] الجُهَنى فى البحر ، وقيل جُنادة بن أبى أميّة .

§أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمسة أذرع وآثنا عشر إصبعا ، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وخمسة عشر إصبعا .

---

(١) كذا ورد هذا الفعل فى الأصول بواو الجماعة ، وتوجه صحته عربية بأنّ من بدل من الواو على حدّ قوله تعالى : (وأسرّوا النجوى الذين ظلموا) .

(٢) كذا فى الطبرى وتاريخ ابن الأثير فى حوادث سنة ثمان وخمسين . وفى الأصل : «عمرو بن أبى زيد» .

* * *

حوادث السنة الحادية عشرة من ولاية مسلمة بن مخلد

السنة الحادية عشرة من ولاية مسلمة بن مخلّد على مصر وهى سنة ثمان وخمسين — فيها غزا عُقْبة بن نافع من قِبَل مسلمة بن مخلّد القَيْروان واختطّ عقبة مدينة القيروان وابتناها . وفيها تُوفّيت أمّ المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصدّيق رضى الله عنهما فَقيهة نساء هذه الأمّة ، وكنيتها أمّ عبد الله التيميّة ، دخل بها النبىّ ٥ صلى الله عليه وسلم فى شوّال بعد بدر ولها من العمر تسع سنين ، وهى أحبّ نساء النبىّ صلى الله عليه وسلم اليه[1] بعد خديجة ، روى عنها جماعة كثيرة من الصحابة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"، وقالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما : "يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام" فقالت : عليه السلام ورحمة الله وبركاته ، تَرَى ما لا أرى . وعن ١٠ عائشة : أنّ جبريل جاء بصورتها فى خِرْقة حرير خضراء إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة . رواه الترمذىّ وحسّنه .

قلتُ : وفضل ومناقب عائشة كثيرة وكانت وفاتها فى شهر رمضان ، وقال الواقدىّ : فى ليلة سابعَ عشرَ رمضان ودُفنت بالبَقيع ليلا ، فلم تُرَ ليلةٌ أكثرُ ناسًا منها ، وصلى عليها أبو هريرة ، وماتت ولها ستّ وستون سنة رضى الله عنها . وفيها عَزَل ١٥ معاويةُ الضحّاكَ بن قيس عن الكوفة واستعمل عوضه عبد الرحمن بن عبد الله الثقفىّ وهو ابن أمّ الحكَم وهو ابن أخت معاوية ، وفى عمله فى هذه السنة خرجت الخوارج الذين كان المُغيرة بن شُعْبة حبسهم ، فجمعهم حَيّان بن ظَبْيان السُّلَمىّ ومُعاذ بن جُوَين

(١) كذا فى شرح القسطلانى على البخارى (ج ٦ ص ١٦٨ طبع بولاق) وهو الموافق لقاعدة أنّ أفعل التفضيل اذا كان متعدّيا بنفسه دالا على حب أو بغض عدّى بالى الى ما هو فاعل فى المعنى ، وباللام ٢٠ الى ما هو مفعول فى المعنى (انظر شرح الأشمونى فى آخر باب أفعل التفضيل) . وفى الأصول : « له » .

الطائىّ فخطباهم وحثّاهم على الجهاد ، فبايعوا حيّان بن ظبيان وخرجوا [إلى بانقيا] (١)
فسار الجيش إليهم من الكوفة فقتلوهم جميعا؛ ثم إنّ عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم طرده
أهل الكوفة لسوء سيرته فلحق بخاله معاوية فولّاه مصر فاستقبله معاوية بن حُدَيج
على مرحلتين من مصر فقال : ارجع الى خالك، فلا تَسِر فينا سيرتك فى إخواننا أهل (٢)
٥ الكوفة، فرجع الى معاوية؛ ثم توجّه آبن حُدَيج الى معاوية فى السنة يعاتبه كما نذكره
إن شاء الله تعالى بعد وفاة أبى هُرَيرة . وفيها تُوفّى أبو هريرة وقيل فى التى بعدها ،
والأكثر على أنّ وفاته فى هذه السنة . وفى آسم أبى هريرة وآسم أبيه أقوال كثيرة .
قال أبو عبد الله الذهبىّ : أشهرها عبد الرحمن بن صَخْر، وكان اسمه قبل الإسلام
عبد شمس . وقال : كنّانى أبى بأبى هريرة لأنى كنت أرعى غَنَمًا فوجدت أولاد هرّة
١٠ وحشيّة فأخذتها (٣) ، فقال : أنت أبو هريرة . وهو من المكثرين من الصحابة، وهو
دَوْسِىّ، ودَوْس : قبيلة من الأَزْد، ومات وله ثمان وسبعون سنة . وفيها وفد معاوية
ابن حُدَيج على مُعاوية بن أبى سُفيان الخليفة، وكان اذا قَدِم معاوية على معاوية
زُيِّنت له الطرق [بقباب الرَّيحان] (٤) تعظيما لشأنه ، فدخل على معاوية وعنده أخته
أمّ الحَكَم، فقالت : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : بَخٍ بَخٍ ! هذا معاوية بن
١٥ حُدَيج؛ فقالت : لا مرحبا «تَسمَعُ بالمُعَيْدِىّ خيرٌ من أن تراه»؛ فسمعها معاوية
ابن حُدَيج فقال : على رِسْلك يا أمّ الحَكَم، والله لقد تزوّجتِ فما أكرمتِ، وولَدتِ

قدوم معاوية بن حديج على معاوية ابن أبى سفيان وتزيين الطرق له

---

(١) الزيادة عن الكامل لابن الأثير فى حوادث سنة ثمان وخمسين . وهى ناحية من نواحى الكوفة كما فى معجم ياقوت فى اسم بانقيا . (٢) الذى فى الكامل لابن الأثير فى حوادث سنة ثمان وخمسين : « فلعمرى لا تسير فينا الخ »

٢٠ (٣) وردت هذه الكلمة فى جميع الأصول « فأخذتهم » والمعروف أنّ « هم » ضمير يختص بجماعة الذكور العقلاء، فما أثبتناه هو الصواب عربية . (٤) الزيادة عن الكامل لابن الأثير فى حوادث سنة ثمان وخمسين

فما أنجبتِ[1]، أردتِ أن يلي آبنك الفاسقُ علينا فيسير فينا كما سار فى أهل الكوفة !
ما كان الله ليُريه ذلك، ولو فعله لضربناه ضربا يُطأطئ منه ولو كره هذا القاعد
(يعنى خاله معاوية)؛ فالتفت إليها معاوية وقال لها : كُفّى، فكفّت عن الكلام .
وفيها تُوفّى عُبَيد الله بن العباس بن عبد المطلب، أحد الأجواد وله صُحْبة ورواية .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ذراعان وأربعة عشر إصبعا . وفى دُرَر ٥
التِّيجان : وأربعة وعشرون إصبعا، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا وأحد عشر إصبعا .

*
* *

حوادث السنة الثانية عشرة من ولاية مسلمة بن مخلد

السنة الثانية عشرة من ولاية مسلمة بن مخلد على مصر وهى سنة
تسع وخمسين — فيها شتّى عمرو بن مرّة بأرض الروم فى البرّ . وفيها حجّ بالناس
الوليد بن عُتْبة، وقيل عثمان بن محمد بن أبى سُفيان . وفيها غزا أبو المُهاجر دينارٌ ١٠
فنزل على قَرْطَاجَنَّة وخرج إليه أهلها فالتقَوْا وكثر القتل بين الفريقين حتى حجز
الليل بينهم، وآنحاز المسلمون من ليلتهم فنزلوا جبلا فى قِبْلة بولس، ثم عاودوهم
وصالحوهم على أن يُخلوا لهم الجزيرة، ثم افتتح أبو المهاجر المذكور مِيلَة[2]، وكانت
إقامته بها فى هذا الغزو نحوا من سنتين . وفيها توفّى عبد الله بن عامر بن كُرَيز بن
ربيعة بن حبيب بن عبد شمس القرشىّ العَبْشَمىّ أبو عبد الرحمن . قال الذهبىّ : ١٥
رأى النبىّ صلى الله عليه وسلم، وله حديث، وهو : "مَنْ قُتِل دون ماله فهو شهيد"،
وروى عنه حنظلة بن قيس . وأسلم والده يوم الفتح . وفيها توفى مُرّة بن كعب
البَهْزِىّ السلمىّ[3] له صحبة . وفيها توفى سعيد بن العاص بن أبى أُحَيْحَة بن سعيد

---

(١) كذا فى الكامل لابن الأثير فى حوادث سنة ثمان وخمسين . وفى ف، م : « انجبت » .
(٢) ميلة : مدينة صغيرة بأقصى إفريقية بينها وبين « بجاية » ثلاثة أيام . (٣) فى م : ٢٠
« برة بن كعب البهارى » وفى ف : « برة بن كعب البهزى » وكلاهما تصحيف، والتصويب عن الكامل
لابن الأثير فى حوادث سنة تسع وخمسين، والإصابة فى تمييز أسماء الصحابة .

ابن العاص بن أمية، أمير الكوفة لعثمان ، وكان فصيحا سخيّا ، ولد بُعيدَ الهجرة ، وهلك أبوه يوم بدر . وفيها توفى شيبة بن عثمان بن أبى طلحة العَبْدَرىّ حاجب الكعبة ابن أخت مُصْعَب بن عُمَيْر، شهد خيبر كافرا ونيّته ٱغتيال النبىّ صلى الله عليه وسلم ثم أسلم يومئذ. وفيها توفى أبو مَحْذُورَةَ، وٱسمه الياس وقيل سَمُرة ابن مِعْيَر الجُمَحِىّ، مؤذّن النبىّ صلى الله عليه وسلم وكان من أندى الناس صوتا .

٥ وخرجت هذه السنة والوالى على الكوفة النعمان بن بَشير، وعلى البصرة عُبيد الله بن زياد، وعلى المدينة الوليد بن عُتبة، وعلى خُرَاسان عبد الرحمن[1] بن زياد، وعلى سِجِسْتان عبّاد بن زياد، وعلى كَرْمان شَريك بن الأعور .

§أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثلاثة أذرع وسبعة عشر إصبعا .

١٠ وفى كتاب درر التيجان : وسبعة وعشرون إصبعا، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وأحد عشر إصبعا .

***

حوادث السنة الثالثة عشرة من ولاية مسلمة بن مخلد

السنة الثالثة عشرة من ولاية مَسْلَمة بن مُخَلَّد على مصر وهى سنة ستين — فيها توفى الخليفة أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان، واسم أبى سفيان صَخْر بن حرب

١٥ ابن أميّة بن عبد شمس أبو عبد الرحمن القرشىّ الأُمَوِىّ، وأمّه هند بنت عتبة بن ربيعة، وأسلم معاوية قبل أبيه فى عمرة القضاء، وبقِىَ يخاف من الخروج الى النبىّ صلى الله عليه وسلم من أبيه، ولِىَ إمرة الشام لعمر ثم لعثمان، ثم نازع عليّا الخلافة حتى وليها من بعده فى سنة أربعين من الهجرة بعد موت علىّ بن أبى طالب وبعد أن سلّم اليه الحسن بن علىّ الأمر، بعد أمور وقعت مع على وٱبنه الحسن رضى الله

٢٠ (١) كذا فى الطبرى وابن الأثير فى حوادث سنة تسع وخمسين . وفى الأصل : «عبيد الله بن زياد» وهو خطأ .

عنهما . قال الذهبى : وأظهر إسلامه يوم الفتح، وكان رجلا طويلا أبيض جميلا مَهِيــلا[1] اذا ضحِك آنقلبت شفته العليا، وكان يُخضِّب بالصفرة اه .

قلت : وهو كاتب النبى صلى الله عليــه وسلم وأخو زوجتــه أم حبيبة بنت أبى سفيان المقدّم ذكرها . وكانت وفاة معاوية فى شهر رجب وله سبع وسبعون سنة، وتولى آبنه يزيد الخلافة من بعــده . وفيها كانت غزوة مالك بن عبد الله سورِيّة . ٥ وفيها أيضا كان دخول جُنادة رُودِس وهــدم بيوتها فى قول بعضهم . وفيهــا توفى أبو عبد الرحمن بلال بن الحارث المُزَنِى الذى أقطعه النبى صلى الله عليه وسلم معادن القَبَلِيّة[2]، عاش ثمانين سنة . وفيها توفى أبو حُمَيْد الساعِدى المَدَنِى الصحابى أحد من نزل البصرة من الصحابة، وهو الذى وصف صلاة النبى صلى الله عليه وسلم . وفيها (٨١) توفى سَمُرَة بن جُنْدَب الصحابى الفزارى . وفيها حج بالنّاس عمرو بن سعيد الأشدق، ١٠ وكان العامل على مكة والمدينــة . وفيها توفيت الكلابيّــة التى آستعاذت من النبى صلى الله عليه وسلم لـمــا تزوّجها ففارقها، وكان قد أصابها جنون .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المــاء القديم ستة أذرع وعشرون إصبعا، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وثلاثة أصابع

١٥

***

حوادث السنة الرابعة عشرة من ولاية مسلمة بن مخلد

السنــة الرابعة عشرة من ولاية مَسْلَمَة بن مُخَلَّد على مصر وهى سنة إحدى وستين — فيها كانت مَقْتَلَة الســيد الحسين بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنــه ريحانة النبى صلى الله عليه وسلم وآبن بنته فاطمة بكَرْبَلاء فى يوم عاشــوراء، وقصته

(١) مهيلا : مخوفا لهيبته .

(٢) القبلية : ناحية من نواحى الفرع بالمدينة . ٢٠

طويلة يجرح ذكرها القلوب، غير أننا نختصر منها ما نعرف به وفاته وكيفيّة خروجه حتى ظُفر به .

وهو أنه لمّا ولى يزيد بن معاوية الخلافة بعد موت أبيه بايع الناس السيد الحسين بالخلافة وخرج فى جموعه بعد أن خلع الفاسق يزيد المذكور من الخلافة ،
٥ فانتدب لقتاله بأمر يزيدَ ٱبنُ مَرْجانة (أعنى عبيد الله بن زياد) وقاتله حتى ظفر به وقتله بعد أمور وحروب . وكان قاتل الحسين رضى الله عنه الشِّمر[1] اللعين الطريد من رحمة الله، قتله بكَرْبَلاء . وقتل مع الحسين من إخوته لأبيه جعفر وعتيق ومحمد والعباس الأكبر بنو علىّ ، وٱبن الحسين الأكبر علىّ ، وهو غير علىّ زين العابدين، وٱبنه عبد الله ، وٱبن أخيه القاسم بن الحسن ، ومحمد بن عبد الله بن جعفر بن
١٠ أبى طالب، وأخوه عون، وقتل معه أيضا عبدالله وعبد الرحمن ابنا مسلم بن عقَيل رضى الله عنهم أجمعين .

ولما جىء برأس الحسين الى عبيد الله بن زياد جعل يَنْكُت بقضيب على ثناياه وقال : إنْ كان لحَسَنَ الثغر! فقال له أنس[2] : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبِّل موضع قضيبك من فِيه . ثم بعث بالرأس الى يزيد بن معاوية، فلما
١٥ حضروا برأس الحسين عند يزيد أنشد :

نُفلِّق هامًا من أناس أعِزّةٍ * علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

وفيها توفى عثمان بن زياد بن أَبِيه أخو عبيد الله بن زياد المذكور، مات شابا وسنه ثلاث وثلاثون سنة . وفيها توفيت أمّ المؤمنين أمّ سَلَمَة، وٱسمها هند بنت

---

(١) كذا بالأصول، والذى ورد فى ابن جرير الطبرى (قسم ٢ ج ٢ ص ٣٦٥): أن الذى باشر قتله
٢٠ هو زرعة بن شريك التميمى وسنان بن أنس وخولىّ بن يزيد الأصبحى، وأن شمرا حرّض عليه ولم يباشر قتله .

(٢) الذى فى الطبرى (قسم ٢ ج ٢ ص ٣٧٠) : «فقال له يزيد بن أرقم» .

أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومية، زوجة النبىّ صلى الله عليه وسلم وهى بنت عم أبى جهل و بنت عم خالد بن الوليد، بنى بها النبىّ صلى الله عليه وسلم فى سنة ثلاث من الهجرة ، وكانت قبله عند الرجل الصالح أبى سَلَمَة بن عبد الأسد وهو أخو النبىّ صلى الله عليه وسلم ،وكانت من أجمل النساء، وطال عمرها وعاشت تسعين سنة وأكثر، وهى آخر أمهات المؤمنين وفاةً، وقد حزِنت على الحسين و بكت عليه كثيرا . وفيها توفى حمزة بن عمرو الأسلمىّ المدنىّ الذى له صحبة . وفيها حجّ بالناس الوليد بن عتبة . وفيها توفى جابر بن عَتِيك الأنصارىّ، وقيل جبر[1]، وله إحدى وتسعون سنة وشهد بدرا . وفيها توفى عَلقَمة بن قيس النخَعىّ صاحب عبدالله ابن مسعود على خُلْف فى وفاته . وفيها توفى خالد بن عُرْفُطَة العذرىّ الصحابىّ له صحبة ورواية، روى عنه عبد الله بن يَسَار وأبو إسحاق، وكان ولِى الكوفة لزياد ابن أبيه .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم سبعة أذرع وستة أصابع ، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وأربعة أصابع . وفى درر التيجان : وثمانية أصابع .

* * *

حوادث السنة الخامسة عشرة من ولاية مسلمة بن مخلد

السنة الخامسة عشرة من ولاية مَسْلَمَة بن مُخَلَّد على مصر وهى سنة اثنتين وستين — وهى التى مات فيها مَسْلَمة بن مُخَلَّد صاحب الترجمة . وفيها توفى أبو مُسْلِم الخَوْلَانِىّ اليمانى[2] الزاهد سيد التابعين بالشأم ، واسمه عبد الله بن ثُوَب ، وقيل ابن عُبَيْد، وقيل ابن مشكم[3] ، وقيل اسمه يعقوب بن عوف ؛ قدِم المدينة من

---

(١) كذا فى ف وأسد الغابة وطبقات ابن سعد، وهو الصحيح . وفى م : «جبير» وهو تحريف .

(٢) كذا فى تهذيب التهذيب وتقريب التهذيب والخلاصة . وفى ف ، م : أبو مسلم الخولانى الدارانى الزاهد الخ . (٣) كذا فى تهذيب التهذيب . وفى الأصل : وقيل ابن سلم .

اليمن فى خلافة أبى بكر الصدّيق، وكان أسلم فى زمن النبىّ صلى الله عليه وسلم . وفيها
ولّى عبيد الله بن زياد أمير العراق المنذرَ بن الجارُود العَبْدِىّ على السِّند . وفيها غزا
سالم خُوَارِزْم فصالحوه على مال . وفيها حجّ بالناس عثمان بن محمد بن أبى سفيان بن
حرب، وقال ابن الأثير: الوليد بن عتبة . وفيها توفى عَلقَمَة بن قيس بن عبد الله بن
٥ مالك أبو شِبْل النخَعِىّ الكوفىّ الفقيه المشهور خال إبراهيم النخَعِىّ، قال الذهبىّ :
أدرك الجاهلية وسمع عمر وعثمان وعليا وابن مسعود وأبا الدرداء وسعد بن أبى وَقّاص
وعائشة وجماعة أُخَر، وقد ألقاه الأسود الكذّاب فى النار فلم تضرّه . قاله إسماعيل
ابن عيّاش عن شُرَحْبِيل بن مُسْلِم . قلت : الأسود الذى كان ادّعى النبوّة (١) . وفيها
ولد محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس والد السفّاح والمنصور . وفيها توفى بُرَيْدَة بن
١٠ الحُصَيْب الأسلمىّ الصحابىّ مات بمَرْو، وكان أسلم قبل بدر. وفيها توفى عبد المطلب
ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ابن ابن عمّ النبىّ صلى الله عليه وسلم، له صُحبة،
وأخرج له مسلم .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمسة أذرع وثلاثة أصابع، مبلغ
الزيادة سبعة عشر ذراعا وأربعة أصابع .

١٥ ذكر ولاية سعيد بن يزيد على مصر

ترجمة سعيد بن يزيد وولايته على مصر

هو سعيد بن يزيد بن عَلْقمة بن يزيد بن عوف الأَزْدىّ أمير مصر من أهل
فلسطين، وُلِّىَ إمرة مصر بعد موت مسلمة بن مخلَّد من قِبَل يزيد بن معاوية بن
أبى سفيان ودخلها فى مستهلّ شهر رمضان سنة اثنتين وستين من الهجرة، وتلقّاه
أهل مصر ووجوه الناس وفيهم عمرو الخَوْلانىّ، فلما رآه قال : يغفر الله

٢٠ (١) كذا فى ف، وهو الأسود ذى الخمار عبهلة بن كعب العنسىّ . وفى م : « الأسود الدؤلى »
وهو تحريف .

(٨٣) لأمير المؤمنين ، أَمَا كان فينا مائة شابّ كلهم مثلك يولّى علينا أحدهم ! ثم دخلوا معه . ولم يزل أهل مصر على الشّنآن له والإعراض عنه والتكبّر عليه حتى توفّى يزيد ابن معاوية ودعا عبد الله بن الزبير الناس لبيعته وقامت أهل مصر بدعوته وسار منهم جماعة كثيرة إليه ، فبعث عبد الله بن الزبير عبدَ الرحمن بن جَحْدم أميرًا على مصر، وآعتزل سعيد المذكور، فكانت ولايته سنتين إلا شهرا واحدا . ٥

وقال صاحب كتاب " البُغْية والاغتباط فيمن مَلَك الفُسطاط " : ولّاه يزيد ابن معاوية على مصر فقدِمها[(١)] في آستهلال شهر رمضان سنة آثنتين وستين ، فأقرّ عابسا على الشُّرْطة، ثم ساق نحوا ممـا قلناه ، الى أن قال : وكانت مدّته على مصر سنتين وأشهرا .

١٠ قلت : وفى مدّة هاتين السنتين وقع له حروب كثيرة شرقا وغربا ، فأما من جهة الشرق فكانت الفتن ثائرة بين ابن الزبير وبين الأمويّة حتى قَدِم ابن جَحْدَم الى مصر وملكها منه ودعا بها لآبن الزبير ، هـذا مع الفتن التى كانت ببلاد المغرب من خروج كُسَيلة البربرىّ وتجرّد بسببه غير مرّة الى برقة وغيرها .

وأمرُ كُسَيلة البربرىّ : أنه كان أسلم لمّا وُلّىَ أبو المُهاجر إفريقية وحَسُن إسلامه، فكان من أكابر البربر وصحب أبا المهاجر، فلمّا وُلّىَ عُقْبة بن نافع إفريقية ١٥ عرّفه أبو المهاجر محلّ كسيلة وأمره بحفظه، فلم يقبل وآستخفّ به ، وأتى عقبة بغنم فأمر كسيلة بذبحها وسلخها مع السلّاخين، فقال كسيلة : هؤلاء غلمانى يكفوننى المؤونة، فشتمه عقبة وأمره بسلخها ففعل ، فنصح أبو المهاجر عقبة فلم يسمع ، فقال : وإن كان لا بدّ فأوثقه فإنى أخاف عليك منه فتهاون به عقبة فأضمر كسيلة

(١) فى ف ، م : «صلاة» ولا تتفق مع السياق ، وما أثبتناه هو المناسب . ٢٠

الغدر، فلمّا كان الآن ورأى القوم قِلّةً[(١)] مع عقبة توثّب، وكان فى عسكر عقبة جماعة وافقوا كسيلة، ثم راسلته الروم فأظهر كسيلة منذ ذلك ما كان أضمر وجمع أهله وبنى عمّه وقصد عقبة؛ فقال أبو المهاجر لعقبة : عاجِله قبل أن يقوى جمعه، وكان أبو المهاجر مُوثَقًا فى الحديد مع عقبة، فزحف عنه عقبة إلى كسيلة، فتنحّى كسيلة عن طريقه ليكثر جمعه ويتعب عقبة؛ فلمّا رأى أبو المهاجر ذلك تمثّل بقول أبى مِحْجَن الثقفىّ :

كفى حَزَنًا أن تُطعَنَ[(٢)] الخيلُ بالقَنَا * وأُترَكَ مشـدودًا علىّ وَثاقيا
اذا قمتُ عنّانى الحديد وأُغلقتْ * مصارعُ مِنْ دونى تُصِمّ المناديا

فبلغ عقبة ذلك، فأطلقه وقال له : الحَقْ بالمسلمين فقُمْ بأمرهم وأنا أغتنم الشهادة؛ فلم يفعل وقال[(٣)] : وأنا أيضا أريد الشهادة؛ فكسر عقبة والمسلمون أجفان سيوفهم وتقدّموا الى البربر وقاتلوهم حتى قُتل المسلمون جميعهم ولم يُفْلِت منهم أحد، وأسر محمد بن أَوْس الأنصارىّ فى نفر يسير فخلّصهم صاحب قَفْصة وبعث بهم الى القَيْرَوان، فعزم زُهَير بن قيس البَلَوِىّ على القتال فلم يوافقه حَنَش الصنعانىّ وعاد الى مصر وتبعه أكثر الناس من العساكر المصرية من جُنْد سعيد صاحب مصر، فاضطرّ زهير الى العود معهم فسار الى بَرْقة وأقام بها، وبعث يستمدّ المصريين، ووقع له أمور إلى أن ملك إفريقية فى سنة تسع وستين .

(٨٤)

---

(١) كذا فى الأصل . وفى تاريخ الكامل لابن الأثير : «ورأى الروم قلة من مع عقبة فأرسلوا الى كسيلة وأعلموه حاله، وكان ... الخ» . (٢) كذا ورد فى ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية . وفى الأغانى فى ترجمة ج ٢١ : «تردى» . وفى الأصل والكامل لابن الأثير فى حوادث سنة اثنتين وستين : «تمرغ» ولم نجد له معنى مناسبا فى كتب اللغة . (٣) كذا فى الكامل

وأما كُسَيلة فاجتمع اليه جميع أهل إفريقية وقصد القيروان، وبها أصحاب الأثقال[1] والذرارى من المسلمين ، فطلبوا الأمان من كسيلة فآمنهم، ودخل القيروان واستولى على إفريقية وأقام بها من غير مُدافع الى أن قَوِىَ أمر عبد الملك بن مروان وندب زهيرا ثانية وأمدّه بالعساكر حتى آستولى على إفريقيــة ودعا بها لعبــد الملك ابن مروان . وكان زهير بن قيس المذكور فى هذه المدّة مُرابطا ببرقة ومن وَلِىَ من أمراء مصر يعضّده الى أن كان ما كان . ٥

* * *

حوادث السنة الأولى من ولاية سعيد بن يزيد

السنة الأولى من ولاية سعيد بن يزيد على مصر وهى سنة ثلاث وستين — فيهــا غزا عقبة بن نافع القَيْروان وسار حتى دخل السُّوس[2] الأقصى وغنم وسلم ورَدّ من القيروان، فلقيه كُسَيلة النصرانىّ فدافعه عقبة بمَنْ معه فاستُشهد عقبــة بن نافع المذكور فى الوقعــة وأبو المُهَاجر مولى الأنصــار وعامّة أصحابهما ، ثم سار كسيلة فخرج لحربه زهير بن قيس البلوىّ خليفــة عقبة على القيروان وواقعه، فانهزم زهير الى بَرْقة وأقام بها سنين إلى أن ندبه عبد الملك بن مروان لقتاله ثانيا، فتوجّه إليــه وواقعه، فقتل اللعين كسيلة وهزم جنوده وقُتلت منهم مقتلة عظيمة، وقد مرّ ذلك كله فى أوّل الترجمة مفصلا . وفيها بعث سالم بن زياد بن أبيــه طلحة بن عبد الله الخزاعىّ واليا على سِجِستان وأمره أن يفدى أخاه مــن الأَسْر ففداه بخمسمائة ألف وأقدمه على أخيه . وفيها كانت وقعة الحرّة على باب طيبة، وهو أنّ يزيد بن معاوية بعث إليها جيشا عليهم مسلم بن عقبة حين خالفوا عليــه وأمره بهتك حُرْمة المدينة، ١٠ ١٥

---

(١) فى الأصل : «الأثقال» والسياق يقتضى ما أثبتناه .

(٢) كذا فى الكامل لابن الأثير فى حوادث سنة اثنين وستين ومعجم البلدان لياقوت وفتوح البلدان للبلاذرى وتقويم البلدان لأبى الفدا . وفى الأصل : « السوق » . ٢٠

وكان مع مسلم آثنا عشر ألفا ، فوصل مسلم المذكور إلى المدينة وفعل فيها ما لا يفعله مسلم ، فإنه قتل فى هذه الوقعة خلقا من المهاجرين والأنصار وآنتهكت حرمة المدينة وآنتُهِبَتْ وآفتُضَّت فيها ألف عَذْراء ، وآستُشهد فيها عبد الله بن حَنْظلة الغَسيل[1] فى ثمانية من بيته ، وله صُحْبة و رواية ، وقُتل فيها أيضا مَعْقِل بن سِنان الأشجعى صَبْرا ، وآستُشهد أيضا عبد الله بن زيد بن عاصم المازنى النجارى ، وله صُحْبة ورواية ، وآستُشهد فيها أيضا أفلح مولى أبى أيّوب ، ومحمد بن عمرو بن حَزْم الأنصارى ولد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، ومحمد بن ثابت بن قيس بن شَمّاس حَنّكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بريقه ، ومعاذ بن الحارث الأنصارى أبو حليمة القارى الذى أقامه عمر يصلّى التراويح ، وتوفّى رسول الله صلى الله عليه وسلم وله ستّ سنين ، ومحمد بن أبى الجَهْم بن حذيفة ، ومحمد بن أبى حُذيفة العدوى ؛ كل هؤلاء قتلوا يومئذ ؛ وهذا مما اختصرته من مقالة الذهبى .

وقد ذكر هذه الواقعة أيضا أبو المظفّر ، وساق فيها أمورا شنيعة إلى الغاية ، وفيما ذكرناه كفاية يُعرف منها حال مسلم بن عقبة المذكور . ويكفيك أنه من يومئذ سُمّى مسلم المذكور «مُسرف بن عقبة» . وقيل : إنه أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ، يأتى ذكر ذلك فى وفاته قريبا . انتهى أمر مسرف بن عقبة . وقال خليفة : جميع منْ أصيب من قريش والأنصار يوم الحَرّة ثلاثمائة وستة رجال ، ثم سرد أسماءهم فى ثلاث أوراق . وفيها توفّى مَسْروق بن الأَجْدَع ، واسم الأجدع عبد الرحمن بن مالك بن أميّة أبو عائشة الهَمْدانى ثم الوداعى الكوفى مُخَضْرَم (أعنى أنه وُلد فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم وأسلم بعد ذلك) وسمع أبا بكر وعمر وعثمان وغيرهم .

---

[1] لقب بالغسيل لأنه استشهد يوم أحد وغسلته الملائكة كما ورد فى الحديث .

وممن قُتل ايضا فى الحَرّة زيد بن عاصم وليس هو بصاحب الأذان، ذاك زيد بن ثعلبة، والزبير بن عبد الرحمن بن عوف . وحجّ بالناس عبد الله بن الزبير . وفيها توفى ربيعة بن كعب الأسلمىّ من أهل الصُّفّة، روى له مسلم .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ذراعان وسبعة أصابع، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وأربعة أصابع . ٥

* * *

ما وقع من الحوادث فى السنة الثانية من ولاية سعيد بن يزيد

السنة الثانية من ولاية سعيد بن يزيد على مصر وهى سنة أربع وستين — فيها حجّ بالناس عبد الله بن الزُّبير، وكان عامله على المدينة أخوه عُبيدة[1] بن الزبير، وعلى الكوفة عبد الله بن يزيد الخَطْمِىّ، وولّى قضاءها سعيد بن نِمْران، وأبى شُريح أن يقضى فى الفتنة، وعلى البصرة عمر بن عُبيد الله بن مَعْمَر التيمىّ، وعلى قضائها ١٠ هشام بن هُبَيرة، وعلى خراسان عبد الله بن خازم . وفيها توفّى مسلم بن عقبة المسمّى مُسرفا المقدّم ذكره فى وقعة الحرّة . قال محمد بن جرير الطبرىّ : ولمّا فرغ مسلم من وقعة الحرّة توجّه إلى مكة، وآستخلف على المدينة رَوْح بن زِنْباع الجُذامىّ، فأدرك مسلما الموتُ فعهد بالأمر إلى الحُصَين بن نُمَيْر .

وذكر الذهبىّ رحمه الله : أنّ مسلما هذا أدرك النبىّ صلى الله عليه وسلم . قلت: ١٥ ولهذا أمسكنا عن الكلام فى أمره . وشهد مسلم صِفِّين مع معاوية وكان على الرجّالة .

وفاة الخليفة يزيد بن معاوية

وفيها توفّى الخليفة يزيد بن معاوية بن أبى سفيان وقد تقدّم نسبه فى ترجمة أبيه معاوية، مات فى نصف شهر ربيع الأوّل، وكان بويع بالخلافة بعد موت أبيه

(١) كذا فى طبقات ابن سعد (ج ٥ ص ١٣٨) والكامل لابن الأثير (ج ٤ ص ١٤٣) والطبرى (ص ٤٦٧ من القسم الثانى طبعة أوربا) . وفى الأصل : « عبيد بن الزبير » . ٢٠

معاوية فى شهر رجب سنة ستين، فكانت خلافته ثلاث سنين وسبعة أشهر وأياما، وكان فاسقا قليلَ الدِّين مُدْمِنَ الخمر، وهو القائل :

أقول لصَحْبٍ ضَمَّت الكأس شَمْلَهم * وداعِى صبابات الهوى يَتَرَنَّمُ
خذوا بنصيبٍ من نعيم ولذّةٍ * فكلٌّ وإن طال المَدَى يَتَصَرَّمُ

٥ وله أشياء كثيرة غير ذلك غير أننى أضربت عنها لشهرة فسقه ومعرفة الناس (٨٦) بأحواله . وقد قيل : إنّ رجلا قال فى مجلس عمر بن عبد العزيز عن يزيد هذا أمير المؤمنين، فقال له عمر بن عبد العزيز: تقول : أمير المؤمنين! وأمر به فضُرب عشرين سَوْطا تعزيرا له . ولمّا مات يزيد هذا ولى الخلافة من بعده ابنه معاوية ابن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ثالث خلفاء بنى أميّة ، وكان رجلا صالحا فلم ١٠ يُرِدْ الخلافة وخلع نفسه منها، ومات بعد قليل .

ذكر خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبى سُفيان الأُمَوىّ ثالث خلفاء بنى أميّة ووفاته

خلافة معاوية بن يزيد ثالث خلفاء بنى أمية ووفاته

كنيته أبو عبد الرحمن، ويقال : أبو يزيد . بويع بالخلافة بعد موت أبيه يزيد بعهد منه إليه، وذلك فى شهر ربيع الأوّل من سنة أربع وستين، وكان مولده سنة ١٥ ثلاث وأربعين فلم تطل مدّته فى الخلافة .

قال أبو حفص الفلّاس [(١)] : ملك أربعين ليلة ثم خلع نفسه ، فإنه كان رجلا صالحا، ولهذا يقال فى حقّ أبيه : يزيدُ شرٌّ بين خَيْرَين، يعنون بذلك بين

---

(١) كذا فى ف ، م : «الفلاس» بالفاء، وهو عمرو بن على بن كنيز الباهلى أبو حفص البصرى الصيرفى الفلاس كما ورد فى تهذيب التهذيب (ج ٨ ص ٨٠) وذكر مصحح نسخة م أنه ورد فى نسخة ٢٠ «القلاس» بالقاف المعجمة، وهو تحريف .

أبيه معاوية بن أبى سفيان وآبنه معاوية هذا . وقيل : إن معاوية هذا لمّا أراد خَلْع نفسه جمع الناس وقال : أيها الناس، ضَعُفْتُ عن أمركم فآختاروا مَنْ أحببتم؛ فقالوا : ولّ أخاك خالدا. فقال : والله ما ذقتُ حلاوة خلافتكم فلا أتقلّد وِزْرها. ثم صعد المنبر فقال : أيها النـاس ، إنّ جدّى معاوية نازعَ الأمرَ أهـلَه ومَنْ هو أحق به منـه لقرابته من رسول الله صلى الله عليـه وسلم وهو علىّ بن أبى طالب، وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيّته، فصار فى قبره رهينا بذنوبه وأسيرا بخطاياه؛ ثم قلّد أبى الأمر فكان غير أهل لذلك، وركب هواه وأخلفه الأملُ، وقَصُر عنـه الأجل. وصار فى قبره رهينا بذنوبه، وأسيرا بجُرمه ؛ ثم بكى حتى جرت دموعه على خديه ثم قال : إنّ من أعظم الأمور علينا عِلْمنا بسوء مَصْرعه و بئس مُنْقَلَبه، وقد قَتَل عِتْرةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأباح الحُرَم وخرَّب الكعبة. وما أنا بالمتقلّد ولا بالمتحمّل تِبعَاتكم، فشأنكم أمرَكم؛ والله لئن كانت الدنيا خيرا فلقد نِلْنا منها حظّا ولئن كانت شرّا فكفى ذرّيةَ أبى سـفيان ما أصابوا منها؛ ألَا فليُصَلِّ بالناس حسّان ابن مالك، وشاوِروا فى خلافتكم رحمكم الله . ثم دخل منزله وتغيّب حتى مات فى سنته بعـد أيام .

وفيها توفّى شدّاد بن أوْس بن ثابت وهو آبن أخى حسّان بن ثابت . وفيها توفّى المِسْوَر بن مَخْرمة بمكة فى اليوم الذى ورد فيه خبر موت يزيد بن معاوية، وكان سبب موته أنه أصابه حجرُ مَنجنيق فى جانب وجهه فمرض أياما ومات . وفيها وثب مروان ابن الحَكَم على الأمر و بويع له بالخلافة .

خلافة مروان بن الحكم

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم أربعة أذرع وثمانية عشر إصبعا، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وسبعة أصابع .

ذكر ولاية عبد الرحمن بن جَحْدَم على مصر

ترجمة عبد الرحمن ابن جحدم وولايته على مصر

(٨٧)

هو عبد الرحمن بن عُقْبة[1] بن إياس بن الحارث بن عبد[بن][2] أَسَد بن جَحْدَم (بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة وفتح الدال المهملة أيضا وبعدها ميم ساكنة) الفِهْرِىّ أمير مصر، وَلِيَها من قِبَل عبد الله بن الزُّبَير بن العوّام لمّا بُويع بالخلافة فى مكة وبايعه المصريون وتوجّه إليه منهم جماعة كثيرة وبايعوه. فأرسل إليهم عبد الرحمن هذا فوصل إلى مصر فى شعبان سنة أربع وستين التى ذكرنا حوادثها فى إمرة سعيد ابن يزيد المقدّم ذكره؛ ودخل معه مصر جماعة كثيرة من الخوارج وأظهروا دعوة عبد الله بن الزبير بمصر ودعوا الناس لبيعته، فتابعهم الناس والجُنْد على ما فى قلوبهم من الحبّ فى الباطن لبنى أميّة .

ولما دخل عبد الرحمن المذكور إلى مصر وتمّ أمره أقرّ عابسا على الشُّرْطة والقضاء بمصر، فبينما هم فى ذلك وصل الخبر من الشأم ببيعة مَرْوان بن الحَكَم بالخلافة وأنّ أمره تمّ، فصارت مصر معه فى الباطن، وفى الظاهر لابن الزبير، حتى جهّز مروانُ بن الحكم جيشا مع ابنه عبد العزيز إلى أَيْلة ليدخل مصر من هناك، ثم ركب مروان بن الحكم فى جيوشه وجموعه وقصد مصر؛ فلما بلغ عبدَ الرحمن بنَ جحدم ذلك استعدّ لحربه وحفر خندقا فى شهر، أو قريب من شهر، وهو الذى بالقرافة، وسار مروان حتى نزل مدينة عين شمس (أعنى المطرية خارج القاهرة) فخرج إليه عبد الرحمن، فتحاربوا يوما أو يومين، فكانت بين الفريقين مَقْتَلة كبيرة، ثم آل الأمر بينهما إلى الصلح واصطلحا على أنّ مروان يقرّ عبد الرحمن ويدفع إليه مالا وكسوة؛ ودخل مروان مصر فى غرّة جمادى الأولى سنة خمس وستين .

---

(١) كذا فى الأصل . وفى المقريزى (ج ١ ص ٣٠١) وكتاب ولاة مصر وقضاتها للكندى (ص ٤١) : «عتبة» . (٢) الزيادة عن نسخة ف .

وقال صاحب البغية فى آخر جمادى الأولى من السنة : ومُدّة مُقام ٱبن جَحْدَم فيها إلى أن دخل مروان تسعةُ[1] أشهر، وبايعه الناس إلا قليلا فضرب أعناقهم، وجعل على الشُّرْطة فى مدّة مُقامه عمرو بن سعيد بن العاص ، وخرج منها (يعنى مروان) لهلال رجب سنة خمس وستين . انتهى كلام صاحب البغية .

٥ وقال غيره : وعَزَل مَرْوانُ عبدَ الرحمن بن جَحْدَم عن إمرة مصر، وكانت مدّة ولايته عليها تسعةَ أشهر وأياما، وفتح مروانُ خزائنه ووضع العطاءَ، فبايعه الناس إلّا نَفَرًا من المَعَافر قالوا : لا نخلع بيعة عبد الله بن الزبير، فضرب مروانُ أعناقهم وكانوا ثمانين رَجُلا ، وذلك فى نصف جمادى الآخرة . وكان فى ذلك اليوم موتُ عبد الله بن عمرو بن العاص فلم يستطع احد أن يخرج بجنازته إلى المقبرة، فدفنوه ١٠ بداره لشَغَب الجُنْد على مروان ، ثم ضرب مروان عُنُق الأُكْدر[2] بن حَمام اللخمىّ سيّد لَخْم، وكان من قَتَلة عثمان رضى الله عنه، ثم وَلّى مروانُ ٱبنَه عبدَ العزيز بن مروان على مصر وجمع له الصلاة والخَرَاج معا ، ثم خرج منها مروان يريد الشأم بعد أن أوصى ولده عبد العزيز بوصايا كثيرة مضمونها الرفق بأهل مصر، وكان خروج مروان من مصر فى أوّل يوم من شهر رجب .

١٥ وقال ابن كثير: وفيها (يعنى سنة خمس وستين) دخل مروان بن الحَكَم وعمرو بن سعيد الأَشْدَق إلى مصر فأخذاها من نائبها لعبد الله بن الزبير . وكان سبب ذلك أنّ مروان قصدها فخرج إليه نائبها عبد الرحمن بن جَحْدَم ، فقابله مروان ليقاتله فٱشتغل به وخَلَص عمرو بن سعيد بطائفة من الجيش من وراء عبد الرحمن بن

(١) كذا فى كتاب ولاة مصر وقضاتها للكندى (ص ٤٥) . وفى الأصل : « فسبعة » .

٢٠ (٢) كذا فى كتاب ولاة مصر وقضاتها (ص ٤٥) وحسن المحاضرة للسيوطى (ص ١٠٢ طبع مصر) وفى الأصل : « الأكيدر » وهو تحريف .

جحـدم ، فدخل مصر وملكها وهرب عبد الرحمن بن جحدم ، ودخل مروان إلى مصر فتملّكها وجعل عليها ولده عبد العزيز بن مروان . انتهى كلام ابن كثير برمته .

وقال ابن الأثير فى كتابه الكامل[1] : (ذكر فتح مروان مصر)، قال : ولمّا قُتل الضحّاك وأصحابه وآستقرّ[2] الشأم لمروان سار إلى مصر ، فقدِمها وعليهـا عبد الرحمن ابن جَحْدَم القرشىّ يدعو إلى آبن الزبير، فخرج إلى مروان فيمَنْ معه ،وبعث مروانُ عمرَو بن سعيد من ورائه حتى دخل مصر ، فقيل لآبن جحدم ذلك فرجع ، وبايع الناسُ مروانَ و رجع إلى دمشق؛ فلما دنا منها بلغه أنّ ابن الزبير قد بعث إليه أخاه مُصْعَبا فى جيش ، فأرسل إليه مروانُ عمرَو بن سعيد قبل أن يدخل الشأم [فقاتله][3] فانهزم مُصعَب وأصحابه ، وكان مصعب شجاعا ، ثم عاد مروان إلى دمشق فاستقرّ بها . وكان الحُصَـين بن نُمَير ومالك بن هُبَيرة قد اشـترطا على مروان شروطا لهما ولخالد ابن يزيد ، فلمّا توطّد مُلْكه قال ذات يوم ومالك عنده : إنّ قوما يدّعون شروطا منهم عَطّارة مُكَحَّلة (يعنى مالكا فإنه كان يتطيّب و يتكحّل)، فقال مالك هذا : ولمّـا تَرِدِى تَهامَةَ ويبلُغ الحِزامُ الطُّبْيَيْن ! فقـال مروان : مهلا أبا سـليمان إنمـا داعبناك[4]؛ فقال : هو ذاك . انتهى كلام ابن الأثير برمته .

قلت : وكانت أيام عبـد الرحمن هذا على مصر مع قِصَر مـدّته كثيرة الفِتَن والحروب من أوّلها إلى آخرها ، غير أنه حجّ بالناس من مصر فى أيامه ، و بنى عبد الله ابن الزبير الكعبة ولم يحجّ أحد من الشأم فى هذه السنة .

---

(١) راجع (ج ٤ ص ١٢٧ طبعة أوربا) . (٢) كذا فى ابن الأثير . وفى الأصل : « واستمرّ » . (٣) الزيادة عن ابن الأثير . (٤) كذا فى ابن الأثير . وفى الأصل :

قال ابن الأثير : لمّا احترقت الكعبة حين غزا أهل الشأم عبدَ الله بن الزبير أيامَ يزيد بن معاوية تركها ابن الزبير يشنّع بذلك على أهل الشأم ، فلمّا مات يزيد واستقر الأمر لابن الزبير شرع فى بنائها ، فأمر بهدمها حتى التحقت بالأرض وكانت قد مالت حيطانها من حجارة المنجنيق ، وجعل "الحجَر الأسود" عنده ، وكان الناس يطوفون من وراء الأساس وضرب عليها السورَ[1] وأدخل فيها الحِجْرَ ، واحتجّ بأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضى الله عنها : "لولا حِدْثان عهد قومك بالكفر لرددتُ الكعبة على أساس إبراهيم — عليه السلام — وأزيد فيها من الحِجْر" . فحفر ابن الزبير فوجد أساسا أمثالَ الجبال فحركوا منها صخرة فبرقت بارقةٌ ، فقال : أقرّوها على أساسها وبنائها ، وجعل لها بابَيْن يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر ، وقيل كانت عمارتها سنة أربع وستين .

***

ما وقع من الحوادث فى السنة التى حكم فيها عبد الرحمن بن جحدم

السنة التى حكم فيها عبد الرحمن بن جَحْدَم على مصر من قبل عبد الله بن الزبير وهى سنة خمس وستين — فيها وقع الطاعون الجارف بالبصرة فى قول ابن الأثير وعليها عبد الله بن عُبَيد الله بن مَعْمَر ، فهلك خَلْق كثير وماتت أمّ عُبَيد الله فلم يجدوا لها من يحملها . وفيها حج بالناس عبد الله بن الزبير وكان على المدينة أخوه مُصْعَب بن الزبير وعلى الكوفة ابن مُطيع وعلى البصرة الحارث بن أبى ربيعة المخزومىّ وعلى خُراسان عبد الله بن خازم . وفيها وجّه مَرْوان بن الحَكَم الخليفة حُبَيْش ابن دَلَجَة فى أربعة آلاف الى المدينة وقال له : أنت على ما كان عليه مُسْلِم بن عُقْبة ، فسار حبيش ومعه عبيد الله بن الحكم أخو مروان وأبو الحجاج يوسف الثقفىّ وابنه الحجاج وهو شاب ، فجهّز متولّى البصرة من جهة ابن الزبير ، وهو عُبَيدالله التَّيمىّ ، جيشا

(١) كذا فى الكامل لابن الأثير (ج ٤ ص ١٧٠) . وفى الأصل : «السنور» .

من البصرة، فالتقوا مع حُبَيْش بن دَبلَجة فى أوّل شهر رمضان فقُتل حبيش بن دبلجة وعُبَيد الله بن الحَكَم وأكثر الجيش، وهرّب من بقى وهرب يوسف وآبنه الحجاج. وفيها دعا عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية الى بيعته فأبى محمد فحصره فى شِعْب بنى هاشم فى جماعته وتوعّدهم . وفيها دخل المُهَلَّب بن أبى صُفْرة الى خُراسان أميرا

٥ عليها من قِبَل ابن الزبير وحارب الأزارقة أصحاب ابن الأزرق وقاتلهم حتى كسرهم وقتل منهم أربعة آلاف وثمانمائة . قال الذهبىّ : ووقع أيضا فى هذه السنة بين مروان وبين ابن الزبير حروب كثيرة حتى توفّى مروان حسبما يأتى ذكره . وفيها توفّى مالك بن هُبَيْرة السَّكُونىّ، له صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم . وفيها توفّى الخليفة مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أميّة بن عبد شمس أبو عبد الملك

وفاة مروان بن الحكم

١٠ القرشىّ الأُموىّ، ويقال أبو القاسم وأبو الحَكَم؛ ولد بمكة بعد عبد الله بن الزبير بأربعة أشهر . قال الذهبىّ : ولم يصحّ له سماع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن له رؤيةٌ إن شاء الله . اه .

قلت : وهو آبن عمّ عثمان بن عفان وكاتبه؛ ومن أجله كان ابتداء فتنة عثمان رضى الله عنه وقتلُه، ثم آنضم الى ابن عمه مُعاوية بن أبى سُفْيان وتولّى عدّة أعمال،

١٥ الى أن وثب على الأمر بعد أولاد يزيد بن معاوية (أعنى معاوية وخالدا) وبويع بالخلافة فلم تطل مدّته ومات فى أوّل شهر رمضان . وفى سبب موته خلاف كثير؛ وعهد بالخلافة من بعده الى ابنه عبد الملك، ثم من بعده الى ابنه عبد العزيز أمير مصر؛ وكان أوّلا أراد أن يعهد لخالد بن يزيد بن معاوية فإنّه كان خلعه من الخلافة وتزوج بأمّه، ثم بدا له أن يعهد لولديه عبد الملك وعبد العزيز؛ ثم ما كفاه

فزبره[1] وقال : تنحّ يابن رَطْبَة الآست ! والله مالك عقل ؛ وبلغ أمّ خالد ذلك فأضمرت له السوء ؛ فدخل مروان عليها وقال لها : هل قال لك خالد شيئا ؟ فأنكرت فنام عندها ، فوثبت هى وجواريها فعمدت الى وسادة فوضعتها على وجهه وغمرته هى والجوارى حتى مات ، ثم صرخن وقلن : مات بغتة . وقال الهيثم : إنه مات مطعونا بدمشق . والله أعلم . وفى حدودها توفّى قيس بن ذَرِيح أبو زيد الليثىّ الشاعر المشهور ، كان من بادية الحجاز ، وهو الذى كان يُشَبِّب بأمّ مَعْمَر لُبْنَى بنت الحباب الكعبيّة ثم إنه تزوّج بها ، وقيل : إنه كان أخا الحسين بن علىّ رضى الله عنهما من الرضاعة ، ثم أمر قيسا هذا أبوه بطلاق لُبْنَى فطلّقها وفارقها ، ثم قال فيها تلك الأشعار الرائقة ؛ من ذلك قوله :

ولو أنّنى أستطيع صبرًا وسَلْوَةً * تناسيتُ لُبْنَى غيرَ ما مُضْمِرٍ حِقْدَا
ولكنّ قلبى قد تَقَسّمه الهوَى * شَتاتا فما أُلْفَى صبورا ولا جَلْدَا

وله بيت مفرد :

وكلّ مُلِمّات الزمان وجدتُها * سوى فُرْقَة الأحباب هَيِّنَة الخَطْب

وفى حدودها أيضا توفّى قيس بن مُعاذ المجنون ، ومن ثمّ يقاس الجنون بجنون ليلى ، وقيل اسمه البَخْتَرِىّ[2] بن الجَعْد وقيل غير ذلك . وليلى محبوبته : هى ليلى بنت مَهدِىّ أمّ مالك العامريّة الرَّبَعيّة . وهو من بنى عامر بن صَعْصَعة وقيل من بنى كعب ابن سعد ، قيل إنه علِق بليلى علاقة الصِّبا لأنهما كانا صغيرين يرعيان أغناما لقومهما ، فعلِق كل واحد منهما بالآخر ، فلما كبرا احتجبت عنه ليلى فزال عقله ؛ وفى ذلك يقول :

---

(١) زبره : انتهره وزجره . (٢) كذا فى التنبيه على أوهام أبى علىّ فى أماليه (ص ٧٤ طبعة دار الكتب المصرية) بالباء المفتوحة والخاء المعجمة الساكنة . وفى الأصل : « البحترى » بالباء والحاء المهملة .

تعلّقتُ ليـلَى وهى ذات ذؤابةٍ[(١)] * ولم يبدُ للأتراب من ثَدْيِها حَجْمُ
صغيرَينِ نرعى البَهْمَ يا ليت أنّنا * الى اليوم لم نَكْبَرْ ولم تَكْبَرِ البَهْمُ

ثم عظُم الأمر به الى أن صار أمره الى ما هو أشهر من أن يذكر . وقيل إنهما ماتا فى سنة ثمانٍ وستين . وفيها توفّى عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم ، وقد تقدّم بقيّة نسبه فى ترجمة أبيـه عمرو بن العـاص الأُموىّ الصحابىّ ، وكنيته أبو محمد، ويقال أبو عبد الرحمن، القرشىّ السهمىّ ، كان من نجباء الصحابة وعلمائهم ، وهو من المكثرين لحـديث النبىّ صلى الله عليه وسـلم؛ ذكرنا يوم وفاته فى دخول مَرْوَان بن الحَكَم الى مصر عنـد ما أزال عنها عبد الرحمن بن جَحْدَم . وفيهـا توفّى النعمان بن بَشير بن سعد بن ثعلبة أبو عبد الله، ويقال أبو محمد، الأنصارىّ الخزرجىّ الصحابىّ ، ابن أخت عبد الله بن رَواحة . ولد سنة اثنتين من الهجرة وحفِظ عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أحاديث، ووَلِىَ قضاء دِمَشْق لمعاوية بن أبى سُفْيان .

§ أمر النيل فى هـذه السنة ــ المـاء القديم أربعة أذرع واثنا عشر إصبعا . وفى درر التيجان : خمسة أذرع وستة أصابع ، مبلغ الزيادة سـتة عشر ذراعا وخمسة عشر إصبعا .

ذكر ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر

ولاية عبد العزيز ابن مروان على مصر

هو عبد العزيز بن مَرْوان بن الحَكَم بن أبى العاص بن أُمَيّـة القرشىّ الأُمَوىّ أمير مصر، كنيته أبو الأَصْبَغ ، مولده بالمدينة، ثم دخل الشام مع أبيه مروان

(١) كذا فى الأصل والأغانى (ج ٢ ص ١١ طبعة دار الكتب المصرية) . وفى ديوانه وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ٣٥٥ طبعة أوروبا) : « وهى غر صغيرة » . وفى تزيين الأسواق : « وهى ذات تمائم » .

وكانت داره بدمشق - هى الدار التى للصوفية الآن المعروفةُ بالسُّمَيْساطيّة[1] ثم كانت لابنه عمر بن عبد العزيز بعده . وولى إمرة مصر لأبيه مَرْوان فى غرة شهر رجب سنة خمس وستين على الصلاة والخراج معا بعد ما عُهِد له بالخلافة بعد أخيه عبد الملك .

وكان السبب فى بيعتهما أنّ عمرو بن سعيد بن العاص لما هزَم مُصْعَب بن الزبير، حين وجّهه أخوه عبد الله الى فِلَسْطين، رجع الى مروان وهو بدمشق، فبلغ مروان أنّ عَمْرا يقول : إن الأمر لى بعد مروان ، فدعا مروان حسّانَ بن ثابت فأخبره بما بلغه عن عمرو؛ فقال : أنا أكْفيك عمرا؛ فلما اجتمع الناس عند مروان عشيّا قام حسّان فقال : إنه بلغنا أن رجالا يتمنّون امانىّ، قوموا فبايعوا لعبد الملك ثم لعبد العزيز من بعده، فبايعوا الى آخرهم . ومات أبوه بعد مدّة يسيرة حسبما تقدّم ذكره، واستقرّ أخوه عبد الملك بن مروان فى الخلافة من بعده، فأقرّ عبد العزيز هذا على عمل مصر على عادته . وقد روى عبد العزيز هذا الحديثَ عن أبيه وعبدِ الله بن الزبير وعقبةَ بنِ عامر وأبى هريرة ، وروى عنه ابنه عمر بن عبد العزيز والزهرىّ وعُلَىّ بن رَباح وجماعة . قال ابن سعد : كان ثقة قليل الحديث . وقال غيره : كان يلحَن فى كلامه ثم تعلّم العربية فأحسن تعلُّمها ، وكان فصيحا جوادا ذا مُروءة وكرم؛ وكان أبوه مروان عقد له البيعة بعد عبد الملك ثم ولّاه مصر؛ وهو معدود من الطبقة الثالثة من تابعى أهل الشام . وكان عبد العزيز هذا قد حدّه عمرو بن سعيد

(١) نسبة الى سميساط : مدينة على شاطئ الفرات فى طرف بلاد الروم على غربى الفرات . وسبب هذه النسبة أن هذه الدار آلت الى أبى القاسم على بن محمد السميساطى (نسبة الى مدينة سميساط) السلمى المتوفى بدمشق فى شهر ربيع الآخر سنة ٤٥٣ هجرية فوقفها على فقراء المسلمين والصوفية ووقف علوها على الجامع .

الأشدق فى شراب شربه فوَجَد عليه ابنه عمر بن عبد العزيز؛ فلمّا وَلِى عمر المدينة وجد إسحاق بن علىّ بن عبد الله بن جعفر فى بيت خُلَيْدة العَوْجاء، فحدّه عمر حدّ الخمر؛ فقال إسحاق: يا عمر، كل الناس جُلِدوا فى الخمر؛ يُعرّض بأبيه عبد العزيز. اه.

ولما أقام عبد العزيز بمصر وقع بها الطاعون فى سنة سبعين، فخرج عبد العزيز من مصر ونزل بحُلْوان فأعجبته فاتخذها سكنًا. وجعل بها الحرس والأعوان وبنى بها الدور والمساجد وعمّرها أحسن عِمارة وغرس نخلها وكَرْمَها، ثم جهّز البَعْث لقتال ابن الزبير فى البحر فى سنة اثنتين وسبعين. ثم لما طالت أيام عبد الملك فى الخلافة بعد قتل عبد الله بن الزبير ثَقُل عليه أمر عبد العزيز هذا وأراد أن يخلعه من ولاية العهد ويجعلها عبد الملك لولديه الوليد وسليمان من بعده؛ فمنعه قَبِيصة بن ذُؤَيب من ذلك، وكان قبيصة على خاتم عبد الملك، وقال له: لا تفعل ذلك، فإنك باعث على نفسك صوتا، ولعل الموت يأتيه فتستريحَ منه؛ فكفّ عن ذلك ونفسُه تنازعه، حتى دخل عليه رَوْح بن زِنْباع الجُذامىّ، وكان أجلّ الناس عند عبد الملك، فشاوره فى ذلك، فقال روح: لو خلعتَه ما انتطح فيها عَنْزان؛ فبينما هما على ذلك، وقد نام عبد الملك وروح تلك الليلة عنده، إذ دخل عليهما قَبِيصَة ليلا، وكان لا يُحْجَب عن عبد الملك. وكانت الأخبار والكتب تأتيه فيقرؤها قبل عبد الملك؛ فقيل له: قد جاء قبيصة؛ فدخل قبيصة فقال: آجرك الله يا أمير المؤمنين فى عبد العزيز، فاسترجع عبد الملك وقال لرَوْح: يا أبا زُرْعة، كفانا الله ما أجمعْنا عليه؛ فقال له قبيصة: فداك ما أردت ولم تقطع رَحِمَ أبيك، ولم تأت ما تعاب به، ولم يظهر عليك غدر.

وقيل غير ذلك: وهو أن عبد الملك كتب لأخيه عبد العزيز هذا: يا أخى، إنْ رأيت أن تُصيّر الأمر لابن أخيك الوليد فافعل؛ فأبى عبد العزيز؛ فكتب اليه عبد الملك ثانية: فاجعله من بعدك، فإنه أعز الخلق إلىّ؛ فكتب اليه عبد العزيز:

إنى أرى فى أبى بكر بن عبد العزيز (يعنى ابنه) ما تراه فى الوليد؛ فكتب عبد الملك اليه ثالثة : فآحمل خراج مصر إلىّ؛ فكتب اليه عبد العزيز : إنى و إيّاك قد بلغنا سنّا لم يبلغها أحد من أهلنا، و إنّا لاندرى أيّنا يأتيه الموت أوّلا، فإن رأيت ألّا تُغَثِّثَ[1] علىّ بقيّة عمرى ولا يأتينى الموت إلا وأنت واصل فآفعل؛ فرقّ له عبد الملك وقال: لا أُغَثِّثُ[2] عليه بقية عُمْره، وقال لأبنيه الوليد وسليمان: إن يُرِدِ الله أن يعطيكماها لم يقدر أحد من الخلق على ردّها عنكما، ثم قال لهما: هل قارفتما حرامًا قطّ ؟ قالا : لا والله ؛ فقال عبد الملك : نِلْتُماها ورب الكعبة . وقيل : إنّ عبد العزيز لما ردّ كلام عبد الملك، قال عبد الملك: اللهم إنه قد قطعنى فآقطعه . فلما مات عبد العزيز قال أهل الشام : رَدّ على أمير المؤمنين أمَره، فدعا عليه فآستجيب له فيه .

قلت : وكانت وفاة عبد العزيز فى ثالث عشر جمادى الأولى سنة ست وثمانين من الهجرة، وقيل سنة خمس وثمانين؛ فكانت ولايته على مصر عشرين سنة وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوما . وتولّى مصر من بعده عبد الله بن عبد الملك بن مروان .

وقال محمد بن الحارث المخزومىّ : دخل رجل على عبد العزيز فى ولايته على مصر يشكو اليه صِهْرا له ، فقال : إنّ خَتَنِى ظلمنى ؛ فقال له عبد العزيز : مَن خَتَنَك ؟ فقال : الرجل الختّان الذى يَخْتِن الناس؛ فقال عبد العزيز لكاتبه : ما هذا الجواب؟

(١) كذا فى الطبرى فى حوادث سنة خمس وثمانين . ومعنى تغثث : تفسد؛ والوارد فى كتب اللغة بهذا المعنى : "أغث" بالهمز لا "غثث" بالتضعيف . وفى الأصل : « الا تغصت » .

(٢) كذا فى الطبرى، وفى الأصل : « لا عتبت عليه » .

فقال : أيها الأمير، إنكَ لحنت والرجلُ يعرِف اللحن، وكان ينبغى أن تقول : من ختنُــك (بالضم) ؛ فقال عبــد العزيز : أتُرانى أتكلم بكلام لا تعرِفه العرب ؟ والله لا شاهدتُ الناسَ حتى أعرِف اللحن؛ فأقام فى بيتٍ جمعةً لا يظهر ومعه من يعلّمه النحو فصلى بالناس الجُمُعة الأخرى وهو أفصح الناس .

٥ وقال الذهبىّ فى كتابه "تذهيب التهذيب" بعد أن ساق نُبْذة من نسبه وولايته وروايتــه بنحو ما قلناه الى أن قال : « روى ابن عجلان عن القَعْقاع بن حَكيم أن عبد العزيز بن مروان كتب الى ابن عمر : إرفع الىّ حاجتك ؛ فكتب اليه ابن عمر (يعنى عبد الله) : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "اليد العُلْيا خير من اليد السُّفْلى. وآبدأ بمن تَعُول"، ولست أسألك شيئا ولا أردّ رزقا رزقنيه الله عز وجل . وقال يزيد ١٠ ابن أبى حبيب عن سُوَيد بن قيس : بعثنى عبــد العزيز بن مروان بألف دينــار لابن عمر فجئته بها ففرّقها . وقال محمد بن هانئ الطائى عن محمد بن أبى سعيد قال : قال عبد العزيز بن مروان : ما نظَر الىّ رجل قطّ فتأمّلنى إلا سألته عن حاجته . ثم قال (٩٣) بعد كلام آخر : وكان يقول عبد العزيز بن مروان : واعجبًا من مؤمن يُوقِن أن الله يرزقه ويُوقِن أن الله يُخلِف عليه، كيف يدّخر مالا عن عظيمِ أجر أو حسنِ سماع ! .

١٥ قلت : وكان عبد العزيز جوَادا مُمَدّحا سَيُوسا حازما . قال ابن سـعد : مات بمصر سنة خمس وثمــانين قبل أخيه عبد الملك بسنة . وقال الحافظ بن يونس : وَلِى مصر عشرين سـنة . وقال الليث بن سعد : تُوُفّى فى جمــادى الآخرة سنة ست وثمانين، وله حديث وهو : سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " شرّ ما فى الرجل شُحٌّ هالع وجُبن خالع " انتهى كلام الذهبى باختصار .

أول من ضرب الدراهم والدنانير فى الإسلام

قلت : وعبد العزيز هذا هو الذى أشار على أخيه عبد الملك بضرب الدراهم والدنانير، فضربها فى سنة ست وسبعين . وعبد الملك أوّل[1] من أحدث ضربها فى الإسلام فانتفع الناس بذلك . وكان سبب ضربها أنه كتب فى صدر كتاب الى [ملك][2] الروم : ﴿قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ﴾ وذكر النبيّ صلى الله عليه وسلم مع التاريخ ؛ فكتب اليه ملك الروم : إنكم قد أحدثتم[3] كذا وكذا فآتركوه وإلّا أتاكم فى دنانيرنا من ذكر نبيّكم ٥

(١) كذا ذكر المؤلف وابن الأثير . وفى كتاب النقود الاسلامية للقريزى : « أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ضرب الدراهم على نقش الكسروية غير أنه زاد فى بعضها : « لا إله إلا الله وحده » وفى بعضها : «الحمد لله» وفى بعضها : « محمد رسول الله » وفى خلافة عثمان رضى الله عنه ضرب دراهم نقشها : « الله أكبر » وضرب معاوية دنانير عليها تمثال متقلد سيفا . وضرب عبد الله بن الزبير دراهم مدوّرة بمكة ، وهو أوّل من ضرب الدراهم المستديرة وكان ما ضرب منها قبل ذلك ممسوحا غليظا قصيرا ١٠ فدوّرها عبد الله ونقش على أحد وجهى الدرهم : «محمد رسول الله» وعلى الآخر : « أمر الله بالوفاء والعدل » وضرب أخوه مصعب بن الزبير دراهم بالعراق فلما استوثق الأمر لعبد الملك بن مروان بعد مقتل عبد الله ومصعب ابنى الزبير فحص عن النقود والأوزان والمكاييل وضرب الدنانير والدراهم فى سنة ست وسبعين من الهجرة ... الخ » اه . وذكر الدميرى فى حياة الحيوان (ج ١ ص ٨٠) ضربا من النقود يقال لها « البغلية » قال : « إن رأس البغل ضربها لعمر بن الخطاب بسكة كسروية عليها صورة ١٥ الملك وتحت الكرسىّ مكتوب بالفارسية : « نوش خور » أى كل هنيئا » اه . وذكر جورجى زيدان فى تاريخ التمدن الاسلامى (ج ١ ص ٩٨) أن المرحوم جودت باشا رأى نقودا ضربها الأمراء والولاة فى عهد الخلفاء الراشدين أقدمها ضرب سنة ٢٨ هـ فى قصبة هرتك طبرستان وعلى دائرها بالخط الكوفى : « بسم الله ربى » ورأى نقدا مضروبا سنة ٣٨ هـ على دائرته هذه العبارة أيضا . ونقدا ضرب سنة ٦١ هـ فى يزد على دائرته « عبد الله بن الزبير أمير المؤمنين » . ٢٠

على أن هذه المسكوكات لم تكن تعتبر رسمية فى الدول الاسلامية . وأوّل من فعل ذلك عبد الملك فانه بعث نقوده الى جميع بلدان الاسلام وتقدّم الى الناس فى التعامل بها وتهدّد بقتل من يتعامل بغير هذه السكة من الدراهم والدنانير وغيرها وأمر بإبطال التعامل بالنقود الرومية والفارسية وردها الى مواضع العمل حتى تعاد الى السكة الاسلامية . (٢) الزيادة عن كتاب النقود الاسلامية للقريزى .

(٣) كذا فى ابن الأثير فى ذكر سنة ست وسبعين . وفى الأصل : «أخذتم» . ٢٥

ما تكرهون، فعظُم ذلك عليه فأحضر خالد بن يزيد بن معاوية فاستشاره فيه، فقال : حرّمْ دنانيرهم وآضربْ للناس سِكّة وفيها ذكر الله تعالى، ثم آستشار أخاه عبد العزيز فأشار عليه أيضا بذلك، فضرب الدنانير والدراهم. ثم إن الحجاج ضرب الدراهم ونقش فيها : ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ فكرِه الناس ذلك لمكان القرآن، فإنّ الجُنُب والحائض يمسّها، ونهى أن يضرب أحد غيره، فضرب سُمَيْر اليهودىّ فأخذه الحجاج ليقتله، فقال له : عِيار دراهمى أجود من عِيار دراهمك فلِم تقتلنى؟ فلَم يتركه، فوضع للناس سِنَج الأوزان ليتركه فلم يفعل، وكان النـاس لا يعرفون الوزن بل يزنون بعضها ببعض، فلما وضع لهم سُمَيْر السنج كفّ بعضهم عن [غبن](١) بعض .

وأوّل من شدّد(٢) فى أمر الوزن وخلّص الفضّة أبلغ من تخليص مَنْ كان قبله عمر ابن هُبَيْرة أيام يزيد بن عبد الملك وجوّد الدراهم، ثمّ خالد بن عبد الله القَسْرىّ أيام هشام بن عبد الملك، فآشتدّ فيه أكثر من ابن هُبَيْرة . ثمّ وَلِى يوسف بن عمر فأفرط فى الشدّة، وآمتحن يوما العيار فوجد درهما ينقص حبّـة، فضرب كل صانع ألف سوط. وكانوا مائة صانع، فضرب فى حبة مائة ألف سوط. وكانت الدراهم الهُبَيْرية والخالدية واليوسفية أجودَ نقود بنى أمية، ولم يكن أبو جعفر المنصور يقبل فى الخراج غيرها، فسمّيت الدراهم الأولى مكروهة . وقيل : إنّ الدراهم المكروهة هى الدراهم التى ضربها الحجاج ونقش عليها : ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ فكرهها(٣) العلماء . وكانت دراهم الأعاجم مختلفـة كبارا وصـغارا، فكانوا يضربون منهـا المثقال وزن عشرين قيراطا وآثنى عشر قيراطا وعشرة قراريط، فلما ضربوا الدراهم فى الإسلام أخذ الوسط من

(١) الزيادة عن ابن الأثير .

(٢) كذا فى ابن الأثير . وفى الأصل : «شد» .

(٣) كذا فى ابن الأثير . وفى الأصل : «ذكرها العلماء» وهو تحريف .

ثلث هذا العدد، وهو أربعة عشر قيراطا، فصار الدرهم العربيّ أربعة عشر قيراطا، ووزن كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل .

ما وقع من الحوادث فى السنة الأولى من ولاية عبد العزيز بن مروان

السنة الأولى من ولاية عبد العزيز بن مَرْوان على مصر وهى سنة ست وستين — فيها عزل عبد الله بن الزبير عن الكوفة أميرها وأرسل عليها عبدَ الله بن مُطيع، وفى أثناء هذا الأمر خرج المختار الكذّاب من السجن والتفّ عليه خلق من الشيعة وقَوِيت شوكته وضَعُف أمر عبد الله بن مطيع معه، ثم إنه توثّب بالكوفة فقاتله طائفة من أهل الكوفة فهزمهم وقتل منهم رِفاعة بن شدّاد وعبدَ الله بن سعد بن قيس وغلَب على الكوفة، وهرب منه عبد الله بن مُطيع الى ابن الزبير، وجعل المختار يَتتبّع قَتَلَة الحسين بن علىّ، فقتل عمرو بن سعد بن أبى وقّاص وشِمر بن ذى الجَوْشَن قاتل الحسين بن علىّ . ثمّ افترى المختار على الله أنه يأتيه جبريل بالوحى، فلهذا قيل عنه : المختار الكذاب. وفيه يقول سُراقة بن مِرْداس :

كفرتُ بوحيكم وجعلتُ نَذْرًا * علىّ هجاءَكم[1] حتّى المماتِ
أُرِى عينىّ ما لم تَرْأَياهُ * كِلانا عالمٌ بالتُّرَّهاتِ

وفيها أيضا التقى المختار مع عبيد الله بن زياد فقتل عبيدَ الله بن زياد وقتل معه شُرَحْبيل بن ذى الكَلَاع وحُصَين بن نُمَيْر السَّكُونىّ، واصطلم المختار جيشهم وقتل خلقا كثيرا وطِيف برءوس هؤلاء؛ وقيل إنّ ذلك فى الآتية . وفيها حجّ بالناس عبد الله بن الزبير وكان عامله على المدينة أخاه مُصْعَب بن الزبير، وعامله على البصرة عبد الله بن أبى ربيعة المَخْزُومىّ، وكان بالكوفة المختار متغلّبا عليها، وبخُراسان

(١) فى الطبرى فى حوادث ست وستين والأغانى (ج ٨ ص ٣٢ طبعة بولاق) : « قتالكم » .

عبد الله بن خازم . وفيها تُوفِّىَ أسماء بن حارثة الأَسْلَمِىّ (وحارثة بالحاء)، وله صحبة وهو من أصحاب الصُّفَّة، وقيل: إنه مات قبل ذلك . وفيها توفى جابر بن سَمُرَة، وهو ابن أخت سعد بن أبى وقّاص، على خُلْف فى وفاته . وفيها توفى أسماء بن خارجة ابن حُصَيْن بن حُذَيْفة بن بدر الفزارىّ سيّد قومه فى قول . وفيها كان الطاعون ٥ بمصر ومات فيه خلائق عظيمة، وهذا خامس طاعون مشهور فى الإسلام .

§أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم سبعة أذرع وسبعة أصابع، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و إصبعان .

*
* *

ما وقع من الحوادث فى السنة الثانية من ولاية عبد العزيز بن مروان

السنة الثانية من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر وهى ١٠ سنة سبع وستين — فيها كانت الوقعة بين إبراهيم بن الأشتر النَّخَعِىّ و بين عبيد الله ابن زِياد، وكان ابن الأشتر من حزب المختار، وكان فى ثمانية آلاف من الكوفيّين، وكان عبيد الله بن زِياد فى أربعين ألفا من الشاميّين؛ فأسرع ابن الأشتر الى أهل الشام قبل أن يدخلوا أرض العراق فسبقهم ودخل المَوْصل ، فالتقَوْا على خمسة فراسخ من الموصل بالخازر [(١)] ، فانهزم ابن الأشتر وقتله وقتل من أصحابه خلائق ممن (٩٥) ١٥ ذكرناهم فى الماضية وغيرهم . وكان من غرِق منهم فى نهر الخازر أكثر ممن قُتِل ؛ ودخل ابن الأشتر المَوْصل واستعمل عليها وعلى نَصِيبِين وسِنْجار العمال؛ ثم بعث برءوس عبيد الله بن زِياد والحُصَيْن وشُرَحْبِيل بن ذى الكَلاع الى المختار فأمر بهم المختار فنُصِبوا بمكّة .

---

(١) كذا فى الطبرى وابن الأثير فى ذكر سنة سبع وستين ، وفى معجم ما استعجم للبكرى : «خازر : ٢٠ نهر بناحية الموصل معروف وعليه التقى ابراهيم بن مالك الأشتر من قبل المختار وعبيد الله بن زياد فقتله ابراهيم . وقال أبو الحسن الأخفش فيما فسره من الكتاب الكامل : "خازر" هى خازر المدائن ، وجازر بالجيم : هو نهر الموصل» . وفى الأصل : «جازر» .

قلت : وعُبَيْد الله بن زِياد هذا هو الذى قاتل الحسين بن علىّ حتى قتله . وفيها عزل عبدُ الله بن الزبير أخاه مُصْعَب بن الزبير عن العراق وولّاه لابنه حمزة بن عبد الله بن الزبير، وكان حمزة جوادا مُخَلِّطا يجود أحيانا حتى لا يَدَع شيئا يَمْلِكُه ويمنع أحيانا ما لا يمنع مثله ، وظهر منه بالبصرة خِفّة وضعف، فعزله أبوه وأعاد أخاه مُصْعَبا فى الثانية . وفيها وجّه المختار أربعة آلاف فارس عليهم أبو عبد الله الجَدَلىّ وعُقْبَة بن طارق، فكلّم الجَدَلىّ عبدالله بن الزبير فى محمد بن الحنفية، وأخرجوه من الشِّعْب(1) فلم يقدر ابن الزبير على منعهم ، وأقاموا فى خدمة محمد بن الحنفية ثمانية أشهر حتى قتل المختار وسار محمد بن الحنفية الى الشام . وأما ابن الزبير فإنه غضب من المختار لكونه انتصر لمحمد بن الحنفية وندب لقتاله أخاه مُصْعَب بن الزبير وولّاه جميعَ العراق، فتوجّه مصعب وحصَر المختار فى قصر الإمارة بالكوفة حتى قتله طريف وطرّاف(2) (أخوان من بنى حَنيفة) فى شهر رمضان وأتيا برأسه الى مصعب . وقُتِل فى حرب المختار جماعة من الأشراف منهم عُمَر وعبيد الله ابنا علىّ بن أبى طالب وزائدة بن عمير الثقفىّ ومحمد بن الأشعث بن قيس الكِنْدىّ سِبْط أبى بكر الصدّيق . وفيها توفّى عدىّ بن حاتم بن عبد الله الطائىّ ، أسلم سنة سبع من الهجرة ، وكان كبير طيّئ . وفيها توفى أبو شُرَيح الخُزاعىّ الكعبىّ الصحابىّ واسمه ، على الأصح، خويلد بن عمرو، أسلم يوم الفتح . وفيها حجّ بالناس عبد الله بن الزبير، وكان عامله على الكوفة والبصرة ابنه حمزة، وكان على قضاء البصرة عبد الله بن عُتْبة بن مسعود وعلى الكوفة (أعنى قاضيها) هشام بن هُبَيْرة، والخليفةُ بالشام عبد الملك بن مروان

---

(1) سبق للمؤلف ذكره بـ « شعب بنى هاشم » وفى الطبرى وابن الأثير فى حوادث سنة ست وستين : «شعب علىّ» . (2) كذا فى الأصل وتاريخ الإسلام للذهبى . وفى الطبرى وابن الأثير فى حوادث سنة سبع وستين : « طرفة وطراف » .

أخو صاحب الترجمة، وبخُراسان عبد الله بن خازم . وفيها توفى الأحنف بن قيس بالكوفة مع مصعب بن الزبير، وقيل : مات سنة إحدى وسبعين لما سار مصعب لقتال عبد الملك بن مروان . وفيها توفى جُنَادة بن أبى أُمَيّة، أدرك الجاهلية وليست له صحبة. وفيها قتل مصعبُ بن الزبير عبد الرحمن وعبد الرب ابنى حُجْر[1] بن عدىّ ٥ وعِمْران بن حُذَيْفة بن اليمان، قتلهم صبرا بعد قتل المختار وأصحابه. وفيها توفى أبو واقد الليثىّ، له صحبة وأحاديث. ويقال فيها أيضا توفى زيد بن أرقم، وقيل : إنّ وفاة هؤلاء فى السنة الآتية وهو الأصح .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمسة أذرع وآثنا عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وخمسة عشر إصبعا .

١٠ *

ماوقع من الحوادث فى السنة الثالثة من ولاية عبد العزيز بن مروان

السنة الثالثة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر وهى سنة ثمان وستين — (٦٨) فيها عزل عبد الله بن الزبير أخاه مُصْعَب بن الزبير عن العراق وولّى عليها ابنه حمزة ابن عبد الله بن الزبير وقد مرّ ذلك فى الماضية . وفيها استعمل عبد الله بن الزبير جابرَ بن الأسود الزُّهْرىّ على المدينة ، فأراد جابر أن يبايع سعيدُ بن المُسَيّب لابن ١٥ الزبير فامتنع فضربه سبعين سوطا، قاله خليفة بن خيّاط . وفى هذه السنة وافى عرفات أربعة ألوية : لواء ابن الزبير وأصحابه، ولواء ابن الحنفيّة وأصحابه ، ولواء بنى أُمَيّة ، ولواء النَّجدة الحَرُورىّ، ولم يكن بينهم حرب ولا فتنة . وكان العامل على المدينة لابن الزبير جابر بن الأسود بن عوف الزُّهْرِىّ ، وعلى الكوفة والبصرة أخوه مُصْعَب، وعلى خُراسان عبد الله بن خازم ؛ وكان عبد الملك بن مروان مُشَاقًّا لابن

٢٠ (١) كذا فى ابن الأثير فى حوادث سنة ٦٧ . وفى الأصل : «عبد الرحمن بن عبد ربه بن حجر» .

وفاة عبد الله بن عباس بن عبد المطلب

الزبير . وفيها توفى عبد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب بن هاشم الهاشمىّ القُرَشىّ، أبو العباس ابن عم النبىّ صلى الله عليه وسلم وأبو الخلفاء العباسيّين . وولد فى شِعْب بنى هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين ، ودعا له النبىّ صلى الله عليه وسلم بالجنة مرتين . وكان يسمّى الحِبْر لكثرة علومه ، ومات وله سبعون سنة ، رضى الله عنه. وفيها توفى عابس بن سعيد القُطَيْفىّ قاضى مصر ، وَلِىَ القضاء والشرطة بمصر لمَسْلَمة ابن مُخَلَّد عدّة سنين . وفيها توفى قَيس بن ذَرِيح وقيس مجنون ليلى ، وقد تقدّم ذكرهما فى سنة خمس وستين . وفيها توفى ملك الروم قُسْطَنْطين . وفيها توفى عبد الرحمن بن حاطب[1] بن أبى بَلْتَعة . وفيها توفى أبو شُرَيْح الخُزاعىّ ، وأبو واقد الليثىّ ، وقد تقدّم ذكرهما فى الماضية .

§أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ذراعان وأربعة عشر إصبعا . وفى درر التيجان : وأربعة وعشرون إصبعا ، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا وأربعة أصابع .

⁂

ما وقع من الحوادث فى السنة الرابعة من ولاية عبد العزيز بن مروان

السنة الرابعة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر وهى سنة تسع وستين — فيها كان بالبصرة طاعون الجارف . قال المدائنىّ : حدّثنى من أدرك الجارف قال: كان ثلاثة أيام مات فيها فى كل يوم سبعون ألفا . وقال خليفة قال أبو اليَقْظان : مات لأَنَس بن مالك ثمانون ولدا ويقال سبعون ولدا ؛ وقيل مات لعبد الرحمن بن أبى بَكْرة فى الطاعون المذكور أربعون ولدا . وقلّ الناس بالبصرة جدّا حتى إنه ماتت أمّ أمير البصرة فلم يجدوا من يحملها إلا أربعة بالجهد . ومات لصَدَقة بن عامر العامرىّ فى يوم واحد سبعة بنين ، فقال : اللهم إنى مسلم مُسَلِّم . ولما كان يوم الجمعة

(١) كذا فى ف والطبرى وابن الاثير . وفى م : «خاطب» بالخاء المعجمة وهو تحريف .

خطب الخطيب وليس فى المسجد إلّا سبعة أنفس وامرأة ، فقال الخطيب : ما فَعَلتِ الوجوه؟ فقالت المرأة : تحت التراب . وقيل : إنه توفّى فى هذا الطاعون عشرون ألف عروس . وقد ٱختلف فى سنة هذا الطاعون فنهم من قال فى هذه السنة، وقال بعضهم : فى سنة سبعين، وقال آخر : فى سنة اثنتين وسبعين، وقيل ٥ غير ذلك . وهذا الطاعون يكون سابع طاعون فى الإسلام، فإن الأوّل كان على عهد النبىّ صلى الله عليه وسلم ، والثانى طاعون عَمَوَاس فى عهد عمر رضى الله عنه ، والثالث بالكوفة فى زمن أبى موسى الأشعرىّ ، والرابع بالكوفة أيضا فى زمن المُغيرة ابن شُعْبة ، والخامس الطاعون الذى مات فيه زِياد ، ثم الطاعون بمصر فى سنة ست وستين . وفيها شرع الخليفة عبد الملك بن مروان فى عمارة القبّة ١٠ على صخرة بيت المقدس وعِمارة جامع الأقصى ، وقيل : بل كان شروعه فى ذلك سنة سبعين . وفيها عزل عبد الله بن الزبير ابنه حمزةَ عن إمرة العراق وأعاد أخاه مصعب بن الزبير ، فقدمها مصعب وتجهّز وخرج يريد الشام لقتال عبد الملك بن مروان ، وخرج عبد الملك أيضا من الشام يريد مُصْعب بن الزبير، فسار كل منهما الى آخر ولايته وهجم عليهما الشتاء ، فرجع كل منهما الى ولايته . قال خليفة : وكانا ١٥ يفعلان ذلك فى كل سنة حتى قُتِل مُصْعب . وفيها عَقَد عبد العزيز بن مروان صاحبُ الترجمة لحسّان الغسانىّ على غزو إفريقيّة . وفيها ٱجتمعت الروم واستجاشوا على من بالشام ، فصالح الخليفةُ عبدُ الملك بن مروان [مَلِكَهم][1] على أن يؤدّى اليه فى كلّ جمعة ألفَ دينار خوفا منه على المسلمين . هكذا ذكر ابن الأثير هذه الواقعة فى هذه السنة ، وقال غيره : إنّها فى غير السنة . وفيها توجّه مصعب بن الزبير الى مكّة ومعه

---

٢٠ (١) التكملة عن ابن الأثير .

أموال كثيرة ودوابّ كثيرة، فقسّم فى قومه وغيرهم ونحو بُدُنا كثيرة . وفيها حكّم[1] رجل من الخوارج بمنًى وسلّ سيفه، وكانوا جماعة ، فأمسك الله بأيديهم فقُتل ذلك الرجل عنـد الجَمْرة . وفيها حجّ بالناس مصعب بن الزبير، وكان على قضاء الكوفة شُرَيْح ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبَيْرة . وفيها توفى الأحنف بن قيس التَّيمِىّ البصرىّ أبو بَحْر ، واسمـه الضحّاك بن قيس بن معاوية بن الحُصَيْن ، وكان أحنف الرِّجْلَين (والحَنَف : المَيَل) ، وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل البصرة ، أدرك النبىّ صلى الله عليه وسـلم ولم يره . قلت : وأخبار الأحنف مشهورة تُغْنِى عن الإطناب فى ذكره ، وقد تقدّم ذكر وفاته ، والصحيح فى هذه السنة . وفيها توفّى أبو الأسود الدُّؤَلى البَصْرىّ الكِنانىّ واسمه ظالم بن عمرو بن سُـفْيان ، وهو من الطبقـة الأولى من تابعى البصرة ، وهو أوّل من وضع علم النحو ، ومات بالطاعون . وفيها قتـل عبد الملك بن مروان عَمْرو بن سعيد بن العاص بن سعيد أبى أُحَيْحة[2] بن العاص بن أميّة الأشدق ، سمّى الأشـدق لأنه كان خطيبا مُفْلِقا ، وقيل : لاتساع شِدْقه ، وهو من الطبقة الثانية من تابعى أهل المدينة . وفيها توفى قَبِيصة بن جابر بن وَهْب بن مالك أبو العلاء الأسدىّ ، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة ، وكانت أرضعته هنـد أمّ معاوية بن أبى سـفيان . وفيها توفى مالك بن يَخَامِر[3] السَّكْسَكِىّ الأَلْهانى الحِمْصِىّ ، من الطبقة الأولى من تابعى أهل الشام ، وقيل : له صحبة ورواية . وفيها توفى يزيد بن ربيعة بن مُفَرِّغ أبو عنان الحِمْيَرِىّ البَصْرى ، كان شاعرا مُجِيدا ، والسيد الحِمْيَرِىّ من ولده .

(١) حكّم : أعلن مذهبـه فى التحكيم وهو قول الحرورية « لا حكم إلا لله » يريدون بذلك إبطال ما وقع بين فريق المسلمين من تحكيم . (٢) كذا فى طبقات ابن سـعد وتهذيب التهذيب وتاريخ الإسلام للذهبى . وفى الأصل : «سعيد بن أبى أحيحة أبو أمية» وهو خطأ . (٣) كذا فى طبقات ابن سعد وتهذيب التهذيب . وفى الأصل : «مالك بن يخاصر السكسكى اليمانى» وهو تحريف .

§أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ذراعان وثلاثة أصابع، مبلغ الزيادة ثلاثة عشر ذراعا وستة أصابع .

*
* *

السنة الخامسة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر وهى سنة سبعين — فيها كان الوباء بمصر، وقيل فيها كان طاعون الجارف المقدّم ذِكْره فى الماضية. وفيها تحوّل عبد العزيز بن مروان صاحب الترجمة من مصر الى حُلْوان حسبما ذكرناه فى أوّل ترجمته، واشتراها من القِبْط بعشرة آلاف دينار . وفيها حج بالناس عبد الله بن الزبير . وفيها كانت مقتلة عُمَيْر بن الحُباب بن جَعْدَة السُّلَمِىّ . وفيها تحركت الروم على أهل الشام وعجَزَ عبد الملك بن مروان عنهم لاشتغاله بقتال عبد الله بن الزبير، فصالح ملكَ الروم على أن يؤدّى له فى كل جُمُعة ألف دينار . وفيها وفَد مصعب بن الزبير على أخيه عبد الله بن الزبير بأموال العراق . وفيها بعث عبد الملك بن مروان خالدَ بن عبد الله بن أَسِيد بن أبى العاص بن أُمَيّة الى البصرة ليأخذها فى غيبة مصعب بن الزبير . وفيها توفى الحارث بن عبد الله بن كعب بن أسد الهَمْدانىّ الكوفىّ الأعور، راوية علىّ رضى الله عنه، وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، وقيل : توفى سنة ثلاث وستين . وفيها توفى عاصم بن عمر بن الخطاب، وأمّه جميلة أخت[1] عاصم بن ثابت بن أبى أقلح الأنصارىّ، وكان اسمها عاصمة، فسمّاها رسول الله صلى الله عليه وسلم جميلة . وعاصم هذا هو جدّ عمر ابن عبد العزيز الأُمَوىّ لأمّه .

---

(١) كذا فى طبقات ابن سعد (ج ٨ ص ٢٥٢) والطبرى (ص ١٥٥٦ من القسم الأوّل) . وفى الأصل وابن الاثير : « جميلة بنت عاصم بن ثابت » وهو خطأ لان جميلة المذكورة هنا هى أخت عاصم لا ابنته .

§أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمسة أذرع وثمانية أصابع، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وواحد وعشرون إصبعا . وفى درر التيجان : ثمـانية عشر إصـــبعا .

* * *

السـنة السادسـة من ولاية عبـد العزيز بن مروان على مصر وهى سنة إحدى وسبعين — فيها حج بالناس أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير، وعَرَّف[(١)] بمصر عبـد العزيز بن مروان صاحب الترجمة ، وهو أوّل من عَرَّف بها فقام من قِبَـل أخيه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان وعرّف بمصر .

قلت : ومن خلافة مروان بن الحكم الى هـذه الأيام والممالكُ مقسومة بين خليفتين : عبـد الله بن الزبير، وعبـد الملك بن مروان : أمّا الحرمان والعراق كلّه فبيد عبد الله بن الزبير، والشامُ ومصر وما يليهما بيد عبد الملك بن مروان، والفتن قائمة بينهما والحروب واقعة فى كل سنة . وفيها افتتح الخليفة عبد الملك بن مروان قَيْسارِيّة الروم فى قول الواقدىّ . وفيها نزع عبدُ الله بن الزبير جابر بن الأَسْوَد ابن عوف عن المدينة واستعمل عليها طَلْحَةَ بن عبد الله بن عَوْف، وهو آخر والٍ كان له على المدينة، فدام على المدينة حتى أتاه طارق بن عمرو مولى عثمان، فهرَب طلحةُ وأقام طارق بهـا حتى سار الى مكة لقتال ابن الزبير . وفيهـا توفى شُتَيْر بن شَكَل القيسىّ الكوفى من أصحـاب علىّ بن أبى طالب وابن مسـعود رضى الله عنهما . (وشتير بضم الشين المعجمة وفتح التاء فوقها نقطتان و بعدها ياء تحتها نقطتان، وشكل بفتح الشين المعجمة والكاف وآخره لام). وفيها خرج عبدالله بن ثَوْر أحد بنى قيس

---

(١) عرّف : أقام وقفة فى مصر كما تقام وقفة عرفات فى الحج .

ابن ثعلبة من جهة مصعب بن الزبير بالبحر . فانتدب لقتله عبد الرحمن الإسكاف والتقوا [بجواثا][1] فانهزم عبد الرحمن . وفيها توفى البراء بن عازب بن الحارث بن عدى أبو عمارة ، وهو من الطبقة الثالثة من الأنصار من الصحابة ، مات بالكوفة فى أيام مصعب بن الزبير . وفيها توفى عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصلت السلمى أبو صالح أمير خراسان ، صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه ، وكان مشهورا بالشجاعة ، وأصله من البصرة . (وخازم بالخاء المعجمة والزاى) . وفيها توفى عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى[2] الصحابى ، من الطبقة الثانية من المهاجرين ، فأول مشهد شهده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديبية ثم خيبر وما بعدها . وفيها كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان و بين مصعب بن الزبير ، وقتل مصعب فى المعركة ، وكان مصعب من أجمل الناس وأشجعهم ، وهو من الطبقة الثانية من تابعى أهل المدينة ، وكنيته أبو عبد الله والمشهور أبو عيسى ، وكان مصعب يجالس أبا هريرة ، ورآه جميل بثينة بعرفات فقال : إن هاهنا لشابا أكره أن تراه بثينة (أعنى لجماله) . ولما قتل مصعب بن الزبير أخذ أمر أخيه عبد الله بن الزبير فى إدباره . وقيل : إن قتلة مصعب كانت فى سنة اثنتين وسبعين ، وهو الأشهر .

§أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم سبعة أذرع وخمسة أصابع ، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا وتسعة عشر إصبعا . وفى درر التيجان : وسبعة عشر إصبعا .

---

(١) الزيادة عن تاريخ الاسلام للذهبى فى حوادث سنة إحدى وسبعين . وهى حصن لعبد القيس بالبحرين فتحه العلاء بن الحضرمى فى أيام أبى بكر الصديق .

(٢) كذا فى ف وطبقات ابن سعد والطبرى . وفى م : «السلمى» وهو تحريف .

*
* *

السنة السابعة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر وهي سنة اثنتين وسبعين — فيها بَنَى عبد الملك بن مروان قبّة الصخرة بالقدس والجامع الأقصى، وقد ذكرناه فى الماضية، والأصح أنّه فى هذه السنة . وسبب بناء عبد الملك أن عبد الله بن الزبير لمّا دَعَا لنفسه بمكّة فكان يخطب فى أيام مِنًى وعَرَفةَ وينال من عبد الملك ويذكر مَثالِب بنى أُمَيّة، ويذكر أن جَدّه الحَكَم كان طريدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولَعِينَه، فمال أكثر أهل الشأم الى ابن الزبير؛ فمنع عبد الملك الناس من الحج فضجّوا، فبَنَى لهم القبّة على الصخرة والجامع الأقصى ليصرفهم[1] بذلك عن الحج والعُمْرة، فصاروا يطوفون حول الصخرة كما يطوفون حول الكعبة وينحرون يوم العيد ضحاياهم؛ وصار اخوه عبد العزيز بن مروان صاحب مصر يُعرِّف بالناس بمصر ويقف بهم يوم عرفة . وفيها وَلَّى عبد الملك ابن مروان طارق بن عمرو مولى عثمان على المدينة، فسار اليها وغلب عليها وأخرج منها طلحة بنَ عبد الله بن عَوْف عامل ابن الزبير؛ وقد تقدّم ذلك فى الماضية. وفيها بعث عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفىّ الى مكّة لقتال عبد الله ابن الزبير فتوجّه الى مكة وحاصر ابن الزبير الى أن قُتِل ابن الزبير فى سنة ثلاث وسبعين، على ما يأتى ذكره فى محله . وفيها كان العامل على المدينة طارقا لعبد الملك بن مروان ، وعلى الكوفة بِشْر بن مروان ، وعلى قضائها عُبَيْد الله ابن عبد الله بن عُتْبة ، وكان على خُراسان — فى قول بعضهم — بُكَيْر بن وِشاح.

(١) فى الأصل : « ليصلحهم » والسياق يقتضى ما أثبتناه .

وفيها توفي عَبيدة بن عمرو السَّلْماني[1] المرادي ، أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وكان من كبار الفقهاء ، أخذ عن علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود . (وعبيدة بفتح العين وكسر الباء الموحّدة) . وفيها على الصحيح مقتلة مصعب ابن الزبير ، طعنه زائدة الثقفي وقتل معه ابنه عيسى وإبراهيم بن الأشتر ومسلم ابن عمرو الباهلي ، وقد مرّ من أخباره في الماضية ما يُغني عن ذكره هنا ثانية . ٥

§أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ذراعان وعشرة أصابع ، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا وتسعة عشر إصبعا . وفي درر التيجان : سبعة عشر ذراعا وستة عشر إصبعا .

*
* *

السنة الثامنة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر وهي سنة ١٠ ثلاث وسبعين — فيها قُتل أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بن العوام بن خُوَيْلد بن أسد بن عبد العزى بن قُصَيّ بن كلاب ، أبو بكر ، وقيل أبو خُبَيْب ، القرشي الأسدي ، أوّل مولود ولد في الإسلام بالمدينة ، وأمّه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، له صحبة ورواية ، حاصره الحجاج بن يوسف الثقفي بالبيت الحرام أشهرا ونصّب على الكعبة المَنْجنيق ورمى به على البيت غير مرّة حتى قَتَل ابن الزبير وصلبه . قيل : إنّ ١٥ الحسن البصري سئل عن عبد الملك بن مروان ، فقال الحسن : ما أقول في رجل الحجّاج سيّئة من سيّئاته . وقتل مع عبد الله بن الزبير هؤلاء الثلاثة : وهم عبد الله ابن صَفْوان بن أُمَيّة بن خَلَف الجُمَحي ، وعبد الله بن مُطيع بن الأسود العَدَوي ، وعبد الرحمن بن عثمان بن عُبَيْد الله التَّيْمي ، فهؤلاء من الأشراف ، وأما غيرهم

---

(١) السلماني بفتح السين وسكون اللام وهذه النسبة الى سلمان ، وهو حيّ من مراد . وأصحاب ٢٠ الحديث يحرّكون اللام (راجع كتاب الأنساب للسمعاني) .

فكثير. ومن يومَ قُتِل عبد الله بن الزبير صار فى الإسلام خليفة واحد وهو عبد الملك
ابن مروان . قلت : ومناقب عبد الله بن الزبير كثيرة يضيق هذا المحل عن ذكرها.
وفيها توفّيت أسماء بنت أبى بكر أمّ عبد الله بن الزبير المذكور بعد ابنها عبد الله بمدّة
يسيرة . وفيها غزا محمد بن مروان الرومَ صائفة فى أربعة آلاف ، فساروا اليه
فى ستين ألفا فهزمهم محمد واستباح عسكرهم، وقيل : إنّ هذا كان من ناحية أرمينِيَة .
وفيها توفى إياس بن قَتادة بن أَوْفَى، من الطبقة الأولى من التابعين ، وكان لأبيه
قتادة صحبة . وفيها توفى سَلْم بن زِياد بن أبيه أمير خُراسان، وكان جوادا مُمَدَّحا يُعطى
ألف ألف الدرهم، مات بالبصرة. وفيها توفى مالك بن أَوْس بن الحَدَثان أحد بنى نصر
ابن معاوية بن هارون، قيل له صحبة، وذكره ابن سعد فى الطبقة الأولى من التابعين .
وفيها استعمل عبد الملك بن مروان أخاه محمدا على الجزيرة وأرمينِيَة(١)، وكانت [بحيرة(٢)
الطِّرِّيخ التى بأرمينية] مباحة لم يتعرض اليها أحد بل كان يأخذ منها مَنْ شاء ، فَمَنَع
من صيدها وجعل عليها مَنْ يأخذه [و يبيعه(٣)] و يأخذ ثمنه ،وصارت بعده لابنه مروان،
ثم أُخِذَت منه لمّا انتقلت الدولة الأُمَوِيّة، وهى الآن على ذلك الحَجْر. ومن سنّ
سُنّة سيئة كان عليه وِزْرها ووِزْرُ من عَمِل بها الى يوم القيامة من غير أن يَنْقُص
من أوزارهم شىء . وهذا الطرّيخ من عجائب الدنيا فإنه سمك صغار له كلّ سنة
موسم(٤) يخرج من هذه البحيرة فى نهر يصبّ اليها كثيرا يؤخذ بالأيدى وغيرها،
فإذا انقضى موسمه لا يُوجَد منه شىء . وفيها عزل عبد الملك خالدَ بن عبد الله

(١) فى الأصل : « على الجزيرة و بحيرة أرمينية » وما أثبتناه عن ابن الاثير .
(٢) الزيادة عن ابن الاثير فى ذكر سنة ثلاث وسبعين .
(٣) الزيادة عن ابن الأثير. (٤) كذا فى ابن الأثير . و فى الأصل : «المكان» وهو
غير مناسب .

عن البصرة وولّاها أخاه بِشرا فى قول. وفيها توفى مالك بن مِسمَع بن غسّان الرّبَعىّ[1] البصرىّ، من الطبقة الأولى من التابعين، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم سبعة أذرع وتسعة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وثلاثة أصابع. ٥

* * *

ما وقع من الحوادث فى السنة التاسعة من ولاية عبد العزيز ابن مروان

السنة التاسعة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر وهى سنة أربع وسبعين — فيها سار الحجاج من مكّة، بعد ما بنى البيت الحرام، الى المدينة، فأقام بها ثلاثة أشهر يتعنّت[2] أهلها، و بنى بها مسجدا فى بنى سَلِمَة يُعْرف به، وأخذ بعض الصحابة وختم عليهم فى أعناقهم. روى الواقدىّ عن ابن أبى ذُؤَيب عمن رأى ١٠ جابر بن عبد الله مختوما [فى يده ورأى أنس بن مالك مختوما][3] فى عنقه، يُذلّهما بذلك. قال الواقدىّ : وحدّثنى شُرَحْبيل بن أبى عَوْن عن أبيه قال : رأيت الحجّاج أرسل الى سهل بن سعد الساعدىّ فقال : ما منعك أن تنصر أمير المؤمنين عثمان؟ فقال : قد فعلت؛ قال : كذبت، ثم أمر به فخُتِم فى عُنُقه برَصاص.

وفاة بشر بن مروان ابن الحكم

١٥ وفيها توفى بِشر بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أُمَيّة وهو متولّى البصرة، وكان ولِى العراق والكوفة قبل ذلك، وقَحَط الناس أيام بشر فاستسقى فمُطِروا؛ ثم مرّ بشر بسُراقة، وكان سراقة قد عمِل فيها أبياتا، فرأى سراقة يُحوّل الماء من داره؛

(١) كذا فى الأصل وتاريخ الإسلام للذهبى. وفى ابن الأثير : « مالك بن مسمع أبو غسان البكرى ». (٢) التعنت : التشديد و إلزام المرء بما يصعب عليه أداؤه ؛ وفى م : ٢٠ « يتعتب »، وفى ف : « يتعيب ». وفى الطبرى : « يتعبث بأهل المدينة ويتعنتهم ».
(٣) الزيادة فى نسخة « ف ».

فقال بشر : ما هذا يا سراقة؟ فقال : هذا ولم ترفع يديك فى الدعاء، فلو رفعتهما لجاءنا الطوفان . ومات بِشْر المذكور من البلاذر، فإنه شربه بطُوس فاعتلّ ولزم الفراش حتى مات . وفيها توفى رافع بن خَديج بن رافع بن عدىّ الأنصارىّ الصحابىّ من الطبقة الثالثة من الأنصار، شهد أُحُدا وما بعدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنيته أبو عبد الله ، وأمّه حليمة بنت عُرْوة بن مسعود . وفيها توفى أبو سعيد الخُدْرِىّ، وآسمه سعد بن مالك بن سِنان بن ثَعْلبة، الصحابىّ من الطبقة الثالثة من الأنصار، واستُصغر يوم أُحُد فرُدّ . قال أبو سعيد : فخرجنا نتلقّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل من أُحُد ببطن قُبَاء، فنظر إلىّ وقال: "سعد بن مالك"؟ فقلت : نعم بأبى أنت وأمى، فدنوتُ منه وقبّلت ركبته[1]، فقال : "آجرك الله فى أبيك"، وكان قُتِل يومئذ شهيدا . وفيها توفّى سلَمَة بن الأكوع، وكنيته أبو مسلم[2]، الصحابىّ، من الطبقة الثالثة من المهاجرين . قال سلمة : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غَزَوات . وفيها توفى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، أبو عبد الرحمن القرشىّ العدوىّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو من الطبقة الثانية من المهاجرين، وأمّه زينب بنت مَظْعون بن حبيب، وهو شقيق حَفْصَة زوج النبى صلى الله عليه وسلم، أسلم عبد الله قديما بمكّة قبل البلوغ، وهو من العبادلة الأربعة : وهم عبد الله ابن عمر هذا، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهم أجمعين، وهو من المكثرين فى رواية الحديث .

وفاة عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربعة أذرع وإصبعان، مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعا وخمسة عشر إصبعا .

---

(١) فى م : «عنقه» . (٢) ويكنى أيضا بأبى عامر وأبى إياس، كما فى تاريخ الإسلام للذهبى والطبقات الكبرى لابن سعد .

*
* *

ما وقع من الحوادث فى السنة العاشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر

السنة العاشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر وهى سنة خمس وسبعين — فيها حج بالناس الخليفة عبد الملك بن مروان وخطب على مِنبَر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأظنّها أوّل حجّته فى الخلافة . وفيها ولّى الخليفة عبد الملك بن مروان الحجاجَ بن يوسف على العراق . وفيها خرج عبد العزيز بن مروان صاحب ٥ الترجمة من مصر وافدا على أخيه الخليفة عبد الملك بن مروان بالشام واستخلف على مصر زِياد بن حنظلة التُّجِيبي، وتوفى زياد بعد ذلك بمدّة يسيرة فى شوال؛ وتخلّف على مصر الأَصْبَغ بن عبد العزيز بن مروان حتى قدِم أبوه عبد العزيز من الشام . وفيها ولّى عبد الملك المدينة يحيى بن الحَكَم بن أبى العاص بن أُمَيّة . وفيها خرج ملك الروم بجيوشه ونزل على مَرْعَش من أعمال حلب ، فندَب عبد الملك لقتاله أخاه محمد بن ١٠ مروان فهزم محمد الرومَ وغلبهم . وفيها ضرب عبد الملك بن مروان على الدينار والدرهم اسمَ الله تعالى ، وسببه أنه وجد دراهم ودنانير تاريخها قبل الإسلام بثلثمائة سنة أو بأربعمائة سنة مكتوب عليها : باسم الأب والابن وروح القدس . قال الزهرى: كانت الدراهم على ثلاثة أصناف : الوافية وزن الدرهم مثقال ، والبَغْلية[1] وزن الدرهم نصف مثقال ، والزياديّة وزن العشرة ستة مثاقيل ، فجمع عبد الملك هذه ١٥ الأصناف وضربها على ما هى الآن عليه .

وفاة توبة بن الحمير صاحب ليلى الأخيلية

وفيها توفى تَوْبَة بن الحُمَيِّر بن عُقَيل بن كعب بن ربيعة الخفاجى أحد عشاق العرب صاحب ليلى الأَخْيَلِيّة بنت عبد الله ابن الرحّال بن شدّاد بن كعب ، وكانت أشعر نساء زمانها لا يُقدَّم عليها غير الخنساء .

(١٠٣)

(١) سميت « البغلية » لأن رأس البغل ضربها لعمر بن الخطاب رضى الله عنه بسكة كسروية عليها ٢٠ صورة الملك وتحت الكرسى مكتوب بالفارسية « نوش خور » أى كل هنيئا ، وقد سبق الكلام عليها نقلا عن حياة الحيوان للدميرى (ج ١ ص ٨٠) . وفى الأصل : « التغلبية » وهو تحريف .

قيل : إن ليلى هذه دخلت على عبد الملك بن مروان فقال لها : ما رأى منك تَوْبَة حتى عشقك؟ فقالت : ما رأى الناس منك حين جعلوك خليفة ! . وقال الشعبيّ : ودخلت[1] ليلى الأخيلية على الحجاج وأنا حاضر، فقال : ماالذى أقدمك علينا ؟ فقالت : إخلاف النجوم، وقلّة الغُيوم، وكَلَب البَرْد، وشدّة الجَهْد، وأنت لنا بعد الله الرِّفْد؛ فقال لها : صِفِى حال البلاد؛ فقالت : أمّا الفِجاج فمُغْبَرَّة، وأما الأرض فمُقْشَعِرَّة، ثم ذكرت أشياء من هذه المقولة الى أن قالت : وقد أصابتنا سِنُونَ لم تدع لنا هُبَعًا[2]، ولا رُبَعًا، ولا عافِطَة، ولا نافِطَة، ذهبت الأموال، ونزحت الرجال اهـ . وأما أشعار تَوْبَة المذكور فيها وتشبيبه بها فكثيرة ليس هذا موضع ذكرها . وفيها توفى أبو ثعلبة الخُشَنِيّ[3] القُضاعِيّ . واسمه جُرْثُوم، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهّز الى غزوة حُنَيْن، وقيل : إنه شهد بيعة الرضوان وحُنَينا ونزل الشام وتوفّى بها . وفيها توفى سُلَيْم بن عِتْر[4] التُّجِيبيّ المصرى أبو سَلَمة عالم مصر وقاضيها، من الطبقة الأولى من التابعين، وهو أوّل مَن قضى بمصر فى سنة تسع وثلاثين وشهِد فتح مصر . وفيها توفى شُرَيْح[5] بن الحارث بن قيس بن الجَهْم بن معاوية ابن عامر أبو أميّة قاضى الكوفة، من الطبقة الأولى من التابعين الكوفيين، وقيل إنه صحابىّ . وفيها كان وقوع الطاعون بالكوفة . وفيها توفى صِلَة بن أَشْيَم العَدَوِيّ أبو الصهباء، من الطبقة الأولى من تابعى الصحابة بالبصرة . وفيها توفى العِرْباض

---

(١) راجع هذا الخبر بتوسع وشرح كلماته فى أمالى القالى (ج ١ ص ٨٦ طبعة دار الكتب المصرية) .

(٢) كذا فى أمالى القالى . وفى الأصل «هبا، ولا ربا، ولا عاطفة ولا ناطفة» .

(٣) كذا فى ف وطبقات ابن سعد وتهذيب التهذيب . وفى م : «الخشانى» وهو تحريف . واختلف فى اسمه واسم أبيه اختلافا كثيرا .

(٤) كذا فى تاريخ ابن عبد الحكم (ص ٢٢١) وكتاب ولاة مصر وقضاتها للكندى (ص ٣٠٦) . وفى م : «عمير» وفى ف : «عمر» .

(٥) فى سنة وفاته اختلاف، راجع طبقات ابن سعد (ج ٦ ص ٩٩) .

ابن سارية أبو نَجِيح السُّلَمىّ، من الطبقة الثالثة من الصحابة المهاجرين . وفيها توفى عمرو بن ميمون الأَوْدِىّ (أَوْد بنى صَعْب بن سعد) من الطبقة الأولى من التابعين ، أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يَلْقَه .

§ أمر النيل فى هذه السنة ـ الماء القديم ذراعان وسبعة أصابع، مبلغ الزيادة ٥ ثلاثة عشر ذراعا وتسعة أصابع .

* * *

ماوقع من الحوادث فى السنة الحادية عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر

السنة الحادية عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر وهى سنة ست وسبعين — فيها خرج صالح بن مُسَرَّح التميمىّ وكان رجلا صالحا ناسكا لكنّه كان يُحطّ على الخليفتين عثمان وعلىّ رضى الله عنهما كهيئة الخوارج، فوقع له ١٠ حروب فى هذه السنة الى أن توفّى من جُرح أصابه فى حروبه بعد مدّة فى جمادى الآخرة وعهِد لشَبيب بن يزيد؛ فوقع لشبيب المذكور مع الحجّاج بن يوسف حروب ووقائع كثيرة أكثرها لشبيب على الحجّاج حتى دخل شبيب فى هذه السنة الكوفةَ ومعه امرأته غَزالة ، وكانت غزالة المذكورة تدخل مع زوجها فى الحروب، وربّما قصدت الحجاج فهرَب منها . وفيها وفَد يحيى بن الحكم على الخليفة عبد الملك بن ١٥ مروان . وفيها كان الحجاج على العراق وفعل تلك الأفعال القبيحة ، وكان على خُراسان أُمَيّة بن عبد الله بن خالد، وعلى قضاء الكوفة شُرَيْح ، وعلى قضاء البصرة زُرارة ابن أَوْفَى . وفيها غزا محمد بن مروان الروم من ناحية مَلَطْيَة . وفيها توفى حَبّة بن جُوَيْن العُرَنىّ صاحب علىّ (وحبة بالحاء المهملة والباء الموحدة) وهو منسوب الى عُرَنة (بالعين المهملة المضمومة والراء المهملة والنون) . وفيها حجّ بالناس أَبانُ بن ٢٠ عثمان بن عفّان أميرُ المدينة بعد أن ولّاه عبد الملك إمْرَتَها فى أوّل السنة . وفيها

(١٠٤)

وُلِد مَرْوان بن محمد الجَعْـدِىّ المعروف بالحمار آخر خلفاء بنى أميّـة الآتى ذكره فى محلّه . وفيها آستشهد زُهَير بن قيس البَلَوِىّ المصرىّ أبو شدّاد فى واقعة الروم ، وقد تقدّم ذكره فى واقعة إفريقيّة مع كُسَيْلة وغيره .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ذراعان وأربعة أصابع ، مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعا وسبعة أصابع . ٥

*
* *

ما وقع من الحوادث فى السنة الثانيـة عشرة من ولاية عبـد العزيز ابن مروان على مصـر

السنة الثانية عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر وهى سنة سبع وسبعين — فيها قُتِل شَبيب بن يزيد بن نُعَيْم بعد أن وقع له وقائع مع الحجّاج وعمّاله ، وهو شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس بن عمرو بن الصَّلْت الشَّيْبانىّ الخارجىّ ، خرج بالمَوْصِل فبعث اليـه الحجاج خمسـة قوّاد فقتلهم واحدا بعـد واحد ، ثم قاتل ١٠ الحجّاج وحاصَره وكسره غير مرّة . وكانت آمرأة شبيب غزالة من الشجعان الفُرسان حتى إنها قصدت الحجّاج فهرَب منها ، فعيّره بعض الناس بقوله :

أَسَـدٌ علىّ وفى الحروب نعامةٌ * فَتْخاءُ تَنْفِرُ من صـفير الصافرِ

هلّا بَرَزْتَ إلى غزالةَ فى الوَغَى * بل كان قلبُكَ فى جَناحَىْ طائرِ

١٥ وفيها خرج مُطَرِّف بن المُغيرة بن شُعبة على الحجّاج ، وخلَع عبدَ الملك بن مروان من الخلافة وحارب الحجاج الى أن قُتِـل . وفيها عبر أُمَيّة نهر بَلْخ للغزو فحُوصِر حتى جهد هو وأصحابه ثم نجوْا بعد ما أشرفوا على الهلاك و رجعوا إلى مَرْو . وفيها حجّ بالناس أبان بن عثمان بن عفّان وهو أمير المدينة ، وكان على البصرة والكوفة الحجّاج ابن يوسف الثقفىّ ، وعلى خُراسان أميّـة المذكور . وفيها غزا الصائفةَ الوليـدُ بن ٢٠ عبد الملك بن مروان . وفيها توفّى جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصارىّ فى قول . وفيها

توفى عُبيد بن عُمير بن قتادة الليثىّ المكىّ أبو عاصم، من الطبقة الأولى من التابعين من اهل مكّة ، قال عطاء : دخلتُ أنا وعبيد بن عمير على عائشة رضى الله عنها فقالت : من هذا؟ فقال : أنا عُبَيد بن عُمَير، قالت : أَفَمِن أهل مكّة؟ قال : نعم، قالت : خفّف فإنّ الذكر ثقيل. قال مجاهد : كنا نفتخر بفقيهنا ابن عباس، وقاضينا (١) عُبَيْد بن عُمَيْر . وفيها توفى قَطَرِىّ بن الفُجَاءة المازنىّ وقيل التميمىّ، كان أحدَ
٥ رءوس الخوارج، حارب المُهَلّب بن أبى صُفْرة سنين، وسُلّم عليه بأمير المؤمنين .

(١٠٥) § أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثلاثة أذرع وعشرة أصابع، مبلغ الزيادة ثلاثة عشر ذراعا وسبعة عشر إصبعا .

* * *

ما وقع من الحوادث فى السنة الثالثة عشرة من ولاية عبدالعزيز بن مروان على مصر

١٠ السنة الثالثة عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر وهى سنة ثمان وسبعين — فيها وُلّى المُهَلّب بن أبى صُفْرَة خُراسان نيابة عن الحجّاج وهو يوم ذاك أمير البصرة والكوفة وخُراسان وكَرْمان . وفيها توفّى عبد الرحمن بن عبد القارىّ (٢)، وله ثمان وسبعون سنة، ومسح النبىّ صلى الله عليه وسلم برأسه (والقارىّ بالياء المشدّدة) . وفيها غزا محرز بن أبى محرز أرض الروم وفتح ارقدة (٣) . فلما رجع
١٥ بعسكره، أصابهم مطر شديد من وراء درب (٤) الحدث فأصيب منه ناس كثيرة .

---

(١) كذا فى ف وتهذيب التهذيب . وفى م : « حار » . (٢) كذا فى ف وطبقات ابن سعد وتهذيب التهذيب . وفى ابن الاثير : « عبد الرحمن بن عبد الله القارىّ » . وفى م : « عبد الرحمن بن عوف القارى » وهو تحريف . (٣) كذا فى معجم البلدان لياقوت (ج ٢ ص ٨٦٣ طبعة أوربا) قال فى حدود الروم ما نصه : «ومنزل الاصطرطغوس الوالى حصن يسمى ارقدة
٢٠ على سبع مراحل من القسطنطينية وجنده خمسة آلاف» . وفى الأصل : «أرقلة» . (٤) كذا فى الأصل . ولم يذكر ياقوت فى معجمه هذا الموضع، ولم نوفق اليه فى غيره .

وفيها ولِى إمْرَة الغرب كلّها موسى بن نُصَير اللَّخمى، فسار اليه وقدِم الى طَنْجَة وقدّم على مقدّمته طارق بن زِياد الصَّدَفى مولاهم الذى افتتح الأندلس، وأصاب فيها المائدة التى يزعم أهل الكتاب أنها مائدة سليمان عليه السلام . وفيها حجّ بالناس الوليد بن عبد الملك بن مروان، وقيل أبان بن عثمان بن عفان أمير المدينة . وفيها فرغ الحجاج بن يوسف من بناء واسط، وإنما سمّيت واسط لأنها بين الكوفة والبصرة، منها الى الكوفة خمسون فرسخا والى البصرة كذلك . وفيها عزل عبد الملك عاملَ خُراسان وضمّ ولايتها وولاية سِجِسْتان الى الحجاج ، فسار الحجاج الى البصرة واستخلف عليها المُغيرة بن عبدالله بن[أبى](١) عقيل . وفيها قدِم المُهَلَّب على الحجاج فأجلسه معه على سريره وأعطى أصحابه الأموال وقال : هؤلاء حُماة الثغور . وفيها توفّى جابر ابن عبد الله بن عمرو الأنصارىّ الصحابىّ أبو عبد الله، وهو من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد العقبة الثانية مع الأنصار وكان أصغرهم سنّا، وأسلم قبل العقبة الأولى بعام، وأراد أن يشهد بَدْرا فخلّفه أبوه على إخوته . وفيها توفّى عبد الرحمن ابن غَنْم بن كُرَيب(٢) الأشعرىّ، اختلفوا فى صحبته، ذكره ابن سعد فى الطبقة الأولى من أنصار أهل الشام بعد الصحابة، وقيل : هو تابعىّ ثقة، وقيل : إنّه أسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يَلْقه . قال ابن الأثير : أدرك الجاهلية وليست له صحبة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستة أذرع وثمانية أصابع، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وعشرون إصبعا .

---

(١) التكملة من الطبرى وابن الاثير .

(٢) كذا فى الأصل وتهذيب التهذيب . وفى طبقات ابن سعد : «عبد الرحمن بن غنم ابن سعد» .

* * *

السنة الرابعة عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر وهى سنة تسع وسبعين — فيها استولى الحجاج بن يوسف على البحرين واستعمل عليها محمد ابن صعصعة الكلابىّ وضمّ اليه عُمَان، فخرج عليه الرّيّان البكرىّ فهرب محمد وركب البحر حتى قدِم على الحجاج . وفيها غزا الوليد بن عبد الملك بن مروان مَلَطْيَة فغنِم وسبَى وعاد الى أبيه عبد الملك . وفيها كان الطاعون العظيم بالشام . وفيها حجّ بالناس أبان بن عثمان بن عفان أمير المدينة . وفيها قتل الخليفةُ عبد الملك بن مروان الحارثَ ابن عبد الرحمن بن سعد الدمشقىّ الذى ادّعى النبوّة، وكان آنضم عليه جماعة كبيرة . وفيها توفّى عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الهُذَلىّ، كان من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، روَى عن علىّ بن أبى طالب وابن مسعود . وفيها أصاب الناس طاعونٌ شديد حتى كادوا يفنَون فلم يغزُ أحد تلك السنة فيما قيل . وفيها أصاب الرومُ أهلَ أَنْطاكِيَة وظفِروا بهم . وفيها آستعفى شُرَيْح بن الحارث من القضاء فأعفاه الحجاج واستعمل على القضاء أبا بُردَة بن أبى موسى الأشعرىّ . وفيها توفّى النابغة الجَعْدىّ، واسمه قيس بن عبد الله بن عُدَيْس . وقيل عبد الله ابن قيس، وقيل حسّان بن قيس، وكنيته أبو لَيْلَى . وكان من شعراء الجاهليّة ولحِق الأَخْطَلَ ونازعه بالشعر، وله صحبة ووِفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الذهبىّ : وقال يَعلَى بن الأشدق — وليس بثقة — : سمعت النابغة يقول : أنشدتُ النبىّ صلى الله عليه وسلم :

بَلَغْنا السماءَ مَجْدُنَا وجُدودُنَا ... وإنّا لنرجو فَوْقَ ذلك مَظْهَرَا

فقال : " أين المَظْهَرُ يا أبا لَيْلَى " ؟ فقلت : الجنّة، قال : " أجَلْ إن شاء الله " ثم قلت أيضا :

ما وقع من الحوادث فى السنة الرابعة عشرة من ولاية عبد العزيز ابن مروان على مصر

قتل الحارث بن عبد الرحمن الذى ادّعى النبوّة

(١٠٦)

ولا خيرَ فى حِلْمٍ اذا لم تكنْ لهُ * بوَادِرُ تَحْمِى صفوَه أنْ يُكَدَّرَا
ولا خيرَ فى جهلٍ اذا لم يكن له * حليمٌ اذا ما أورَد الأمرَ أصدرَا

فقال النبى صلى الله عليه وسلم: "لا يَفْضُضِ الله فاك" مرتين. ومات النابغة بأَصْبَهان وله مائة وعشرون سنة، وقيل مائة وستون سنة، وقيل مائتا سنة. وفيها توفّى محمود ابن الربيع، وكنيته أبو إبراهيم، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلّم. ٥

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمسة أذرع وخمسة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وسبعة عشر إصبعا.

*
* *

ما وقع من الحوادث فى السنة الخامسة عشرة من ولاية عبد العزيز ابن مروان على مصر

السنة الخامسة عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر وهى سنة ثمانين — فيها كان سَيْل الجُحاف بمكّة وهلك فيه خلق كثير من الحجّاج، فكان ١٠ يَحْمِل الإبل وعليها الأحمال والرجال والنساء ما لِأَحد منهم حيلة، وغرقت بيوت مكّة وبلغ السيل الركنَ، فسُمّى ذلك العام عام الجُحاف. وفيها كان طاعون الجارف بالبصرة فى قول بعضهم. وفيها خرج عبد الواحد بن أبى الكنود من الإسكندرية وركب البحر وغزا الفرنج حتى وصل الى قُبْرُس. وفيها هلك أَلْيُون عظيم الروم ومَلِكُها. وفيها صلب عبد الملك سعيد بن عبد الله بن عُلَيْم الجهنىّ على إنكاره ١٥ القَدَر، قاله سعيد بن عُفَيْر. وفيها توفّى جُبَيْر بن نُفَيْر بن مالك أبو عبد الله[1] اليَحْصُبىّ الحَضْرمىّ، من الطبقة الأولى من تابعى أهل الشام، أسلم فى خلافة الصديق رضى الله عنه. وفيها توفّى جُنادة بن أبى أُميّة الأزدىّ، من الطبقة الأولى من تابعى أهل الشام. وفيها توفّى حسّان بن النعمان الغسّانىّ من أولاد ملوك غسّان، ويقال:

(١) ويكنى أيضا أبا عبد الرحمن كما فى طبقات ابن سعد وتهذيب التهذيب. ٢٠

إنه ابن المنذر، صاحب الفتوحات بالمغرب، ولّاه معاوية بن أبى سفيان إفريقيّة.
وفيها توفى زيد بن وَهْب بن خالد أبو سليمان الجهنىّ[1]، من الطبقة الأولى من تابعى أهل
الكوفة. وفيها توفى السائب بن يزيد بن سعيد الكِنْدىّ أبو يزيد، من الطبقة الخامسة (١٠٧)
من المخضرمين، مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حَدَث الأسنان. وفيها توفّى
٥ شُرَيح بن هانئ بن يزيد بن نَهِيك[2] بن دريد بن الحارث بن كعب، من الطبقة الأولى
من التابعين من أهـل الكوفة، كان من أصحاب علىّ رضى الله عنـه وشهد معه
مشاهده، وكان قاضى الكوفة وبه يُضْرب المثل. قال الذهبىّ: إنه مات سـنة
ثمان وسبعين. وفيها حج بالناس أمير المدينة أبان بن عثمان، وكان على العراق والشرق
الحجاج. وفيها قُتِل مَعْبَد بن عبد الله بن عُلَيْم الذى يروى حديث الدّباغ، وهو أوّل
١٠ من قال بالقَـدَر فى البصرة، قتله الحجاج وقيـل قتله عبد الملك الخليفة بدِمَشْق.
وفيها توفى شَقيق بن سَلَمة الأَزْدىّ أبو وائل، أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يره، وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة. وفيها توفّى أبو إدريس
الخَوْلانىّ: واسمه عائذ الله بن عبـد الله، وقيل عبد الله بن إدريس بن عائذ الله،
قاضى دِمَشْق فى أيّام معاوية وغيره، وهو من الطبقة الثانيـة من التابعين من أهل
١٥ الشام. وفيها توفّى عبـد الله بن جعفر بن أبى طالب، أبو جعفر وقيل أبو محمد،
وأمّه أسماء بنت عُمَيْس ولدته بالحبشة فى الهجرة، وهو أوّل مولود ولد فى الإسلام
بالحبشة، وهو من الطبقة الخامسة، توفّى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حَدَث
الأسنان. وقيل إنه كان له يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين. وفيها توفى

---

(١) كذا فى طبقات ابن سعد وتهذيب التهذيب. وفى الأصل «يزيد بن وهب»، وهو تحريف.

٢٠ (٢) كذا فى طبقات ابن سعد. وفى تهذيب التهذيب: «يزيد بن نهيك أو الحارث». وفى الأصل:
«يزيد بن سهل»، وهو تحريف.

عبيدالله بن أبى بَكْرَة الثقفىّ، وكنيته أبوحاتم، من الطبقة الثالثة من التابعين من أهل البصرة، وأمّه هَوْلَة بنت غُلَيّظ من بنى عِجْل، وهو أوّل من قرأ القرآن بالألحان، ووَلِى قضاء البصرة، وأوفده الحجاج على الخليفة عبد الملك فسأله أن يولّى الحجاج خُراسان وسِجِسْتان. وفيها توفى العلاء بن زياد بن مَطَر بن شُرَيْح العَدَوىّ، وهو من الطبقة الثانية من التابعين من أهل البصرة، وكان من العبّاد الخائفين. وفيها توفى معاوية ٥ ابن قُرّة بن إياس بن هلال المُزَنِىّ أبو إياس، من الطبقة الثانية من التابعين من أهل البصرة، كان زاهدا عابدا ورعا.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستة أذرع وثمانية أصابع، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وسبعة عشر إصبعا.

١٠

*
* *

ما وقع من الحوادث فى السنة السادسة عشرة من ولاية عبد العزيز ابن مروان على مصر

السنة السادسة عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر وهى سنة إحدى وثمانين — فيها حجّ بالناس سليمان بن عبد الملك بن مروان وحجّت معه أمّ الدرداء. وفيها خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على الحجاج بن يوسف وخلع عبدَ الملك بن مروان من الخلافة، ووقع له بسبب ذلك مع الحجاج حروب، ووافقه جماعة كثيرة على ذلك وكاد أمره أن يتمّ. وفيها غزا عبد الله بن عبيد الله ١٥ بلاد الروم ووصل الى قَالِيقَلَا ففتحها، ويقال: إن أصل الفرات من عندها يجتمع. وفيها توفى محمد بن علىّ بن أبى طالب المعروف بابن الحنفية، والحنفية اسم أمّه، ولها اسم آخر: خَوْلَة بنت جعفر بن قيس؛ ومحمد هذا من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة. وكنيته أبو القاسم، ولد فى خلافة أبى بكر، وقيل لثلاث سنين أو لسنتين بَقِين من خلافة عمر، وهى السنة التى ولد فيها سعيد بن المُسَيَّب، وكان دينّا عابدا ٢٠

(١٠٨)

صاحب رأى وقوة شديدة الى الغاية . وفيها كانت مقتلة بُحَيْر بن وَرْقاء الصريمىّ .
وفيها كان دخول الديلم قَزْوين، وسببه أنّ العساكر كانت لا تبرح مرابطة بها ،
فلما كان فى هذه السنة كان من جملة مَنْ رابط بها محمد بن أبى سَبْرة الجُعْفِىّ، وكان
فارسا شجاعا، فلما قدِم قزوين رأى الناس لا ينامون الليل، فقال لهم : أتخافون أن
٥ يدخل عليكم العدوّ؟ قالوا : نعم ، قال : لقد أنصفوكم إن فعلوا ، إفتحوا الأبواب،
ففتحوها، و بلغ ذلك الديلم فبيّتوهم وهجموا [على] البلد وتصايح الناس، فقال محمد بن
أبى سبرة : أغلقوا الأبواب فقد أنصفونا، فأغلقوا الأبواب التى للدينة فقاتلوهم .
وأبلى محمد بلاء حسنا حتى ظفِر بهم المسلمون ولم يفلِت من الديلم أحد ، ولم يعد
الديلم بعدها، فصار محمد فارس ذلك الثغر، وكان يُدْمِن شرب الخمر، و بقى كذلك
١٠ الى أيام عمر بن عبد العزيز فأمر بتسييره الى داره، وهى دار الفسّاق بالكوفة،
فسُيِّر إليها، فأغارت الديلم بعده على قزوين ونالت من المسلمين وظهر الخلل بعده
حتى طُلِب ثانية وأعيد الى قزوين . وفيها توفى سُوَيْد بن غَفَلة، وكنيته أبو أُمَيّة
كناه بها عمر بن الخطاب ، وهو من الطبقة الأولى من تابعى أهل الكوفة، أدرك
رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفَد عليه فوجده قد قُبِض،وأدرك دفنه وهم يَنْفُضون
١٥ أيديهم من التراب .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمسة أذرع وثلاثة عشر إصبعا ،
مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وثمانية أصابع .

* * *

السنة السابعة عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر وهى
٢٠ سنة اثنتين وثمانين — فيها كانت وقعة الزاوية بين محمد بن الأشعث و بين الحجاج
بالبصرة، وكان لابن الأشعث مع الحجاج فى السنة الماضية وفى هذه السنة عدّة

السنة السابعة عشرة من ولاية عبد العزيز على ابن مروان مصر

وقائع منها : وقعة دُجَيْل يوم عيد الأضحى، وهى وقعة دير الجماجم، ثم وقعة الأهواز، ويقال: إنّه خرج مع ابن الأشعث ثلاثة وثلاثون ألف فارس ومائة وعشرون ألف راجل، فيهم علماء وفقهاء وصالحون . وقيل : إنّه كان بينهما أربع وثمانون وقعة فى مائة يوم، فكانت منها ثلاث وثمانون على الحجاج وواحدة له، فعند ما آنكسر آبن الأشعث خرج الى المَلِك زنبيل[1] وآلتجأ إليه حتى مات بعد ذلك فى سنة أربع وثمانين، وفى موته أقوال كثيرة . وفيها عزل الخليفة عبدُ الملك بن مروان أبانَ بن عثمان بن عفّان عن المدينة فى جُمادى الآخرة وآستعمل عليها هشام بن إسماعيل المخزومىّ، فعزل هشامُ ابنَ مُساحق عن القضاء بالمدينة وولّى عوضه عمرو بن خالد الزُّرَقِىّ . وفيها غزا محمد بن مروان بن الحكم أخو الخليفة عبد الملك أَرْمِينِيَة، فهزم أهلها فسألوه الصلح فصالحهم، وولّى عليهم أبا شيخ بن عبد الله فغدروا به وقتلوه . وقيل بل قتِل سنة ثلاث وثمانين . وفيها توفى أسماء بن خارجة بن مالك الفزارىّ الكوفىّ أحد الأجواد، وفَد على الخليفة عبد الملك فقال له عبد الملك : بلغنى عنك خصال شريفة فأخبرنى بها؛ قال أسماء : ما سألنى أحد حاجة إلّا وقضيتها، ولا أكل رجل من طعامى إلا رأيت له الفضل علىّ، ولا أقبل علىّ رجل بحديث إلا وأقبلت عليه بسمعى وبصرى؛ فقال له عبد الملك : حقّ لك أن تَشْرُف وتسود . وفيها توفى أبو الشعثاء سُلَيم[2] بن أسود بن حنظلة المُحاربىّ، من الطبقة الأولى من تابعى أهل الكوفة . وقيل : إنّ وفاة أبى الشعثاء فى غير هذه السنة والأصح فيها . وفيها توفى عبد الرحمن بن يزيد بن قيس النَّخَعِىّ أبو بكر، من الطبقة الأولى من تابعى أهل الكوفة، كان يسجُد على كُوَر عمامته قد حالت بين جَبْهته والأرض . وفيها توفى

(١) فى الطبرى وابن الأثير : «رتبيل»، وذكر الطبرىّ أن كلا رتبيل وزنبيل صحيح .

(٢) كذا فى ف وتهذيب التهذيب والطبرى . وفى م : «مسلم» وهو تحريف .

المُغيرة بن المُهلَّب بن أبى صُفْرَة ، واسم أبى صُفرة ظالم بن سُراقة ، وكنيته أبو خداش. كان خليفة أبيه على مَرْو فمات فى شهر رجب. وكان المغيرة جوادا سيّدا شجاعا ، ولمّا وصل الخبر الى أبيه وَجَد عليه وجدا عظيما أثّر فيه ذلك ، ثم استناب ابنه يزيدَ بن المُهلَّب على مَرْو .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربعة أذرع وعشرون إصبعا ، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وسبعة عشر إصبعا .

*
* *

ما وقع من الحوادث فى السنة الثانية عشرة من ولاية عبد العزيز ابن مروان على مصر

السنة الثامنة عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر وهى سنة ثلاث وثمانين — فيها حج بالناس أمير المدينة هِشام بن إسماعيل المخزومىّ . وفيها توفى أبو الجوزاء أَوْس بن خالد الرَّبْعِىّ البصرىّ ، وقيل خالد بن سُمَيْر[1] ، من الطبقة الثانية من التابعين من أهل البصرة . وفيها توفى رَوْح بن زِنْباع أبو زرعة الجُذامىّ الشامىّ ، من الطبقة الأولى من تابعى أهل الشام ، وكان متميّزا عند الناس نخاف منه معاوية فعزم على قتله ثم خلّى عنه ، وكان عظيمَ دولة عبد الملك بن مروان ، وهو الذى قدّم الحجّاج بن يوسف الثقفىّ عند عبد الملك حتى صار من أمره ما صار ، وقصته مع الحجاج المذكور مشهورة من قتل عَبيده و إحراق خيامه عند ما وُلّى الحجاج حرب مصعب بن الزبير . وروح هذا هو زوج هند بنت النعمان بن بشير ، وكانت تكرهه ، وهى القائلة :

وما هندُ إلّا مُهرةٌ عربيّةٌ ... سليلةُ أفراسٍ تجلّلها[2] بغلُ
فإنْ نُتِجَتْ مُهْرًا كريما فبالحَرَى ... وإن يَكُ إقرافٌ فمن قِبَل الفحل[3]

(١) كذا فى الطبقات الكبرى لابن سعد وتهذيب التهذيب . وفى الاصل : «أبو الجعد» وهو تحريف . (٢) كذا فى لسان العرب والتنبيه على أوهام أبى على فى أماليه للبكرىّ (طبع دار الكتب المصرية) . وفى الاصل « تحللها » . (٣) فى هذا الشعر إقواء ، وهو اختلاف حركة الروىّ .

وقد شاع ذلك فى زمانها حتى قال بعض الشعراء فى صاحب سآلة :

لى صاحبٌ مِثْلُ داء البطن صُحبتُه * يَوَدُّنى كَوِداد الذّيب للــراعى
يُثْــنى علىّ جزاه الله صالحــةً * ثناءَ هِنْــدٍ على رَوْحِ بن زِنْباعِ

(١١٠)

وفيها توفى زاذان الكوفى (١) أبو عبد الله مولى كِنْدة، من الطبقة الأولى من تابعى أهل الكوفة، وكان صالحا صاحب نُسُك وعبادة وكان بزّازا . وفيها توفى عبد الله بن الحارث بن نَوْفَل بن الحارث بن عبد المطلّب، أبو محمد الهاشمىّ (٢)، من الطبقة الأولى من التابعين، وأمّه هند بنت أبى سُفْيان؛ ولد فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتت به أمّه الى أختها أمّ حبيبة زوجة النبىّ صلى الله عليه وسلم، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها فقال : "مَنْ هذا" ؟ فقالت : ابن عمك وابن أختى، فتفل فى فيه ودعا له . وفيها توفى عبد الله بن شدّاد بن الهــاد (٣)، واسم الهــاد عمرو الليثىّ، وسمّى الهــاد لأنه كان يوقد ناره للأضياف ليلا ولمن سلك الطريق ، وهو من الطبقة الأولى من تابعى المدينــة، وأمّه سَلْمَى بنت عُمَيس الخثعميّة أخت أسماء . وفيها توفى عبد الرحمن بن يسار أو بلال أبى ليلى ، صحب أبوه رسول الله صــلى الله عليه وسلم وشهد معه أُحُدا وما بعدها . وأمّا عبد الرحمن هذا فإنه تابعىّ من أهــل الكوفة، من الطبقة الأولى، وكان عالمــا زاهدا خرج على الحجاج بن يوسف، قُتِل بدُجَيْل وقيل بل غَرِق فى نهر دجيل مع ابن الأشعث . وفيها توفى مَعْبَد الجهنىّ من أهــل البصرة وهو أوّل من تكلم فى القَدَر، وهو من الطبقة الثانية من تابعى أهــل البصرة، وحضر التحكيم بدُومَة الجَنْدَل . وفيها توفى المُهَلّب بن أبى صُفْرَة اسمه ظالم

(١) كذا فى طبقات ابن سعد وتهذيب التهذيب . وفى الاصل : «زادان» بالدال المهملة وهو تحريف .
(٢) كذا فى طبقات ابن سعد وتهذيب التهذيب . وفى الاصل : «ابن حارثة» وهو تحريف .
(٣) كذا فى ف وطبقات ابن سعد وتهذيب التهذيب . وفى م : «ابن الهادى» باثبات الياء .

ابن سُراق بن صبح الأزدى العَتَكىّ[1] البصرىّ، وفى اسم المهلب أقوال كثيرة، قيل: اسمه سارق بن ظالم، وقيل بالعكس، وقيل طارق بن سارق، وقيل قاطع بن سارق وقيل الذى ذكرناه أوّلا ؛ الأمير أبو سعيد أحد أشراف أهـل البصرة ووجوههم وفُرْسانهم . ولد عام الفتح فى حياة النبىّ صلى الله عليه وسلم وُولِّى الأعمال الجليلة، وله مواقف مع الروم وغيرها الى أن توفى . ٥

§أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم سبعة أذرع وثمـانية أصابع، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا وواحد وعشرون إصبعا .

* * *

السـنة التاسـعة عشرة من ولاية عبـد العزيز بن مروان على مصر وهى سنة أربع وثمانين — فيها فتحت المَصِّيصَة على يد عبد الله بن عبد الملك بن مروان . ١٠ وفيها افتتح موسى بن نُصَيْر مُلْكَ دَرْنَة من بلاد المغرب، فقتـلَ وسبى حتى قيل : إنّ السبى بلغ خمسين ألفا . وفيها غزا محمد بن مروان أَرْمِينِيَـة فهزمهم وحرق كنائسهم، وتُسمى سنة الحريق . وفيها قتل الحجاج أيوبَ بن القِرِّيّة وكان من فصحاء العرب وبلغائهم وأجوادهم، كان خرج أيضا مع محمد بن الأشعث . واسمـه أيّوب ابن زيد بن قيس أبو سليمان الهلالىّ، ثم ندم الحجاج على قتله . وابن القِرِّيّة هذا له ١٥ حكايات كثيرة فى الجود والكرم والفصاحة، منها : أنّه لـمـا أحضره الحجاج ليقتله، فقال له ابن القـرِّيّة : أقلنى عَثْرتى، وأسقنى ريقى فإنه "ليس[2] جواد إلّا له كَبْوة، ولا شجاع إلّا له هَبْوة، ولا صارم إلا له نَبْوة"، فقال الحجاج : كلا ! والله لأَزِيرَنّك[3]

ما وقـع من الحوادث فى السنة التاسعة عشرة من ولاية عبدالعزيز بن مروان على مصر

(١١١)

(١) كذا فى طبقات ابن سعد وتهذيب التهذيب . وفى الأصل : « العكى » .

(٢) المثل المعروف : « لكل صارم نبوة، ولكل جواد كبوة، ولكل عالم هفوة، ولكل داخل دهشة » . ٢٠ (٣) كذا فى ابن الأثير . وفى الأصل : « لأزيننك » .

جَهَنَّم؛ قال : فأرحني فإنى أجد حرّها، فأمر به فضُربت عنقه، فلما رآه قتيلا قال : لو تركناه حتى نسمع من كلامه ! . وفيها وَلِى إمرة الإسكندرية عياض بن غَنْم التُّجيبي . وفيها بعث عبد الملك بن مروان بالشَّعْبي الى أخيه عبد العزيز صاحب الترجمة الى مصر بسبب البيعة للوليد بن عبد الملك حسبما ذكرناه فى صدر ترجمة عبد العزيز . وفيها حجّ بالناس هشام بن إسماعيل . وفيها ظفر الحجاج برأس محمد بن الأشعث وطيف بها فى الأقاليم . وفيها قتل الحجاج حُطَيْطا الزيات الكوفىّ، كان عابدا زاهدا يَصْدَع بالحق، قتله الحجاج لتشيّعه ولميله لابن الأشعث . قيل : إنه لما أحضره بين يديه قال له الحجاج : ما تقول فى أبى بكر وعمر؟ قال : أقول فيهما خيرا، قال : ما تقول فى عثمان ؟ قال : ما وُلِدْتُ فى زمانه، فقال له الحجاج : يابن الخناء، وُلِدتَ فى زمان أبى بكر وعمر ولم تُولَد فى زمن عثمان ! فقال له حُطَيْط : يابن الخناء، إنى وَجَدْتُ الناس اجتمعوا فى أبى بكر وعمر فقلتُ بقولهم، ووجدت الناس اختلفوا فى عثمان فوسعنى السكوت، فقال معدّ لعنه الله (معدّ صاحب عذاب الحجاج) : إنى أريد أن تدفعه الىّ، فوالله لأسمعنّك صياحه، فسلّمه اليه فجعل يعذّبه ليلته كلّها وهو ساكت، فلما كان وقت الصبح كسر ساق حطيط، ثم دخل عليه الحجّاج لعنه الله فقال له : ما فعلت بأسيرك، فقال : إن رأى الأمير أن يأخذه منّى، فقد أفسد علىّ أهل سجنى، فقال له الحجاج : علىّ به فعذّبه بأنواع العذاب وهو صابر، فكان يأتى بالمَسَالّ فيغرزها فى جسمه وهو صابر، ثم لفّه فى بارية وألقاه حتى مات . وفيها توفّى أبو عمرو سعد بن إياس الشيبانىّ صاحب العربية وأيام الناس، كان إماما فيهما، وهو من الطبقة الأولى من تابعى أهل الكوفة، شهد القادسيّة وروى عن عمر وعلىّ وابن مسعود وغيرهم .

ظفر الحجاج برأس محمد بن الأشعث

§امر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستة أذرع ونصف ، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وواحد وعشرون إصبعا .

+ + +

ما وقع من الحوادث فى السنة العشرين من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر

السنة العشرون من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر وهى سنة خمس وثمانين — فيها كانت وفاة عبد العزيز بن مروان صاحب الترجمة، حسبما تقدّم ذكره، فى الطاعون العظيم الذى كان فى هذه السنة بمصر وأعمالها، وهو ثامن طاعون كان فى الإسلام على قول بعضهم. وقد ذكرنا ذلك فيما مضى فى حوادث سنة ست وستين . وفيها غزا محمد بن مروان إرمينيَة فأقام بها سنة وولّى عليها عبد العزيز بن حاتم بن النُّعمان الباهلىّ ، فبنى مدينة أَرْدَبِيل ومدينة بَرْذَعَة . وفيها جهز عبد الله بن عبد الملك بن مروان يزيد بن حُنَيْن فى جيش فَلقيه الروم فى جيش كثير فأصيب الناس ، وقُتِل ميمون الجُرْجانى فى ألف نفس من أهل أَنْطاكِيَة . وفيها عُزِل يزيد بن المُهَلَّب بن أبى صُفْرَة عن خُراسان، ووُلّى الفضل أخوه مدّة يسيرة ثم عُزِل أيضا. ووُلّى قُتَيْبة بن مسلم . وفيها قُتِل موسى بن عبد الله بن خازم[1] السُّلَمِىّ وكان بطلا شجاعا وسيدا مُطاعا ، كان غلب على تِرْمِذ وما وراء النهر مدّة سنين وحارب العرب من هذه الجهة والترك من تلك الجهة ، وجرت له وقعات عظيمة، وآخر الأمر أنه خرج ليلة فى هذه السنة بعساكره ليُغِير على جيش فعثر به فرسُه فابتدره ناس من ذلك الجيش وقتلوه . وفيها حج بالناس هشام بن إسماعيل المخزومىّ . وفيها توفّى عبد الله بن عامر بن ربيعة حليف بنى عدىّ، وكان له لما مات النبىّ صلى الله عليه وسلم أربعُ سنين . وفيها توفى واثلة بن الأَسْقَع

(١) كذا فى الطبرى وابن الأثير . وفى الأصل : «حازم» بالحاء المهملة .

ابن عبد العُزّى بن عبديَاليل، من الطبقة الثالثة من المهاجرين، وكان ينزل ناحية المدينة، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فصلّى معه الصبح و بايعه .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ثلاثة أذرع وخمسة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وواحد وعشرون إصبعا .

ذكر ولاية عبد الله بن عبد الملك على مصر

ترجمة عبد الله بن عبد الملك الذى ولى مصر بعد عبد العزيز بن مروان

هو عبد الله ابن الخليفة عبد الملك بن مَرْوان بن الحَكَم بن أبى العاص بن أُمَيَّة ابن عبد شمس ، القرشىّ الأُمَوِىّ الأمير أبو [عمر][1]، ولد فى حدود سنة ستين ونشأ بدِمَشْق تحت كَنَف والده عبد الملك ، ونَدَبه أبوه فى خلافته الى عِدّة غزوات، وافتتح المَصِّيصَة فى سنة أربع وثمانين وقتل وسبى وغنِم؛ ثم ولّاه أبوه إمرة مصر بعد موت عمه عبد العزيز بن مروان فى سنة خمس وثمانين، فتوجّه اليها ودخلها فى يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة من سنة خمس وثمانين، وقيل من سنة ست وثمانين . ودخل مصر ابنَ سبع وعشرين سنة ، وكان أبوه عبد الملك أمره أن يُعَفِّى آثار عبد العزيز ؛ فأوّل ما دخل عبد الله المذكور استبدل العمّال بعمّال غيرهم والأصحاب بأصحاب أُخَر، واستعمل على شرطة مصر عبدَ الأعلى، ومنع من لُبْس البرانس، وكان فيه شدّة بأس . فلم يكن إلا أشهر وتوفّى أبوه عبد الملك بن مروان ووَلِى الخلافة من بعده أخوه الوليد بن عبد الملك، فأقرّه الوليد على إمرة مصر على عادته ؛ فأمر عبد الله المذكور أن تنسخ دواوين مصر بالعربية، وكانت تُكتَب بالقبطيّة، ففُعِل ذلك. ثم وقع فى سنة سبع وثمانين الشراق بمصر وغلت الأسعار بها الى الغاية، حتى قيل : إن أهل مصر لم يروْا فى عمرهم مثل

(١) بياض بالأصل . والتكملة من كتاب ولاة مصر وقضاتها للكندى .

تلك الأيام، وقاست أهل مصر شدائد بسبب الغلاء، فاستشأمت الناسُ بكعبه . هذا مع ما كان عليه من الجَوْر، فإنه كان يرتشي و يأخذ الأموال من الخراج وغيره . ولما شاع ذلك عنه طلبه أخوه الوليد من مصر، فخرج عبد الله من مصر اليه بدِمَشْق في صفر سنة ثمان وثمانين ، واستخلف على مصر عبد الرحمن بن عمرو بن مخزوم الخَوْلانيّ . هذا وأهل مصر في شدّة عظيمة من عِظَم الغلاء؛ فأقام عند الوليد مدّة يسيرة ثم عاد الى مصر حتى عزله أخوه الوليد بن عبد الملك عن إمرة مصر في سنة تسعين، ووَلّى عِوَضه على مصر قُرّة بن شَريك الآتي ذكره . فكانت ولاية عبد الله هذا على مصر ثلاث سنين وعشرة أشهر . و بعد عزله توجّه الى دمشق عند أخيه الوليد . وخرج من مصر بجميع أمواله واستصحب معه الهدايا والتحف الى أخيه الوليد . فلمّا وصل الى الأُرْدُنّ أحيط به من قِبَل أخيه الوليد فأُخذ جميع ما كان معه، وحُمِل عبد الله المذكور الى أخيه الوليد . وعبد الله هذا أمّه أمّ ولد لأن أكبر إخوته الوليد ثم سليمان ثم مروان الأكبر — دَرَج[1] — وعائشة، وأمّهم وَلّادة بنت العباس بن جَزْء بن الحارث بن زهير بن خُزَيْمة؛ ثم يزيد ومروان الأصغر ومعاوية وأمّ كُلْثوم، وأمّهم عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سُفْيان؛ ثم هشام وأمّه أمّ هشام بنت إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المُغيرة المخزوميّة واسمها عائشة؛ ثم أبو بكر، وكان يعرف بَبكّار، وأمّه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله؛ ثم الحكم وأمّه أمّ أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان؛ ثم فاطمة وأمّها أمّ المُغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة؛ ثم عبد الله هذا صاحب الترجمة، ومَسْلَمَة والمُنْذر وعَنْبَسَة ومحمد وسعيد الخَيْر والحجّاج لأمّهات الأولاد .

(١) كذا في الطبري وابن الأثير في حوادث سنة ست وثمانين . وفي الأصل : « زوج عائشة ثم عائشة » وهو خطأ .

ما وقع من الحوادث فى السنة الأولى من ولاية عبد الله بن عبد الملك على مصر

السنة الأولى من ولاية عبد الله بن عبد الملك بن مروان على مصر وهى سنة ست وثمانين — فيها كان طاعون القَيْنات، سمّى بذلك لأنه بدأ فى النساء، وكان بالشام وواسط والبصرة. وفيها سار قُتَيْبة بن مسلم متوجها الى ولايته فدخل خُراسان وتلقاه دَهَاقِينُ بَلْخ وساروا معه، وأتاه أيضا أهل صاغان بهدايا ومِفْتاح من ذهب ٥
وسلموا له بلادهم بالأمان. وفيها افتتح مَسْلَمةُ بن عبد الملك حصن بولق[1] وحصن الأخرم. وفيها توفى الخليفة عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أميّة ابن عبد شمس بن عبد مَناف بن قُصَيّ بن كِلاب، أمير المؤمنين أبو الوليد، القرشىّ الأُمَوِى، والد عبد الله هذا صاحب الترجمة؛ بويع بالخلافة بعهد من أبيه مروان بن الحكم، وكان ذلك بعد أن دعا عبدُ الله بن الزبير لنفسه بالخلافة. وتمّ أمر ١٠
عبد الملك المذكور فى الخلافة وبَقِى على مصر والشام، وآبن الزبير على باقى البلاد، مدّة سبع سنين والحروب ثائرة بينهم، ثم غلب عبد الملك على العراق وما والاها بعد قتل مُصْعَب بن الزبير، ثم وَلّى الحجّاج بن يوسف الثقفىّ العراق ومحاربة عبد الله ابن الزبير حتى قتله، وآستوثق الأمْر بقتل عبد الله بن الزبير لعبد الملك، ودام فى الخلافة حتى توفى بدِمَشْق فى شوّال، وخلافته المجمع عليها (أعنى بعد قتل عبد الله ١٥
ابن الزبير) من وسط سنة ثلاث وسبعين.

وقال الشعبىّ: خطَب عبد الملك فقال: اللهم إنّ ذنوبى عِظام، وإنها صغارٌ فى جَنْب عفوك، فآغفرها لى يا كريم. وكان مولد عبد الملك سنة ست وعشرين من الهجرة، وكان عابدا ناسكا قبل الخلافة، فلما أتته الخلافة تغيّر عن ذلك كلّه وولّى الحجّاج على العراق. قيل: إنّ الحسن البصرىّ سئل عن عبد الملك هذا فقال: ٢٠
ما أقول فى رجلٍ الحجاج سيئه من سيئاته! . وفيها هلك ملك الروم الأخرم بورى

(١) كذا فى الطبرى وابن الأثير. وفى الأصلين: «براى».

قبل عبد الملك بن مروان بشهر. وفيها حج بالناس هشام بن إسماعيل المخزومى. وفيها توفى بِشر بن عَقْربة الجُهَنِىّ أبو اليَمَان. قال الواقدىّ: قُتِل أبوه عقربة يوم أُحُد، قال بشر: فلقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكى فقال: "ياحبيبُ ما يُبْكِيك" فقلت: قُتِل أبى، قال: "ما ترضى أن أكون أباك وعائشة أمك" ومسح على رأسى بيده، فكان أثريده من رأسى أسود وسائره أبيض. وفيها توفى عبد الله بن أبى أَوْفَى الأسلمىّ، من الطبقة الثالثة من المهاجرين، وكان ممن بايع تحت الشجرة وشهد مع النبىّ صلى الله عليه وسلم غزوة بنى النَّضِير والخندق والقُرَيْظَة. وفيها توفى أبو أمامة صُدَىّ[1] بن عَجْلان الباهلىّ، من الطبقة الرابعة من الصحابة. وفيها حبس الحجاجُ يزيدَ بن المُهَلَّب بن أبى صُفْرَة وعزل حبيب بن المهلب عن كَرْمان، وعزل عبد الملك عن شرطته، وكان الحجاج أمير العراق كله والشرق فى هذه السنة.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثلاثة أذرع وخمسة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ثلاثة عشر ذراعا وثمانية عشر إصبعا.

* * *

ما وقع من الحوادث فى السنة الثانية من ولاية عبد الله بن عبد الملك بن مروان على مصر

السنة الثانية من ولاية عبد الله بن عبد الملك بن مروان على مصر وهى سنة سبع وثمانين — فيها افتتح قُتَيْبَة بن مسلم أمير خراسان بِيكَنْد. وفيها شرع الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان فى بناء جامع دِمَشْق الأُمَوِىّ وكان نصفه كنيسة النصارى، وعلى ذلك صالحهم أبو عُبَيْدة بن الجرّاح. فقال لهم الوليد: إنا قد أخذنا كنيسة مريم عَنْوَة فأنا أهدمها، فرضوا بهدم هذه الكنيسة وإبقاء كنيسة مريم؛ والمحراب الكبير هو مكان باب الكنيسة. ثم كتب الوليد الى ابن عمه عمر بن

---

(١) كذا فى طبقات ابن سعد وتهذيب التهذيب والإصابة، وهو الصواب. وفى م: «أبو أسامة عدى» وفى ف: «أسامة صدى».

بناء عمر بن عبد العزيز لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم في أيام الوليد

عبد العزيز بن مروان وهو أمير المدينة ببناء مسجد النبي صلى الله عليه وسلم . وكانت ولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة فى أوائل هذه السنة أيضا وله من العمر خمس وعشرون سنة بعد أن صُرف عنها هشام بن إسماعيل المخزومى؛ ودام عمر بن عبد العزيز على إمرة المدينة الى أن عزله الوليد أيضا بأبى بكر بن [عمرو بن][1] حزم . وفيها حج بالناس عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة؛ وكان على قضاء المدينة أبو بكر ابن عمرو بن حزم . وفيها توفى أمية بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد[2] . وفيها قدم نيزك طَرْخان على قُتَيْبة بن مسلم فصالحه وأطلق ما فى يده من أسارى المسلمين . وفيها غزا قتيبة المذكور نواحى بُخارا فكانت مَلْحَمة عظيمة هزم الله فيها المشركين. وفيها غزا مَسْلمة بن عبد الملك فآفتتح قمقم[3] وبحيرة الفُرسان، فقتل وسبى ، ويسّر الله تعالى فى هذا العام بفتوحات كبار على الإسلام . وفيها توفى قَبِيصة بن ذُؤَيب ابن حَلْحَلة بن عمرو الخُزاعى، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة والثانية من أهل الشام؛ ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح ، وكان على خاتم الخليفة عبد الملك بن مروان وصاحبَ أمره وأقربَ الناس إليه . وفيها توفى مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير بن عوف بن كعب، أبو عبد الله الحَرَشى، من الطبقة الثانية من تابعى أهل البصرة ، وكان له فضل وورع ورواية، وكان بعيدا من الفتن . وفيها توفى أبو الأبيض العَنْسى وهو من التابعين، كان كثير الغزو والجهاد.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمسة أذرع وستة عشر إصبعا ، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وعشرون إصبعا .

(١) الزيادة عن نسخة ف وابن الاثير . (٢) فى ف وردت هذه الزيادة (وأسيد بفتح الهمزة . وفيها كان طاعون الفتيات . سمى بذلك لكثرة من مات فيه من النساء) وقد ذكر المؤلف هذا الطاعون فى حوادث السنة التالية . (٣) كذا فى الطبرى وابن الأثير . وفى الأصلين وتاريخ الاسلام للذهبى : «قيقم» .

*
* *

ما وقع من الحوادث فى السنة الثالثة من ولاية عبد الله بن عبد الملك بن مروان على مصر

السنة الثالثة من ولاية عبد الله بن عبد الملك بن مروان على مصر وهى سنة ثمان وثمانين — فيها جمع الروم جمعا عظيما وأقبلوا فالتقاهم قُتَيْبة بن مسلم ومعه العباس ابن الخليفة الوليد، فهزم الله الروم وقُتِل منهم خلق كثير، وافتتح المسلمون سُوسَنة وطُوَانة . وفيها غزا قتيبة أيضا الترك فزحفوا إليه ومعهم أهل فرغانة وعليهم ابن أخت ملك الصين ، ويقال : بلغ جمعهم مائتى ألف ، فكسرهم قُتَيْبة، وكانت ملحمة عظيمة أيضا . وفيها توفّى عبد الله بن أبى قَتادة بن رِبْعِىّ الأنصارىّ الخَزْرجىّ من الطبقة الثانية من تابعى أهل المدينة. وفيها كان فتح طُوانة من أرض الروم على يد مَسْلَمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبدالملك . وفيها حج بالناس أمير المدينة عمر بن عبد العزيز ووصل جماعةً من قريش ، وساق معه بُدْنا وأحرم من ذى الحُلَيْفة، فلما كان بالتَّنعيم أُخبر أن مكّة قليلة الماء وأنهم يخافون على الحاجّ العطش، فقال عمر : تعالَوْا ندع الله تعالى، فدعا ودعا الناس معه، فما وصلوا الى البيت إلا مع المطر، وسال الوادى فخاف أهل مكّة من شدّته، ومُطِرت عرفة ومكة وكثُر الخِصْب . وفيها كتب الوليد الى عمر بن عبد العزيز يأمره بإدخال حُجَر أزواج النبىّ صلى الله عليه وسلم فى المسجد وأن يشترى ما بنواحيه، حتى يكون مائتى ذراع فى مائتى ذراع وأن يقدّم القِبْلة، ففعل عمر ذلك. وفيها توفّى عبدالله بن بُسْر المازنىّ (مازن بن منصور) وكان ممن صلّى إلى القِبْلتين ، وهو آخر من مات بالشام من الصحابة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربعة أذرع وواحد وعشرون إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وعشرون إصبعا .

ما وقع من الحوادث فى السنة الرابعة من ولاية عبد الله بن عبد الملك بن مروان على مصر

السنة الرابعة من ولاية عبدالله بن عبدالملك بن مروان على مصر وهى سنة تسع وثمانين — فيها افتتح موسى بن نُصَير جزيرتى ما يُرقة[1] ومَنُرقة، وهما جزيرتان فى البحر بين جزيرة صِقِلِّيَة وجزيرة الأندلس، وتسمى هذه الغزوة غزوة الأشراف لكثرة الأشراف التى كانوا بها (أعنى أشراف العرب). وفيها غزا قتيبة "وَرْدان خذاه" ملك بُخارا فلم يطقهم ورجع. وفيها غزا مَسْلمة بن عبد الملك عَمُّورِيَّة فلقى جمعا من الروم فهزمهم الله. وفيها وَلِى خالد بن عبد الله القَسْرِىّ مكّة وهى أوّل ولايته. وفيها غزا مَسْلمة أيضا والعباس بن الوليد بن عبد الملك الروم، فافتتح مسلمة حصن سُورِيَة وافتتح العباس مدينة أذرولِيّة[2]. وفيها حج بالناس عمر بن عبد العزيز. وفيها توفى ظَلِيم مولى عبدالله بن سعد بن أبى سَرْح بإفريقيّة. وفيها عَزَل عِمْران بن عبد الرحمن عن قضاء مصر بعبد الواحد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حُدَيْج وله خمس وعشرون سنة. وفيها توفى عِمْران بن حِطّان[3] السَّدُوسِىّ الخارجىّ، كان شاعر الخوارج، وروى عن أبى موسى وعائشة رضى الله عنهما، وكان عمران فصيحا[4] قبيح الشكل، وكانت زوجته جميلة، فدخل عليها يوما وهى بزينتها فأعجبته وعلِمت منه ذلك، فقالت: أبشر فإنى وإيّاك فى الجنة، قال: ومن أين علِمتِ؟ قالت: لأنك أُعطيت مثلى فشكرتَ، وأنا ابتليتُ بمثلك فصبرتُ، والصابر والشاكر فى الجنة. ومن شعره فى عبد الرحمن ابن مُلْجَم وقومه:

يا ضَرْبَةً من تقِىٍّ ما أراد بها * إلا لِيَبْلُغَ منْ ذى العرش رِضْوانَا

(١) صححنا هذين الاسمين عن تقويم البلدان لأبى الفداء اسماعيل (ص ١٩٠ طبعة أوربا).

(٢) كذا فى الأصل والطبرى وابن الأثير. وفى معجم ياقوت ومعجم البكرى وفتوح البلدان للبلاذرى وهامش الطبرى: «درولية». (٣) كذا فى الطبقات الكبرى لابن سعد والكامل للمبرد. وفى الأصل: «عمران بن خطان» وهو تحريف. (٤) زيادة فى ف.

إنّى لأَذْكُرُه يوما فأحْسَبُهُ * أَوْفَى البَرِيَّة عند الله مِيزَانا
أَكْرِمْ بقومٍ بُطونُ الطيرِ أَقْبُرهُم * لم يَخْلِطوا دينَهم بَغياً وعُدْوانا

قلت : وهذا مذهب الخوارج . فإنهم يُكَفِّرون بالمعصية . وفيها توفى يحيى بن يَعْمَر أبو سليمان الليثى البصرى . وكان عالما بالقراءات والعربيّة ، وهو أوّل من نقّط المصاحف ، وكان ولّاه الحجاج [من برّه] (1) قضاءَ مَرْو ، وكان يقضى بالشاهد واليمين اهـ .

٥

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمسة أذرع واثنا عشر إصبعا ، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا واثنان وعشرون إصبعا .

ذكر ولاية قُرّة بن شَرِيك على مصر

ترجمة قرة بن شريك الذى ولى مصر بعد عبد الله ابن عبد الملك

هو قُرَّة بن شَرِيك بن مَرْثَد (2) بن حازم بن الحارث بن حَبَش بن سُفْيان بن عبدالله ابن ناشِب بن هِدْم (3) بن عَوْذ بن غالِب بن قُطَيْعة بن عَبْس بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفَان بن أَعْصُر بن سَعْد بن قَيس بن عَيْلَان العَبْسى أميرُ مصر ، وَلِى مصر بعد عزل عبدالله بن عبد الملك بن مروان من قِبَل الوليد بن عبد الملك بن مروان على صلاة مصر وخراجها ، ودخلها يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الأوّل سنة تسعين .

١٠

قال العلامة شمس الدين يوسف بن قُزَأُوغْلى فى تاريخه "مرآة الزمان" : كان قُرّة من أمراء بنى أُميّة وولّاه الوليد مصر ، وكان سيّئ التدبير خبيثا ظالما غَشوما فاسقا منهمكا ، وهو من أهل قِنَّسْرين ، قدم مصر سنة تسع وثمانين أو سنة تسعين ، وكان الوليد عزل أخاه عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، وولّى قرة وأمره ببناء جامع مصر والزيادة فيه سنة اثنتين وتسعين ، فأقام فى بنائه سنتين . قلت : وقد قدّمنا فى ترجمة عمرو بن العاص عند ذكر بنائه جامعه نبذة من ذلك اهـ .

١٥ (١٢٧)

٢٠

(1) زيادة عن م . (2) فى كتاب ولاة مصر وقضاتها للكندى « مرثد بن الحارث » بدون ذكر « حازم » . (3) كذا فى ف والكندي . وفى م : « بهدم » .

قال : وكان الناس يصلّون الجُمُعة فى قيسارية العسل حتى فرغ قرّة من بنائه، وكان الصنّاع اذا آنصرفوا من البناء دعا بالخمور والزمور والطبول فيشرب الخمر فى المسجد طول الليل، ويقول: لنا الليل ولهم النهار؛ وكان أشرّ خلق الله؛ وتحالفت الأزارقة على قتله فعلِم فقتلهم؛ وكان عمر بن عبد العزيز يعتِب على الوليد لتوليته مصر. ومات قرّة فى سنة خمس وتسعين بمصر. وورد على الوليد البريدُ فى يوم واحد بموت الحجاج بن يوسف وموت قرّة، فصعد المنبر وهو حاسِرٌ شَعْثانُ الرأس فنعاهما الى الناس، وقال : والله لأشفعنّ لهما شفاعة تنفعهما؛ فقال عمر بن العزيز رضى الله عنه وهو ابن عمّ الوليد المذكور : أنظروا الى هذا الخبيث، لا أناله الله شفاعةَ محمد صلى الله عليه وسلم وألحقه بهما ؛ فاستجاب الله دعاءه وأهلك الوليد بعدهما بثمانية أشهر أو أقل . انتهى كلام صاحب " مرآة الزمان " بعد ما ساق وفاته فى سنة خمس وتسعين؛ والأصحّ ما سنذكره فى وفاته من قول الذهبىّ وغيره من المؤرخين .

وأمّا قوله : إنّ الوليد مات بعد وفاة قُرّة بثمانية أشهر، فليس كذلك؛ لأن وفاة قرّة فى ليلة الخميس لستٍّ بقينَ من شهر ربيع الأوّل سنة ست وتسعين؛ ووفاة الوليد فى نصف جُمادى الآخرة، قاله خليفة بن خيّاط اه .

وقيل : إنّ عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ذُكِرَ عنده ظلم الحجاج وغيره من وُلاة الأمصار أيام الوليد بن عبد الملك، فقال : الحجاج بالعراق ! والوليد بالشأم ! وقرّة بن شَريك بمصر! وعثمان بالمدينة! وخالد بمكّة! اللهم قد آمتلأت الدنيا ظلما وجَوْرا فأرِح الناس! . فلم يمض غيرُ قليل حتى تُوُفّى الحجاج وقرّة بن شريك فى شهر واحد، ثم تبعهم الوليد، وعُزِل عثمان وخالد؛ فاستجاب الله لعمر .

قال ابن الأثير : وما أشبه هذه القصة بقصة ابن عمر مع زياد بن أبيه حيث كتب الى معاوية يقول : قد ضبطتُ العراق بشمالى، ويمينى فارغة — يُعرِّض بذلك أنّ شماله للعراق وتكون يمينه بإمارة الحجاز — فقال ابن عمر لمّا بلغه ذلك : اللهم أرِحْنا من يمين زياد وأرح أهل العراق من شماله، فكان أوّل خبر جاءه موتُ زياد.

٥ ولما كان قرّة على مصر أمره الوليد بهدم ما بناه عمه عبد العزيز بن مروان لما كان أمير مصر ففعل قرّة ذلك، ثم أخذ بِركة الحبش[1] وأحياها وغرس بها القصب، فقيل لها « إسطبل قرّة ».

وقال الحافظ أبو سعيد بن يونس، بعد ما ذكر نسبه بنحو مما ذكرناه، كان أميرَ مصر للوليد بن عبد الملك وكان خليعا، روى عن سعيد بن المُسَيَّب حديثا واحدا، ١٠ رواه عنه حُكَيْم بن عبد الله بن قيس. وتوفى قُرّة بمصر وهو والٍ عليها فى شهر ربيع الأوّل سنة ست وتسعين، وكان الوليد بن عبد الملك ولّى قرّةَ مصرَ وعزل عنها أخاه عبد الله ابن عبد الملك ؛ فقال رجل من أهل مصر شعرا وكتب به الى الوليد بن عبد الملك :

عجبا ما عجبت حين أتانا * أنْ قد أمَّرْتَ قرّةَ بن شريكْ

١٥ وعزلتَ الفتى المباركَ عنّا * ثم فَيَّلْتَ[2] فيه رأى أبيكْ

---

(١) هى من أشهر برك مصر، وكانت فى ظاهر مدينة الفسطاط من قبلها فيما بين الجبل والنيل. وكانت من الموات فاستنبطها قرة بن شريك العبسى أمير مصر وأحياها وغرسها قصبا فعرفت بإصطبل قرة وعرفت أيضا بإصطبل قامش. وتنقلت حتى صارت تعرف ببركة الحبش ودخلت فى ملك أبى بكر المادرانى... الخ (راجع المقريزى ج ١ ص ١٥٢). (٢) كذا فى حسن المحاضرة للسيوطى (ج ٢ ص ٩). ٢٠ وفى ف : « ثم سلبت » وفى م : « لم قبلت » وكلاهما تحريف. وفيل رأيه : قبحه وضعفه وخطأه.

ثم قال ابن يونس : حدّثنى أبو أحمد بن يونس بن عبد الأعلى وكَهْمَس ابن مَعْمَر وعيسى بن أحمد الصَّدفِى وغيرهم، قالوا : حدّثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ابن عبد الله بن قيس عن قرّة بن شريك : أنه سأل ابن المسيّب عن الرجل يُنْكِح عبدَه وليدَته ثم يريد أن يفرّق بينهما ؛ قال : ليس له أن يفرّق بينهما . قال ابن يونس : ليس لقرّة بن شريك غير هذا الحديث الواحد . انتهى كلام ابن يونس .

قلت : وكانت ولاية قرّة على مصر ست سنين إلا أياما . وتولى إمرة مصر بعده عبدُ الملك بن رِفاعة الآتى ذكره ؛ وكان من عظماء أمراء الوليد بن عبد الملك ، وكان الوليد عند أهل الشأم من أفضل خلفائهم ، بنى المساجد : مسجدَ دِمشق ومسجد المدينة ، ووضع المنابر ، وأعطى المُجذَّمين أموالا ومنعهم من سؤال الناس ، وأعطى كل مُقْعَد خادما ، وكل ضرير قائدا ، وفتح فى ولايته فتوحات عظاما : منها الأندلس وكَاشْغَر والهند ، وكان يمر بالبقّال فيقف عليه ويأخذ منه حُزْمة بَقْل فيقول : بكم هذه ؟ فيقول : بفَلْس . فيقول : زد فيها . وكان صاحب بناء واتخاذ للمصانع والضِّياع ، فكان الناس يلتقُون فى زمانه فيسأل بعضهم بعضا عن البناء . وكان سليمان ابن عبد الملك صاحب طعام ونكاح . فكان الناس يسأل بعضهم بعضا عن النكاح والطعام . وكان عمر بن عبد العزيز صاحب عِبادة . فكان الناس يسأل بعضهم بعضا فى أيامه : ما وِرْدُك الليلة ، وكم تحفظ من القرآن ، وما تصوم من الشهر .

أعمال الوليد ابن عبد الملك وخواص بعض الخلفاء .

قلت : ولم أذكر هذا كله إلا لما قدمناه من الحط على الوليد من أقوال المؤرّخين . فأردت أن أذكر من محاسنه أيضا ما نقله غيرهم اهـ .

حوادث السنة الأولى من ولاية قرة بن شريك على مصر

السنة الأولى من ولاية قرّة بن شريك على مصر وهى سنة تسعين — فيها غزا قُتَيْبة بن مسلم "وَرْدان خُذاه"[1] الغزوة الثانيـة، فاستصرخ وردان خذاه على قتيبة بالترك، فالتقاهم قتيبة وهزمهم الله تعالى وفضّ جمعهم . ثم غزا قتيبة أيضا فى السنة أهل الطالَقان بخُراسان فقتل منهم مقتلة عظيمة . وفيها غزا العباس ابن الخليفة الوليد ابن عبد الملك بن مروان فبلغ الى أَرْزَن[2] ثم رجع . وفيها توفى خالد بن يزيد بن معاوية ابن أبى سُفْيان، أبو هاشم الأُمَوىّ الدمشقىّ أخو معاوية الرجل الصالح وعبد الله . قيل : إن خالدا هـذا بويع بالخلافة بعـد أخيه معاوية بن يزيد بن معاوية فلم يتم أمرُه، ووثب مروان بن الحكم على الأمر وخلع خالدا هـذا وتزوج بأمه، وقد مرّ ذكر قتلها له فى ترجمة مروان . وكان خالد المذكور موصوفا بالعلم والعقل والشجاعة، وكان مُولَعا بالكيمياء . وقيل : إنه هو الذى وضع حديث السفيانىّ[3] "إنه يأتى فى آخر الزمان..." لـمّا سمع بحديث المهدىّ . انتهى . وفيها توفى عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مَخْرَمة ابن نَوْفل بن أُهَيْب بن عبد مناف، وهو من الطبقة الثانية من تابعى أهل المدينة، وكان فقيها شاعرا . وفيها توفى أبو الخير مَرْثَد[4] بن عبد الله اليَزَنىّ . وفيها فُتحت بُخَارا على يد قُتَيْبة، ثم صالَح قتيبةُ أهلَ الصُّغْد ورجع بهـم ملكُهم طَرْخون الى بلاده . وفيها غزا مَسْلَمة بن عبد الملك أرض الروم وافتتح الحصون الخمسة [التى بسورية][5] . وفيها أسرت الروم خالد بن كَيْسان صاحب البحر، فأهداه ملكهم الى الوليد .

(١) وردان خذاه : تقدم أن ذكر المؤلف فى (ص ٢١٦) أنه اسم ملك بخارا . (٢) أرزن : مدينة بآخر حد بلاد الروم من جهة الشرق . (٣) السفيانى . هو عروة بن محمد السفيانى، راجع حديثه وحديث المهدى فى مختصر تذكرة القرطبى (ص ١٤٦) طبع مصر سنة ١٣٠١ . (٤) كذا فى ف والقاموس . وفى م : «أبو الخير يزيد» وهو خطأ . (٥) الزيادة عن ابن الأثير (ج ٤ ص ٤٢٣ طبع ليدن) .

§أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ذراعان وتسعة عشر إصبعا ، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا واثنان وعشرون إصبعا .

حوادث السنة الثانية من ولاية قرة بن شريك على مصر

السنة الثانية من ولاية قُرّة بن شَريك على مصر وهى سنة إحدى وتسعين — فيها سار قتيبة بن مسلم الى أن وصل الى فارياب [1] فخرج اليه ملِكُها سامعا مطيعا ، فاستعمل عليها قُتيبةُ عامرَ بن مالك ورجع . وفيها عزل الوليد عمّه محمد بن مروان عن الجزيرة وأذْرَبِيجان وولّاها أخاه مَسلمة بن عبد الملك بن مروان ، فقدِم مسلمة وآنتدب إلى الغزو فغزا إلى أن وصل فى هذه السنة الى الباب من بحر أذربيجان ، فافتتح مدائن وحصونا كثيرة . وفيها آفتتح قتيبة بن مسلم أمير خُراسان شُومَان وكَش ونَسَف . وآمتنع عليه أهل فارياب فأحرقها ، وجهّز أخاه عبدَ الرحمن بن مسلم إلى طَرْخون ملك تلك البلاد ، فجرت له معه حروب ومواقف ، ثم صالحه عبد الرحمن وأعطاه [2] طرخون أموالا ، وتقهقر إلى أخيه قتيبة الى بُخارا . فآنصرفوا حتى قدموا مَرْو . فقالت الصُّغْد لطرخون ملكهم : إنك رَضيتَ بالذلّ والجزية وأنت شيخ كبير لا حاجة لنا فيك ، وعزلوه عنهم . وفيها غزا موسى بن نُصَيْر طُلَيْطِلَة (مدينة بالأندلس من بلاد الغرب) بعد ما آستولى على الجزيرة وآفتتح حصونها ، ودخل طليطلة عَنْوةً ، فوجد فى دار المملكة مائدة سليمان بن داود عليهما السلام ، وهى من خَلِيطَيْن ذهب وفضة وعليها ثلاثة أطواق من لؤلؤ وجوهر . وقال الهيثم : افتتحها طارق فى سنة اثنتين وتسعين . وقيل غير ذلك . وفيها أيضا قتل قتيبة طَرْخانَ ملك الترك و بعث برأسه الى الحجاج ابن يوسف الثقفى . وفيها قدم محمد بن يوسف الثقفى أخو الحجاج من اليمن بهدايا

(١) كذا فى تقويم البلدان لأبى الفدا اسماعيل بفتح الراء . وفى القاموس ومعجم ياقوت : «فار ياب» بكسر الراء . ووردت غير مضبوطة فى تاريخ ابن الأثير (ج ٤ ص ٤٣٧ طبع ليدن) ، وفى ف : «فريان» وهو تصحيف «فرياب» ، وفرياب : لغة «فى فارياب» ، وفى م «فرغانة» . (٢) فى ف : وأهدى له .

عظيمة ، فأرسلت أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان زوجةُ الوليد و بنت عمه تطلبها منه ، فقال محمد أخو الحجاج : حتى يراها أمير المؤمنين . فغضبت . ثم رآها الوليد و بعث بها إلى أمّ البنين فلم تقبلها ، وقالت : قد غصبها من أموال النـاس ، فسأله الوليد ، فقـال : معاذَ الله ! فأحلفه الوليد بين الركن والمقام خمسين يمينا أنه ما ظلم أحدا ولا غصَبه حتى قبلتها أمّ البنين . وكان محمد هـذا عاملَ صنعاء ، وكان يسبّ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه على المنـابر ؛ ولهـذا كان يقول عمـر بن عبد العزيز : "الحجاج بالعراق! وأخوه محمد باليمن! وعثمان بن حيّانَ بالحجاز! والوليد بالشأم! وقُرّة بن شريك بمصر! امتلأتْ بلاد الله جَوْرا! . وفيها حج بالناس الوليد ابن عبد الملك ، فلما دخل إلى المدينة غدًا إلى المسجد ينظر إلى بنائه وأخرج الناسُ منه ولم يبق غيرُ سعيد بن المُسَيَّب ، فلم يَجسُرْ أحد من الحَرَس أن يخرجه ، فقيل له : لو قمتَ! فقال : لا أقوم حتى يأتى الوقت الذى أقوم فيه ؛ قيل : فلو سلّمت على أمير المؤمنين! قال : والله لا أقوم إليـه ؛ قال عمر بن عبد العزيز : فجعلت أعدل بالوليد فى ناحية المسجد لئلا يراه ، فالتفتَ الوليد إلى القِبلة فقال : مَنْ ذلك الشيخ؟ أهو سـعيد ؟ قال عمر : نعم ، ومِنْ حاله كذا وكذا ، ولو علم بمكانك لقام فسلّم عليك وهو ضعيف البصر، فقال الوليد : قد علمنا حاله ونحن نأتيه ، فدار فى المسجد ثم أتاه ، فقال : كيف أنت أيها الشيخ ؟ — فوالله ما تحرّك سعيد — فقال : بخير والحمـد لله ، فكيف أميرُ المؤمنين وكيف حالُه ؟ فانصرف الوليد وهو يقول : هـذا بقيّة الناس . وصلّى الوليد الجُمُعة بالمدينة فخطب الناس الخطبة الأولى جالسا . ثم قام فخطب الثانية قائمـا .

قال إسحاق بن يحيى : فقلت لرَجاء بن حيوة وهو معه : أهكذا يصنعون ؟ قال : هكذا صـنع معاوية وهلمّ جرّا ، قال فقلت : ألَا تكلّمه! قال : أخبرنى قَبِيصَـةُ بن

ذُؤَيْب أنه كلّم عبد الملك فلم يترك القعود وقال : هكذا خطب عثمان ، قال فقلت : والله ما خطب إلا قائما ، قال رجاء : رُوِىَ لهم شىء فأخذوا به . وفيها توفى أنس بن مالك بن النَّضْر بن ضَمْضَم بن زيد بن حَرَام بن جُنْدب بن عامر بن غَنْم[1] بن عَدِىّ بن النجّار ، أبو حمزة الأنصارىّ النجّارىّ الخَزْرَجىّ خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخرهم موتا ، وهو من المكثرين ، مات فى هذه السنة ؛ قاله الإمام أحمد ، وكذا قال الهيثم بن عدىّ وسعيد بن عُفَير وأبو عبيد . وقال الواقدىّ : سنة اثنتين وتسعين ، وتابعه مَعْن بن عيسى عن ٱبنٍ لأنس ابن مالك . وقال سعيد بن عامر وإسماعيل بن عُلَيّة وأبو نُعَيْم والمدائنى والفَلّاس وخَليفة وقَعْنَب وغيرُهم : سنة ثلاث وتسعين . وقال محمد بن عبد الله الأنصارىّ : ٱختلف علينا مَشْيَختُنا فى سنّ أنس : فقال بعضهم : بلغ مائة وثلاث سنين ، وقال بعضهم : بلغ مائة وسبعَ سنين ، وقال يحيى بن بُكَيْر : توفى أنس وهو ٱبن مائة وسنة ، ومات له فى الطاعون الجارف ثمانون ولدا .

وفاة أنس بن مالك

قلت : وهذا بدعاء النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فإنه دعا له : "اللهم ٱرزقه مالا وولدا وبارك له فيه" . قال أنس : فإنى لَمِنْ أكثر الأنصار مالا ، وحدّثتنى ٱبنتى آسية[2] أنه دفن من صُلْبى الى مَقْدَم الحجاج البصرة تسعة وعشرون ومائة . وفيها توفى محمد ابن يوسف الثقفىّ أخو الحجاج عامل صنعاء باليمن ، وقد تقدّم ذكر هديته الى الوليد .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثلاثة أذرع وٱثناعشر إصبعا ، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وسبعة عشر إصبعا .

---

(١) كذا فى طبقات ابن سعد (ج ١٠ ص ٧ من القسم الأوّل) وتهذيب التهذيب (ج ١ ص ٣٧٦) وفى الأصلين : «تيم» وهو تحريف . (٢) فى م : «أمية» .

* * *

حوادث السنة الثالثة من ولاية قرة بن شريك على مصر

السنة الثالثة من ولاية قُرّة بن شريك على مصر وهى سنة اثنتين وتسعين — فيها حج بالناس الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز. وفيها غزا عمر بن الوليد ومَسْلَمة ابن عبد الملك بلادَ الروم وفتح مسلمة حصونا كثيرة. يقال : إنه بلغ الى الخليج وفتح سُوسَنَة. وفيها توفّى إبراهيم بن يزيد بن شريك من تَيْم الرِّباب[1]، أبو أسماء، من الطبقة الثانية من تابعى أهل الكوفة، وكان يقُصّ على الناس. وفيها توفّى بلال ابن أبى الدَّرْداء أبو محمد الأنصارىّ، من الطبقة الأولى من تابعى أهل الشأم، كان قاضيا على دِمَشق فى زمان يزيد بن معاوية وبعده الى أن عزله عبد الملك بن مروان بأبى إدْرِيس الخَوْلانِىّ. وفيها توفى عبد الرحمن بن يزيد بن جارية[2] بن عامر بن مجمِّع أبو محمد[3] الأنصارىّ، من الطبقة الأولى من تابعى أهل المدينة، وأمّه جَميلة بنت ثابت ابن أبى الأَقْلح. وأخوه لأمّه عاصم بن عمر بن الخطاب، ووُلد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفيها توفى طُوَيس المغنّى صاحب الألحان، وهو أوّل من غنّى بالألحان فى الإسلام، وهو تصغير طاوس. وفيها فتحت جزيرة الأندلس على يد طارق بن زياد مولى موسى بن نُصَير. وفيها فُتحت جزيرة سَرْدانِيَة على يد جيش موسى بن نصير، وهذه الجزيرة فى بحر الروم، وهى من أكبر الجزائر ما عدا جزيرة صِقِلِّيَة وأَقْرِيطش، وهى كثيرة الفواكه.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمسة أذرع واثنا عشر إصبعا، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وعشرة أصابع.

(١) كذا فى طبقات ابن سعد وتقريب التهذيب. وفى الأصل: «ابن تيم الزبات» وهو تحريف.

(٢) كذا فى طبقات ابن سعد وتهذيب التهذيب والخلاصة فى أسماء الرجال. وفى الأصل: «يزيد ابن حارثة» بالحاء المهملة والثاء المثلثة، وهو تحريف. (٣) كذا فى تهذيب التهذيب، وفى الأصول: «ابن محمد»، وهو تحريف.

* * *

حوادث السنة الرابعة من ولاية قرة بن شريك

السنة الرابعة من ولاية قُرّة بن شريك على مصر وهى سنة ثلاث وتسعين — فيها آفتتح قُتَيبةُ خُوَارَزْمَ وسَمَرْقند، وكان ساكنها الصُّغْد، وبنى بها مسجدا وخطب بنفسه فيه، وأخذ من أهلها عن رقبتهم ستة آلاف ألف وثلاثين ألفا. ووجد فى سمرقند جارية من ولد يَزْدَجِرْد فبعث بها إلى الحجاج فأرسلها الحجاج الى الوليد بن عبد الملك فأولدها يزيدَ بن الوليد. وفيها غزا مَسْلَمةُ بن عبد الملك بلادَ الروم وفتح حصن الحديد وقلعة غزالة. وفيها غزا العباس بن الوليد ففتح سُمَيساط(١) وطَرَسُوس والمَرْزُبان(٢). وفيها عزل الوليدُ عمرَ بن عبد العزيز عن المدينة بسبب أنّ عمر كتب إلى الوليد يخبره بظلم الحجاج وسفكه الدماء وما يفعل بأهل العراق وخوّفه عواقبه. وفيها توفّى وضّاح اليمن، وآسمه عبد الله بن إسماعيل بن عبد كُلال، كان من أهل صنعاء من الأنبار، وقيل: اسمه عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال؛ ووضّاح اليمن لَقَبٌ له لجمال وجهه، وهو صاحب القصة مع أمّ البنين زوجة الوليد بن عبد الملك بن مروان التى ذكرها آبن خلّكان فى تاريخه. وفيها فتحت طُلَيْطِلةُ. قال أبو جعفر: وفى هذه السنة غضِب موسى بن نُصَير على مولاه طارق، فسار إليه فى رجب منها، وآستخلف على إفريقيّة ابنه عبدَ الله بن موسى، وعَبَر موسى إلى طارق فى عشرة آلاف، فتلّقاه طارق وترضّاه فرضى عنه وقبل عذره وسيّره إلى طليطلة، وهى من عظام مدائن الأندلس، وهى من قُرْطُبة على خمسة أيام(٣)، ففتحها وأصاب فيها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام، وفيها من الذهب والجوهر ما الله أعلم به.

(١) كذا فى م وتقويم البلدان للملك المؤيد أبى الفدا اسماعيل. وفى ف «سمسطة». وفى الطبرى «سمسطية». وفى ابن الأثير ومعجم ياقوت: «سبسطية». (٢) كذا فى الأصول وتقويم البلدان. وفى الطبرى وابن الأثير: «المرزبانين». (٣) فى ابن الأثير: «على عشرين يوما».

وفيها غزا العباس بن الوليد الروم ففتح سُمَيساط والمرزبان[1] . وفيها حج بالناس عبد العزيز بن الوليد .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ستة أذرع و إصبعان، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وعشرون إصبعا .

٥

* * *

حوادث السنة الخامسة من ولاية قرة بن شريك

السنة الخامسة من ولاية قُرّة بن شريك على مصر وهى سنة أربع وتسعين — فيها غزا قُتيبة بن مسلم بلد كابُل فحصرها حتى فتحها ، ثم آفتتح أيضا فَرْغانة بعد أن حصرها وأخذها عَنْوة ، و بعث جيشا فافتتحوا الشاش . وفيها قتل محمدٌ الثقفىّ صصّةَ بن ذاهر . قيل : إنّ صصّة هذا هو الذى آقترح الشِّطْرَنْج . وفيها افتتح مسلمة

١٠ ابن عبد الملك سندرة[2] من أرض الروم . وفيها غزا العباس بن الوليد بن عبد الملك أرض الروم وآفتتح أنطاكِيَة . وفيها افتتح القاسم بن محمد الثقفىّ أرض الهند . وفيها حج بالناس مسلمة بن عبد الملك . وفى أيام الوليد بن عبد الملك فتح الله على الإسلام فتوحا عظيمة، وعاد الجهاد شبيها بأيام عمر رضى الله عنه . وفيها كانت بالشام زلازل عظيمة دامت فى غالب البلاد أربعين يوما ، وكان أوّلها من عشرين من آذار فهدمت

١٥ الأبنية ووقع معظم أنطاكية . وفيها هرب يزيد بن المُهَلَّب وإخوته من حبس الحجاج إلى الشأم . وفيها غزا قتيبة ما وراء النهر وفتح فرغانة وخُجَنْدَة . وفيها توفى الحسن ابن محمد بن الحنفية ، وأمّه جمال بنت قيس بن مَخْرَمة، وكنيته أبو محمد ، وهو من الطبقة الثالثة من تابعى أهل المدينة ،وكان من ظرفاء بنى هاشم ، وكان يُقدَّم على أخيه

(١) تقدّم ذكر هذا الخبر فى حوادث هذه السنة فى الصفحة السالفة .

٢٠ (٢) فى ابن الأثير فى حوادث سنة عشرين ومائة : أن الذى افتتحها سليمان بن هشام بن عبد الملك .

قتل سعيد بن جبير

أبى هاشم عبد الله بن محمد فى الفضل والهيبة . وفيها قتل الحجاج سعيدَ بن جُبَيْر مولى بنى والبة ، وهو من الطبقة الثانيــة من تابعى أهل الكوفة ، كان من كبار العلمــاء الزهّاد ، وكان ابن عباس يُعظِّمه ، وكان خرج مع محمد بن الأشعث على الحجاج ، ثم آنحاز بعد قتل آبن الأشعث إلى أصْبهان ، وكان عامل أصبهان ديّنا ، فأمر سعيدا بالخروج من بلده بمـا ألحّ عليه الحجاج فى طلبــه ، فخرج الى أَذْرَبيجان مدّة ثم توجّه إلى مكة مســتجيرا بالله وملتجئا الى حرم الله ، فبعث به خالد القَسْرىّ الى الحجاج . وكان الحجاج كتب إلى الوليد أنّ جماعة من التابعين قد آلتجـُوا إلى مكة ، فكتب الوليد إلى عامل مكة خالد القسرىّ : احملهم الى الحجاج ، وكانوا خمسة : سعيد بن جُبَيْر وعطاء ومجاهد وعمرو بن دينار وطَلْق بن حبيب ، فأمّا عمرو وعطاء فأُطْلِقا ، وأمّا طلق فمات فى الطريق ، وأما مجاهد فحبس حتى مات الحجاج ، لا عفا الله عنه ، وأما سعيد بن جبير فقتل . وقصة قتْله طويلة وهى أشهر من أن تذكر . وفيها توفى ســعيد بن المُسَيَّب بن حَزْن بن أبى وَهْب بن عمرو بن عائذ(1) بن عِمْــران بن مخزوم ، وأمّه أمّ سعيد بنت عثمان بن حكيم السُّلَمِىّ ، وكنيته أبو محمد — أعنى آبن المسيِّب — وهو من الطبقة الأولى من تابعى أهل المدينــة ، وكان يقــال له فقيه الفقهاء وعالم العلماء ، وهو أحد الفقهاء السبعة ، وقد نظمهم بعض الشعراء :

أَلَا كُلّ مَن لا يَقْتَــدِى بأئمــةٍ * فقِسْمتُه ضِيزَى عن الحقّ خارجهْ
فخذهم : عُبيدُ الله ، عُروةُ ، قاسمٌ * سعيدٌ ، سليمانٌ ، أبو بكر ، خارجهْ

ذكر وفاة عروة ابن الزبير

وفيها توفى عُرْوة بن الزبير بن العوام ، أبو عبد الله الأسدىّ ، هو أيضا أحد الفقهاء الســبعة وهو المشار اليه فى ثانى اسم من البيت الثانى ، وهو من الطبقة

(1) كذا فى طبقات ابن سعد وتهذيب التهذيب . وفى الأصل : «عمرو بن عاند» بالدال المهملة وهو تحريف ، وفى الخلاصة : « عمرو بن عابد » .

الثانيــة من تابعي أهل المدينــة ، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصدّيق ، وهو شقيق عبد الله بن الزبير رضى الله عنهم ، و بينه و بين عبد الله المذكور عشرون سـنة ، وكان ابتُلى بالأَكلة فى رجله فقطعت وهو صائم ، فصبر على ذلك وحمد الله عليه ، رضى الله عنه ؛ وفى سنة وفاته اختلاف كثير . وفيها توفى عَطَاء بن يَسَار مولى ميمونة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وكنيته أبو محمد ، وقيل أبو يسار ، وهو من الطبقة الأولى من تابعى أهل المدينة .

قال ابن بُكَيْر[1] : كان بالمدينة ثلاثة إخوة لا ندرى أيُّهم أفضل : عطاء وسليمان وعبد الله بنو يسار ، وثلاثة إخوة : محمد وأبو بكر وعمر بنو المنذر ، وثلاثة إخوة : بكير و يعقوب وعمر بنو عبد الله الأَشَجّ[2] . وفيهـا توفى علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب الملقّب بزين العابدين ، وكنيته أبو محمد ، وهو من الطبقة الثانية من تابعى أهــل المدينة ، وأمّه أم ولد يقال لهـا غزالة ، وقيل سلامة ، وقيل سُلافة ، وقيل شاه زَنان ، وكانت سِنديّة ، وكان علىّ هذا بارًا بها ، رضى الله عنه وعن أسلافه .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ذراعان وخمسة عشر إصبعا ، مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعا وإصبع واحد .

\+ \+ \+

السنة السادسة من ولاية قُرّة بن شريك على مصر وهى سنة خمس وتسعين —

حوادث السنة السادسة من ولاية قرة بن شريك

فيها وفد موسى بن نُصَيْر من بلاد المغرب على الوليد بالشأم ومعه الأموال وثلاثون ألف رأس من الرقيق . وفيها افتتح مسلمة بن عبد الملك مدينةَ الباب من إرمينيَة وخرّبها ثم بناها بعد ذلك مسلمة المذكور . وفيها وُلد أبو جعفر المنصور ثانى خلفاء

(١) ابن بكير : اسمه يحيى بن عبد الله بن بكير ، كما فى التهذيب والخلاصة .

(٢) وردت هذه الجملة هكذا بالأصل ولم نجدها فى مصدر آخر .

بنى العباس . وفيها غزا العباس بن الوليد أرض الروم ففتح هِرَقْلة وغيرها . وفيها حج بالناس بِشْر بن الوليد بن عبد الملك . وفيها توفّى جعفر بن عمرو بن أُميّة الضَّمْرى وهو أخو عبد الملك بن مروان من الرَّضاعة . وفيها توفّى الخبيث الحجاج بن يوسف ابن الحَكَم بن [أبى] (١) عقيل بن مسعود بن عامر، أبو محمد الثقفىّ .

(١٣٤) وفاة الحجاج بن يوسف

قال الشعبىّ : كان بين الحجاج وبين الجُلَنْدَا الذى ذكره [الله] فى كتابه العزيز فى قوله تعالى : ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ سبعون جدًّا . وقيل : إنه كان من ولد عبد (٢) من عبيد الطائف لبنى ثقيف ولد أبى رِغَال دليل أَبْرَهة الى الكعبة .

قلت : هو مشئوم هو وأجداده، وعليهم اللعنة والخِزْى ، فإنه كان مع ظلمه وإسرافه فى القتل مشئوم الطلعة ؛ (٣) [وكان فى أيامه طاعون الإسراف ، مات فيه خلائق لا تحصر؛ حتى قيل : لا يكون الطاعون والحجاج ! وكان معظم الطاعون بواسط] . وقيل : كان اسم الحجاج أوّلا كُلَيب ، ومولده سنة تسع وثلاثين ، وقيل سنة أربعين ، وقيل سنة إحدى وأربعين ، بمصر بدرب (٤) السرّاجين ، ثم خرج به أبوه يوسف مع

---

(١) الزيادة عن تاريخ الاسلام للذهبي والعقد الفريد وابن خلكان وكتاب المعارف لابن قتيبة .
(٢) فى الأصول : ولد عبد بن عبيد الطائف لبنى ثقيف وهو تحريف ، لأنا لم نعثر فى نسب الحجاج فى ابن خلكان وغيره على شيء من ذلك ؛ وما وضعناه أقرب الى الصواب ، فقد ورد فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٧) هذا الشعر :

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف * كما كان عبدا من عبيد إياد

وثقيف تنسب الى إياد ، وورد أيضا فى ج ٣ صفحة ١٧ من العقد الفريد كتاب له من عبد الملك بن مروان فيه : «أما بعد فانك عبد طمت بك الأمور» الخ . (٣) الزيادة عن ف . (٤) قال ابن عبد الحكم فى تاريخه فى ذكر من اختط حول المسجد الجامع مع عمرو بن العاص : « واختطت ثقيف فى ركن المسجد الشرقى الى [درب] السراجين وكانت دار أبى عرابة خطة حبيب بن أوس الثقفى الذى كان نزل عليه يوسف بن الحكم بن أبى عقيل ومعه ابنه الحجاج بن يوسف مقدم مروان بن الحكم مصر» . وقال المقريزى فى خططه : « والخطط التى كانت بمدينة فسطاط مصر بمنزلة الحارات اليوم بالقاهرة » فيتعين من عبارة ابن عبد الحكم أن الدار التى شب ونشأ فيها الحجاج بن يوسف كانت بمدينة الفسطاط المعروفة اليوم بمصر القديمة ويتبين أيضا أن الحجاج لم يولد بها كما ذكر المؤلف .

مروان بن الحكم الى الشأم . ولم أدر ما أذكر من مساوئ هذا الخبيث فى هذا المختصر، فإن مساوئه لا تُحْصَر، غير أنى أكتفى فيه بما شاع عنه فى الآفاق من قبيح الفِعال، وسوء الخصال .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستة أذرع وسبعة أصابع ، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وآثنا عشر إصبعا .

ذكر ولاية عبد الملك بن رِفاعة الأولى على مصر

ولاية عبد الملك بن رفاعة الأولى على مصر وبعض حوادثه

هو عبد الملك بن رِفاعة بن خالد بن ثابت الفَهْمىّ المصرىّ أمير مصر، وَلِىَ مصر بعد موت قرّة بن شريك من قِبَل الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وَلِيَها فى شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين على الصلاة ، فلم يكن بعد ولايته إلا أيام ومات الوليد ابن عبد الملك وتخلّف أخوه سليمان بن عبد الملك ، فأقرّ عبدَ الملك هذا على عمل مصر، فدام على ذلك وحسُنت سيرته ، فإنه كان عفيفا عن الأموال ديّنا وفيه عدل فى الرعية، وكان ثقة أمينا فاضلا ، رَوَى عنه الليث بن سعد وغيرُه .

قال الليث بن سعد : كان يقول عبد الملك بن رفاعة : «إذا دخلت الهديّة من الباب خرجت الأمانة من الطاق» يعنى بهذا الكلام فى حقّ كل عامل على بلد .

قلت : وهذا أيضا فى حقّ كل حاكم كائن مَن كان . وفى الجملة فبينه[1] وبين قرّة ابن شريك زحام . وكان المتولّى فى أيام عبد الملك بن رفاعة على خراج مصر أُسامةَ ابن زيد التُّنُوخىّ ، وعلى الشُّرطة أخاه الوليد بن رفاعة .

قال الكِنْدىّ : كتب سليمان بن عبد الملك بن مروان الى أُسامة : احلُب الدَّرّ حتى ينقطع ، واحلُب الدمَ حتى ينصرم . قال : فذلك أوّل شدّة دخلت على أهل مصر. وقال يوما سليمان بن عبد الملك — وقد أعجبه فعل أسامة بن زيد المذكور — :

(١) كذا فى الأصل ولعله « وفى الجملة فقد كان بينه و بين قرة بن شريك زحام الخ » .

هـذا أسامة لا يرتشى دينـارا ولا درهما ؛ فقال له ابن عمـه عمرُ بن عبد العزيز بن مروان : أنا أدلّك على من هو شرّ من أسامة ولا يرتشى دينارا ولا درهمـا ؛ قال سليمان : ومن هو ؟ قال عمر : عدوّ الله إبليس ؛ فغضب سليمان وقام من مجلسه . (١٢٥)

ولمـا مات سليمان بن عبد الملك وتولّى عمر بن عبد العزيز الخلافة وجّه فى عزل أسامة بن زيد المذكور قبل دفن سليمان . وأقرّ عبدَ الملك بن رفاعة على عمله بمصر مدّة، ثم عزله بأيّوب بن شُرَحْبيل فى شهر ربيع الأوّل سنة تسع وتسعين . وكانت ولايةُ عبد الملك بن رفاعة على مصر فى هـذه المرّة ثلاثَ سنين تخمينا . وتأتى بقيـة ترجمته فى ولايته الثانية إن شاء الله تعالى . وفى أيام عبد الملك هذا قُتِل عبد العزيز ابن موسى بن نُصَيْر . وكان أبوه استعمله على الأندلس لمـا قدم الشأم، وكان سببه أنه تزوّج بامرأة رُذْرِيق(١) لحملته على أن يأخذ أصحابه و رعيّته بالسجود له عند الدخول عليـه كما كان يُفْعل لزوجها، فقال : إن ذلك ليس فى ديننا، وكان ديّنـا فاضلا، فلم تزل به حتى أمر بفتح باب قصير(٢)، فكان أحدهم اذا دخل عليـه طأطأ رأسه فيصير كالراكع له، فرضـيت به وقالت له : الآن لَحِقْتَ بالملوك ، وبقى أن أعمَلَ لك تاجا مما عنـدى من الذهب واللؤلؤ فأبى، فلم تزل به حتى فعل، فانكشف ذلك للسلمين(٣)، فقيل : إنه تنصّر، فثاروا عليه وقتلوه بدسيسة من عند عبد الملك هذا بأمر سليمان بن عبد الملك ، فدخلوا عليه، وهو يصلّى الصبح فى المحراب وقد قـرأ الفاتحة وسورة الواقعة، فضربوه بالسيوف ضربة واحدة واحتزّوا رأسه وسيّروه الى سليمان، فعرضه سليمان على أبيه فتجلّد للصنية وقال : هنيئا له الشهادة، فقد قتلتموه والله صوّاما قوّاما . فعدّ الناس ذلك من زَلّات سليمان بن عبد الملك اهـ .

عبد العزيز بن موسى بن نصير ومقتله

---

(١) كان ملكا للأندلس قبل فتح طارق لها وقد حصلت بينه وبين طارق حروب انتهت بهزيمة رذريق وغرقه فى النهر (راجع ابن الأثير ج ٤ ص ٤٤٣ — ٤٤٥) . (٢) فى م : «صغير» .
(٣) فى م : «لسليمان» .

***

حوادث السنة الأولى من ولاية عبد الملك بن رفاعة على مصر

السنة الأولى من ولاية عبد الملك بن رِفاعة الأولى على مصر وهى سنة ست وتسعين — فيها غزا مَسْلَمَةُ بن عبد الملك الصائفةَ . وفيها افتتح العباس ابن الوليد بن عبد الملك طَرَسُوس . وفيها عزم الوليد قبل موته بمدّة يسيرة على خلع أخيه سليمان بن عبد الملك من ولاية العهد ، وكان الوليد قد شاور الحجاج فى ذلك ٥ فأشار عليه بخلعه ، فكتب الوليد الى أخيه سليمان بذلك فامتنع ، وكان بفِلَسْطِين ، فعرض عليه الوليد أموالا كثيرة فأبى . فكتب الوليد الى عُمّاله أن يخلعوا سليمان ويبايعوا لابنه عبد العزيز بن الوليد ، فلم يجبه الى ذلك سوى الحجاج وقُتَيبة بن مسلم . ثم قال لعمر بن عبد العزيز : بايع لابن أختك عبد العزيز ، فإنّ عبد العزيز ١٠ ابن الوليد كانت أمّه أخت عمر بن عبد العزيز ، فقال له عمر : إنما بايعناك وسليمان فى عَقْد واحد ، فكيف نخلعه ونتركك ! فأخذ الوليد مِنْديلا وجعله فى عُنُق عمر بن عبد العزيز ولواه حتى كاد أن يموت ، فصاحت أخته أمّ البَنين زوجة الوليد حتى أطلقه وحبسه فى بيت ثلاثة أيام الى أن قالت له أمّ البنين : أخرج أخى فأخرجه وقد كاد أن يموت ، وقد التوى عنقه ، فقالت أمّ البنين : اللهم لا تبلّغ الوليد فى ولد

قتل قتيبة بن مسلم

١٥ عبد العزيز ما أمّله . وفيها قُتِل قُتَيبة بن مسلم بن عمرو بن الحُصَيْن بن أَسِيد(١) بن زيد آبن قضاعة الباهلى ، وهو من التابعين ، وكنيته أبو صالح ، كان من كبار أمراء بنى أُمية ، ولّاه الحجاج خُراسان ، وفتح الفتوحات ؛ فلما وَلِىَ سليمان بن عبد الملك الخلافة نقَم عليه لكونه كان خلعه فى أيام أخيه الوليد ، فبعث اليه من قتله بعد أمور وحروب . وفيها توفّى الحَكَم بن أيّوب بن الحكم بن أبى عَقِيل آبن عمّ الحجاج ، كان ولّاه الحجاج ٢٠ البصرة وزوّجه أخته زينبَ بنت يوسف . وفيها توفى عبد الله بن عمرو بن عثمان

---

(١) كذا فى كتاب المعارف لابن قتيبة وابن خلكان . وفى الأصل : «أسد» وهو تحريف .

آبن عفان، وأمّه حفصة بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب ، كان من الطبقة الثالثة من تابعى أهل المدينة . وفيها آفتتح قتيبة مدينة كاشْغر[1] . وفيها حجّ بالناس أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم وهو أمير المدينــة، وكان على مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد (بفتح الهمزة وكسر السين المهملة)؛ وكان على حرب العراق وصَلاتها يزيد بن المُهَلَّب، وعلى خراجها صالح بن عبد الرحمن، وعلى البصرة سُفيان بن عبد الله الكِندىّ من قِبَل يزيد بن المهلب، وعلى حرب خُراسان وكِيع بن أبى مسعود. وفيها توفى الخليفة الوليد بن عبدالملك بن مروان أميرالمؤمنين أبوالعباس الأُموىّ الدمَشْقىّ، من الطبقة الثالثة من تابعى أهل الشأم، وكان الوليد عند أهل الشأم أفضل خلفائهم من كونه بنى المساجد والجوامع و بنى جامع دمشق ومسـجد المدينة، وهو أوّل من آتخـذ دار الضيافة للقادمين، و بنى البيمارِسـتانات للرضى ، وساق الميـاه الى مكة والمدينة، ووضع المنابر فى الأمصار، غير أنه كان له مَساوئ من كونه كان أقرّ الحجاج على العراق وأشياء غير ذلك ؛ وتولى الخلافة من بعده أخوه سليمان بن عبد الملك .

وفاة الوليد بن عبد الملك

§أمر النيل فى هذه السـنة — المـاء القديم ثلاثة أذرع واثنا عشر إصـبعا، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وثلاثة وعشرون إصبعا .

*
* *

حوادث السنة الثانية من ولاية عبد الملك بن رفاعة

السنة الثانية من ولاية عبدالملك بن رفاعة على مصر وهى سنة سبع وتسعين — فيها غزا يزيد بن المهلَّب جُرْجَانَ[2] . قال المدائنىّ : غزاها ولم تكن يومئذ [مدينة] إنما هى جبال محيطة بها . وفيها حج بالناس الخليفة سليمان بن عبد الملك . وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك

(١) كاشغر : قاعدة تركستان ، وهى مدينة عظيمة آهلة عليها سور وأهلها مسلمون ؛ قال فى القانون وتسمى أردوكند (راجع تقويم البلدان للملك المؤيد اسماعيل) . (٢) التكملة عن ابن الأثير وقد ذكر هذا الخبر فى حوادث سنة ثمان وتسعين .

بَرْجَمَة وحصنَ ابن عوف وافتتح أيضا حصنَ الحديد وسردا[١]، وشتّى بنواحى الروم . وفيها
بعث سليمانُ بن عبد الملك على الغرب محمدَ بن يزيد مولى قريش فولِىَ سنتين وعدَل،
ولكنه عسف على موسى بن نُصَيْر وقبض على ابنه عبد الله وسجنه ثم جاء البريد بأن
يقتله ؛ فتولّى قتلَه عبيد الله بن خالد بن صابى[٢]، وكان أخوه عبد العزيز بن موسى
٥ على الأندلس ، ثم ثاروا عليه فقتلوه فى سنة تسع وتسعين لكونه خلع طاعة سليمان ،
قتله وهو فى صلاة الفجر حبيب بن أبى عُبيد بن عُقبة بن نافع الفِهْرىّ .

ذكر وفاة موسى بن نُصَيْر المذكور

وفاة موسى بن نصير

(١٣٧)

هو صاحب فتوحات الغرب، وكنيته أبو عبد الرحمن . قيل : أصله من عين
التمر[٣]، وقيل : هو مولى لبنى أمية ، وقيل : لامرأة من لخم ، مات بطريق مكة مع
١٠ الخليفة سليمان بن عبد الملك ، مولده بقرية كَفَرتُوثا[٤] من قرى الجزيرة فى سنة تسع عشرة ؛
وولّاه معاوية بن أبى سفيان غزو البحر فغزا قبرس وبنى بها حصونا ثم غزا غيرها ؛
وطالت أيامه وفتح الفتوحات العظيمة ببلاد المغرب ، وكان شجاعا مقداما
جوادا . وفيها جهّز الخليفة سليمان بن عبد الملك الجيوش الى القسطنطينية واستعمل
ابنه داود على الصائفة فافتتح حصن المرأة . وفيها غزا عمرُ بن هبيرة أرضَ الروم
١٥ فى البحر وشتّى بها . وفيها عزل سليمانُ داودَ بن طلحة الحضرمىّ عن إمرة مكة ،
وكان عمله[٥] عليها ستة أشهر؛ وولّى عوضه عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسِيد.

§أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربعة أذرع وثلاثة عشر إصبعا،
مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وخمسة أصابع .

---

(١) كذا بالأصل ، ولم نوفق الى هذا الاسم فى مصدر آخر . (٢) فى تاريخ الذهبىّ :
٢٠ «خالد بن حنباب» . (٣) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربىّ الكوفة . (٤) كفرتوثا :
قرية كبيرة من أعمال الجزيرة وهى فى مستو من الأرض ذات أشجار وأنهار . (٥) فى م : عامله .

* * *

حوادث السنة الثالثة من ولاية عبد الملك بن رفاعة

السنة الثالثة من ولاية عبد الملك بن رفاعة على مصر وهى سنة ثمان وتسعين — فيها غزا يزيد بن المهلّب بن أبى صُفْرة طَبَرِسْتان، فصالحه صاحبها الإصْبَهْبَذ[1] على سبعمائة ألف، وقيل: خمسمائة ألف فى السنة. وفيها غدر أهل جُرْجان وقتلوا عاملهم وجماعةً من المسلمين، فسار اليهم يزيد بن المهلّب بن أبى صفرة وقاتلهم شهرا حتى نزلوا على حكمه، فقتل المُقَاتِلة وصلب منهم فرسخين [عن يمين الطريق و يساره][2] وقاد منهم اثنى عشر ألف نفس الى وادى جُرْجان فقتلهم وأجرى الدماء فى الوادى. وفيها غزا داود بن سليمان بن عبد الملك أرض الروم وفتح حصن المرأة مما يلى مَلَطْيَة. وفيها عادت الزلازل أربعين يوما، وقيل: ستة أشهر، فهدمت القلاع والأماكن العالية. وفيها آستعمل سليمانُ عُرْوَةَ بن محمد بن عطية السعدىّ على اليمن. وفيها توفّى أيّوب ابن الخليفة سليمان بن عبد الملك بن مروان؛ وأمّ أيوب المذكور أم أبَان بنت سليمان ابن الحَكَم، وقيل: بنت خالد بن الحكم، وكان شابًّا جليلا. وفيها توفى عبيد الله ابن عبد الله بن عتْبة بن مسعود، وكنيته أبو عبد الله، وهو من الطبقة الثانية من تابعى أهل المدينة، وكان عالما زاهدا، وهو أحد الفقهاء السبعة المشارُ إليه فى الأبيات السابقة بعبيد الله، وكان الزهرى يلازمه ويأخذ عنه. وفيها فتحت مدينة الصقالبة ببلاد المغرب. وفيها حجّ بالناس عبد العزيز بن عبد الله بن خالد ابن أَسِيد وهو أمير مكة.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثلاثة أذرع وتسعة أصابع، مبلغ الزيادة سبعة عشرة ذراعا وستة أصابع.

---

(١) كذا فى الطبرى وابن الأثير ومعجم البلدان؛ وفى الأصل وتاريخ الاسلام للذهبى «أصفهبذ».

(٢) الزيادة عن الطبرى وابن الأثير.

نسب أيوب بن شرحبيل

ذكر ولاية أيوب بن شُرَحْبِيل على مصر

هو أيّوب بن شُرَحْبِيل بن أُكْشُوم[(١)] بن أَبْرَهَة بن الصَّبَّاح أميرُ مصر .

قال الحافظ أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس فى تاريخه : أيوب بن شرحبيل بن أكشوم بن أبرهة بن الصبّاح بن لَهِيعة بن شُرَحْبِيل بن مَرْثَد بن الصبّاح ابن مَعْدِيكَرِب بن يَعْفُر بن يَنُوف[(٢)] بن شَرَاحِيل[(٣)] بن أبى شَمِر بن شُرَحْبِيل بن ياشر ابن أشغر[(٤)] بن مَلْكِيكَرِب بن شَرَاحِيل بن يَعْفُر بن عُمَيْر بن أبى كَرِب بن يعفر بن أسعد بن مَلْكِيكَرِب بن شمير[(٥)] بن أشغر بن ينوف بن أصبح الأصبحىّ . وأمه أم أيوب بنت مالك بن نُوَيْرَة بن الصبّاح . وأيّوب هذا أحد أمراء مصر وليها لعمر بن عبد العزيز . روى عنه أبو قَبِيل وعبد الرحمن بن مِهْران ، وتوفّى فى رمضان سنة إحدى ومائة .

كتاب عمر بن عبد العزيز لعامله على مصر

حدّثنى موسى بن هارون بن كامل أخبرنا عبد الله بن محمد البُرْدِىّ حدّثنا أبى حدّثنا ابن أبى ذئب[(٦)] حدّثنا عبد الرحمن بن مهران عن أيّوب بن شُرَحْبِيل قال : كتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى عامله على مصر : أن خُذْ من المسلمين من كلّ أربعين دينارا ، ومن أهل الكتاب من كلّ عشرين دينارا إذا قبلوها فى كل عام ، فإنه حدّثنى مَن سمِعه عمّن سمِعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . انتهى كلام ابن يونس باختصار .

---

(١) فى الكندى والمقريزى : « أكسوم » بالسين المهملة . (٢) فى ف : « يعوف » .
(٣) يوجد فى ف من هنا الى آخر النسب نقص فى بعض الأسماء ، و م والكندى متفقان فى ترتيبه .
(٤) فى الكندى : « أشعر » بالعين المهملة (٥) فى الكندى : « سمر » بالسين .
(٦) كذا فى ف وتهذيب التهذيب ، وهو محمد بن عبد الرحمن . وفى م « أذيب » وهو خطأ .

ولايـــة أيوب وأعـماله

قلت : وكانت ولاية أيوب هذا على مصر بعد عبد الملك بن رفاعة من قِبَل عمر ابن عبد العزيز فى شهر ربيع الأوّل سنة تسع وتسعين . فلما وُلِّىَ أيّوب هذا مصرَ جعل الفُتْيَا بمصر الى جعفر بن ربيعة و يزيد بن أبى حَبيب وعبيد الله بن أبى جعفر، وجعل على الشُّرْطة الحسنَ بن يزيد الرُّعَيْنى، و زِيد فى عطايا الناس عامّة، وعُطِّلت حانات الخمر وكُسرت بإشارة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، ونَزَحت القِبْط عن الكُوَر، واستُعْمِلَت [عليها] المسلمون، ونُزِعتْ أيديهم أيضا عن المواريث واستُعمِلَ عليها المسلمون، وحسُنت أحوال الديار المصرية فى أيامه، وأخذ أيوب هذا فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر و إصلاح الأمور . و بينما هو فى ذلك قَدِم عليه الخبرُ بموت الخليفة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى شهر رجب سنة إحدى ومائة وتولية يزيد بن عبد الملك بن مروان الخلافة، وأنّ يزيدَ أقرّ أيّوبَ بن شُرَحبيل المذكور على عمله بمصر على الصلاة على عادته؛ فلم تَطُل مدّة أيوب بعد ذلك، ومات فى يوم سابعَ عَشَرَ شهر رمضان من سنة إحدى ومائة المذكورة، وقيل: لإحدى عشرة خلت من شهر رمضان؛ فكانت ولايته على مصر سنتين ونصف سنة ، وتولى مصر بعده بِشْر بن صفوان الآتى ذكره .

عزله واختلاف الرواة فى ذلك

وقال صاحب كتاب "البُغْيَة والاغتباط فيمن ولى الفُسْطاط" : إنه عُزِل (يعنى أيوب هذا) فى التاريخ المذكور من الشهر والسنة ؛ غير أنه خالف ما ذكرناه من موته، وقال : "عزِل" والله أعلم، ووافقه غيره على ذلك . والصحيح ما نقلناه، أنه توفّى . غير أن يزيد لما وَلِى الخلافة بعد عمر بن عبدالعزيز غيّر غالبَ ما كان قرّره عمر . وسببُه أن عمر لما ٱحتُضِر قيل له : اكتب الى يزيد ٱبن عمك وأوصه بالأمّة، قال: بماذا أوصيه! إنه من بنى عبدالملك؛ ثم كتب اليه : "أمّا بعد، فٱتق الله يا يزيد، وٱتق الصَّرْعة بعد الغَفْلة حين لا تُقال العَثْرةَ ولا تَقدِر على الرَّجْعة، إنك تترك ما تترك

لمن لايحمَدُك، وتصيرُ إلى من لايَعْذرك، والسلام". فلما ولِيَ يزيد نزع أبابكر بن محمد ابن عمرو بن حَزْم عن المدينة، واستعمل عبد الرحمن بن الضحّاك بن قيس الفِهْرىّ عليها، فاستقضى عبدَ الرحمن بن سَلَمة بن عبد الله بن عبد الأسد المخزومىّ، وأراد معارضة ابن حزم فلم يجد عليه سبيلا حتى شكا عثمان بن حَيّان الى يزيد من ابن حزم أنه ضربه حَدّين وطلب منه أن يُقيده[1] منه. ثم عَمَد يزيد الى كل ما صنعه ابن عمه عمر بن عبد العزيز مما لم يوافق هواه فردّه، ولم يَخَف شناعةً عاجلةً ولا إثما آجلا. فمن ذلك أن محمد بن يوسف أخا الحجاج بن يوسف كان عاملا على اليمن، بجعل عليهم خراجا محدّدا[2]، فلما ولِيَ عمر بن عبد العزيز كتب الى عامله باليمن يأمره بالاقتصار على العشر ونصف العشر وترك ما حدّده محمد، وقال: لأن يأتينى من اليمن حَفْنة ذُرَة أحبُّ الىّ من تقرير هذه الوظيفة. فلما ولِيَ يزيد بعد عمر أمر بردّها، وقال لعامله: خذها منهم ولو صاروا حَرَضا[3]، والسلام. ثم عَزَل جماعةً من العمال. فمن قال بعزل أيوب عن مصر فهو يستدلّ بما ذكرناه، والأصح أنه مات فى التاريخ المذكور المقدّم ذكره.

*
* *

حوادث السنة الأولى من ولاية أيوب بن شرحبيل

السنة الأولى من ولاية أيوب بن شُرَحْبيل على مصر وهى سنة تسع وتسعين — فيها أغارت الخَزَر على إرمينية وأَذْرَبِيجان، وأميرُ تلك البلاد يومئذ عبد العزيز بن حاتم الباهلىّ، وكان بينهم وقعة قتل اللهُ فيها عامة الخَزَر، وكتب عبد العزيز الباهلىّ الى الخليفة عمر بن عبد العزيز بذلك. وفيها حجّ بالناس أبو بكر بن حزم. وفيها استقضى عمر بن عبد العزيز الشَّعْبىَّ على الكوفة. وفيها قَدِم يزيد بن المهلّب بن أبى

(١) يقيده: يأخذ له منه بالثأر. (٢) فى الاصل «مجددا» بالجيم. (٣) حرضا: مشرفين على الهلاك.

صُفْرة من خُرَاسان، فما قطع الجسر إلا وهو معزول . وتوجه عدىّ بن أَرْطاة واليا من قِبَل عمر بن عبد العزيز على البَصْرة، فأبى يزيد بن المهلّب أن يسلّم عليه، فقبض عليه عدىّ بن أرطاة وقيّده وبعث به الى عمر بن عبد العزيز، فحبسه عمر بن عبد العزيز حتى مات . وفيها أسلم ملك الهند .

اسلام ملك الهند وخطابه الى عمر ابن عبد العزيز

قال ابن عساكر : كتب ملك الهند الى عمر بن عبد العزيز : « من ملك الهند والسند، ملك الأملاك الذى هو ابن ألف ملك وتحته ابنة ألف ملك، والذى فى مملكته نهران يُنبِتان العُود والكافور والأكرة التى يوجد ريحها من اثنى عشر فرسخا، والذى فى مَرْبِطه ألف فيل وتحت يده ألف ملك، الى ملك العرب :

أمّا بعد، فإن الله قد هدانى الى الإسلام فابعث إلىّ رجلا يعلّمنى الإسلام والقرآن وشرائع الإسلام، وقد أهديت لك هديّة من المسك والعَنْبر والنَّد والكافور فاقبلها، فإنما أنا أخوك فى الإسلام، والسلام .

وفيها تُوُفّى سعيد بن أبى الحسن أخو الحسن البصرىّ، وكان أصغر من الحسن، وهو من الطبقة الثانية من تابعى أهل البصرة، وحزن على موته أخوه الحسن حزنا عظيما وأمسك عن الكلام حتى كُلِّمَ فى ذلك، فقال أوّل ما تكلم : الحمد لله الذى لم يجعل الحزن عارا على يعقوب . وفيها تُوُفّى الخليفة سليمان بن عبد الملك

سليمان بن عبد الملك ووفاته

ابن مروان الأموىّ الهاشمىّ، وأمه وَلّادة بنت العبّاس، وهى أم الوليد أيضا، وكنيته أبو أيوب، وَلِىَ الخلافة بعد أخيه الوليد بن عبد الملك سنة ست وتسعين، وكان فصيحا لَسِنًا جميلا حسَنَ السِّيرة مفتاحًا للخير، أذهب الله به ظلم الحجّاج، وأطلق من كان فى حبس الحجاج، فأنصف المظلومين، وبنى مدينة الرّملة ومسجدها، ثم ختم أفعاله باستخلافه ابنَ عمه عمر بن عبد العزيز على المسلمين قبل أخويه يزيد وهشام .

وكان سليمان هذا أكولا، وحكاياته فى كثرة الأكل مشهورة، منها: أنه حجّ مرّة فنزل بالطائف فأكل سبعين رمّانة، ثم جاءوه بخروف مشوىّ وست دجاجات فأكلها، ثم جاءوه بزبيب فأكل منه شيئا كثيرا، ثم نعَس وانتبه فأتاه الطبّاخ فأخبره أن الطعام ٱستوى، فقال: آعرضه علىّ قِدْرًا قِدرا[1]، فصار يأكل من كل قدرة اللقمة واللقمتين واللحمة واللحمتين، وكانت ثمانين قدرا، ثم مُدّ السِّماطُ فأكل على عادته كأنه ما أكل شيئا. اهـ. وكانت وفاته بدابِق[2] فى صفر سنة تسع وتسعين عن خمس وأربعين سنة. وكانت خلافته دون ثلاث سنين، رحمه الله. وفيها وجّه عمر بن عبد العزيز إلى مَسْلَمة وهو بأرض الروم يأمره بالقُفول منها بمن معه من المسلمين، ووجّه لهم خيلا وطعاما كثيرا، وحثّ الناسَ على معونتهم. وفيها أغارت الترك على أذَرْبِيجان فقتلوا من المسلمين جماعة، فوجّه عمر بن عبد العزيز حاتم بن النعمان الباهلىّ فقتل أولئك الترك، ولم يُفلت منهم إلا اليسير. وفيها توفّى سهل بن عبد العزيز ابن مروان أخو الخليفة عمر بن عبد العزيز، وكان فاضلا ديِّنا زاهدا. وفيها توفى قيس بن أبى حازم عوف بن الحارث الأحْمَسِىّ، من الطبقة الأولى من تابعى أهل الكوفة، شهد مع خالد بن الوليد حين صالح أهلَ الحِيرة والقادسيّة. وفيها توفى القاسم بن مُخَيْمِرة الهَمْدانىّ، وهو من الطبقة الثانية من تابعى أهل الكوفة، وكان يدعو بالموت، فلما نزل به كرهه، وكان ثقةً مع علم وزهد وورع.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستة أذرع وخمسة أصابع، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وعشرون إصبعا.

---

(١) القدر مؤنثة لا تدخل عليها التاء فى غير التصغير.

(٢) دابق: قرية قرب حلب.

*
* *

حوادث السنة الثانية من ولاية أيوب بن شرحبيل

السنة الثانية من ولاية أيوب بن شرحبيل على مصر وهى سنة مائة — فيها حج بالناس أبو بكر بن حزم . وفيها غزا الصائفة الوليد بن هشام المُعَيْطى . وفيها خرج شَوْذَب الخارجى واسمه بِسْطام من بنى يَشْكُر . وفيها أمر عمر بن عبد العزيز أهلَ طُرَنْدة[1] بالقفول عنها الى مَلَطْيَة ، وكان عبد الله بن عبد الملك قد أسكنها المسلمين بعد أن غزاها سنة ثلاث وثمانين ، وملطية يومئذ خراب ، وكان يأتيهم جند من الجزيرة يقيمون عندهم إلى أن ينزل الثلج ويعودون إلى بلادهم ؛ فلم يزالوا كذلك الى أن وَلِىَ عمر بن عبد العزيز فأمرهم بالعود الى ملطيَة وإخلاء طرندة خوفًا على المسلمين [من العدوّ[2]] وأخرب طرندة . وفيها تزوج محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس الحارثيّة ، فولدت له السفّاح أوّل خلفاء بنى العباس الآتى ذكرهم إن شاء الله تعالى . وفيها كانت الزلازل . فكتب الخليفة عمر بن عبد العزيز الى الأمصار وواعدهم يوما بعينه ، ثم خرج هو بنفسه رضى الله عنه فى ذلك اليوم وخرج معه الناس ، فدعا عمر وتضرّع الى الله فسكنت الزلازل ببركته . وقيل : إنّ فى أوّل هذه السنة كانت أوّل دعوة بنى العباس بخُرَاسان لمحمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس ، فلم يظهر أمره غير أنه شاع ذلك فى الأقطار ، ثم وقعت أمور الى أن ظهرت دعوتهم فى سنة مائة واثنتين وثلاثين ، كما سيأتى ذكره فى محله . وفيها توفّى خارجة بن زيد بن ثابت الأنصارىّ ، وأمه جميلة بنت سعد بن الربيع الخَزْرَجىّ ، وهو من الطبقة الثانية من تابعى أهل المدينة ، وكذا جميع إخوته ، وكنيته أبو زيد ، وكان عالما زاهدا ،

(١) طرندة : بلدة من ملطية على ثلاث مراحل داخلة فى بلاد الروم . (٢) الزيادة عن ابن الأثير .

وهو أحد الفقهاء السبعة . وفيها توفّى الشاب الصالح الناسك عبد الملك ابن الخليفة عمر بن عبد العزيز بن مروان، مات فى خلافة أبيه عمر بن عبد العزيز . قال بعض أهل الشأم : كنّا نرى أنّ عمر بن عبد العزيز إنمّا أدخله فى العبادة ما رأى من ابنه عبد الملك المذكور هذا . ومات عبد الملك المذكور وله تسع عشرة سنة رحمه الله.

٥ وفيها كان طاعون عدىّ بن أرطاة، ومات فيه خلائق . وفيها توفى أبو رجاء العُطَارِدىّ، من الطبقة الأولى من تابعى أهل البصرة، واسمه عِمْران بن تَيْم، وقيل : ابن مِلْحان، وقيل : عُطَارِد بن ثور[1]. وفيها توفى أبو طُفَيْل عامر بن واثلة بن عبد الله ابن عمرو الليثىّ الكِنَانىّ الصحابىّ، آخر من رأى فى الدنيا النبىّ صلى الله عليه وسلم بالإجماع، وكان من شيعة علىّ، روى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم آستلامَه الركن.

١٠ وفيها كتب عمر بن عبد العزيز إلى ملوك السِّند[2] يدعوهم الى الإسلام على أن يُملّكهم بلادَهم، ولهم ما للسلمين وعليهم ما عليهم ؛ وقد كانت سيرته بلغتْهم، فأسلم جيشبة[3] بن ذاهر وعدّة ملوك وتسمَّوا بأسماء العرب . وكان استعمل عمرُ على ذلك الثغر عمرو بن مسلم أخا قتيبة ، فغزا عمرو بعضَ الهند وظفر حتى بقى ملوك السند مسلمين، فبَقُوا على ذلك الى خلافة هشام ، [ثم] ارتدّوا عن الإسلام لأمر وقع

١٥ من هشام .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثمانية أذرع وعشرون إصبعا، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وعشرون[4] إصبعا .

---

(١) فى طبقات ابن سعد : « واسم أبى رجاء عطارد بن برز » . (٢) كذا فى ف وابن الأثير . وفى م : « الى ملوك الروم والسند » و يظهر أنها من زيادات الناسخ . (٣) كذا

٢٠ فى ابن الأثير، وفى الأصل الفتوغرافى جاء هذا الرسم نفسه للكلمة من غير إعجام . (٤) فى ف : « اثنان وعشرون » .

ترجمة بشر بن صفوان

ذكر ولاية بِشْر بن صفوان على مصر

هو بِشْر بن صفوان بن تَوِيل (بفتح التاء المثناة) بن بشر بن حَنْظَلة بن عَلْقَمة بن شُرَحْبِيل بن عُزَيْن[(١)] بن أبى جابر بن زُهَيْر الكلبىّ، أميرُ مصر. وليَها من قِبَل يزيد بن عبد الملك بعد موت أيّوب بن شُرَحْبِيل فى سابع عشر شهر رمضان سنة إحدى ومائة.

قال ابن يونس: وحدّث عنه عبد الله بن لَهِيعة، ويَرْوِى عن أبى فِراس. انتهى كلام ابن يونس، ولم يذكر وفاته ولا عزله.

وقال غيره: وفى أيّام بشر على مصر نزل الروم تِنِّيس وأقام بعد ذلك مدّة، وولّاه الخليفة يزيد بن عبد الملك على إفريقيّة بالغرب، فخرج اليها من مصر فى شوّال سنة اثنتين ومائة واستخلف أخاه حنظلة بن صفوان على مصر، فأقرّه يزيد بن عبد الملك على إمرة مصر عوضا عن أخيه بشر المذكور.

وقال صاحب كتاب "البغية والاغتباط، فيمن وَلِى الفُسطاط" بعد ما ذكر نسبه الى جدّه، قال: ولّاه يزيد بن عبد الملك، وقَدِمها (يعنى مصر) لسبعَ عشرةَ ليلةً خلت من شهر رمضان سنة إحدى ومائة، فجعل على شرطته شُعَيْب بن حُمَيْد ابن أبى الرَّبْذاء البَلَوِىّ[(٢)]. وفى إمرته نزلت الروم تِنِّيس. وكتب يزيد بمنع الزيادات التى زادها عمر بن عبد العزيز، ودوّن التدوين الرابع[(٣)]، ثم خرج الى إفريقيّة بإشارة يزيد بن عبد الملك فى شوّال سنة اثنتين ومائة، واستخلف أخاه حَنْظلة. اهـ. وسبب

---

(١) كذا فى ف وهامش الكندى. وفى م: «عزيز». (٢) كذا فى الكندى والقاموس. وفى م: «أبى الزبد» وفى ف: «أبى الرفد» وكلاهما تحريف. (٣) المراد بالتدوين هنا تسجيل القبائل واحصاؤها وارجاع كل فرع الى أصله. (راجع الكندى صفحة ٧٠) وكان التدوين الأوّل لعمرو بن العاص، والتدوين الثانى لعمر بن عبد العزيز، والتدوين الثالث لقرة بن شريك.

ذكر قتل يزيد بن أبى مسلم والى إفريقية

عزل بشر بن صفوان وتوجّهه الى إفريقيّة قتلُ يزيد بن أبى مسلم ، وكان الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان استعمل يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجّاج على إفريقيّة سنة إحدى ومائة ، بعد عزل محمد بن يزيد مولى الأنصار ، فلمّا وَلِىَ يزيد على إفريقيّة عزم أن يسير فيهم بسيرة الحجّاج فى أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار ممن كان أصله من السواد من أهل الذمّة فأسلم بالعراق ، فإنّ الحجّاج كان ردّهم الى قُراهم ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم كفّار ، فأراد يزيد بن أبى مسلم [أن] يفعل بأهل سواد إفريقيّة كذلك ، فكلّموه فى ذلك فلم يسمع وعزم على ما عزم عليه ، فلما تحقّقوا ذلك أُجمع رأيهم على قتله ، فوثبوا عليه وقاتلوه وقتلوه ، وولّوا على أنفسهم الوالى الذى كان عليهم قبل يزيد المذكور ، وهو محمد بن يزيد مولى الأنصار ، وكان عندهم ، وكتبوا الى الخليفة يزيد بن عبد الملك : إنّا لم نخلع أيدينا من الطاعة ، ولكنّ يزيد بن أبى مسلم سامَنا ما لا يرضاه الله والمسلمون فقتلناه وأعدنا علينا محمد بن يزيد ، فكتب اليهم يزيد : إنى لم أرض بما صنع يزيد بن أبى مسلم ، وأقرّ محمد بن يزيد على عمله مدّة أيّام ، ثم بدا له إرسالُ بشر بن صفوان هذا الى إفريقيّة فكتب اليه بالتوجّه ، وأقرّ أخاه حنظلة بن صفوان على إمرة مصر عوضَه برغبة أخيه بشر فى ذلك . وخرج بشر الى إفريقيّة ووقع له بها أمور يطول شرحها الى أن غزا جزيرة صِقِلّية فى سنة تسع ومائة وغنم منها شيئا كثيرا ، ثم رجع من غَزاته الى القَيْروان فتوفّى بها من سنته . فاستعمل هشام بعده عبيدة بن عبد الرحمن بن أبى الأغر السُّلَمِىّ . انتهت ترجمة بشر بن صفوان .

* * *

حوادث السنة الأولى من ولاية بشر

السنة الأولى من ولاية بشر بن صفوان على مصر وهى سنة إحدى ومائة — فيها آستُخلِف يزيد بن عبد الملك بعد موت ابن عمه عمر بن عبد العزيز فى شهر

رجب . وفيها ولّى الخليفةُ يزيدُ بن عبد الملك عبدَ الرحمن بن الضحّاك بن قيس الفِهْرىّ على المدينة ، وعزل عنها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، فحجّ عبد الرحمن بالناس، وكان عاملُ مكّة فى هذه السنة عبدَ العزيز بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد، وكان على الكوفة عبد الحميد، وعلى قضائها الشعبىّ، وكانت البصرة قد غلب عليها [آبن] المهلّب، وكان على خُراسان عبد الرحمن بن نُعَيْم . وفيها لحِق يزيد بن المهلّب بن أبى صفرة بالبصرة وغلب عليها وحبس عاملها عدىّ بن أَرْطاة الفَزَارىّ وخلع يزيد بن عبد الملك من الخلافة وخرج عن طاعته — وكان يزيد هذا مَنْ حبسه عمر بن عبد العزيز فى أيّام خلافته كما تقدّم ذكره — فجهّز الخليفة يزيد بن عبد الملك لحرب يزيد بن المهلّب الجيوش، ووقع بجيش يزيد بن عبد الملك مع يزيد بن المهلّب وقائع آلت الى أن قُتِل يزيد بن المهلّب المذكور . وفيها توفّى أبو صالحٍ السمّان وهو المعروف بالزيّات، واسمه ذَكْوان، مولى غطَفان، من الطبقة الثانية من الموالى بالمدينة، أسند عن جماعة من الصحابة ورَوَى عنه خلق كثير . وفيها توفّى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم القرشىّ الأُموىّ أبو حفص، وَلِى الخلافة بعد موت ابن عمه سليمان بن عبد الملك بعهده اليه بحيلة وضعها سليمان بن عبد الملك حتى بايعه يزيد وهشام ابنا عبد الملك وتمّ أمره . ومولده بالمدينة سنة ستين عامَ توفّى الخليفة معاوية بن أبى سُفيان أو بعدها بسنة ، وأمّه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، فسار عمر بن عبد العزيز فى الخلافة سِيرة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم من التقلّل والتقشّف والعدل فى الرعيّة والإنصاف، الى أن توفّى يوم الجمعة لخمس بقين من شهر رجب بدَيْر سَمْعان وصلّى عليه آبنُ عمّه يزيد بن عبد الملك بن مروان الذى تخلّف بعده ؛ ومات عمر بن عبد العزيز وله تسع وثلاثون سنة وستة أشهر .

ذكر وفاة عمر بن عبد العزيز

(١٣٣)

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبيّ : عن يوسف بن ماهَك قال : بينما نحن نسوّى التراب على قبر عمر بن عبد العزيز إذ سقط علينا كتاب رَقّ من السماء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

أمانٌ من الله لعمر بن عبد العزيز من النار .

ذكر موت عمر بن أبي ربيعة

٥ قلت : وفي هذه كفاية عن ذكر شيء من مناقبه رحمه الله .. وفيها توفّى عمر ابن عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميّ الشاعر المشهور ، وكنيته أبو الخطّاب؛ ولد في الليلة التي مات فيها الخليفة عمر بن الخطاب . وكان الحسن البصريّ يقول : أيّ حقّ رُفع ، وأيّ باطل وُضع . وكانت العرب تقرّ لقريش بالتقدّم عليها في كلّ شيء إلّا في الشعر حتى أتى عمر هذا فأقرّت لها بالشعر . قال ابن خلّكان : لم يكن في قريش ١٠ أشعر منه ، وهو كثير الغزل والنوادر والوقائع والمجون والخلاعة ، وله في ذلك حكايات مشهورة .

قلت : وتشبيبه بالنساء وحكايته مع فاطمة[1] بنت عبدالملك بن مروان مشهورة .

ومن شعره :

حَيِّ طَيفًا من الأحبّة زارَا * بعدَ ما صَرَّعَ الكرَى السُّمّارَا

١٥ طارقًا في المنام تحتَ دُجى اللّيـ * ـلِ ضَنِينا بأن يَزُورَ نهارا

قلتُ ما بالُنا جُفِينا وكنّا * قبلَ ذاك الأسماعَ والأبصارا

قال إنّا كما عهِدْتَ ولكنْ * "شَغَلَ الحَلْيُ أهلَه أن يُعارا"[2]

(١) كذا في الأغاني في أخبار عمر بن أبي ربيعة (ج ١ ص ١٩٠) طبع دار الكتب المصرية . وفي الأصل : « مروة » .

٢٠ (٢) مثل يضرب به المسئول شيئا هو أحوج اليه من السائل .

وفيها توفّى ذو الرُّمّة الشاعر المشهور، وكنيته أبو الحارث، واسمه غَيْلان بن عُقْبة، وهو من الطبقة الثانية من شعراء الإسلام .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمسة أذرع وخمسة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وآثنان وعشرون إصبعا .

*

حوادث السنة الثانية من ولاية بشر بن صفوان

السنة الثانية من ولاية بشر بن صفوان على مصر وهى سنة اثنتين ومائة — فيها وقعة كانت بين يزيد بن المُهلَّب بن أبى صفرة وبين مَسْلَمة بن عبد الملك بن مروان قُتِل فيها يزيد بن المهلّب المذكور وكسر جيشه وانهزم آل المهلّب، ثم ظفر بهم مسلمة فقتل فيهم وبَدّع وقل من نجا منهم . وفيها غزا عمر بن هُبَيْرة الروم من ناحية إرمينية وهو على الجزيرة قبل أن يلِىَ العراق، فهزمهم وأسر منهم خلقا كثيرا نحو سبعمائة أسير . وفيها غزا العبّاس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الروم فافتتح دَلسة . وفيها حجّ بالناس أمير المدينة عبد الرحمن بن الضحّاك . وفيها توفّى محمد بن مروان بن الحكم والد مروان الحمار آخرِ خلفاء بنى أميّة الآتى ذكره . وفيها توفى الضحاك بن مُزَاحِم الهلالىّ، [و]هو من رهط زينب زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنيته أبو القاسم، وهو من الطبقة الثالثة من تابعى أهل الكوفة . وفيها توفّى يزيد ابن [أبى](1) مسلم كاتب الحجّاج، وكنيته أبو العلاء(2)، وكان على نَمط الحجّاج فى الجبروت وسفك الدماء، ولما مات الحجاج أقرّه الوليد بن عبد الملك على العراق أربعة أشهر؛ فلما مات الوليد ووَلِىَ أخوه سليمان الخلافةَ عزله بيزيد بن المُهلَّب بن أبى صفرة المقدّم ذكره، وأمره سليمان بمسكه و إرساله اليه، فأرسله اليه فحبسه الى أن أخرجه

(١) التصحيح عن ابن الأثير . (٢) فى م : أبو الأعلى .

يزيد بن عبد الملك وولّاه إفريقيّة فقتل هناك فى هذه السنة. وقد حكينا ترجمته وقتله فى أوّل ترجمة بشر بن صفوان . وفيها توفّى عدىّ بن زيد بن الحُمار[1] العِبَادىّ التميمىّ الشاعر المشهور ، وهو جاهلىّ نَصْرانِىّ من فحول الشعراء ، ذكره محمد بن سلّام فى الطبقة الرابعة من شعراء الجاهلية ، وقال : وهم أربعة فحول : طَرَفَة بن العبد وعَبِيدُ بن الأَبْرَص وعَلْقَمَةُ بن عَبَدَة وعدىّ بن زيد بن الحمار . قال أبو الفرج صاحب الأغانى : الحُمار بخاء معجمة مضمومة . وفى وفاته أقوال : قيل إنه مات قبل الإسلام، وقيل فى زمن الخلفاء الراشدين، وقيل غير ذلك . ومن شعره :

أَيْنَ أهل الديار مِنْ قوم نوح * ثمّ عادٌ من بعدهم وثمودُ

أين آباؤُنا وأين بنُوهمْ * أين آباؤُهم وأين الجدودُ

سلكوا مَنْهجَ المنايا فبادُوا * وأرانا قد كان منّا وُرُودُ

بينما هُمْ على الأَسِرَّةِ والأَنْ * ماط أَفْضَتْ الى التراب الخدودُ

ثم لم ينقضِ الحديثُ ولكِنْ * بعد ذاك الوعيدُ والموعودُ

ومنها :

وصحيحٌ أضحَى يعود مَريضًا * هو أدنَى للموت مِمَّنْ يعودُ

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثلاثة أذرع وأثنان وعشرون إصبعا، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا وتسعة عشر إصبعا .

(١) اضطربت نسخ الأغانى المخطوطة والمطبوعة فى هذا الاسم وأكثرها على أنه «حماد» كما فى خزانة الأدب (ج ١ صفحة ١٨٤) ومعاهد التنصيص وطبقات الشعراء لمحمد بن سلام والشعر والشعراء لابن قتيبة . وكنا نرجح اثباته كما ورد فى هذه المصادر «حماد» لولا أن المؤلف كرره ثانية عن محمد بن سلام فى طبقاته «الحمار» وأخرى بالعبارة عن أبى الفرج صاحب الأغانى، مع أن النسخة المطبوعة فى ليدن من طبقات ابن سلام لم يرد فيها الا «حماد» ، وقد راجعنا جميع نسخ الأغانى المخطوطة والمطبوعة التى تحت أيدينا فلم نجد فيها هذا الاسم مدونا بالعبارة كما ذكره المؤلف فتأمل . وفى شعراء النصرانية : «حمار» وكتب فى التعليق عليه : «ويروى خمار وحماد وحماز» .

ولاية حنظلة بن صفوان الأولى واستخلاف بشر له

ذكر ولاية حَنْظَلة بن صَفْوان الأولى على مصر

وَلِيَ حَنْظَلة إمرةَ مصر باستخلاف أخيه بشر بن صفوان له لمّا ولّاه الخليفة يزيد بن عبد الملك إمرة إفريقية وكتب بزيد بذلك ، فأقرّه يزيد على إمرة مصر وذلك فى شوّال سنة اثنتين ومائة . وحنظلة هذا من بنى كَلْب ، ولمّا وَلِيَ مصر مَهّد أمورها ودام بها الى سنة ثلاث ومائة [ثم] خرج الى الإسكندرية واستخلف على مصر عُقْبة بن مسلم التُّجِيبىّ ؛ ثم ورد عليه كتاب الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان بكسر الأصنام والتماثيل ، فكُسرت كلّها ومُحيت التماثيل من ديار مصر وغيرها فى أيّامه .

(١٣٥)

قال الحافظ أبو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس : حنظلة بن صفوان الكلبىّ أمير مصر لهشام بن عبد الملك ، روى عنه أبو قَبِيل آخر ما عندنا من أخباره[(١)] . وقدومُه من الغرب سنة سبع وعشرين ومائة ، وكان أخرجه عبد الرحمن بن حبيب الفِهْرِىّ .

قلت : وقوله «أمير مصر» لهشام يعنى فى ولايته الثانية على مصر . اهـ .

قال : وكان حنظلة حسن السيرة فى سلطانه[(٢)] . حدّثنى مسلمة بن عمرو[(٣)] بن حفص المُرادىّ وأبو قُرّة محمد بن حُمَيد الرُّعَيْنِىّ حدّثنى النّضر بن عبد الجبّار أخبرنا ضِمام بن إسماعيل عن أبى قَبِيل ، قال : أرسل الىّ حنظلة بن صفوان فأتيته فى حديث طويل . هذا ما ذكره ابن يونس فى ترجمة حنظلة بتمامه وكماله .

قلت : واستمرّ حنظلة على عمله بمصر حتى توفّى يزيد بن عبد الملك واستقرّ أخوه هشام بن عبد الملك فى الخلافة ، [ثم][(٤)] صُرِف حنظلة هذا بأخيه محمد بن عبد الملك

(١) فى هامش م «عنده» . (٢) فى م : أحكامه . (٣) كذا فى م . وفى ف : «سلامة بن حفص المرادىّ» . (٤) الزيادة عن الكندىّ .

ابن مروان، وذلك في شوّال سنة خمس ومائة؛ فكانت مدّته على مصر ثلاث سنين.
وتأتي بقية ترجمته في ولايته الثانية على مصر إن شاء الله تعالى .

عزله عن مصر والسبب في ذلك

وسبب عزل حنظلة عن مصر أمور ، منها : أنّ هشاما عزله وأراد أن يُوَلّيَ عُقْفان على مصر عِوضَه ثم ثنَى عزمه عن ذلك ووَلّى عُقْفان الصدقة وولّى أخاه محمدا مصر. وعقفان المذكور حَرُورِي [اسمه عقفان](١)، خرج في أيام يزيد بن عبدالملك في ثلاثين رجلا(٢)، فأراد يزيد أن يرسل اليه جندا يقاتلونه، فقيل له: إن قُتل عقفان بهذه البلاد اتخذها الخوارج دار هجرة ، والرأى أن تبعث لكلّ رجل من أصحابه رجلا من قومه يكلّمه فيردّه ؛ ففعل يزيد ذلك ؛ فقال لهم أهلوهم : إنا نخاف أن نُؤخذ بكم ؛ وأومنوا فرجعوا وبقى عقفان وحده، فبعث اليه يزيد أخاه فاستعطفه ورده . فلمّا وَلِيَ هشام الخلافة ولّاه أمر العصاة بعد أن أراد أن يُوَلّيه إمْرة مصر ، ولمّا وَلِيَ عقفانُ أمرَ العصاة وعظُم أمره قدم ابنه من خُراسان عاصيا، فشدّه وَثاقا وبعث به الى الخليفة هشام، فأطلقه هشام لأبيه، وقال: لو خاننا عقفان لكتم أمر ابنه عنا، فاستعمله على الصدقة ، فبقى عقفان على الصدقة الى أن مات هشام ووَلِيَ الخلافةَ مروانُ الجَعْدِيّ الحمار .

* * *

حوادث السنة الأولى من ولاية حنظلة بن صفوان

السنة الأولى من ولاية حنظلة بن صفوان الكلبيّ على مصر وهي سنة ثلاث ومائة — فيها قُتل أمير الأندلس السَّمْح بن مالك الخَوْلانيّ، قتله الروم يوم التروية . وفيها أغارت التركُ(٣) على اللّان(٤) . وفيها غزا العباس بن الوليد الروم

---

(١) كذا في الأصل والجملة في غنى عنه . (٢) في الكامل لابن الأثير «ثمانين» .

(٣) في م : الروم . (٤) اللان : بلاد واسعة، في طرف إرمينية .

ففتح مدينة يقال لها رسلة[1] . وفيها جُمعت مكّة والمدينة لعبد الرحمن بن الضّحاك .
وفيها وُلّى عبد الواحد بن عبدالله النضرىّ[2] الطائف بعد عزل عبد العزيز بن عبد الله
ابن خالد عنه وعن مكّة . وفيها حجّ بالناس عبد الرحمن بن الضحّاك ، وكان أمير
العراق فى هذه السنة عمر بن هُبَيْرة ، وعلى خُراسان الحَرَشىّ . وفيها توفّى يحيى بن وثّاب
الأسدىّ مولاهم قارئ الكوفة أحد القرّاء ، أخذ القراءة عَرْضا عن عَلْقَمة والأسود ٥
وعُبَيد ومسروق وغيرهم . قال الأعمش : كان يحيى بن وثاب لا يقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم
فى عَرْض ولا فى غيره . وفيها توفّى أبو الشَّعْثاء جابر بن زيد الأَزْدِىّ ، من الطبقة
الثانية من تابعى أهل البصرة ، وكان فقيها عالما يُفْتى أهل البصرة فى غيبة الحسن
البصرىّ وفى حضوره . وفيها توفّى خالد بن مَعْدان بن أبى كُرَيْب[3] ، أبو عبد الله
الكَلاعىّ ، من الطبقة الثانية من تابعى أهل الشأم كان عابدا وَرِعا ، وكان يكره الشهرة . ١٠
وفيها توفّى سليمان[4] بن يَسار مولى ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل : إنه
كان مُكَاتَبًا لها فأدّى وعَتَق ، ووهبت ميمونة ولاءه لابن عباس ، وهو من الطبقة
الأولى من تابعى أهل المدينة ، وكنيته أبو أيّوب ، وقيل أبو محمد ، وهو أحد الفقهاء
السبعة ، وكانوا يفضلونه على سعيد بن المُسَيَّب . وفيها توفى أبو بُرْدة بن أبى موسى
الأشعرىّ ، واسمه عامر بن عبد الله بن قيس ، من الطبقة الثانيــة من تابعى أهل ١٥
الكوفة ، ووَلِىَ قضاءَ الكوفة بعد شُرَيْح ، وكان سعيد بن جُبَيْر قتيلُ الحجّاج كاتبَه .

---

(١) كذا فى الأصل والطبرى . وفى ابن الأثير : «دسلة» . وفى هامش الطبرى : « دسلة ، غسلة ، وسلة » ولم نجد هذه الأسماء فى المعاجم التى بين أيدينا .
(٢) كذا فى ف والطبرى وابن الأثير . وفى م : « البصرى » بالباء .
(٣) كذا فى الأصل وتهذيب التهذيب . وفى ابن الأثير : « كرب » . ٢٠
(٤) هو أخو عطاء بن يسار وكلاهما كان مولى لميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، وتوفيا فى هذه السنة (انظر طبقات ابن سعد وتهذيب التهذيب) .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ثلاثة أذرع وثمانية عشر إصبعا ، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وستة أصابع .

حوادث السنة الثانية من ولاية حنظلة بن صفوان

السنة الثـانية من ولاية حنظلة بن صفوان على مصر وهى سنة أربع ومائة — فيهـا كانت وقعة نهر أرّان[1]، فالتقى المسلمون والكفّار وكان أمير المسلمين الجرّاح بن عبدالله الحَكَمِيّ ، وعلى الكفار ابن الخاقان ، وكانت الوقعة بقرب باب الأبواب ، ونصر الله المسلمين وركبوا أَقْفِية الترك قتلا وأسرا وسَبْيا . وفيها عزل الخليفة يزيدُ ابن عبد الملك عبدَ الرحمن بن الضحّاك عن المدينة ومكّة وولّى عليهما عبـد الواحد النَّضْرِىّ[2]. وفيها توفّى أَبان بن عثمان بن عفّان، وأمّه أمّ عمرو بنت جُنْدَب بن عمرو، وكنيته أبو سعيد، وهو من الطبقة الأولى من تابعى أهل المدينة، وكان فقيها، ووَلِىَ إمرةَ المدينـة لعبد الملك بن مروان . وفيهـا توفى الشَّعْبِىّ واسمه عامر بن شَرَاحِيل أبو عمرو الشعبىّ، شعب هَمْدان، كان علّامة أهل الكوفة فى زمانه ، ولد فى خلافة عمر بن الخطاب، وروى عن علىّ يسيرا وعن المغيرة بن شُعْبة وعائشة وأبى هريرة وغيرهم . وقال أبو بكر بن عيّاش عن الحسن قال: ما رأيت أفقه من الشّعبىّ؛ قلت: ولا شُرَيْح ؟ قال : تريد أن تكذّبنى ! .

وفيها توفى رِبْعِىُّ بن حِرَاش بن جَحْش الغَطَفانىّ الكوفىّ، من الطبقة الثانية من تابعى أهل الكوفة ، وكان لا يكذِب قطّ ؛ وكان له ابنـان عاصيان على الحجّاج بن

(١) كذا فى تاريخ الإسـلام للذهبى . وقال ياقوت فى معجمه : « وأرّان : اسم أعجمى لولاية واسعة وبلاد كثيرة منها «جنزة» التى تسميها العامة « كنجة » وبين «أرّان» و «أذربيجان» نهر يقال له : الرس . وقال نصر : «أرّان من أصقاع إرمينية» . وهذا يتفق مع ما كتبه ابن الأثير والطبرى عن هذه الغزوة فى هذه السنة . فما جاء بالأصل من أنها «وقعة النهروان» تحريف . (٢) فى الأصل : «المصرى» والصواب ما أثبتناه عن ابن الأثير، وقد سبق ذكره فى الصفحة الثالثة .

يوسف الثقفىّ، فقيل للحجّاج : إن أباهما لا يكذب قط فسَلْه عنهما ؛ فأرسل اليه الحجّاج قال : أين آبناك ؟ فقال : فى البيت، قال الحجّاج : قد عفونا عنهما بصدقك.

وفيهــا توفّى أبو قِلابَة الجَرْمىّ وآسمه عبد الله بن زيد، من الطبقة الثانية من تابعى أهل البصرة، وكان فقيها عابدا طُلِب الى القضاء فهرَب الى الشأم وأقام به . وفيها حجّ بالنــاس عبد الواحد بن عبــد الله النَّضْرىّ عامل الطائف، وكان عاملُ العراق كلّه فى هذه السنة عمرَ بن هُبَيْرة مضافا للشرق كلّه ، وكان على قضاء الكوفة حسين بن حسن الكِنْدىّ، وعلى قضاء البصرة أبو قِلابَةَ الجَرْمىّ .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المــاء القديم أربعة أذرع سواء ، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا وأحد عشر إصبعا .

*
* *

حوادث السنة الثالثة من ولاية حنظلة بن صفوان

السنة الثالثة من ولاية حنظلة بن صفوان على مصر وهى سنة خمس ومائة — فيها أيضا زحف الخاقان ملك الترك وخرج من الباب(١) فى جمع عظيم من الترك وقصد إرمينية، فسار اليه الجرّاح الحَكَمىّ فاقتتلوا أياما ثم كانت الهزيمة على الكفّار، وكان ذلك فى شهر رمضان. وفيها غزَا سعيد بن عبد الملك بن مروان بلاد الروم فقتــل وسبَى . وفيها غزا الجرّاح الحَكَمى اللّان حتى جاز ذلك الى مدائن وحصون وأصاب غنائم كثيرة . وفيها غزا مروان بن محمــد الصائفة اليمنى فافتتح قُونيــةَ من أرض الروم وكَماخ(٢) . وفيها حجّ بالناس ابراهيم بن هشام خال هشام بن عبد الملك، فأرسل

(١) الباب من مدن ماوراء النهر بينه وبين الترمذ ثلاثة أيام وهو بين بخارا والترمذ على بعد ثمان مراحل من بخارا . (راجع تقويم البلدان لأبى الفدا اسماعيــل ص ٣٩١ طبعة أوروبا) . (٢) كذا فى م وفى ف « كمح » وظاهر عبارة القاموس وشرحه أنهما لغة فى هذا الاسم حيث قال « وكماح كسحاب بلد بالروم أو هو كمخ بحذف الألف » وان كان ياقوت ذكر فى كلامه على هذه المادة أنه سأل واحدا من تلك النواحى عن اسمها فقال : هى كماخ بالالف لا شك فيها

الى عطاء متى أخطب ؟ قال : بعد الظهر قبل التروية بيوم، نخطب قبل الظهر
وقال : أخبرنى رسولى عن عطاء؛ فقال عطاء : ما أمرته إلا بعد الظهر، فاستحيا
إبراهيم. وفيها توفّى الخليفة يزيد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم أمير المؤمنين، أبو خالد
القرشىّ الأُموىّ الدمشقىّ . وَلِىَ الخلافة بعد ابن عمه عمر بن عبد العزيز بن مروان
٥ بعهد من أخيه سليمان معقود فى تولية عمر بن عبد العزيز؛ ولهذا قلنا فى ترجمة عمر
ابن عبد العزيز: «بحيلة من سليمان»، فإنّ سليمان كان عهد لعمر بن عبد العزيز بالخلافة
نخاف من إخوته ومن الناس، فأخفى ذلك وبايع الناس لما هو مكتتب، فقالوا:
نبايع على أن يكون فيه ولد عبد الملك، فبايعوا فإذا فيه عمر بن عبد العزيز، ثم من
بعده ليزيد وهشام، فتمت البيعة؛ وأُمّ يزيد هذا عاتكة بنت يزيد بن معاوية، ومولده
١٠ سنة إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين. ودام فى الخلافة إلى أن مات فى الخامس والعشرين
من شعبان بسواد الأُرْدُنّ . وكانت خلافته أربع سنين وشهرا ، وتولى الخلافة بعده
أخوه هشام بن عبد الملك .

يزيد بن عبد الملك ووفاته

وكان سبب موته أنه كان يُحبّ جارية من جواريه يقال لها حَبَابَة، وكانت
مغنية، وكان يزيد صاحب لهو وطرب، فلمّا وَلِى يزيد الخلافة بعد عمر بن
١٥ عبد العزيز أقام يسير بسيرة عمر أربعين يوما وترك اللهوَ والشرب، فقالت حَبابة
المذكورة لِخَصِىّ ليزيد، وهو صاحب أمره، : ويحك ! قرّبنى منه حيث يسمع
كلامى ولك عشرة آلاف درهم، ففعل، فلما مرّ بها يزيد أنشدتْ :

(١٣٨)

بكَيْتَ الصِّبا جُهْدى فمَنْ شاء لامنى * ومن شاء آسَى فى البُكاء وأسعدَا

وأبياتا أُخر بالألحان ، والشعر للأحوص ، فلمّا سمعها يزيد قال : ويحكَ
٢٠ يا خَصِىّ ! قل لصاحب الشُّرْطة يصلى بالناس ، ودخل إليها وعاد إلى انهماكه
ولذّاته . فلما كان بعض الليالى شرقت حبابة فماتت، لحزن عليها يزيد حزنا عظيما،

وخلّاها يزيد ثلاثة أيام لم يدفنها وهو ينظر إليها، ثم دفنها خمسة أيام فلم يُطِق ذلك، فنبشها وأخرجها من القبر وجعل يقلّبها ويبكى ؛ فقوِىَ عليه الحزن حتى قتله بعد سبعة عشر يوما . وفيها توفّى كُثَيِّر عزّة، واسمه كثيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود، وهو من الطبقة الثانية من شعراء المدينة ، وكان شِيعيًّا، قال ابن ماكولا : كان يتقلّب فى المذاهب .

ذكر وفاة كثير عزة

قلت : ولولا تقلّبه فى المذاهب ما قرّبه بنو أُميّة فإنهم كانوا يكرهون الشيعة .

قلت : وهو أحد العشّاق وصاحب عزّة . قيل: إنّ عزة دخلت على أمّ البنين أخت عمر بن عبد العزيز وزوجة الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان، فقالت لها أمّ البنين : ما معنى قول كُثيّر :

قَضَى كلُّ ذى دَيْنٍ فَوَفَّى غريمَهُ * وعَزَّةُ مَمْطُولٌ مُعَنًّى غريمُها

ما كان هذا الدَّيْن ؟ قالت : وعدتُه بقُبْلة ثم رَجَعْتُ عنها ، فقالت : أَنْجِزيها وعلىّ إثمها، فأنجزته، فأعتقت أمّ البنين أربعين عبدا عند الكعبة، وقالت : اللهم إنى أبرأ إليك مما قلته لعزّة . وفيها توفّى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وكنيته أبو عمير، وقيل أبو عبد الله، من الطبقة الثانية من تابعى أهل المدينة وأمّه أمّ ولد، وكان من خيار قريش وفقهائهم وزهّادهم . وفيها توفّى محمد بن شُعَيْب بن شابور — بالمعجمة — القرشىّ، وكان جدّه مولى الوليد بن عبد الملك بن مروان . ومحمد هذا من الطبقة الخامسة، وقيل السادسة من تابعى أهل الشأم، وكان أحد الأئمة ؛ وذكره يحيى بن مَعين بالإرجاء[1]. قاله صاحب المرآة . والصحيح أنّ مولده سنة ست عشرة ومائة، وتوفّى سنة مائتين، وقيل : سنة ثمان وتسعين ومائة، وقيل غير ذلك .

ذكر وفاة سالم بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب

(١) الارجاء : مذهب طائفة من المسلمين يقال لهم المرجئة وهم الذين يقولون إن الايمان قول بلا عمل .

§ أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القديم ثلاثة أذرع وعشرون إصبعا ، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وسبعة عشر إصبعا .

ذكر ولاية محمد بن عبد الملك على مصر

ذكر ولاية محمد بن عبد الملك ونسبه وبعض حوادثه ومقتـله

هو محمد بن عبـد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أُميّـة بن عبـد شمس القرشىّ الأُموىّ أمير مصر . وَلِيها بعـد عزل حنظلة بن صفوان من قِبَل أخيه الخليفة هشام بن عبدالملك على الصلاة ، ودخل إليها يوم الأحد لإحدى عشرة (١) ليلة خلت من شوّال من سنة خمس ومائة المقدّم ذكُرها . ومحمد هذا هو أخو سعيد ابن عبد الملك لأبويه ، وهو من الطبقة الرابعة من تابعى أهل دِمَشق ، وكان ناسكا كثير العبادة حسنَ السيرة جوادا ، كان يُكْرَه من أخيه هشام وغيره حتى يَلِىَ الأعمال ، ولمـا وَلِى مصرَ جعل على شُرْطته حفص بن الوليـد الحَضْرمىّ . وحدّث عن رجل عن أبى هريرة وسمع من المغيرة بن شُعْبة .

وقال أبو حاتم : رَوَى عمّن سمِـع معاوية وعن المغيرة مُرْسلا ، ورَوَى عنه الأوزاعىّ وغيره ، وكان ثقة مأمونا . وحين وصوله (٢) إلى مصر وقع بها وباء ففرّ منهـا محمد إلى الصعيد فلم تَطُل مدّته بالصعيد وعاد بعد أيام إلى مصر ، ثم خرج منها بسرعة إلى الأُرْدُنّ وآسـتعفى فأُعْفِىَ ، وصُرِف عن إمرة مصر بالحُرّ بن يوسف ، فكانت ولايته شهرا واحدا ، وسكن الأردنّ ، ودام فى دولة أخيه هشام على ذلك الى أن حجّ بالناس فى سنة ثلاثين ومائة ، وعاد مِن الحجّ فوجد الفتن قائمة بالشأم من جهـة بنى العباس ، فآستمرّ عند ابن عمه مروان بن محمد بن مروان المعروف بالحمار إلى أن

(١) كذا فى الأصل . وفى الكندى : «يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة الخ» .

(٢) فى م : «دخوله» .

هُزِم مروان المذكور فى وقعة العراق من أبى مسلم الخُراسانىّ، وقبض على محمد هذا وعلى أخيه مع مروان الحِمَار، فقتلهما عبد الله بن علىّ بن عبد الله بن عبّاس؛ قتلهما بنهر أبى فُطْرُس[1]، وقيل : إنّه صاحب الواقعة مع عبد الله بن علىّ العباسىّ يوم هُزِم مروان عنـد نهر الزّاب، وهو أنّه لمـا كانت الهزيمة على بنى أميّة رأى عبد الله بن علىّ فتى عليه أبّهة الشرف يقاتل مُسْتَقْتِلا، فناداه عبد الله : يا فتى، لك الأمان ولو كنت مروان بن محمد، فقـال الفتى : إن لم أكنه فلستُ بدونه ؛ قال : فلك الأمان ولو كنت من كنت، فأطرق مليًّا ثم رفع رأسه فقال :

أذُلّ الحيـاة وكُرْه الممـاتِ * وُكلًّا أراه طعـاما وبيـلا

فإن لم يكن غَيْرُ إحداهمـا * فَسَيْرًا الى الموت سَيْرًا جميلا

ثم قاتل حتى قتل ، فإذا هو محمد بن عبد الملك، وقيل : ابنٌ لمسلمة بن عبد الملك ابن مروان بن الحكم، عفا الله عنه .

ذكر ولاية الحُرّ بن يوسف على مصر

ولاية الحر بن يوسف ونسبه وبعض حوادثه

هو الحرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبى العاص بن أُميّـة بن عبد شمس القرشىّ الأُموىّ أمير مصر (والحرّ بضم الحاء المهملة وتشديد الراء المهملة) . وَلِيَها بعد عزل محمد بن عبد الملك من قبل هشام بن عبد الملك على الصلاة؛ وكان المتولّى على خراج مصر فى هذه السنين كلّها عبيد الله بن الحَبْحاب[2]، فدخل الحرّ بن يوسف هذا الى مصر لثلاث خَلَوْن من ذى الحجة سـنة خمس ومائة و باشر أمورها ، وأقرّ

(١) نهر أبى فطرس : قرب الرملة من أرض فلسطين على اثنى عشر ميلا منها (انظر ياقوت) .

(٢) كذا فى تاريخ ابن عبد الحكم وابن الأثير والكندى . وفى الأصل هنا وفيما سيأتى بعـد أسطر « عبدالله » وذكر كثيرا هكذا . وقد اعتمدنا ما ورد فى هذه المصادر .

حَفْص بن الوليد على شُرْطة مصر على عادته . وفى أيامه تناقص القِبْط بمصر في سنة سبع ومائة ووقع له معهم أمور طويلة، ثم خرج من مصر مُرابطا الى دِمْياط، فأقام بها ثلاثة أشهر مغازيا؛ ثم عاد الى مصر وأقام بها أياما، ثم خرج منها ووفد على الخليفة هشام بن عبد الملك بالشأم، واستخلف حفص بن الوليد على الصلاة بمصر . فأقام عند الخليفة مدّة يسيرة وعاد الى مصر فى ذى القعدة من سنة ٥ سبع ومائة وقد انكشف أراضيها من النيل، فأخذ فى إصلاح أحوالها وتدبير أمورها. ودام بها الى ذى القعدة من سنة ثمان ومائة، وصُرِف عنها فى ذى القعدة باستعفائه (١٤٠) لمغاضبة وقعت بينه وبين عبيد الله بن الحَبْحاب متولى خراج مصر . فكانت ولاية الحُرّ هذا على مصر ثلاث سنين سواء . وتولى من بعده على مصر حفص بن الوليد ١٠ الذى كان استخلفه الحرّ هذا على الصلاة لمّا وفد على الخليفة هشام .

ولما عُزِل الحرّ عن إمرة مصر ولّاه هشام المَوْصل، وهو الذى بنى المنقوشة دارا ليسكنها، وإنما سُمِّيت المنقوشة لأنها كانت منقوشة بالساج والرخام والفصوص المُلوّنة وما شاكلها . وهو الذى عمِل النهر الذى كان بالموصل . وسبب ذلك أنه رأى آمرأة تحمل جَرّة فيها ماء، وهى تحملها ساعة ثم تستريح قليلا لبُعد [الماء][1]، فلما ١٥ رأى الحرّ ذلك كتب الى هشام بذلك فأمره أن يَحْفِر نهرا الى البلد، فحفره ؛ فكان أكثر شرب أهل البلد منه؛ وعليه كان الشارع المعروف بشارع النهر[2]، وبقى العمل فيه عدّة سنين . ومات الحرّ هذا فى سنة ثلاث عشرة ومائة، وكان أجلّ أمراء بنى أمية شجاعة وكرما وسُؤْدُدا .

---

(١) التكملة عن ابن الأثير . (٢) كذا فى ابن الأثير . وفى الأصل : « بشاطئ نهر »
٢٠ وهو تحريف .

*
* *

حوادث السنة الأولى من ولاية الحرّ بن يوسف

السنة الأولى من ولاية الحرّ بن يوسف الأُموىّ على مصر، وهى سنة ست ومائة — فيها عَزَل الخليفة هشامُ متولّىَ العراق عمرَ بن هُبَيْرة الفزارىّ بخالد ابن عبد الله القَسْرىّ، فدخل خالد بغتة وبها ابن هبيرة يتهيأ لصلاة الجمعة ويسرّح لحيته، فقال عمر بن هُبَيْرَة : هكذا تقوم الساعة بغتةً . فقيّده خالد القسرىّ وألبسه مِدْرَعة من صوف وحبسه؛ ثم إن غلمان ٱبن هبيرة اكْتَرَوْا دارا الى جانب السجن فنقبوا سردابا الى السجن وأخرجوه منه، فهرب الى الشام وٱستجار بالأمير مَسْلَمة ابن عبد الملك بن مروان فأجاره، وكلّم أخاه هشاما فى أمره فعفا عنه، فلم تَطُل أيام عمر بن هبيرة ومات بعد مدّة يسيرة . وفيها غزا مسلمة بن سعيد بن أَسْلم فَرْغانة فلَقِيه ٱبن خاقان ملك الترك فى جمع كبير، فكانت بينهم وقعة قُتل فيها ابن خاقان فى طائفة كبيرة من الترك . وفيها حجّ بالناس الخليفة هشام بن عبد الملك . وفيها ٱستعمل خالد القسرىّ أخاه أسد بن عبد الله على إقليم خراسان نيابةً عنه . وفيها توفى طاوُس بن كَيْسان أبو عبد الرحمن اليمانىّ الجَنَدىّ أحد الأعلام، كان من أبناء الفرس الذين سيّرهم كسرى الى اليمن، وهو من فقهاء التابعين . قال سفيان الثَّوْرىّ عن رجل قال : كان من دعاء طاوس : اللهم ٱحرمنى المالَ والولد وٱرزقنى الإيمانَ والعمل . وفيها توفى أبو مِجْلَز لاحق بن حُمَيْد فى قول الذهبىّ. وفيها حجّ بالناس [(١)] الخليفة هشام بن عبد الملك فلقيه ابراهيم بن محمد بن طلحة فى الحِجْر فقال له : أسألك بالله وبحرمة هذا البيت الذى خرجتَ معظّما له إلّا رددتَ علىّ ظُلامتى، قال هشام : أىّ ظُلامة ؟ قال : دارى، قال : فأين كنتَ من أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : ظلمنى، قال : فالوليد وسليمان ؟ قال : ظلمانى، قال : فعمر ؟ قال : [رحمه الله] [(٢)] ردّها علىّ. قال : فيزيد بن عبد الملك ؟ قال : ظلمنى وقبضها منى بعد قبضى لها فهى

(١) ذكر هذا الخبر فى ف فى حوادث سنة سبع ومائة . (٢) زيادة فى ف .

فى يدك ؛ فقال هشام : لوكان فيك ضربٌ لضربتك ! فقال : فىّ والله ضربٌ بالسيف والسوط ، فانصرف هشام [والأبرش(١) خلفه فقال : أبا مُجاشع] ، كيف سمعتَ هذا اللسان ؟ قال : ما أجوده ! قال : هى قريشٌ وألسنتُها . ولا يزال فى الناس بقايا ! ما رأيت مثل هذا ! .

٥ § أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربعة أذرع وعشرة أصابع ، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وأربعة أصابع .

*
* *

حوادث السنة الثانية من ولاية الحرّ بن يوسف

السنة الثانية من ولاية الحُرّ بن يوسف على مصر وهى سنة سبع ومائة — فيها عُزِل الجرّاح الحَكَمىّ عن إمرة أذْرَبِيجان بالأمير مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، ١٠ فغزا مسلمة قَيْساريّة الروم وآفتتحها بالسيف . وفيها غزا أسد بن عبد الله القسرىّ (١٤١) متولّى خراسان بلادَ سِجِسْتان ، فانكسر المسلمون وآستشهد طائفةٌ ورجع الجيش مجهودين(٢) . وفيها كان بالشأم طاعون شديد نخاف الناس كثيرا . وفيها غزا أسد بن عبد الله القسرىّ جبال الطالَقان والغَوْر ، وكان أهلها خرجوا بأموالهم وأهلهم الى كهف عظيم فى جبل [شاهق](٣) شامخ ليس فيه طريق مسلوك ، فعمل أسد توابيت وربطها ١٥ بالسلاسل ودلّاها عليهم ، فظفِر بهم وعاد سالما غانما ، فنزل بَلْخ وبنى مدينتها وولّاها بَرْمك أبا خالد البرمكىّ ونقل إليها الجند والأمراء . وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك الروم مما يلى الجزيرة ففتح قَيْساريّة وهى مدينة مشهورة . وفيها غزا معاوية بن هشام الخليفة ومعه أهل الشأم وصحبتُه ميمون بن مِهْران فقطعوا البحر الى قبرس . وفيها حجّ بالناس إبراهيم بن هشام وهو على المدينة ومكة والطائف . وفيها توفّى موسى بن محمد

٢٠ (١) زيادة عن الطبرى (قسم ٢ ص ١٤٨٣) وبها يستقيم المعنى ، وفى الأصل : «فانصرف هشام وهو يقول : كيف سمعت هذا اللسان» ، ولم يذكر الأبرش . (٢) فى م : «محصورين» .
(٣) زيادة فى ف .

ابن على بن عبد الله بن عباس ببلاد الروم غازيا ، وكان عمره سبعا وعشرين سنة ، قاله ابن الأثير، والأصحّ أنه مات فى القابلة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم أربعة أذرع سواء، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و إصبعان .

٥

* * *

حوادث السنة الثالثة من ولاية الحرّ بن يوسف

السنة الثالثة من ولاية الحرّ بن يوسف على مصر وهى سنة ثمـان ومائة — فى ذى الحجة منها حكم بمصر حفص بن الوليد . وفيها غزا ولد الخليفة معاويةُ بن هشام أرضَ الروم وجهّز بين يديه الأبطال الى خَنْجَر(١)(٢) فافتتحها . وفيها غزا أخو الخليفـة مسـلمةُ بن عبد الملك بلاد الروم فافتتح قيساريّة(٣) . وفيها وقع حريق عظيم بدابِق، احترقت المواشى والدوابّ والرجال . وفيها حجّ بالناس إبراهيم بن هشام المخزوميّ . ١٠

وفيهـا توفّى موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس أبو عيسى الهـاشميّ وهو أخو السفّاح والمنصور لأبيهما وأخو إبراهيم لأمه وأبيـه ، مات فى حياة أبيه محمد غازيا فى بلاد الروم وله ثمانَ عشرةَ سنة . وفيها توفّى نُصَيْب بن رَبَاح أبو مِحْجَن الشاعر المشهور مولى عبد العزيز بن مروان، وأُمّه نُوبيّة بخاءت به أسود فباعه عمّه وكان من العرب من بنى الحَافِ بن قُضَاعة، وقيل : إنه هرب فدخل على عبد العزيز ١٥ ومدحه، فقال : ما حاجتك؟ فقال : أنا عبد(٤)، فقال عبد العزيز للقوّمين : قوّموه، فقالوا : عبد أسود ليس له قيمة ، قيمته مائة دينار، قال أبو مِحْجن عن نفسه : إنه راعى إبل يُحسن القيام عليها، قالوا : مائتا دينـار ، قال : إنه يبرِى النّبْل ويَرِيشها، قالوا : ثلثمائة دينار ، قال : إنه يَرمى ويُصيب، قالوا : أربعمائة دينار،

(١٤٢)

(١) كذا فى ف وفى م البطال وهو اسم قائد سيأتى ذكره . (٢) موضع بالجزيرة . ٢٠
(٣) فى م : « فافتتحها يعنى قيسارية » . (٤) وردت هـذه الحكاية فى الأغانى (ج ١ ص ٣٢٣ طبع دار الكتب) باختلاف فى الألفاظ وتوسع عما هنا .

قال : إنه راوية الأشعار، قالوا : خمسمائة دينار ، قال : أصلح الله الأمير ، أين جائزتي؟ فأعطاه ألف دينار ، فاشترى أمّه وأهله وأعتقهم . وذكره محمد بن سلّام في الطبقة الثانيـة من شعراء الاسلام . وفيها توفّى عطاء بن يسار أبو محمد المدنىّ الفقيه ، مولى[1] ميمونة أمّ المؤمنين ؛ وعطاء أخو سليمان وعبد الله وعبد الملك ، وكان قاصًّا[2] واعظا ثقةً جليل القدر ، وقال الذهبي : إنه مات في الماضية . وفيها حج بالناس إبراهيم بن هشام المقدّم ذكره . وفيها توفّى عِكْرِمة البَرْبرىّ ثم المدَنىّ أبو عبد الله مولى ابن عباس أحد العلماء الربّانيّين ، روى عن ابن عباس وعائشة وعلىّ بن أبي طالب وغيرهم ؛ قال الهيثم بن عَدِىّ وغيره : مات سنة ست ومائة . وقال أبو نُعَيْم وأبو بكر بن أبي شَيْبة وجماعة : سنة سبع ومائة ؛ وقال يحيى بن معين والمدائنىّ : سنة خمس عشرة ومائة، وقال غيرهم : في هذه السنة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربعة أذرع سواء ، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا وأربعة أصابع .

ذكر ولاية حَفْص بن الوليد الأُولى على مصر

ذكر ولاية حفص ابن الوليد ونسبه وبعض حوادثه وعزله

هو حفص بن الوليد بن سيف[3] بن عبد الله بن الحارث بن جبل بن كُلَيب ابن عوف بن مُعاهر[4] بن عمرو بن زيد بن مالك بن زيد بن الحارث بن عمرو بن حجر ابن قَيْس بن كعب بن سهل بن زيد بن حَضْرَمَوْت، الأمير أبو بكر الحَضْرَمىّ القارىّ أمير مصر، وليها بعد عزل الحُرّ بن يوسف من قِبَل هشام بن عبد الملك على الصلاة مُكرَهًا على ذلك . وكان حفص وجيهًا عند بني أميّة ومن أكابر أمرائهم، وكان

(١) كذا في ف . وفي م : « كان مولى ميمونة » . (٢) كذا في ف وهامش م وفي م « قاضيا » . (٣) كذا في ف وتاريخ الكندى وتهذيب التهذيب وتقريب التهذيب والخلاصة في أسماء الرجال وتاريخ المقريزى (ج ١ ص ٣٠٣ طبع مصر) وفي م « يوسف » . (٤) كذا في ف والكندى . وفي م : « مغاهد » بالدال .

فاضلا ثقة. روى عن الزهرى وغيره، وروى عنه الليث بن سعد وجماعة أخر، ولم تطل مدّته على ولاية مصر فى هذه المرّة وعزل بعد جمعتين يوم عيد الأضحى وقيل آخر ذى الحجة سنة ثمان ومائة .

قلت : وعلى القولين لم تطل ولايته بل ولا وصلت الى أربعين يوما ، وكان سببُ عزله عن إمرة مصر بسرعةٍ شكوى عبيد الله بن الحبحاب صاحب خراج مصر عليه للخليفة هشام بن عبد الملك ، وشكوى جماعة أخر من أوباش المصريين ، فعزله هشام عن مصر بعبد الملك بن رفاعة ، ثم ندم أهل مصر على عزله وطلبوا منه إعادته عليهم ، يأتى ذكر ذلك كله فى ولايته الثانية على مصر فإنه وليها بعد ذلك ثانيا وثالثا حتى قتله الحَوْثرة فى سنة ثمان وعشرين ومائة . وكان حفص شريفا مطاعا محبّبا للناس ولديه معرفة وفضيلة ، وآستقدمه هشام بعد عزله عن مصر وأراد أن يولّيه خراسانَ عِوضا عن أسد بن عبد الله القسرى ، فامتنع حفص من ذلك . وكان سببُ عزل أسد عن خراسان أنه خطبهم يوما فقال : قبّح الله هذه الوجوه وجوهَ أهل الشقاق والنفاق والشَّغب والفساد ، اللهم فرّق بينى و بينهم وأخرجنى الى مُهَاجَرِى ووطنى ؛ فبلغ قولُه هشاما ، فكتب الى خالد بن عبد الله القسرى[1] : اعزل أخاك ، فعزله . وأراد هشام أن يولّى حفصا فامتنع ، فولّى خراسانَ الحَكَم بن عَوانة الكلْبى ، ثم عزله هشام وآستعمل عليها أشرَس بن عبد الله وأمره أن يكاتب خالدا ، وكان الأشرس فاضلا خيرا ، كان يسمّونه الكامل لفضله ، فلما قدم خراسانَ فرحوا . وقد خرجنا عن المقصود استطرادا .

ذكر ولاية عبد الملك بن رِفاعة الثانية على مصر

ذكر ولاية عبد الملك بن رفاعة وبعض حوادثه وموته

قلت : تقدّم التعريف بعبد الملك هذا فى أوّل وِلايته على مصر بعد موت قُرّة ابن شَريك سنة ست وتسعين . وكانت ولاية عبد الملك أيضا على الصلاة لاغير ،

(١) هذه الكلمة موجودة بالأصلين ولا محل لها فى الكلام .

والخراجُ عليه عبيد الله بن الحَبْحاب على عادته ، فقَدِم عبد الملك المذكور من الشأم الى مصر عليلا فى أوّل المحرّم، وقيل: آثنتى عشرة ليلة خلت من المحرّم سنة تسع ومائة [والأول أصح][1] وكان أخوه الوليـد بن رفاعة يَخلُفه على الصلاة بمصر من أوّل المحرّم السنة المذكورة (أعنى من أوّل يوم ولايته) ، فلما دخل عبد الملك الى مصر لم يُطِق الصلاةَ بالناس لشدّة مرضه، فآستمرّ[2] أخوه الوليد بن رفاعة يصلّى بالناس وعبدُ الملك ملازم الفراش الى أن توفّى نصفَ المحرّم من السنة المذكورة ، فكانت ولايتُه هذه الثانيـة على مصر خمسَ عشرة ليلة على أنه دخل مصر فى أوّل المحرّم ؛ وتولّى مصر بعده أخوه الوليد بن رفاعة .

ذكر ولايةِ الوليد بن رفاعة على مصر

ذكر ولاية الوليد ابن رفاعة ونسبه وبعض حوادثه وموته

هو الوليد بن رفاعة بن خالد بن ثابت [بن ظاعن][3] الفَهْمى المصرى أمير مصر، ولِيَها باستخلاف أخيه عبد الملك اليه فأقرّه الخليفةُ هشامُ بن عبد الملك على إمْرة مصر وعلى الصلاة . وجعل الوليدُ هذا على شرطة مصر عبدَ الله بن [أبى][3] سُمَيْر الفهمى ثم عزله وولّى خالدَ بن عبد الرحمن الفَهْمى ؛ وآستمرّ على إمرة مصر وطالت أيامه ووقع له بها أمور ووقعت فى أيامه حوادث . وفى أيامه نُقلت قَيْس الى مصر ولم يكن بها أحد منهم قبل ذلك . وفى أيامه أيضا خرج وُهَيْب اليَحْصُبِىّ من مصر فى سنة سبع عشرة ومائة من أجل أنّ الوليد هذا أذِن للنصارى فى عِمارة كنيسة يوحنا[4] بالحمراء، فلم يكن بعد أيام قليلة إلا ومَرِض الوليد ولزم الفراش حتى مات فى يوم الثلاثاء فى مستهَلّ جُمادى الآخرة سنة سبع عشرة ومائة ، وآستَخْلَف عبدَ الرحمن بن خالد على الصلاة

(١) زيادة عن ف . (٢) فى الأصلين : « فتم » . (٣) زيادة عن الكندى .

(٤) كذا فى م . وفى ف : «بوسا» . وقد ورد فى الكندى : «أن الوليد أذن للنصارى فى عمارة كنيسة بالحمراء تعرف اليوم بأبى مينا» .

بمصر، وكانت إمرته على مصر تسع سنين وخمسة أشهر، وولى مصر بعده عبدُ الرحمن ابن خالد المذكور. ولم تطل مدّة الوليد هذا على مصر إلا لخروج عبيد الله بن الحبحاب المتولى على خراج مصر منها، وقد تقدّم عزل جماعة كبيرة من العمال بمصر بسبب عبيد الله المذكور، فدبّر عليه الوليدُ هذا حتى أخرجه هشامٌ من مصر وآستعمله على إفريقية، فسار اليها عبيد الله بن الحبحاب وآشتغل بها عن خراج مصر، فإنه فى أوّل خروجه سيّر جيشا الى صِقِلّية[1]، فلقيهم مراكب الروم فآقتتلوا قتالا شديدا وآنهزم الروم، وكانوا قد أسروا جماعة من المسلمين فيهم عبد الله بن زياد فبقى أسيرا الى سنة إحدى وعشرين ومائة، ثم آستعمل عبيدُ الله بن الحبحاب عُقْبَةَ بن الحجّاج العَبْسىّ على الأندلس فسار اليها وملكها، ثم سيّر عبيد الله جيشا إلى السُّوس[2] وأرض السودان فغنموا وظفروا وعادوا. ولما خرج عبيد الله بن الحبحاب من مصر جمع له الخليفةُ خراجَ مصر وصلاتَها وعظُم أمره ومهّد البلاد وساس الناس ومالت إليه الرعية، ثم عُزل عن الخراج أيضا واستقلّ بصلاة مصر على عادته أوّلا إلى أن مات فى التاريخ المقدّم ذكره.

أعمال عبيد الله بن الحبحاب بافريقية

*
* *

حوادث سنة ١٠٩

السنة التى حكم فى مُحرَّمها عبدُ الملك بن رفاعة على مصر ثم فى باقيها الوليدُ بن رفاعة وهى سنة تسع ومائة — فيها غزا أسد بن عبد الله القَسْرىّ الترك فهزم خاقان وآفتتح قزوين[3]. وفيها غزا معاوية ابن الخليفة أمير المؤمنين هشام بن

(١) صقلية : من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية. (٢) السوس : بلدة بخوزستان فيها قبر دانيال النبىّ عليه السلام. (٣) كذا بالأصل، وفى ابن جرير الطبرى فى حوادث سنة ١٠٩ «غورين» بالغين المعجمة، ذكر فتح أسد لها وأورد أبياتا لثابت قطنة منها :

أتتك وفود الترك ما بين كابل * وغورين إذ لم يهربوا منك مهربا

وذكرها ياقوت فى معجمه فقال : إنها بلد؛ وذكر فى كلامه على قزوين أن الذى آفتتحها هو البراء ابن عازب من قبل عثمان بن عفان رضى الله عنه، ولم يذكر أسدا هذا.

عبد الملك الروم وفتح حصنا يقال له : الطينة[1] . وفيها توفّى لاحق بن حُمَيْد بن سعيد السَّدوسىّ البصرىّ فى قول القَلَّاس وهو أبو مِجْلَز المقدّم ذكره ، وهو من الطبقة الثانية ، وكان بمَرْو لما قُتِل قتيبةُ بن مُسلم ، فولّاه أهلُ مرو أمرَهم حتى قدِم وكيع ابن أبى سود[2] ، وكان لاحقٌ هذا يركب مع قتيبة فى موكبه فيسبّح الله اثنى عشرة ألف تسبيحة يَعُدّها على أصابعه لا يعلم به أحد . وفيها حجّ بالناس إبراهيم بن هشام وهو عامل مكّة والمدينة والطائف ، وخطب الناسَ وقال : سَلُونى فإنكم لا تسألون أحدا أعلم منى ؛ فسأله رجل من أهل العراق [عن][3] الأُضْحِيّة [أ][3] واجبةٌ هى؟ فما دَرَى ولا أجاب ونزل ولم يتكلّم .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربعة أذرع وخمسة عشر إصبعا مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وخمسة أصابع .

***

حوادث السنة الثانية من ولاية الوليد بن رفاعة

السنة الثانية من ولاية الوليد بن رفاعة على مصر وهى سنة عشر ومائة — فيها غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الخَزَر ، وتسمّى هذه الغزوة غزوة الطّين ، والتقى مسلمة مع ملك الخَزَر واقتتلوا أياما وكانت مَلْحَمَة عظيمة هزَم الله فيها الكفّار فى سابع جُمادى الآخرة . وفيها افتتح معاوية ابن الخليفة هشام بن عبد الملك حصنين كبيرين من أرض الروم . وفيها توفّى الحسن بن أبى الحسن يَسار أبو سعيد المعروف بالحسن البصرىّ ، كنيتُه أبو سعيد مولًى زيد بن ثابت ، ويقال : مولى حُمَيْد بن قُطْبة . وكان الحسنُ إمام أهل البصرة ، وهو من الطبقة الثانية من تابعى أهل البصرة ؛ قال

الحسن البصرى ووفاته

(١) فى الطبرى وابن الأثير فى حوادث هذه السنة «طيبة» بالباء الموحدة . (٢) هكذا فى م والطبرى وابن الأثير فى حوادث سنة ٩٦ وهو وكيع بن أبى سود أبو المطرف الذى حارب قتيبة بن مسلم لما خلع سليمان ابن عبد الملك فهزمه وقتله ، وفى ف : «ابن أبى الأسود» وهو تحريف . (٣) زيادة عن الطبرى .

الذهبيّ : بل كان إمام أهل العصر، ولد بالمدينة سنة إحدى وعشرين فى خلافة عمر، وكانت أمّه مولاةً لأمّ سَلَمة أمّ المؤمنين، فكانت تذهب أمّه لأمّ سلمة فى الحاجة فتشاغله أمّ سلمة بثَدْيها فربما دَرّ عليه . قال : وقد سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يومَ الدّار[1]، ورأى طَلْحة وعليّا ، وروى عن عِمران بن حُصَيْن والمُغِيرة بن شُعْبة وعبد الرحمن بن سَمُرة وأبى بَكْرة والنُّعمان بن بَشِير وخلقٍ كثير من الصحابة وغيرهم ؛ ٥

ومناقبُ الحسن كثيرة ومحاسنُه غزيرة وعلومه مشهورة . وفيها توفى محمد بن سِيرِين أبو بكر الأنصاريّ البصريّ الإمام الربّانيّ ، من الطبقة الثانية من تابِعى أهلِ البصرة ، مولى أَنَس بن مالك[2] ، وهو صاحب التعبير ، وكان أبوه سيرين من سَبْى جَرْجَرَايا فكاتب أنسا على مال جزيل فوفّاه له ؛ ومولِدُه لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضى الله عنه . وفيها جمع خالد القَسْرىّ الصلاةَ والأحداث والشُّرْطة والقضاءَ بالبصرة لِبلال ابن أبى بُرْدة وعزَل ثُمامةَ عن القضاء . وفيها حَجّ بالناس إبراهيم بن هشام . وفيها تُوفّى الفرزدق مقدَّم شعراء عصره، وكنيته أبو فراس ، وآسمه هَمّام بن غالب بن صَعْصَعة ابن ناجِيَة التّميمى البصرىّ ، روى عن علىّ بن أبى طالب وغيره، وكان يُرسِل[3] ، وروى عن أبى هريرة وعن جماعة ، وكان يقال : الفرزدق أشعرُ الناس عامّة وجرير أشعر الناس خاصّة .

(محمد بن سيرين ووفاته) (١٤٥) ١٠ (الفرزدق ووفاته) ١٥

قال محمد بن سلّام : أتى الفرزدقُ إلى الحسنَ البصرىّ فقال : إنى قد هجوتُ إبليس فآسمعْ ، قال : لا حاجةَ لنا بما تقول ، قال : لَتَسمعنّ أو لأخرجنّ فلأقولنّ للناس إنّ الحسن يَنْهَى عن هجاء إبليس ، قال : فآسكُتْ فإنك عن لسانه تنطِق . وللفرزدق هذا مع زوجته النّوار حكايات ظريفة . ومن شعره :

(١) يوم الدار يطلق على يوم حصر عثمان رضى الله عنه فى داره . (٢) فى طبقات ابن سعد : و يقال أيضا « من سبي عين التمر » . (٣) الإرسال فى مصطلح الحديث : أن يرفع التابعىّ الحديث الى النبىّ صلى الله عليه وسلم من غير أن يذكر الصحابىّ الذى روى عنه . ٢٠

إنّ المَهَالبةَ الكرامَ تحمّلوا * دَفْعَ المكاره عن ذوى المكروهِ
زانوا قديمَهمُ بحسن حديثهم * وكريم أخلاق بحسن وجوهِ

جرير ووفاته

وفيها توفى جرير [بن] الخَطَفَى، وهو جرير بن عَطيّة بن حُذَيفة[1] بن بَدْر بن سلمة أبو حَزْرة التميمىّ البصرىّ الشاعر المشهور، هو من الطبقة الأولى من شعراء

٥ الإسلام، مدح يزيد بن معاوية ومَنْ بعده من الأمويّين.

قال محمد بن سلّام: ذاكرتُ مروانَ بن أبى حَفْصَة فقال:

ذهب الفرزدق بالفخار وإنما * حُلْو القريض ومُرّه لجرير

وعن هشام بن الكلبىّ عن أبيه: أنّ أعرابيا مدح عبد الملك بن مروان فأحسن فقال له عبد الملك: [هل] تعرف أهْجَى بيتٍ فى الإسلام؟ قال: نعم،

١٠ قول جرير:

فغُضّ الطرف إنك من نُمَيْر * فلا كَعْبًا بلغتَ ولا كِلابا

قال: أصبتَ، فهل تعرف أرقّ بيت قيل فى الإسلام؟ قال: نعم، قول جرير:

إن العيون التى فى طَرْفها مَرَضٌ * قَتَلْننا ثم لم يُحْيِينَ قَتْلانا
يَصْرَعْنَ ذا اللُّبّ حتى لا حَرَاكَ به * وهنّ أضعف خلق الله إنسانا

١٥ قال: أحسنتَ، فهل تعرف جريرا؟ قال: لا والله، وإنى إلى رؤيته لمشتاقٌ، قال: فهذا جرير وهذا الأخطل وهذا الفرزدق، فأنشأ الأعرابىّ يقول:

فحيّا الإلهُ أبا حَزْرةٍ * وأرغم أنفك يا أخطلُ
وجَدُّ الفرزدق أتعِسْ به * ودقّ خياشيمَه الجَنْدَلُ

فأنشأ الفرزدق يقول:

٢٠ بل أرغم اللهُ أنفًا أنت حاملُه * ياذا الخنا ومقالِ الزورِ والخَطَلِ

(١) حذيفة هذا هو الذى لقب بالخطفى.

ما أنت بالحَكَم التُّرضَى حكومتُـه * ولا الأصيلِ ولا ذى الرأى والجَدَلِ

فغضب جرير وقال أبيـاتا، ثم وثب وقبّل رأس الأعرابىّ وقال: يا أمير المؤمنين جائزتى له، وكانت كلّ سنة خمسة عشر ألفا، فقال له عبد الملك: وله مثلُها منّى.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربعة أذرع وخمسة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وستة عشر إصبعا. ٥

*
* *

حوادث السنة الثالثة من ولاية الوليد بن رفاعة

السنة الثالثة من ولاية الوليد بن رفاعة على مصر وهى سنة إحدى عشرة ومائة — فيهـا عزل الخليفة هشام بن عبد الملك أشْرَس بن عبد الله السُّـلَمىّ عن خُراسان وولاها الجُنَيْدَ بن عبد(١) الرحمن المُرّىّ، وسبب عزل أشرس لمـا فعله بالمدينة وكيف انتقضت عليـه السُّغْد، وتخلّف أهلُ بُخارا وآستجاشوا عليه بخاقان ملكِ الترك، ١٠ وفتح على المسلمين بابا واسعا ذهبت فيه الأموالُ وضعُفت العساكر من سوء تدبيره. وفيها غزا معاوية ابن الخليفة هشام الصائفة ووغَل فى بلاد الروم، وغزا أيضا أخوه سـعيدُ بن هشام فوصل الى قَيْسارِيّة. وفيها ولّى هشامٌ الجَرّاحَ بن عبد الله الحَكَمِىّ على إرْمِينِيَة. وفيها حجّ بالناس إبراهيم بن هشام. وفيها توفّى يزيد بن عبد الله بن الشِّخِّير أبو العلاء من الطبقة الثانيـة من تابِعى أهل البصرة، وكان من كلامه يقول: لأن ١٥ أُعافَى فأشْكُرَ، أحبّ إلىّ من أن أُبتَـلَى فأصْبِر. وفيهـا غزا فى البحر عبـد الله بن أبى مَرْيَم. وفيهـا سارت الترك الى أذْرَبِيجان فلقيهم الحارث بن عمرو فهزمهم بعد قتال كثير وآستباح عسكرهم. وفيها عزل عبيدةُ بن عبد الرحمن عامل إفريقيّة عثمانَ ابن أبى نِسْعَة عن الأندلس وآستعمل عليها الهيثمَ بن عبد(٢) الله الكنانى.

(١) كذا فى الطبرى وابن الأثير فى حوادث سنة ١١١ وفى الأصول «الجنيد بن عبد الله المزنىّ» ٢٠ وهو تحريف. (٢) فى ابن الأثير فى حوادث سنة ١١١ «ابن عبيد الكنانىّ».

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمسة أذرع سواء، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وستة عشر إصبعا .

*
* *

حوادث السنة الرابعة من ولاية الوليد بن رفاعة

السنة الرابعة من ولاية الوليد بن رفاعة على مصر وهي سنة اثنتا عشرة ومائة — فيها زحف الجَرّاح بن عبد الله الحَكَمي بالمسلمين من بَرْذَعة(١) إلى آبن خاقان ليدفعه عن أَرْدَبِيل(٢)، فالتقى الجمعان وعظُم القتال وآشتدّ البلاء وآنكسر المسلمون وقُتل منهم خلق، منهم أمير الجيش الجَرّاح بن عبدالله الحكمي المذكور، وكان أحدَ الأبطال، وغلبت الخَزَرُ على أَذْرَبِيجان وحصل وهْنٌ عظيم على الإسلام . وفيها توفي رجاء بن حَيْوَة أبو المِقدام الكِنْدي الأزدي، كان ثقةً فاضلا كثيرا الحديث وكان سيّد أهل زمانه؛ قال ابنُ عَوْن : ثلاثة لم أر مثلهم كأنهم التقَوْا فتواصَوْا : ابنُ سِيرين بالعراق ، والقاسمُ بن محمد بالحجاز ، ورجاء بن حَيْوة بالشأم . وكان رجاء عظيما عند بني أمية لا سيما عند عمر بن عبد العزيز، كان إذا قُدّمت لعمر بن عبد العزيز حُلَلٌ يعزِل منها حُلّة ويقول : هذه لخليل رجاء بن حيوة . وفيها توفي شَهْر بن حَوْشَب أبو عبد الله الأشعري وقيل أبو الجَعْد(٣)، من الطبقة الثانية من تابِعِي أهل الشأم، قرأ القرآن على عبد الله بن عباس سبع مرّات . وفيها توفي طَلْحةُ بن مصرِّف بن عمرو أبو عبد الله وقيل أبو محمد، الكوفي الهَمْداني، من الطبقة الثالثة من تابِعِي أهل الكوفة، كان قارئَ أهلِ الكوفة يقرءون عليه، فلما كثروا عليه كأنه كَرِه ذلك، فمشى الى الأعمش وقرأ عليه، فمال الناس الى الأعمش وتركوه . وفيها غزا معاوية بن هشام الصائفةَ

---

(١) برذعة : مدينة كبيرة جدا، قال هلال بن المحسن : هي قصبة أذربيجان، وذكر ابن الفقيه : أنها مدينة أرّان وهي آخر حدود أذربيجان (انظر ياقوت) . (٢) أردبيل : مدينة من أشهر مدن أذربيجان، كانت قبل الإسلام قصبة الناحية . (٣) في تهذيب التهذيب : "ويقال : أبو سعد، وأبو عبد الرحمن أيضا" .

فافتتح مدينة خَرْشَنة[١]، وفيها حجّ بالناس إبراهيم بن هشام المخزومىّ، وقيل: سليمان بن هشام بن عبد الملك، أعنى آبن الخليفة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربعة أذرع سواء، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وأربعة عشر إصبعا .

٥

* * *

حوادث السنة الخامسة من ولاية الوليد بن رفاعة

السنة الخامسة من ولاية الوليد بن رِفاعة على مصر وهى سنة ثلاث عشرة ومائة — فيها غزا الجُنَيْد المرّىّ ناحية طَخارستان، فجاشت الترك بسَمَرْقَنْد فالتقاهم الجنيد بقرب سمرقند فاقتتلوا قتالا شديدا ، فكتب الجنيد من البحر الى سَوْرة الدّارمىّ، بنجدة على سمرقند، فخرج سَوْرة فى جنده، فلَقِيَته الترك على غِرّة فقتلته، فعاد الجنيد أيضا لقتال الترك بعد قتل سورة ثانيا وقاتلهم حتى هزَمَهم ودخل سمرقند. ١٠ وفيها توفّى مَكْحُول الشامىّ[٢] أبو عبد الله، من الطبقة الثانية من تابِعى أهل الشام، قال : كنت مولًى لعمرو بن سعيد بن العاص فوهَبَنى لرجل من هُذَيل، فأنعم علىّ بها، فما خرجتُ من مصر حتى ظننتُ أنه ليس بها علمٌ إلا سمعتُه، ثم أتيتُ المدينة، وقال كما قال أوّلا، ثم أتيت الشَّعْبِىّ ولم أر مثله . وفيها حجّ بالناس الخليفة هشام بن عبد الملك . وفيها دخل جماعة من دُعاة بنى العباس إلى خُراسان فأخذهم الجنيد ١٥ ومثّل بهم وقتلهم. وفيها توفى أبو محمد[٣] البَطّال وقيل: أبو يحيى[٤]، وآسمُه عبدالله، أحد الموصوفين بالشجاعة والإقدام ، ومَنْ سارت بذكره الرُّكبان، كان أحدَ أمراء

---

(١) خرشنة : بلد قرب ملطية من بلاد الروم . (٢) ذكره ابن سعد فى الطبقة الثالثة .

(٣) هكذا فى الأصل ، والذى فى ابن الأثير : «أبو الحسين» ذكر مقتله هو وابن جرير الطبرى فى حوادث سنة ١٢٢، وهو الأرجح وذلك لورود بعض وقائعه فى هذا الكتاب فى سنة ١١٤ ٢٠

(٤) لم نعثر على هذه الكنية فى الكتب التى بين أيدينا.

بنى أميّة، وكان على طلائع مَسْلمة بن عبد الملك بن مروان فى غزواته، وكان ينزل بأنطاكِيَة، شهد عدّة حروب وأوطأ الرومَ خوفا وذلّا .

قلت : والعامّة تكذب على أبى محمد هذا بأقوال كثيرة، ويسمونه البطّال، فى سير كثيرة لا صحّة لها . وفيها حجّ بالناس سليمان بن [هشام بن](1) عبد الملك وقيل إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومىّ . وفيها توفّى حرام بن سعد بن مُحَيِّصة أبو سعيد، وعمره سبعون سنة .

٥

§أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمسة أذرع سواء ، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا سواء .

* * *

حوادث السنة السادسة من ولاية الوليد بن رفاعة على مصر

١٠

السنة السادسة من ولاية الوليد بن رفاعة على مصر وهى سنة أربع عشرة ومائة —

(١٤٨)

فيها عزل الخليفةُ هشامٌ أخاه مَسْلمة بن عبد الملك عن إمرة أذْرَبيجان والجزيرة بآبن عمه مروان بن محمد المعروف بالحمار آخرِ خلفاء بنى أمية الآتى ذكره، فسار مروان بن محمد المذكور بجيشه حتى جاوز الروم فقتل وسبَى من الترك . وفيها غزا الجنيدُ بلادَ الصَّغَانِيَان(2) من الترك فرجع ولم يَلْق كيدا . وفيها ولِىَ إمرةَ المغرب عبيدُالله بن الحَبْحَاب السَّكُونِىّ(3) صاحبُ خراج مصر، فتوجّه إليها وبَقِىَ عليها تسع سنين .

١٥

وفيها توفّى عَطاء بن أبى رَبَاح المكىّ أبو محمد بن أَسْلم(4) مولى قريش أحدُ أعلام التابعين، وُلِد فى خلافة عثمان، وسمِع من كبار الصحابة . وفيها توفّى محمد الباقر، وكنيته أبو جعفر بن علىّ زين العابدين بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب، الهاشمىّ العَلَوىّ

(١) التكلة عن الطبرى وهو الصحيح ، لأن سليمان بن عبد الملك مات سنة ٩٩ وهو ثالث الخلفاء من بنى مروان . (٢) صغانيان : مدينة عظيمة ، و يطلق اسمها على جميع عملها ، وهى بلاد مجتمعة ، وهى ناحية شديدة العمارة كثيرة الخيرات . (٣) فى ف : « السلولى » .

٢٠

(٤) فى هامش تهذيب التهذيب أن آسم أبى رباح : أسلم .

سيّد بنى هاشم فى زمانه، روى عن ابن عباس وغيره، وهو أحد [الأئمة][1] الاثنى عشر الذين تعتقد الرافضةُ عصمتهم، مولده فى سنة ست وخمسين . ولمحمد هـذا إخوةٌ أربعة[2]، وهم: زيد الذى صُلِب، وعمر، وحسين[3]، وعبدالله، الجميع بنو زين العابدين، رضى الله عنهم . وفيها عزل الخليفةُ هشامُ بن عبد الملك إبراهيمَ بن هشام عن إمْرة المدينـة وولّاها خالدَ بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن أبى العاص؛ وإبراهيم المعزول هو خال الخليفة هشام بن عبد الملك . وفيها غزا معاوية ابن الخليفة هشام ابن عبد الملك الصائفةَ اليسرى فأصاب شيئا كثيرا ، وأن عبد الله البطّال التقى هو وقسطنطين فى جمع فهزمهم البطّال وأُسِر قسطنطينُ . وفيها غزا سليمانُ ابن الخليفة هشامِ الصائفةَ اليمنى فبلغ قيساريّة[4] . وفى هذه السنة عزل هشام إبراهيمَ بن هشام بن اسماعيل المخزومى عن إمرة المدينة واستعمل عليها خالد بن عبد الملك بن الحـارث ابن الحكم فى ربيع الأوّل ، وكانت إمرة إبراهيم على المدينة ثمـان سنين ، وعزل ابراهيمَ أيضا عن مكّة وعن الطائف، واستعمل عليها محمد بن هشام المخزوميّ . وفيها وقع الطاعون بواسط .

§أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمسة أذرع وخمسة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وعشرون إصبعا .

*
* *

أمر حوادث السنة السابعة من ولاية الوليد بن رفاعة على مصر

السنة السابعة من ولايةِ الوليد بن رفاعة على مصر وهى سـنة خمس عشرة ومائة — فيها خرج الحارث بن سريج[5] عن طاعة الخليفة وتغلّب على مَرْو وجُوزَجان[6]،

(١) زيادة فى ف . (٢) زاد ابن قتيبة فى معارفه خامسا هو على بن على . (٣) فى المعارف لابن قتيبة : « الحسن » . (٤) يلاحظ أن هذا الخبر تقدم قبل هذا بأسطر .
(٥) هكذا ورد هذا الاسم فى الطبرى وابن الأثير فى حوادث ١١٦ فى عدة مواضع بالسين المهملة والجيم وفى الأصل : « شريح » بالشين المعجمة والحاء . (٦) كذا فى ابن الأثير والطبرى . وجوزجان : كورة واسعة من كور بلخ بخراسان، وهى بين مرو الروذ و بلخ ؛ وفى الأصل : «جرجان» .

فسار اليه أسدُ بن عبد الله القَسْرىّ، فالتقَوا فانهزم الحارث، وأسر أسدٌ عدّةً من أصحاب الحارث وبدّع فيهم . وفيها وقع بخراسان قَحْط شديد ومجاعة عظيمة . وفيها توفّى عمرو بن مروان بن الحكم الأمير أبو حفص، وأمه زينب بنت عمر بن أبى سَلَمة المخزومىّ؛ كان عمرو من خيار بنى أميّة، ولم يكن بمصر فى أيام بنى أميّة أفضل منه . وفيها غزا معاوية ابنُ الخليفة هشام أرضَ الروم وافتتح حصونا . وفيها وقع الطاعون بالشأم . وفيها حجّ بالناس محمد بن هشام المخزومىّ، وكان الأمير بخراسان الجُنَيد .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربعة أذرع سواء، مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعا وعشرون إصبعا .

(١٤٩)

١٠

*
* *

أم حوادث السنة الثامنة من ولاية الوليد بن رفاعة على مصر

السنة الثامنة من ولاية الوليد بن رفاعة على مصر وهى سنة ست عشرة ومائة — فيها بعث عبيد الله بن الحَبْحاب أمير إفريقية ببلاد المغرب جيشا الى بلاد السودان فغنموا وسَبَوْا . وفيها غزا المسلمون فى البحر مما يَلِى صِقِلّية فأصيبوا . وفيها تزوج الجنيد فاضلة بنت المهلّب بن أبى صُفْرة، وبلغ [ذلك] الخليفةَ هشاما فغضب وعزل الجنيدَ عن خراسان وولّاها عاصمَ بن عبد الله بن يزيد الهلالىّ، وقال له : إن أدركتَه حيا فأزهق نفسه ، فقدم عاصمٌ خراسانَ وقد مات الجنيد ، وكان بالجنيد مرض البطن . وفيها توفّيت حَفْصة بنت سيرين أخت محمد بن سيرين؛ وكانت زاهدةً عابدة، قرأت القرآن وهى بنت اثنتى عشرة سنة وماتت وهى بنت تسعين سنة . وفيها توفى نافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وهو من الطبقة الثالثة من التابعين ، وكان عبد الله بن جعفر أعطى آبنَ عمر فيه آثنى عشر ألف درهم فأبى وأعتقه ، وكان نافع عند عبد الله بن عمر كبعض ولَدِه ، وكان نافع ثقة كثير الحديث . وفيها غزا

معاويةُ بن هشام بن عبد الملك أرضَ الروم الصائفَة . وفيهـا كان الطاعون بالعراق وكان أشدّه بمدينة واسط وسواحلها .

§أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم أربعة أذرع سواء ، مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعا ونصف إصبع .

٥

* * *

ام حوادث السنة التاسعة من ولاية وليـد بن رفاعة على مصر

السنة التاسعة من ولاية الوليد بن رفاعة على مصر وهى سنة سبع عشرة ومائة — فيها جاشت الترك بخراسان ، ومعهم الحارث بن سُريج الخارجىّ ، وعليهم الخاقان الكبير، فعاثوا وأفسـدوا ووصلوا إلى بلد مَرْو الرُّوذ ، فسار إليهـم أسد القسرىّ فالتقاهم وقاتلهم حتى هزمهم، وكانت وقعة هائلة قُتل فيها من الترك خلائق . وفيها ١٠ آفتتح مروان بن محمـد المعروف بالحمـار متولى أذْرَبِيجان ثلاثة حصـون ، وأسر تُومانشاه(١) وبعث به إلى الخليفة هشام بن عبد الملك ، فمَنّ عليه وأعاده إلى مملكته . وفيها غزا عبيـد الله بن الحبحاب أميرُ إفريقيّـة عدّة بلاد من المغرب فغنِم وسلم . وفيها توفّيت سُكينة بنت الحسين بن علىّ بن أبى طالب ، واسمها آمنة ، وأمّها الرَّباب بنت آمرئ القيس بن عَدِىّ ، وكانت من أجمل نساء عصرها . وفيهـا توفّى ١٥ عبد الرحمن بن هُرْمُز الأعرج مولى محمد بن ربيعة ، وكنيته أبو داود ، من الطبقة الثانية من تابعى أهل المدينة . وذكر الذهبىّ فى هذه السنة وفاة جماعة أُخَر ، قال : وتوفّى سـعيد بن يَسار ، وقد ذكره عبد الله بن أبى زكريا الخزاعىّ ، وتوفى شريح ابن صفوان بمصر ، وعبد الله بن عبيد الله بن أبى مُلَيكة ، وعائشة بنت سعد ، وعمر ابن الحكم بن ثَوْبان ، وفاطمـة بنت علىّ بن أبى طالب ، وقتادةُ بن دِعامة المفَسِّر

---

٢٠ (١) كذا فى ف والطبرى وابن الأثير . وفى م « تورمان شاه » بزيادة راء بعد الواو .

وقيل بعدها ، ومحمد بن كعب القُرَظيّ في قول الواقديّ ، وتوفّى موسى بن وَرْدَان القاضي بمصر ، وميمون بن مِهران أو في عام أوّل .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ذراعان وأربعة عشر إصبعا ، مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعا وعشرون إصبعا ونصف إصبع .

(١٥٠)

ذكر ولاية عبد الرحمن بن خالد على مصر

ذكر ولاية عبد الرحمن بن خالد ونسبه وبعض حوادثه وعزله

هو عبد الرحمن بن خالد بن مُسافر ، الأمير أبو خالد ، وقيل أبو الوليد ، الفَهْميّ المصريّ ، أمير مصر لهشام بن عبد الملك بن مروان ، وكان استخلفه الوليد بن رفاعة قبل موته على صلاة مصر ، وكان قبل ذلك أيضا ولِيَ شُرْطتها مدّة سنين ، فلما مات الوليد بن رفاعة أقرّه الخليفة هشام على إمرة مصر عِوضا عن الوليد بن رفاعة على الصلاة ، وكان ذلك في جُمادى الآخرة من سنة سبع عشرة ومائة ، ولما تمّ أمره جعل على شرطته عبد الله بن بشّار الفَهْميّ . وكان في عبد الرحمن هذا لِينٌ . وفي ولايته على مصر نزلت الرومُ بنواحي مصر وأسروا منها خلقا كثيرا ، فلما بلغ هشاما ذلك عزَله عن إمرة مصر وأعاد حَنْظَلة بن صَفوان ثانيا على مصر ، وذلك في سنة ثمان عشرة ومائة ، فكانت مدّة ولايته على مصر سبعة أشهر وخمسة أيام .

وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبيّ في كتابه "تذهيب التهذيب" بعد ما قال أمير مصر لهشام : والليث بن سعد أحد مواليه ، قال : رَوى عن الزهري ورَوى عنه اللّيث بن سعد ويحيى بن أيوب . قال ابن مَعين : كان عنده عن الزهريّ كتاب فيه مائتا حديث أو ثلثمائة حديث كان الليث يحدّث بها عنه . وقال النّسَائيّ : ليس به بأس . وقال ابن يونس : ولي مصر سنة ثمان عشرة ومائة وعُزل سنة تسع عشرة ومائة . قلت : والذي ذكرناه في تاريخ ولايته وعزله هو الأشهر . قال : وكان ثبتا في الحديث ، وتوفّى سنة سبع وعشرين ومائة . اهـ .

وقيل: إنّ سبب عزله عن مصر أنّ دُعاة بنى العباس أرسلوا إليه سرّا، فأكرمهم ووعدهم، فبلغ ذلك هشاما فعزله . وكان من أمر دعاة بنى العبـاس أنه وجّه بُكَيْر ابن ماهان عمّارَ بن زيد[1] إلى خراسان واليـا عليها على شيعة بنى العباس ، فنزل مرو وغيّر اسمـه وتسمّى بخداش ودعَا الناس إلى محمـد بن علىّ بن عبد الله بن عباس، فتسارع الناس إليه وأطاعوه ، ثم غيّر ما دعاهم إليه وأظهر دينَ الخُرَّمِيّـة[2] ورخّص لبعضهم فى نساء بعض، وقال : إنه لا صومَ ولا صلاة ولا حجّ، وأن تأويل الصوم أن يُصَام عن ذكر الإمام فلا يُباح بآسمه ، والصلاة: الدعاء له ، والحجّ: القصدُ إليه؛ وكان يتأول من القرآن قولَه تعـالى : ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا وعَمِـلُوا ٱلصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا ٱتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ﴾، فنفر من كان أطاعه عنه. وكان خداش المذكور نصرانيّا بالكوفة وأسلم ولحق بخراسان ، وكان ممّن آتّبعه على مقالته مالك بن الهَيْثم والحُرَيْش بن سُلَيم الأعجمىّ وغيرهما وأخبرهم أنّ محمد بن علىّ أمره بذلك، فبلغ خبرُه أسدَ بن عبد الله القَسْرىّ فظفر به، فأغلظ القولَ لأسد فقطَع لسانه وسَمَل عينيه بعد أن سأله عمّن وافقه، فذكر جماعةً، منهم أمير مصر عبدالرحمن هذا، وليس ذلك بصحيح ، ثم أمر أسـد بيحيى بن نُعَيم الشَّيبانىّ فصُلِب ، ثم أُتِى أسدٌ بحَزَوَّر[3] مولى المُهاجر بن دارةَ الضّبىّ فضرب عنقه بشاطئ النهر .

(١) فى ابن الأثير فى حوادث سنة ١١٨ : «يزيد» . (٢) الخرمية من أصحاب التناسخ والحلول والإباحة . وكانوا فى زمن المعتصم وكاد شيخهم بابك الخرمىّ الطاغيـة أن يستولى على الممالك فى عصره فقتل وتشتتوا فى البـلاد وقد بقيت منهم فى جبال الشام بقية . وكان بابك يرى رأى المزدكية من المجوس الذين خرجوا أيام قباذ وأباحوا النساء والمحرمات وقتلهم أنو شروان . (٣) هكذا فى الطبرى بالحاء المهملة وفى الأصل وابن الأثير : «بجزوّر» بالجيم المعجمة ، ولم نقف على أنه سمى به .

(١٥١)

أمر حوادث سنة ١١٨

ذكر السنة التي حكم في أولها عبد الرحمن بن خالد ثم في باقيها حنظلة بن صفوان

وهي سنة ثمان عشرة ومائة — فيها غزا معاوية ابن الخليفة هشام أرض الروم وقتل وسَبَى. وفيها غزا مروانُ الحمار ناحيةَ وَرَثَنِيس[2] وظفِر بملكهم وقتل وسَبى. وفيها حجّ بالناس محمد ابن هشام بن إسماعيل وهو أمير المدينة، وقيل: كان هذه السنة على المدينة خالد بن عبد الملك. وفيها توفّى على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب أبو محمد الهاشميّ المدنيّ العباسيّ المعروف بالسَّجّاد، كان يصلّى كل يوم ألف ركعة، وهو والد الخلفاء العباسيّة، وكانت كنيته أبا الحسن، فكنّاه عبدُ الملك بن مروان أبا محمد، وقال: لا أحتمل لك الاسم والكنية جميعا. وكان لعلىّ هذا أولاد كثيرة وهم: محمد والد الخلفاء، وعيسى وداود وسليمان وإسماعيل وعبد الصمد وصالح وعبد الله. ووُلد علىّ هذا في أيام قَتْل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فسمّى باسمه. وفيها توفى عبد الله ابن عامر بن يزيد بن تميم أبو عِمران اليَحْصُبيّ مقرئ أهل الشأم، قيل: إنه قرأ القرآن على أبى الدرداء وتولى قضاء دِمَشق بعد أبى إدريس الخَوْلانيّ، ومات يوم عاشُوراء وله سبع وتسعون سنة. وفيها عزَل الخليفةُ هشام بن عبد الملك خالدَ ابن عبد الله القسريّ عن المدينة واستعمل عليها محمد بن هشام. وفيها توفى ثابت بن أَسْلَمَ البُنانيّ، وبُنانة اسم امرأة كانت تحت سعد بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر، وهو من الطبقة الثالثة (أعنى ثابتا) من أهل البصرة؛ وكان ثابت من أَعْبَد أهل زمانه، وبه يضرب المثل في العبادة.

---

(٢) الظاهر من عبارة الأصل أن ورثنيس بلد قال ياقوت: ورثنيس: حصن في بلاد سميساط، وقد ورد في ابن الأثير في حوادث سنة ١١٨ هكذا: «وفيها غزا مروان بن محمد بن مروان من إرمينية ودخل أرض وردنيس من ثلاثة أبواب فهرب منه وردنيس الى الخزر الخ».

قال أنس بن مالك رضى الله عنه : «إن لكل شيء مفتاحا وإن ثابتا من مفاتيح الخير» وكانت عيناه تُشبه عينَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال له أنس ابن مالك : ما أشبه عينيك بعينَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فما زال يبكى حتى عَمِشت .

وذكر الذهبيّ وفاةَ جماعة أخر، قال : وتوفّى فى هذه السنة أبو صَخْرة جامع ابن شدّاد، وحكيم بن عبد الله بن قيس ، وأبو عُشّانة حَىّ بن يُؤمِن المَعَافرىّ، وعُبادة بن نُسَىّ الكِنْدىّ، وعبد الله بن عامر مقرئ الشأم .

قلت : هو الذى ذكرناه آنفا . قال: وعبد الرحمن بن جُبير بن نُفير الحَضْرمىّ، وعبد الرحمن بن سابط الجُمَحىّ (بضم الجيم نسبة لبنى جُمَح) وعثمان بن عبد الله بن سُراقة المدنىّ، وعلىّ بن عبد الله بن العباس الهاشمىّ . قلت : وقد تقدّم ذكره فى غير هذه السنة . قال : ومعاذ بن عبد الله الجُهَنِىّ ، ومَعبد بن خالد الجَدَلىّ الكوفىّ، وأبو جعفر محمد بن علىّ الباقر فى قول آبن مَعين . قلت : وقد تقدّم ذكره فى غير هذه السنة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ذراعان وستة أصابع، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وعشرون إصبعا .

ذكر ولاية حنظلة بن صفوان الثانية على مصر

ولاية حنظلة بن صفوان ثانيا على مصر (١٥٢)

قلت : تقدّم التعريف به فى ولايته الأُولى على مصر فى سنة آثنتين ومائة ، وكان سبب ولايته هذه على مصر ثانيا أنه لما ضَعُف أمر عبد الرحمن بن خالد أمير مصر المقدّم ذكره شكا منه أهلُ مصر الى هشام بن عبد الملك، وكان شكواهم من لينه لا لسوء سيرته ، فعزله الخليفة هشام لهذا المقتضى وغيره وولّى حنظلةَ

ابن صفوان هـذا ثانيا على إمرة مصر على صَلاتها ، فقـدمها حنظلة فى خامس المحرّم سنة تسع عشرة ومائة ، وتمّ أمره ورتّب أمور الديار المصرية ودام بها الى سنة إحدى وعشرين ومائة ، [و] فيها آنتقض عليه قبط مصر، فحاربهم حنظلة المذكور حتى هزَمهم ، ثم فى سنة اثنتين وعشرين ومائة قدم عليه بمصر رأسُ زيد بن علىّ زين العابدين فأمر حنظلة بتعليقها وَطيف بها ؛ ثم آستمرّ على إمرة مصر الى أن عزله عنها الخليفة هشام بن عبد الملك وولّاه إفريقيّة، فاستخلف حنظلة على صلاة مصر حفصَ بن الوليد الحَضْرمىّ المعزول عن إمرة مصر قبل تاريخه ، وخرج حنظلة من مصر لسبع خلون من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائة ، فكانت ولايته على مصر فى هذه المرّة الثانية خمس سنين وثمانية أشهر .

وذكر صاحب كتاب « البغية والاغتباط ، فيمن ولى الفسطاط » قال بعد ما سمّاه : وُلّى ثانيا من قِبَل هشام على الصلاة ، فقدم يوم الجمعة لخمس خلون من المحرّم سنة تسع عشرة ومائة ، وجعل على شُرْطته عِياضَ بن خترمة[1] بن سعد الكلبىّ . ثم ذكر نحوا مما ذكرناه من عزله وخروجه الى إفريقيّة. ولما وُلّى حنظلةُ إفريقيّة أمره الخليفةُ هشام بتولية أبى الخطّار حسام بن ضرار الكلبىّ إمرةَ الأندلس، فولّاه فى شهر رجب . وكان أبو الخطّار لما تتابع وُلاة الأندلس من قَيْس قال شعرا وعرّض فيه بيوم مرج راهط[2]، وما كان من بلاء كَلْب فيه مع مروان بن الحكم، وقيام القيسيّة مع الضّحاك بن قيس الفِهْرىّ على مروان ، فلما بلغ شعرُه هشامَ آبن عبد الملك سأل عنه فأُعلم أنه رجل من كلب، فأمر هشام بن عبد الملك حنظلةَ أن يولّى أبا الخطّار الأندلسَ فولّاه وسيّره اليها ، فدخل قُرْطُبَةَ فرأى ثعلبة

(١) فى الكندى : «حربية بن سعد» . (٢) مرج راهط : موضع فى الغوطة من دمشق كانت به وقعة بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس حين أراد مروان الخلافة ، قتل فيها الضحاك .

ابن سَلامة[(١)] أميرها قد أحضر الألف الأسارى من البربر ليقتلهم، فلما دخل أبو الخطّار دفع الأسارى اليه، فكانت ولايتُه سببا لحياتهم. ومهّد أبو الخطّار بلادَ الأندلس.
وفى ولايته خرج عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عُبَيدة بن عُقْبة بن نافع بالأندلس، فأرسل اليه حنظلة رسالة يدعوه الى مراجعة الطاعة فقبضهم[(٢)] وأخذهم معه الى القيروان[(٣)]، وقال: إن رُمِى أحد من أهل القَيْرَوان بحجر قتلت مَنْ عندى أجمعين فلم يقاتله أحد، وآستفحل أمره. وكان حنظلة لا يرى القتال إلا لكافر أو خارجىّ. فلما قوِى أمر عبد الرحمن خرج حنظلة الى الشام ودعا على عبدالرحمن وأهل إفريقيّة فآستُجيب له، فوقع الوباء والطاعون ببلادهم سبع سنين لم يفارقهم إلا فى أوقات متفرّقة، وثار على عبد الرحمن هذا جماعة من العرب والبربر ثم قُتل بعد ذلك. هذا بعد أن وقع له مع أبى الخطّار حروب ووقائع. وكان ممن خرج على عبد الرحمن عُرْوة بن الوليد الصَّدَفىّ وآستولى على تونس، وثابت الصنهاجىّ بناحية أخرى، وأما حنظلة فإنه آستقرّ بالشأم الى أن مات[(٤)].

السنة الأولى من ولاية حنظلة الثانية على مصر وهى سنة تسع عشرة ومائة — (١٥٣)

السنة الأولى من ولاية حنظلة الثانية

فيها حجّ بالناس مَسْلَمة بن عبد الملك أخو الخليفة هشام. وفيها غزا مروان بن محمد المعروف بالحمار غزوة السابحة[(٥)] فدخل بجيشه من باب اللّان، فلم يزل حتى خرج من بلاد الخَزَر، ثم انتهى الى البيضاء مدينةِ الخاقان. وفيها جهّز عبيد الله بن الحَبْحَاب

(١) كذا فى ابن الأثير فى حوادث سنة ١٢٥ ونفح الطيب (ج ٢ ص ١٣)، وفى الأصل: «سلام» بدون تاء. (٢) أى قبض على حامل الرسالة اليه. (٣) القيروان: مدينة عظيمة بإفريقية. (٤) فى م: «الى أن كان ما سيذكر». (٥) كذا فى الأصل والنجوم؛ وفى ابن الأثير فى حوادث سنة ١١٩ «إرمينية».

أميرُ إفريقية جيشا ، عليهم قُثَم بن عَوانَة ، فأخذوا قلعــة سَرْدَانِيَة من بلاد المغرب ورجعوا ، فغرق قثم بن عوانة وجماعتُه فى البحر . وفيها توفّى عبد الله بن كَثِير مقرئُ أهل مكّة أبو مَعْبد مولى عمرو بن عَلْقَمة الكِنَانىّ ، أصله فارسىّ ، ويقال له : الدارىّ (والدارىّ : العطار ، نسبة الى عِطْر دَارِين) ، وقال البخارىّ : هو مولى قريش

٥ من بنى عبد الدار ، وقال أبو بكر بن أبى داود : الدار : بطن من لَخْم ، منهــم تميم الدارىّ ، قرأ القرآن على مُجاهد وغيره ، وقيل : إن وفاته سنة عشرين ، وهو الأصحّ . وفيها قصــد خاقانُ أسدَ بن عبد الله القسرىّ بجموع الترك ، فالتقاهم أسدُ بن عبد الله وواقعهم فقُتل خاقان وأصحابه ، وغنم أسد أموالا عظيمة وفتح بلادا لم يصل اليها غيره . وفيها خرج المُغيرة بن سـعيد بالكوفة ، وكان ساحرا متشيّعا ، فحكى عنه

١٠ الأعمش أنه كان يقول : لو أراد علىّ بن أبى طالب أن[1] يُحيى عادا وثمودا[2] وقرونا بين ذلك كثيرا لفعل . وبلغ خالدَ بن عبد الله القسرىّ خبرُه ، فأرسل اليه يجىء به وأمر خالد بالنار والنِّفْط وأحرقه ومن كان معه . وفيها غزا أسدُ بن عبد الله الخُتَّل[3] وقتل ملكها بدير طرخان[4] . وفيها توفّى حبيبُ بن محمد العَجَمىّ ، ويُعرف بالفارسىّ ، البصرىُّ ، من الطبقة الرابعة من تابعى أهل البصرة ، وهو أحد الزهّاد الذى يضرب

١٥ بزهده المثل . وفيها حجّ بالناس مسلمة بن عبد الملك .

وأما الذين ذكر الذهبىّ وفاتَهم فى هذه السنة فهم جماعة كثيرة ، قال : وتوفّى إياس بن سَلَمة بن الأَكْوَع ، وحبيب بن أبى ثابت فى قول ، وحمّاد بن أبى سليمان

---

(١) فى ابن الأثير والطبرى فى حوادث سنة ١١٩ «لو أردت أن أحيى الخ» . (٢) يصرف ولا يصرف (انظر القاموس وشرحه فى مادة ثمد) . (٣) الختل (بضم أوّله وتشديد ثانيه) كورة

٢٠ واسعة كثيرة المدن وهى خلف جيحون على تخوم السند . (٤) فى ابن الأثير والطبرى فى حوادث سنة ١١٩ « بدر طرخان » .

الفقيه فى قول، وسليمان بن موسى الفقيــه بدمشق، وقيس بن سعد الفقيه بمكة، ومعاوية بن هشام الأمير بأرض الروم .

§أمر النيل فى هذه السنة — المــاء القديم خمسة أذرع ونصف، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا وستة أصابع .

***

السنة الثانية من ولاية حنظلة بن صفوان على مصر وهى سنة عشرين ومائة — فيها عُزل خالد بن عبد الله القسرىّ عن إمرة العراق بيوسف بن عمر الثقفىّ، وكانت مدّة ولاية خالد على العراق أربع عشرة سنة ، فلما آستُخلف الوليد آبن يزيد بن عبد الملك بعد موت عمه هشام بن عبد الملك بعث بخالد الى يوسف هذا فقتله . وفيها توفّى أسد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كُرْز بن عامر البَجَلىّ القَسْرىّ، وهو أخو خالد بن عبد الله القسرىّ المقدّم ذكره أعلاه . وكان أسد هذا ولِى خراسانَ مرّتين، وغزا عدّة غزوات وآفتتح البلاد، و بنى مدينة بَلْخ، وتوفّى قبل عزل أخيه خالد بن عبد الله القسرىّ بيسير . وفيها توفّى حمّاد بن أبى سليمان فقيه أهل الكوفة، وقد ذكر الذهبىّ وفاته فى الحالية، وهو من الطبقة الثالثة من التابعين . قيل لإبراهيم النَّخَعىّ: من نسأل بعدك؟ قال : حمّاد بن أبى سليمان . وعنه أخذ أبو حَنيفة العلم ، وهو أوّل من حلّق حَلْقة[1] للاشتغال . وفيها توفّى سليمان بن ثابت الدّارانىّ الدمشقىّ المُحاربىّ من الطبقة الثالثة من التابعين، كان يقال له : قاضى الخلفاء لأنه أقام قاضيا على دمشق ثلاثين سنة، قضى لتسعة من خلفاء بنى أمية، وقيل لسبعة، وهو الأصحّ . وفيها توفى محمد بن واسع بن جابر أبو عبد الله الأزدىّ، من الطبقة

---

(١) كذا بهامش نسخة م وفى الأصول : « حلقة الأشتغال » .

الثالثة من تابعى أهل البصرة ، كان لا يُقدّم عليه أحدٌ فى زمانه فى العبادة والزهد والورع ، كان يصوم الدهرَ ويُخفيه . قيل : إنه دخل هو ومالك بن دينار الى دار الحسن البصرىّ فلم يجداه فى الدار ، فرأى محمد بن واسع طعاما للحسن فأكل منه من غير إذن الحسن ، وعزم على مالك فلم يوافقه مالك وقال : حتى يأذن لى صاحبُه ، وبينما هما فى ذلك دخل الحسن البصرىّ فأعجبه فعلُ محمد بن واسع وقال : هكذا كنا نفعل مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جئتنا يامُوَيْلك .

وذكر الذهبىّ جماعةً أُخَر وفيهم من تكرّر ذكره لاختلاف المؤرّخين ، قال : وتوفّى أنس بن سيرين على الصحيح ، وأسد بن عبد الله القسرىّ الأمير ، والجُلاح (١) أبو كثير القاضى ، والجارُود (٢) المُذَلىّ ، وحماد بن أبى سليمان فى قول ، وأبو مَعْشَر (٣) زيادُ ابن كُلَيب الكوفىّ ، وعاصم بن عمر بن قَتادة الظَّفَرىّ ، وعبدُ الله بن كَثير (٤) مقرئُ أهل مكة ، وعبد الرحمن بن ثَرْوان الأَوْدىّ (٥) ، وعدىّ بن عَدىّ بن عُمَيْرة الكِنْدىّ ، وعَلْقمة بن مَرْثَد الكوفىّ ، وعلى بن مُدْرِك النَّخَعىّ الكوفىّ ، وقيس بن مسلم الجَدَلىّ الكوفىّ ، ومحمد بن ابراهيم التَّيْمى المَدَنىّ الفقيه فى قول ، ومحمد بن كَعْب القُرَظىّ فى قول ، ومَسْلمة بن عبد الملك ، وواصِلٌ الأحدب (٦) ، ويزيد بن رُومان على الصحيح ، وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حَزم على الصحيح .

§أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربعة أذرع سواء ، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وإصبعان ونصف .

---

(١) كذا فى نسخة م والذهبىّ ، وفى ف «ابن» . (٢) هو الجارود بن أبى سبرة سالم بن سلمة الهذلى ، كما فى تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى . (٣) هو زياد بن كليب الحنظلىّ التميمى الكوفىّ ، كما فى تهذيب التهذيب . (٤) هو عبد الله بن كثير الدارىّ المكىّ . (٥) كذا فى تهذيب التهذيب والذهبىّ ، وفى الأصول : «الأزدى» بالزاى والدال . (٦) فى تهذيب التهذيب والخلاصة : أنه توفى سنة ١٣٠

* * *

حوادث السنة الثالثة من ولاية حنظلة بن صفوان

السنة الثالثة من ولاية حنظلة بن صفوان على مصر وهى سنة إحدى وعشرين ومائة — فيها غزا مروان الحمار من إرمينية الى أن بلغ قلعة بيت السرير من بلاد الروم فقتل وسبى، ثم أتى قلعة ثانية فقتل أيضا وأسر، ثم دخل الحصن الذى فيه سرير الملك فهرب منه الملك حتى صالحوا مروان فى السنة على ألف رأس ومائة ألف مُدْي[1]، ثم سار مروان فى السنة حتى دخل أرض أرْز[2] و بلاد بطران[3] فصالحوه ثم صالحه أهل بلاد تُومان ، ثم أتى حمزين[4] فقاتلهم ولازم الحصار عليهم شهرين حتى صالحوه، ثم آفتتح مروان مسدار وغيرها . وذكر خليفة بن خيّاط أن أبا محمد البطّال قُتل فيها . وفيها غزا الصائفة مَسْلمةُ ابن الخليفة هشام بن عبد الملك فسار حتى أتى مَلَطْيَة، ومات مسلمة هذا فى دولة أبيه هشام . وفيها غزا نَصْر بن سيّار ما وراء النهر وقتل ملك الترك كورصُول، وكان كورصُول المذكور ملكا عظيما غزا فى المسلمين اثنتين وسبعين غزوة ، ولما قبَض عليه نصرٌ أراد أن يفدى نفسه بألف جمل بُخْتِيّ وبألف بِرْذَوْن، فلم يقبَل نصرٌ وقتلَه . وفيها خرج زيد بن علىّ بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم، ووقع له مع جيش الخليفة أمورٌ وحروب وآل أمره الى أن انكسر وآختفى حتى ظُفِر به وقُتل فى سنة اثنتين وعشرين ومائة . وفيها توفّى الربيع بن أبى راشد أبو عبد الله الزاهد، من الطبقة الثالثة من تابِعى

---

(١) المدى بالضم : مكيل للشام ومصر يسع تسعة عشر صاعا وهو غير المدّ المعروف .
(٢) كذا فى ف وأرز : بليدة من أوّل جبال طبرستان من ناحية الديلم، وبها قلعة حصينة . وفى م : «أزو» . وفى ابن الأثير وهامش م : «أزر» بتقديم الزاى على الراء . (٣) كذا فى م والذهبىّ وفى ف : «قطران» . ولم نعثر عليها فى الكتب التى بين أيدينا ، وإنما ذكر ياقوت فى معجمه : «قطرونية» وقال : هى بلدة بالروم . (٤) كذا فى البلاذرىّ فى الكلام على هذه الغزوة وابن الأثير فى حوادث سنة ١٢٢ وفى الأصول : «حمرين» بالراء وفى الذهبىّ : «حمدين» بالدال المهملة .

أهل الكوفة، كان يقول : لو فارق ذكر الموت قلبى ساعة لخشيت أن يفسد علىّ قلبى . وفيها توفى عطاء السُّليمىّ، من الطبقة الرابعة من تابعى أهل البصرة، وكان من التابعين المجتهدين ، أقام أربعين سنة لم يرفع رأسه الى السماء حياءً من الله تعالى ولم يضحك، ورفع رأسه مرّة ففُتِق فى بطنه فَتْق؛ وكان اذا أراد أن يتوضّأ آرتعد وبكى، فقيل له : فى ذلك، فقال : إنى أريد أن أُقْدِم على أمر عظيم قبل أن أقوم بين يدى الله تعالى . وفيها توفّى نُمَيْر بن أَوْس الأَشْعَرىّ قاضى دمشق، من الطبقة الرابعة من التابعين، ولّاه الخليفة هشام القضاءَ ثم آستعفاه فأعفاه . وفيها توفّى مُحارب ابن دِثار السَّدوسىّ الشَّيبانىّ أبو المطرّف، من الطبقة الثالثة من تابعى أهل الكوفة؛ قال : لمـا أُكرِهت على القضاء بكيت وبكى عيالى، فلما عُزِلت عن القضاء بكيت وبكى عيالى .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ذراعان وعشرون إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وثلاثة عشر إصبعا .

*
* *

حوادث السنة الرابعة من ولاية حنظلة بن صفوان

السنة الرابعة من ولاية حنظلة بن صفوان على مصر وهى سنة اثنتين وعشرين ومائة — فيها خرج بالمغرب مَيْسَرة الحقير[1] وعبد الأعلى مولى موسى بن نُصَيْر متعاضدَيْن ومعهما خلائق [من الصُّفْرِيّة][2]، فخرج لقتالهم متولّى إفريقيّة عبيدُ الله بن الحبحاب وقاتلهم وآستظهر عليهم وَالِى إفريقيّة، لكن قُتل آبنه إسماعيل، ثم جهّز لهم عبيد الله بن الحبحاب جيشا ثانيا عليه أبو الأصمّ خالد، فقُتل أبو الأصمّ المذكور

---

(١) كذا فى الأصل والذهبى . وفى نفح الطيب فى غير هذا الموضع (ج ١ ص ١٧٤ طبع أوربا) أن موسى بن نصير أخرج آبنه عبد الأعلى الى تدمير ففتحها الخ .

(٢) زيادة عن الذهبىّ والصفرية من الخوارج وهم أتباع زياد بن الأصفر .

فى جماعة من الأشراف فى آخر السنة ، وآستفحل أمر الصُّفْرِيّة وبايعوا الشيخ عبد الواحد بالخلافة ، فلم يتم أمره وقتل بعد حروب كثيرة . وقُتل فى هذه الواقعة وغيرها فى هذه السنة خلائق كثيرة . وكان عبيد الله بن الحبحاب قد جهّز جيشا آخر مع حبيب بن أبى عبيدة بن عُقْبة الفِهْرى الى جزيرة صِقلية فظفر حبيب المذكور ظَفَرا ما سُمِع بمثله ، وسار حتى نزل على أكبر مدائن صقلية ، وهى مدينة سَرَقوسَة[1] ، وهابته النصارى وذَلّوا لإعطاء الجزية ، ووقع بالمغرب فى هذه السنة حروب مهولة متداولة . وفيها توفّى شهيدا زيدُ بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وصُلِب مدّة طويلة ، وقد تقدّم ذكر واقعته فى سنة إحدى وعشرين ومائة . وفيها توفّى إياس بن معاوية بن قُرّة بن إياس المُزَنىّ البصرىّ ، من الطبقة الثالثة من تابعى أهل البصرة ، وكنيتُه أبو واثلة ، وكان قاضيا على البصرة ، وكان سيّدا فاضلا ذكيّا ، له نوادر غريبة ، كان يقول : أذكر ليلةَ وُلِدت وضعتْ أمى على رأسى جَفْنة . قال إياس : قلتُ لأمّى : ما شىء سمعتُه عند ولادتى يا أمى[2]؟ فقالت : طَسْتٌ وقع من أعلى الدار ففزِعتُ فولدتُك فى تلك الساعة . قلت : وعلى هذا يكون سَماعُه لذلك وهو فى بطن أمه ، فإنها لما سمعت الضجّة ولَدتْ من الفزع . فيكون سماع إياس لذلك قبل أن ينزل من بطن أمه . اهـ . وفيها توفّى بلال بن سعد بن تميم السَّكُونى[3] (بفتح السين المهملة) من الطبقة الرابعة من تابعى أهل الشام ، كان بالشأم مثل الحسن البصرى فى العراق ، وكان إمام جامع دمشق ، فكان اذا كبّر سُمِع صوتُه من الأوْزاع (قرية على باب الفراديس) ولم يكن البنيان يومئذ متصلا ، هكذا نقل أبو المُظَفّر فى تاريخه «مرآة الزمان» . وفيها توفى الأمير مَسْلَمة ابن الخليفة عبد الملك

---

(١) كذا فى ياقوت ، وفى ف : «سرقانوسة» وفى م والذهبىّ : «سرياقوسة» .

(٢) زيادة عن م .

(٣) فى تهذيب التهذيب : الأشعرىّ وقيل : الكندىّ .

ابن مروان أبو شاكر[١]، وقيل : أبو سعيد وقيل : أبو الاصبع[٢]، كان شجاعا صاحب همّة وعزيمة، وله غزوات كثيرة من ولاية أبيه عبد الملك الى هذه السنة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ذراعان وستة أصابع، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا وثمانية عشر إصبعا .

٥

*
* *

حوادث السنة الخامسة من ولاية حنظلة بن صفوان

السنة الخامسة من ولاية حنظلة بن صفوان على مصر وهى سنة ثلاث وعشرين ومائة — فيها كانت وقعة عظيمة بين البربر وبين كُلْثوم بن عِياض ، فقُتل كلثوم فى المَصَاف وآستُبيح عسكره، كسرهم أبو يوسف الأَزْدى رأس الصُّفْرية[٣] (والصفرية هم منسوبون الى بنى المهاب بن أبى صُفرة)، ثم وقعت أمور ووقائع بالمغرب فى هذه السنة أيضا يطول شرحها . وفيها حجّ بالناس يزيد ابن الخليفة هشام بن عبد الملك وصَحِبه الزُّهرىّ بن شِهاب ، فهناك لِقىَ الزهرىُّ مالك بن أنس وسفيان ابن عُيَيْنة . وفيها خرج خمسة وعشرون ألفا من الروم ونزلوا بمَلَطْيَة ، فبعث اليهم

١٠

(١) هكذا فى الأصلين ولم نعثر على هذه الكنية لمسلمة بن عبد الملك ، وانما عثرنا عليها لمسلمة بن هشام ابن عبد الملك كما فى الطبرى وغيره . (٢) لم نعثر أيضا على أن لمسلمة هذه الكنية . (٣) ورد هذا التعريف عن الصفرية فى الأصلين وظاهر أنه ليس المقصود من الصفرية هنا الصفرية المنسوبين الى المهلب بن أبى صفرة كما ذكر المؤلف بل هم الصفرية من الخوارج أتباع زياد بن الأصفر، وقولهم فى الجملة كقول الأزارقة . وقد قسمهم صاحب كتاب الفرق بين الفرق الى ثلاث فرق، وبعد أن تكلم على مذاهبهم قال انهم جميعا يقولون بامامة أبى بلال مرداس الخارجى وعمران بن حطان السدوسى بعده وقد بعث اليهم عبيد الله بن زياد والى البصرة من قبل يزيد بن معاوية من قاتلهم حتى ظفر بهم (راجع الفرق بين الفرق ص ٧٠ طبع مصر، والملل والنحل للشهرستانى ص ١٠٢ طبع أوربا) .

١٥

٢٠

ذكر وفاة عائشة بنت طلحة

هشام بن عبد الملك الجيوش فقتلوا منهم مَقْتَلَةً عظيمة، ولله الحمد . وفيها توفيت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله التَّيْمِيّ، وأمها أم كُلثوم بنت أبي بكر الصدّيق؛ وأول أزواج عائشة عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، ثم تزوجها مُصْعب ابن الزبير فأصدقها مائة ألف[1] دينار . وعن الكلبيّ قال : قال عبد الملك بن مروان يوما لجلسائه : من أشجع العرب؟ قيل : شَبِيب، وقيل : فلان وفلان؛ فقال : إن أشجع العرب رجل وَلِيَ العِراقَيْن خمس سنين فأصاب ألف ألف وألف ألف وألف ألف، وتزوج سكينة بنت الحسين بن عليّ وعائشة بنت طلحة، وابنة[2] الحميد بنت عبد الله بن عامر[3] بن كُرَيْز، وابنة[4] ريان بن أُنَيْف الكلبيّ، وأُعطي الأمان فأبى ومشى بسيفه حتى مات، ذاك مصعب بن الزبير . وأظنها تزوّجت بعد مصعب .

وأما الذين ذكر وفاتهم الذهبيّ في هذه السنة بجماعة مختلَف فيهم، قال : توفّي ثابت البُنانيّ، وقد تقدّم ذكره، وتوفي ربيعة بن يزيد القصير بدمشق، وأبو يونس سليم مولى أبي هريرة، وسِمَاك بن حرب الذُّهْليّ، وسعيد بن أبي سعيد المَقْبُرِيّ، وشُرَحْبِيل بن سعد المدنيّ، وأبو عِمران الجَوْنيّ عبد الملك بن حبيب، وابن مُحَيْصِن مقرئ مكة، ومحمد بن واسع عابد البصرة، وقد تقدّم ذكره، ومالك بن دينار، يأتي ذكره .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ذراعان سواء، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وثلاثة عشر إصبعا .

---

(١) في الأغاني (ج ١٠ طبع بولاق) في الكلام على عائشة بنت طلحة أنه أمهرها خمسمائة ألف درهم وأهدى لها مثل ذلك . وفيه في الجزء الثالث ص ٣٦١ طبع دار الكتب أنه أمهرها ألف ألف درهم، ومثل ذلك في المعارف لابن قتيبة . (٢) كذا في الأغاني (ج ١٧ ص ١٦٦) وفي م : وأمه . وفي ف غير واضحة والظاهر أنهما تحريف . (٣) في الأغاني : «عبد الله بن عاصم» . (٤) لم يذكر أبو الفرج في سياق هذه الحكاية عن عبد الملك ابنة ريان هذه .

ذكر ولاية حفص بن الوليد ثانيا على مصر

ولاية حفص بن الوليد الثانية وبعض حوادثه

قلت : تقدّم التعريف بحفص هذا فى أوّل ترجمته لما ولى مصر فى سنة ثمان ومائة . وكان سبب ولايته هذه الثانية على مصر أن حنظلة بن صفوان لما وُلّى إفريقيّة أقرّ حفصا هذا على صلاة مصر وتوجّه الى إفريقيّة، فأقرّه الخليفة هشام ابن عبد الملك على إمْرة مصر على الصلاة، وذلك فى سابع شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائة . وقال صاحب «البغية» : فأقرّه هشامٌ (يعنى على إمرة مصر)، ثم جمع له بين الصلاة والخراج فى ليلة الجمعة لثلاثَ عشرةَ ليلةً خلت من شعبان سنة أربع وعشرين ومائة ، فجعل على شُرْطته عُقْبَةَ بن نُعَيْم الرُّعَيْنىّ، وجعل على الديوان يحيى بن عمرو العَسْقَلانىّ ، وعلى الزِّمام[1] عيسى بن عمرو ، ثم صرفه الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك عن الخراج وولّاه عيسى بن أبى عَطاء يوم الثلاثاء لسبعٍ بَقِين من شوال سنة خمس وعشرين ومائة، وانفرد بالصلاة ، ثم آستعفى مروانَ بن محمد بن مروان فأعفاه ، فكانت ولايته هذه ثلاث سنين إلا شهرا . اهـ . وقال غيره : جمع له هشام بن عبد الملك الصلاة والخراج معا ، وكان لأمراء مصر مدّة سنين [أن] يلى الأميرُ على الصلاة لا غير . فلما جُمع لحفص بين الصلاة والخراج وقع فى أيامه شراقٌ وقحْطٌ بالديار المصرية ، فاستسقى حفص بالناس وخطب ودعا الله سبحانه وتعالى وصلّى ،ثم عاد الى منزله ،فلم يكن إلا القليل وورد عليه موتُ الخليفة هشام بن عبد الملك، واستُخلف من بعده الوليد بن يزيد ابن عبد الملك بن مروان،فأقرّ الوليد حفصا هذا على ما كان عليه من إمرة مصر على الصلاة والخراج أياما قليلة، ثم صرفه عن الخراج بعيسى بن أبى عطاء فى ثالث عشرين شوال سنة خمس وعشرين ومائة وانفرد حفص بالصلاة . ثم خرج حفص

(١) فى الكندى : «على الشرط» .

من مصر الى الشأم ووفد على الوليد بن يزيد بعد أن آستخلف على صلاة مصر عُقْبة ابن نُعَيْم الرُّعَيْنىّ، وعند وصول حفص الى دمشق آختلف الناس على الوليد وخلعوه من الخلافة ثم قتلوه، لسوء سيرته وقبيح أفعاله، كلّ ذلك وحفص بالشأم، وبُويع بالخلافة آبنُ عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان. ولما ولى يزيد المذكور الخلافة أقرّ حفصا هذا على عمله وأمره بالعود الى مصر وأن يفرض للجند ثلاثين ألفا، فعاد حفص الى مصر وفرض الفروض وبعث بَيْعةَ أهل مصر الى يزيد بن الوليد. فلم تطُل مدّة أيام يزيد وتوفّى وبويع بالخلافة من بعده ابراهيم بن الوليد، فلم يتمّ عليه أمرُه وتغلّب عليه مروان بن محمد بن مروان الجَعْدىّ المعروف بالحمار، ودعا لنفسه وتمّ له ذلك؛ فلما بلغ حفصا ذلك بعث يَستعفيه من وِلاية مصر فأعفاه مروان وولّى مكانه حسّان بن عَتاهِيَة . اهـ . وكانت ولاية حفص هذه الثانية نحو ثلاث سنين.

وقال الحافظ أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس فى تاريخه بعد ما ذكر نسبه بنحو ما ذكرناه فى ولايته الأولى على مصر لكنه زاد فقال : الحَضْرمىّ، ثم من بنى عوف بن مُعَاذ، كان أشرفَ حَضْرمىّ بمصر فى أيامه، ولم يكن خليفة من بعد الوليد إلا وقد آستعمله، كان هشام بن عبد الملك قد شرّفه ونوّه بذكره وولّاه مصر بعد الحُرّ بن يوسف بن يحيى بن الحَكَم نحوا من شهر ثم عزله، فدخل على هشام فألفاه فى التجهيز الى الترك فولّاه الصائفةَ فغزا ثم رجع فوُلِّى نحو مصر سنة تسعَ عشرةَ ومائة وسنة عشرين ومائة وسنة إحدى وعشرين ومائة وسنة اثنتين وعشرين ومائة، فلما قُتل كُلثوم بن عِياض القُشَيرىّ عامل هشام على إفريقيّة، وكان قتلهُ فى ذى الحِجّة سنة ثلاث وعشرين ومائة، كتب هشام الى حنظلة بن صفوان الكلبىّ عامله على جند مصر بولايته على إفريقية فشخص اليها، وكتب الى حفص بن الوليد بولاية جند مصر وأرضها، فولى حفصٌ عليها بقيّة خلافة هشام، وخلافة الوليد بن يزيد، وخلافة

يزيد بن الوليد، وابراهيم بن الوليد، ومروان بن محمد الى سنة ثمان وعشرين ومائة؛ وحدّث عنه يزيد بن أبى حبيب، وعمرو بن الحارث، والليث بن سعد، وعبد الله ابن لَهيعة وغيرُهم، وكان ممن خلَع مروانَ مع رَجاء بن الأَشْيَم الحميرى[1] وثابت بن نُعيم ابن زيد[2] بن رَوْح بن سلامة الجُذامىّ وزامل بن عمرو الحرانى[3] فى عدّة من أهل مصر والشام، فقتله حَوْثَرَة بن سُهيل الباهلىّ بمصر فى شوّال سنة ثمان وعشرين ومائة، وخبرُ مَقْتله يطول .

وقال المِسْوَر الخَوْلانىّ يحذر ٱبنَ عم له من مروان ويذكر قتل مروانَ حفصَ ٱبن الوليد ورجاءَ بن الأَشْيَم ومن قُتل معهما من أشراف أهل مصر :

وإن أمير المؤمنين مُسَلَّط * على قتل أشراف البلاد فأعلِمِ

فإياك لا تَجْنِى من الشر غَلطةً * فَتُودِى[4] كحفص أو رجاء بن الأَشْيَمِ

فلا خير فى الدنيا ولا العيش بعدَهم * وكيف وقد أضحَوْا بسَفح المقطَّمِ

قال ٱبن يونس : حدّثنا أحمد بن شعيب حدّثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث حدّثنى أبى عن جدّى عن يزيد بن أبى حبيب عن حفص بن الوليد عن محمد بن مُسلم عن عبيد الله بن عبد الله حدّثه أن ٱبن عباس حدّثه : أن شاة ميّتة كانت لمولاة ميمونة من الصَّدَقة فأبصرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : "انزعوا جِلدَها فانتفعوا به" قالوا : إنها ميّتة، قال : "إنما حَرُم أكلُها" .

قال أبو سعيد بن يونس : أسند حفص غيرَ هذا الحديث : حدّثنى أبى عن جدّى أنه حدّثه ابن وهب حدّثنى الليث : أن حفص بن الوليد أوّل ولايته بمصر

---

(١) فى الكندى : «الحضرمىّ» . (٢) فى ف : «يزيد» . (٣) كذا فى ف . وفى م «الجزانى» بالجيم والواو وفى الطبرى فى حوادث سنة ١٢٧ : «الجبرانى» بالجيم والباء والراء . (٤) فى الأصلين : «فتؤذى» .

أمر بقَسْم مواريث أهـل الذّمة على قَسْم مواريث المسلمين ، وكانوا قبـل حفص يَقسمون مواريثهم بقَسم أهل دينهم، انتهى كلام ابن يونس . وقد ساق ابنُ يونس ترجمة حفص على سياق واحد ولم يَدَع لولايته الثالثة على مصر شيئا . ولا بدّ من ذكر ولايته الثالثة هنا لمـا شَرطناه فى كتابنا هذا من ذكر كلّ والٍ فى وقته وزمانه، ونذكره إن شاء الله تعالى بزيادات أُخر . ٥

+ + +

السنة الأولى من ولاية حفص الثانية وما انطوت عليه من الحوادث

السنة الأولى من ولاية حفص بن الوليد الثانيـة على مصر وهى سنة أربع وعشرين ومائة — فيها عاثت الصُّفْرِيّة ببلاد المغرب وحاصروا قابِسا (١) ونصبوا عليهـا المجانيق، وافترقت الصفرية بعد قتل مَيسرة فرقتين، ثم ولّى الخليفةُ حنظلةَ أميرَ مصر أمرَ إفريقيّة لمّـا بلَغه قتل كلثوم، كما تقدّم ذكره . وفيها قدِم جماعة من شِـيعة بنى ١٠ العباس من خُراسان الى الكوفة يريدون أخْذَ البَيْعـة لبنى العباس فأُخذوا وحُبسوا ثم أُطلقوا . وفيها غزا سليمان بن هشام الصائفة والتقاه ملك الروم فهزمه سليمان وغنِم (٢) . وفيهـا قُتل كلثوم بن عِياض أمير المغرب، من الطبقة الرابعة من تابِعى أهل الشأم ، وكان جليلا نبيلا فصيحا له خطب ومواعظ ، قُتل بالمغرب فى وقعة كانت بينه و بين مَيسرة الصُّفْرىّ، ثم مات ميسرة أيضا فى آخر السنة . وفيها توفّى الزُّهْرىّ ١٥

ذكر وفاة الزهرىّ

واسمه محمد بن مُسْلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شِهاب بن عبد الله بن الحارث بن زُهْرة بن كلاب بن مُرّة، الإمام أبو بكر القُرَشىّ الزُّهرىّ المدنىّ أحد الأعلام، من تابِعى أهل المدينة من الطبقة الرابعة، كان حافظ زمانه . قال اللّيث بن سـعد قال

(١) قابس : مدينة من أعمال إفريقية غربى طرابلس بينها وبين طرابلس ثمان منازل وثلاثون درجة .
(٢) كذا فى الطبرى وابن الأثير فى حوادث سنة ١٢٤ ، وفى الأصل : «وغنمه» . ٢٠

ابن شهاب : ماصبرَ أحد على العلم صَبْرى، ولا نشره أحد نشرى، ولد سنة خمسين. وطلب العلم فى أواخر عصر الصحابة، وله نيّف وعشرون سنة، فروى عن ابن عمر حديثين، وروى عن جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين، وروى عنه الجمّ الغفير اھ.

وذكر الذهبىّ جماعة أخر، قال : توفّى عبدالله بن قيس الجُهَنىّ، وعمرو بن سُلَيم الزُّرَقى أبو طلحة، والقاسم بن أبى بَزّة المكىّ، ومحمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زُرارة، ومحمد بن مسلم بن شِهاب الزُّهرىّ، وقد تقدّم ذكره، ومحمد بن على بن عبد الله ابن عبّاس، وأبو جمرة (بالجيم والراء) نَصْر بن عِمران الضُّبَعِىّ.

§ أمر النيل فى هذه السنة الماء القديم ثلاثة أذرع وآثنا عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وثلاثة[1] عشر إصبعا.

١٠

*
* *

حوادث السنة الثانية من ولاية حفص الثانية

السنة الثانية من ولاية حفص بن الوليد الثانية على مصر وهى سنة خمس وعشرين ومائة :

فيها كانت فتن كثيرة بالمغرب بين الأمير حنظلة بن صفوان المعزول عن إمرة مصر والمتولّى إفريقيّة وبين عُكّاشة الخارجىّ، فكانت بينهم وقعة لم يُسْمَع بمثلها، وآنهزم عكّاشة وقُتِل من البربر ما لا يُحصى، ثم آلتقى حنظلة ثانيا مع عبد الواحد على فرسخ من القَيْرَوان، وجمع عبد الواحد ثلثمائة ألف مقاتل، فبذل حنظلةُ الأموالَ وضجّ النّاسُ والنساء والأطفال بالدعاء، وبقى حنظلة يسير بين الصفوف بنفسه ويحرّض على القتال، وكَسَر أصحابُ حنظلة أغمادَ سيوفهم والتحمت الحرب وانكسرت مَيْسَرةُ الإسلام، وحنظلة على تحريضه حتى تراجعوا، وهزم اللهُ

١٥

(١) فى ب : «ثمانية عشر».

٢٠

عبد الواحد وجيوشه ثم قُتل، وأُتِى حنظلة برأسه، وقُتل من البربر مقتلة عظيمة لم يُسمع بمثلها، فكانت هذه مَلْحمة مشهودة، ثم أُسِر عكّاشة وأُتِى به الى حنظلة فقتله وقتل جماعة كثيرة من أصحابه. وقيل: أُحْصِى من قُتل فى هذه الوقعة فبلغوا مائة ألف وثمانين ألفا. وهذه الملحمة أعظمُ ملحمة وقعت فى الإسلام بالمغرب.

وفيها عقد الوليد بن يزيد بن عبد الملك البيْعة لابنيْه الحكم وعثمان فى شهر رجب بعد أن وَلِى الخلافة بشهر واحد، وكتب بذلك الى الآفاق. وفيها توفّى[1] محمد بن على ابن عبد الله بن عباس العبّاسى الهاشمى، ومحمدٌ هذا هو والد السفاح أوّل خلفاء بنى العباس، وكنيته أبو عبد الله، وكان أصغر من أبيه على بأربع عشرة سنة، فلما شابا خضّب أبوه علىّ بالسواد وابنُه محمد هذا بالحنّاء، فلم يُفرّق بينهما إلا بالخضاب لتشابههما. ومولد محمد هذا بالقرب من أرض البَلْقاء سنة ثمان وخمسين وقيل: سنة ستين. وفى الليلة التى مات فيها محمد هذا ولد فيها محمد المهدىّ بن أبى جعفر المنصور، فسُمى المهدىّ على آسم جدّه محمد المذكور وكُنِي بكنيته. وكان محمد هذا بويع بالخلافة سِرّا وفرّق الدعاة فى البلاد، فلم يتمّ أمرُه ومات. وفيها توفّى الخليفة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أميّة ابن عبد شمس، الأموى القرشىّ الدمشقىّ أبو الوليد، ولد سنة نيّف وسبعين واستُخلف بعهد من أخيه يزيد بن عبد الملك، واستُخلف وعمره أربع وثلاثون سنة، ودام فى الخلافة تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وأياما، وكان جميلَ الصورة يخضب بالسواد، وبعينيه حَوَل مع كَيْس، وأمه فاطمة بنت هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومىّ.

(١) ذكر المؤلف خبر وفاة محمد هذا فى حوادث سنة ١٢٤ أيضا واتفق معه الذهبى وابن جرير الطبرى فى قول الواقدى، وذكر ابن قتيبة فى المعارف فى الكلام على عبد الله بن عباس: أنه توفى سنة ١٢٢ ثم قال: ويقال سنة ١٢٥

قال مُصْعَب الزُّبَيْرِىّ : زعموا أن عبد الملك رأى فى منامه أنه بال فى المحراب أربع مرّات ، فدسّ من يسأل سعيد بن المسيّب عنها ، وكان يعبّر الرؤيا ، وعظُمت على عبد الملك ، فقال سعيد بن المسيّب : يملك من ولده لصُلبه أربعة ، فكان هشام هذا آخرهم ، لأن أولهم الوليد ، ثم سليمان ، ثم يزيد ، ثم هشام .

قال حمّاد الراوية : لما وَلى هشام الخلافة طلبنى فحضَرتُ عنده فوجدته جالسا فى فرشٍ قد غَرِق فيه ، وبين يديه صحفة من ذهب مملوءة مسكا مذوبا بماء ورد وهو يقلّبه بيده فتفوح رائحته ، فسلّمت عليه فردّ علىّ السلام ، وقال : يا حمّاد ، إنى ذكرت بيتا من الشعر ما عرفت قائله وهو هذا :

ودَعَوْا بالصَّبُوحِ يوما فجاءت * قَيْنـةٌ فى يمينها ابريقُ

فقلت : هو لعدىّ بن زيد ، فقال : أنشدنى القصيدة ، فأنشدته إياها ، فقال : سَلْ حاجتك ، وكان على رأسه جاريتان كأنهما أقمار ، وفى أُذُن كل واحدة منهما جوهرتان يضىء منهما المنزل ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، جارية من هاتين ، فقال : هما لك ، وأمر لى بمائة ألف درهم .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربعة أذرع وثمانية أصابع ، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وثلاثة عشر إصبعا .

حوادث السنة الثالثة من ولاية حفص الثانية

السنة الثالثة من ولاية حفص بن الوليد الثانية على مصر وهى سنة ست وعشرين ومائة — فيها خرج يزيد بن الوليد بن عبد الملك على آبن عمه الخليفة الوليد ابن يزيد بن عبد الملك لما آنتهك الوليدُ المذكور الحرمات وكثُر فسقه وسئمته الرعية على قِصَر مدّته ، فبُويع يزيدُ هذا بالمِزّة(١) ووثب على دمشق وجهّز عسكرا لقتال الخليفة

(١) المزة : قرية كبيرة غناء فى وسط بساتين دمشق بينها و بين دمشق نصف فرسخ .

الوليد، وكان الوليد بتَدْمُر قد آنهزم اليها عاكفا على المعاصى بها، فخرج الوليد وقاتل العسكر وانكسر وقُتل بنواحى تَدْمُر، على ما يأتى ذكره، وتمّ أمر يزيد فى الخلافة، وسُمّى بالناقص، لكنه لم تطل مدّته أيضا ومات، على ما يأتى ذكره أيضا . وفيها توفّى خالد ابن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كُرْز بن عامر البَجَلىّ القَسْرىّ، ولى خالد المذكور أعمالا جليلة مثل مكّة المشرّفة والعراق وغيرهما، وكانت أمّه نَصرانيّة فكان يُعيَّر بها، ٥ وكان بخيلا على الطعام جدّا، ذكر عنه أبو المظفّر أمورا شنيعة من هذا الباب. وفيها توفّى الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أميّة (الهاشمى)[1] الأموىّ الدمشقىّ المعروف بالفاسق، ولد سنة تسعين وقيل سنة اثنتين وتسعين . ولما آحتُضر أبوه يزيد بن عبد الملك لم يمكنه أن يستخلفه لأنه صبىّ، فعهد الى أخيه هشام بن عبد الملك وجعل آبنه هذا الوليد ولىّ العهد من بعد هشام ، وأمّ الوليد ١٠ بنتُ محمد بن يوسف الثقفىّ ، فالحجّاج عمّ أمه . ولما مات عمّه هشام ولى الخلافة وصدرت عنه تلك الأمور القبيحة المشهورة عنه : من شُرب الخمر والفجور وتخريق المصحف بالنُّشّاب . وذكر عنه بعضُ أهل التاريخ أمورا أستبعد وقوعَها ، منها : أنه دخل يوما فوجد ابنته جالسة مع دادتها[2] فبرك عليها (١٦٣) وأزال بَكَارتها، فقالت له دادتها : هذا دينُ المجوس، فأنشد : ١٥

مَنْ راقَب الناسَ مات غمّا[3] * وفاز باللّذة الجسورُ

---

(١) هذه الكلمة وردت هكذا فى الأصلين ، وورودها خطأ ، لأن الوليد هذا من ولد عبد شمس ابن عبد مناف وهو أخو هاشم بن عبد مناف الذى من ولده النبىّ صلى الله عليه وسلم .

(٢) كذا فى الأصول، وهى كلمة غير عربية ولكنا أبقيناها احتفاظا بلغة المؤلف ومعناها «المربية» وفى الأغانى (ج ٦ ص ١٣) : « حاضنتها » . ٢٠

(٣) أورد أبو الفرج هذا البيت فى سياق هذه الحكاية وقال : « وأحسب أن هذا الخبر باطل لأن هذا الشعر لسلم الخاسر ولم يدرك زمن الوليد» .

قال : وأخذ يوما المصحف وفتحه ، فأوّل ما طلع له ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ، فقال : أتُوعِدُنى ! ثم علّقه ولا زال يضربه بالنّشاب حتى خرقه ومزّقه وهو ينشد :

أتُوعِد كلّ جبّار عنيـــد * فهأنا ذاك جبّارٌ عنيـــدُ

٥ إذا لاقيتَ ربّك يوم حَشْرٍ * فقل ياربّ خرّقنى الوليـــد

ولمـا كثُر فسـقه خلَعوه من الخلافة بٱبن عمـه يزيد بن الوليد وقتلوه فى جُمادى الآخرة ، وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر ، وتوفّى ٱبن عمّه يزيد المذكور بعده بمدّة يسيرة ، كما سيأتى ذكره . وفيها توفّى سعيد بن مَسْروق [(١)] والد سفيان الثَّوْرى ؛ وفيها توفّى الخليفة أمير المؤمنين يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ،

١٠ الهاشمىّ [(٢)] الأموىّ الدمشقىّ أبو خالد ، المعروف بيزيد الناقص ، لأنه نَقَص الجند من عطائهم لمّـا وَلِى الخلافةَ ، وكان الوليد ٱبن عمـه زاد الجند زيادات كثيرة فنقصها يزيد هذا لمـا وَلِى الخلافة ومشّى الأمور على عاداتهـا . وثب يزيد على الخلافة لمـا كثُر فسق ٱبن عمه الوليد ، وتمّ أمره بعد قتل الوليد ، وبُويع بالخلافة فى جُمادى الآخرة من سنة ست وعشرين ومائة المذكورة . وأم يزيد هـذا شاه فرند [(٣)] بنت فَيْروز بن

١٥ يَزْدَجِرْد ، حكى أن قُتَيْبة بن مُسْلم ظفِر بمـا وراء النهر بٱبنَتَىْ فيروز فبعث بهما الى الحجّاج بن يوسف ، فبعث الحجاج بإحداهما ، وهى شاه فرند ، الى الخليفة الوليد بن عبـد الملك فأولدها يزيدَ هـذا ، وكانت أم فيروز بن يزدجِرْد بنت شِـيرَوَيْه بن كسرى ، وأم شِـيرَوَيْه بنت خاقان ، وأمّ أمّ فيروز هى بنت قيصر عظيم الروم ؛ ولهذا كان يزيد يفتخر ويقول :

---

٢٠ (١) فى طبقات ابن سعد : أنه توفى سنة ١٠٨ . (٢) أنظر الحاشية رقم ٢ فى ص ٢٩٨ من هذا الجزء . (٣) كذا فى الأصول وابن الأثير . وفى الطبرى فى حوادث سنة ١٢٤ : "شاه آفريد" .

أنا آبن كسرى وجدّى مروانْ * وقيصرٌ جدّى وجدّى خاقانْ

قلت: وكان يزيد هذا لا بأس به، غير أن أيامه لم تطُل، ومات فى سابع ذى الحجّة من سنة ست المذكورة. وذكر الذهبيّ وفاة جماعة كثيرة فى هذه السنة مختلَف فى وفاتهم، كما هى عادة سياقه، فإنه يذكر الواحد فى عدّة أماكن، فنحن نذكر مقالته ولا نتقيّد بها، ومَن وقع لنا ممّن ذكره ترجمناه على عادة كتابنا هذا ٥ فى محله، قدّمه الذهبي أو أخّره، فقال: توفى جَبلة بن سُحَيْم، وخالد بن عبد الله القَسْرىّ الأمير، ودَرّاج أبو السَّمْح، وسعيد بن مسروق والد سفيان الثورىّ، وسليمان بن حبيب المحاربىّ، وقد تكرّر فى عدّة سنين، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد، والكُمَيْت بن زَيْد الشاعر، وعبيد الله بن أبى يزيد المكّى، وعمرو بن دينار، والوليد قُتل فى جُمادى الآخرة فكانت خلافته خمسة عشر شهرا، ويزيد بن الوليد ١٠ الناقص مات فى ذى الحجة.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ذراعان وستة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وآثنى عشر إصبعا. (١٦٣)

ذكر ولاية حسّان بن عَتَاهِيَةَ على مصر

ذكر ولاية حسان ابن عتاهية ونسبه وبعض حوادثه وقتله

هو حسان بن عتاهية بن عبد الرحمن بن حسّان بن عتاهية بن خُزَز بن سعد ١٥ ابن معاوية التُّجيبيّ؛ وقال صاحب «البغية»: حسان بن عتاهية بن عبدالرحمن. اهـ.

ولاّه مروانُ بن محمد بن مروان المعروف بالحمار على إمْرة مصر وهو بالشام، فارسل حسّان من الشام بكتاب الى آبن نُعَيم بآستخلافه على صلاة مصر الى أن يحضُر من الشام، فسلمّ حفصُ بن الوليد الأمرَ الى آبن نعيم، ثم قدِم حسّان المذكورُ الى مصر فى ثانِى عَشَرَ جُمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة على الصلاة لا غير. ٢٠

وزاد صاحبُ « البغية » وقال : قدم في يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة . اهـ .

وكان عيسى بن أبي عَطَاء على الخراج ، فلما آستقرّ أمر حسّان في إمرة مصر أسقَط الفروضَ التي كان قرّرها حفص بن الوليد في ولايته وقطعَ [فروض](١) الجند كلها ، فوثبوا عليه وقاتلوه وقالوا : لا نرضى إلا بحفص ، وركبوا الى المسجد ودَعَوْا الى خلع مروان الحمار من الخلافة وحَصَروا حسّانَ في داره ، وقالوا له : اخرج عنا ، فإننا لا نقيم معك ببلد ، ثم أخرجوا عيسى بن أبي عَطاء صاحبَ الخراج من مصر ، كل ذلك في آخر جُمادى الآخرة ، ثم أخرجوا حفصا من سجنه وولَّوْه أمرهم . وتوجّه حسان هذا الى الشأم ودام بها من جملة أمراء بني أميّة الى أن زالت دولة بني أميّة وتولّت العباسيّة . قُتل حسّان هذا مع من قُتل بمصر من أعوان بني أميّة في سنة اثنتين وثلاثين ومائة . وكانت ولاية حسّان على مصر ستة عشر يوما وقيل : إن حسان كان من أعوان بني العباس ، والأوّل أشهر ، وتولّى بعده حفص بن الوليد ثالثا .

وقال الحافظ أبو سعيد بن يونس : شهد حسان بن عتاهية جدّ عتاهية والد صاحب الترجمة فَتح مصر وصَحِب عمر بن الخطاب ، وابنه عبد الرحمن بن حسان ابن عتاهية يَروى عنه مُخَيِّس بن ظِبْيان ، وفي نسخة : عبد الغني .

وحدّثني أحمد بن علي بن دارح بن رجب الخَوْلاني حدّثني عمي عاصم بن دارح حدّثنا عبيدالله بن سعيد بن كَثير بن عُفَيْر حدّثني أبي حدّثني عمرو بن يحيي السَّدَى حدّثني عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حُدَيج قال : سألني أبو جعفر المنصور : ما فعل حسّان بن عَتَاهِيَة ؟ قلت : قتلَه شُعبة(٢) . قال : قتله اللهُ . كان لنا جليسا

(١) وضعنا هذه الكلمة ليستقيم بها الكلام . (٢) كذا في م والكندي أيضا وفي ف : «سرغبة» والظاهر أنه تحريف .

عند عَطَاء بن أبى رَبَاح . قال سعيد بن كثير : شعبة هذا هو ابن عثمان التميمى ، كان على المصرية[(١)]، وهو أوّل من قَـدِم مصر من قوّاد المُسَوِّدة[(٢)]، وكان على مقدّمة عامر بن اسماعيل المُرادىّ الجُرجانىّ الذى قَتل مروان بن محمد الحمار .

ضبطُ الأسماء الغريبة فى هذه الترجمة : (عتاهية) بفتح العين المهملة والتاء المثناة، و (خزز)[(٣)] بفتح الخاء المعجمة والزاى الأولى وسكون الزاى الثانية، و (التجيبى) بضم التاء المثناة من فوق وكسر الجيم و ياء ساكنة و باء ثانية الحروف . ٥ (١٦٤)

ذكر ولاية حفص بن الوليد الثالثة على مصر

ولاية حفص الثالثة وبعض حوادثه

ولما ثار أهل مصر على حسّان بن عتاهية وأخرجوه منها لحق بالخليفة مروان ابن محمد بن مروان المعروف بالحمار فى الشأم، وذكر له حسان ما وقع له مع أهل مصر؛ واستمرّ حفص بن الوليد على صلاة مصر شهر رجَب وشعبان، وقدم الأمير ١٠ حنظلةُ بن صفوان من إفريقيّة، وقد أخرجه أهلها فنزل بالجيزة غربىّ مدينة مصر، ودام هناك الى أن قدِم عليه كتاب الخليفة مروان الحمار بولايته على مصر، فامتنع المصريُّون من ولاية حنظلة بن صفوان عليهم، ومنعوه من الدخول الى مصر وأظهروا الخلاف، ثم أخرجوا حنظلة من الجيزة الى الوجه الشرقىّ، ومنعوه من المُقَام بالفُسْطاط، وحاربوه فخار بهم فهُزِم، وتمّ أمر حفص؛ وسكت مروان عن مصر بقيّة ١٥ سنة سبع وعشرين ومائة، ثم عُزِلَ حفص فى مُستهلّ سنة ثمان وعشرين ومائة ووُلِّى عِوَضَه على مصر الحَوْثَرَةُ بن سهيل أخو عَجْلان الباهلىّ، وواقع الحوثرةُ حفصا وقتله، كما ذكره ابن يونس وغيره فى ترجمته الثانية، وكان قتل حفص المذكور فى يوم

---

(١) كذا بالأصلين والمضرية (بالضاد المعجمة) أقرب الظن . (٢) المسوّدة : لقب الخلفاء العباسيين لأنهم كانوا يلبسون السواد . (٣) كذا بالاصل والذى فى القاموس « خزز » بضم الخاء . ٢٠

الثلاثاء لليلتين خلتا من شوّال سنة ثمان وعشرين ومائة، ورثاه صديقه أبو بحر مولى عبد الله بن إسحاق مولى آل الحَضْرمىّ من حلفاء عبد شمس بعدّة قصائد، وكان أبو بحر إماما فى النحو واللغة، تعلّم ذلك من يحيى بن يَعْمَر، ومات فى سنة سبع وعشرين[1] ومائة، وكان أبو بحر يَعيب الفرزدقَ فى شعره و ينسبه إلى اللحن. فهجاه الفرزدقُ ٥ بقـــوله :

فلو كان عبد اللهُ مولًى هجوتُه * ولكنّ عبدَ الله مولَى مواليـا

فقال له أبو بحر عبد الله المذكور : قد لَحَنْتَ أيضا يا فرزدق فى قولك : مولى مواليا، بل كان ينبغى أن تقول : مولى موالٍ .

* * *

السنة الأولى من ولاية حفص بن الوليد وما انطوت عليه من الحوادث

١٠ السـنة الأولى من ولاية حفص بن الوليد الثالثة على مصر وهى سنة سبع وعشرين ومائة، على أنّ حَسّان بن عَتاهِية حكم منها على مصر ستة عشر يوما فى جمادى الآخرة — فيها وقع بالشأم وغيره عدّة فتن وحروب من قِبَل مروان الحمار وغيره حتى ولِى الخلافةَ وخلَع إبراهيم بن الوليد الذى كان تخلّف بعد موت أخيه يزيد بن الوليد الناقص ولم يتمّ أمره، وكان مروان المذكور متولِّىَ أَذْرَبِيجان ١٥ وإرمينِيَة، فلما بلغه موتُ يزيد جمع الأبطال والعساكر وأنفق عليهم الأموال حتى بلغ قصدَه ووَلِىَ الخلافةَ وتمّ أمره، وفى آخر السنة المذكورة بايع مروان لابنيه عبيد الله وعبد الله بالعهد من بعده وزوّجهما بآبنتَىْ هشام بن عبد الملك، ولم يدر ما خُبِئَ له فى الغيب من زوال دولته ببنى العباس . وفيها حجّ بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز الأموىّ وهو أمير مكة والمدينة والطائف . وفيها خلع سليمان بن هشام

٢٠ (١) فى ف : « سنة تسع وعشرين ومائة » .

(١٦٥) مروانَ الحمار من الخلافة ، وكان سليمان بمدينة الرّصافة ، ووقع له مع مروان أمور وحروب . وفيها توفّى الحَكَم بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموى ، وكان الوليد عَقَد له ولأخيه عثمان ولاية العهد بعده ، وآستعمَلَ الحكَمَ هذا على دِمَشْق وعثمانَ على حِمْص حتى عزلهما يزيد بن الوليد الناقص . وفيها توفّى عبد العزيز بن عبد الملك بن مروان أبو الإصْبَع ، وهو الذى تولّى قتل الوليد بن ٥ يزيد ، فولّاه يزيد الناقص العهدَ بعد أخيه إبراهيم . وفيها توفّى مالك بن دينار العابد الزاهد أبو يحيى البصرى ، أحد الأعلام الزهّاد ، قيل : إن أُدْم مالك المذكور كان فى السنة بفَلْسَيْن مِلْحًا ، وكان يلبَس إزارَ صوف وعَبَاءة خفيفة وفى الشتاء فروةً ، وكان ينسخ المصحف فى أربعة أشهر ، وفى شهرته ما يُغنى عن الإطناب فى ذكره . وفى هذه السنة أيضا كان الطاعون بالشأم ومات فيه خلائق لا تُحْصَى ، وكان هذا ١٠ الطاعون يسمى «بطاعون غُرَاب» .

ذكر الذين ذكر الذهبى وفاتهم على القاعدة المتقدّم ذكرها فى سنة ست وعشرين ومائة ، قال : وتوفى إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدّى ، وبُكَيْر بن عبد الله بن الأشَجّ على الأصح ، وسعد بن إبراهيم فى قول ، وعبد الرحمن بن خالد بن مُسَافِر الفَهْرى ، وعبد الكريم بن مالك الجَزَرى ، وعبد الله بن دِينار المدنى ، وعمرو بن عبد الله ١٥ أبو إسحاق السَّبِيعى ، وعمير بن هانئ العَنْسى ، ومالك بن دينار الزاهد فى قول ، ومحمد ابن واسِع فى قول خليفةَ ، ووَهْب بن كَيْسَان أيضا .

§ أمر النيل — الماء القديم ذراعان وثلاثة أصابع ، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وآثنا عشر إصبعا .

ذكر ولاية حَوْثَرة بن سُهَيل على مصر

ولاية حوثرة بن سهيل ونسبه وبعض حوادثه

هو حَوْثرة بن سهيل أخو عَجْلان[1] بن سهيل الباهليّ أمير مصر، ولّاه مروانُ الحمار على إمرة مصر بعد أن عزَل عنها حفصَ بن الوليد المقدّم ذكره، وجهّز صُحْبته العساكرَ لقتال حفص بن الوليد، فخرج حوثرة من الشام وسار منها بالعساكر حتى وصل الى مصر في يوم الأربعاء لاثنتى عشرةَ ليلةً خلَت من المحرّم سنة ثمان وعشرين ومائة وزاد صاحب "البغية" فقال: ومعه سبعة آلاف فارس، وولّاه مروان على الصلاة وعيسى بن أبي عَطَاء على الخراج. اهـ. ولما وصل حَوْثرة الى مصر أجمع[2] جندُ مصر وأهلها على منعه من الدخول الى مصر فأبى عليهم حفص بن الوليد ونهاهم عن ذلك فخافوا حوثرةَ وسألوه الأمان فأمّنهم ونزل بظاهر الفُسطاط، وقد اطمأنوا اليه، فخرج اليه حفص بن الوليد في وجوه الجند فقبض حوثرة عليهم وقيّدهم وأوسع الجندَ سبًّا فانهزم الجندُ، فقام حوثرة من وقته ودخل الى مصر ومعه عيسى بن أبي عطاء وهو على الخراج على عادته وحوثرة على الصلاة لا غير، وبعث حوثرة في طلب رؤساء مصر فجُمِعوا له فضرب أعناقَهم وفيهم رجاء بن الأَشْيَم الحِمْيَريّ[3] من كبار المصريين، ثم أخذ حفصَ بن الوليد فقتله وأخذ في تمهيد أمور مصر، وتمّ أمره الى سنة إحدى وثلاثين ومائة [ثم][4] عزله مروان الحمار عن إمرة مصر وبعثه الى العراق لقتال الخُراسانيّة دُعاةِ بني العباس فقُتل هناك، وكان استخلف على مصر أبا الجَرّاح بشر بن أَوْس، وكان خروجه من مصر لعشر خلون من شهر رجب سنة إحدى وثلاثين ومائة، فكانت ولايتُه على مصر ثلاث سنين وستة أشهر، ووَلِي مصرَ من بعده

---

(١) كذا في م والكندى. وفي ف «ابن عجلان». (٢) في م: «اجتمع».

(٣) في الكندى: «الحضرمى». (٤) زيادة يقتضيها السياق.

المُغيرةُ بن عبيد الله[1] الآتى ذكره . ولما توجّه حوثرة الى الشأم ووجّهه مروان الحمار الى العراق نَجْدةً لآبن هُبَيْرة فتوجه الى العراق و وقع له بها أمور، ولم يزل مع مروان الحمار الى أن انكسر مروان من أبى مُسْلم الخراسانىّ صاحب دعوة بنى العباس، وقيل : فقتل حوثرة هذا مع من قُتل من أعوان بنى أميّة فانه كان مولى لبنى أميّة ومن كبار أمرائهم، يقال: إنهم طحنوه طحنا لما ظفِروا به حتى مات، فإنه كان شجاعا مقداما ٥ صاحب رأى وتدبير وقوّة وخبرة بالحروب . اهـ . وأما أمرُ حوثرة لما توجّه الى العراق لآبن هبيرة فإنه وصل اليه و فى وصوله له قدم على يزيد بنِ هبيرة[2] آبنُه داود منهزما ، فخرج يزيد بن هبيرة ومعه حوثرة هذا الى نحو قَحْطَبة فى عدد كثير لا يحصى وساروا حتى نزلوا جَلُولاء[3]، واحتفر آبنُ هبيرة الخندقَ الذى كانت العرب[4] احتفرته أيام وقعة جَلُولاء، وأقام به، وأقبل قحطبة الى جهة ابن هبيرة فارتحل ابن هبيرة ١٠ وحوثرة بمن معهما الى الكوفة لقحطبة، وقدم حوثرة هذا أمامه فى خمسة عشر ألفا الى الكوفة، وقيل : إن حوثرة لم يفارق يزيد بن هبيرة ، وأرسل قحطبة طائفةً من أصحابه الى الأنْبار وغيرها وأمرهم بإحدار ما فيها من السفن ليعبرُ الفُرات فبعثوا اليه كل سفينة كانت هناك، فقطع قحطبة الفرات حتى صار فى غربيّه، ثم سار يريد الكوفةَ حتى انتهى الى الموضع الذى فيه ابن هبيرة وحوثرة ، وذلك فى محرّم ١٥ سنة أثنتين وثلاثين ومائة لثمان مضين منه، وكان ابن هبيرة قد عسكر على فم الفرات من [أرض][5] الفَلُّوجة[6] العليا على ثلاثة وعشرين فرسخا من الكوفة، وكان قدم عليه أيضا ابن ضُبارة[7] نجدةً بعد حوثرة بن سهيل الباهلىّ المذكور، فقال حوثرة لآبن هبيرة :

(١) كذا فى الكندى وهو الموافق لما سيأتى وفى الأصل : «عبدالله» . (٢) هو يزيد بن عمر بن هبيرة كما فى الطبرى وابن الأثير . (٣) جلولاء : موضع بالشام . (٤) فى م : «العجم» . ٢٠
(٥) الزيادة عن ابن الأثير . (٦) الفلوجة العليا هى والفلوجة السفلى قريتان كبيرتان من سواد بغداد والكوفة قرب عين التمر . (٧) هو عامر بن ضبارة كما فى الطبرى وابن الأثير .

إن قحطبة قد مضى يريد الكوفة فاقصد أنت خراسان ودعه ومروان فإنك تكسره وبالحرى أن يتبعك ، قال ابن هبيرة : ما كان ليتبعنى ويدع الكوفة ، ولكن الرأى أن أبادره الى الكوفة ، فعبر الدجلة من المدائن يريد الكوفة ، واستعمل على مقدمته حوثرة المذكور وأمره أن يسير الى الكوفة ، والفريقان يسيران على جانبى الفرات ، وقد قال قحطبة لأصحابه : إن الامام أخبرنى أن لى بهذا المكان وقعة يكون النصر [فيها][1] لنا ، ثم عبر قحطبة من مخاضة وقاتل حوثرة ومحمد بن نباتة فانهزم حوثرة ومحمد بن نباتة وأخوه ولحقوا بابن هبيرة ، فانهزم ابن هبيرة بهزيمتهم ولحقوا بواسط وتركوا عسكرهم وما فيه من الأموال والسلاح وغير ذلك ، وقيل : إن حوثرة كان بالكوفة فبلغه هزيمة يزيد بن هبيرة فسار اليه بمن معه . وأما أمر قحطبة فانه فقد من عسكره بعد هزيمة عساكر ابن هبيرة ، فقال أصحاب قحطبة : من عنده عهد من قحطبة فليخبر به ، فقال مقاتل بن مالك العكى : سمعت قحطبة يقول : إن حدث بى حدث فالحسن ابنى أمير الناس ، فبايع الناس حميد بن قحطبة لأخيه الحسن ، وكان قد سيره أبوه قحطبة فى سرية ، ثم أرسلوا إليه وأحضروه وسلموا اليه الأمر ثم بعثوا[2] على قحطبة فوجدوه فى جدول هو وحرب بن سالم بن أحوز[3] قتيلين ، فظنوا أن كل واحد منهما قتل صاحبه . وقيل : إن معن بن زائدة ضرب قحطبة على عاتقه فسقط فى الماء فأخرجوه ، فقال : شدوا يدى إذا أنا مت وألقونى فى الماء لئلا يعلم الناس بقتلى ثم كونوا فى أمركم ، فوقع ذلك حتى انهزم[4] عسكر ابن هبيرة .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) كذا فى ابن الأثير وفى الأصلين : « حثوا » .
(٣) كذا فى الطبرى وابن الأثير فى حوادث سنة ١٣٢ وفى الأصلين : « سلم بن أجوف » ولعله تحريف . (٤) فى م : « انكسر » .

*
* *

السنة الأولى من ولاية حوثرة وما انطوت عليه من الحوادث

السنة الأولى من ولاية حوثرة بن سُهَيل على مصر وهى سنة ثمان وعشرين ومائة — فيها بعث ابراهيم العباسىّ أبا مسلم الى خراسان وأمّره على أصحابه وكتب اليهم بذلك، فأتاهم فلم يقبلوا منه، وخرج من قابل الى مكة وأخبره أبو مسلم بذلك، ثم أرسله ثانيا كما سيأتى ذكره. وفيها توفى اسماعيل بن عبد الرحمن السُّدّى صاحب ٥
التفسير والمغازى والسِّيَر، كان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس، من الطبقة الثانية من تابعى أهل الكوفة، وقيل: إنه مات سنة سبع وعشرين ومائة. وفيها توفى جابر بن يزيد الجُعْفىّ، من الطبقة الرابعة من تابعى أهل الكوفة وقد تُكلم فيه وضعّفه بعضهم. وفيها توفى حُيَىّ بن هانئ المَعَافرىّ، أبو قبيل (وأبو قبيل بفتح القاف وكسر الموحدة) غزا أبو قبيل البحرَ مع جُنَادة والغروب فى زمان معاوية، وكان شجاعا ديّنا ١٠
متواضعا، يخرج الى السوق الى حاجته بنفسه، روى عنه اللّيثُ بن سعد وغيره ومات بمصر. وفيها توفّى سعيد بن مَسرُوق الثّورىّ أبو سفيان، من الطبقة الثالثة من تابعى أهل الكوفة، كان عالما زاهدا. وفيها توفّى عبد الواحد بن زيد أبو عبيدة واعظ البصرة، من الطبقة الرابعة من تابعى أهل البصرة، كان من الزهّاد وكان يحضر مجالس مالك بن دينار. قال أبو نُعيم: صلّى عبد الواحد الغداةَ بوضوء العَتَمة ١٥
أربعين سنة. وفيها توفى عثمان بن عاصم بن حصين[1] [أبو حصين][2] (بفتح الحاء) الأسدى، من الطبقة الرابعة من تابعى أهل الكوفة، قُرئَ القرآنُ عليه بمسجد الكوفة خمسين سنة. وفيها توفى يزيد بن أبى حبيب، من الطبقة الثالثة من تابعى أهل مصر، وهو أوّل من أظهر بها الحلال والحرام والفقه، وإنما كانوا يتحدثون بالملاحم والفتن، وكان الّليث بن سعد يُثنى عليه ويقول: ابن أبى حبيب سيّدنا. ٢٠

(١) كذا فى تقريب التهذيب والخلاصة فى أسماء الرجال وفى م: «حصيف» بالفاء وهو تحريف.
(٢) زيادة عن تهذيب التهذيب وتقريب التهذيب.

§ أمر النيل في هذه السنة — المـاء القديم ذراعان واثنان وعشرون إصبعا ، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وإصبع واحد .

*
* *

السنة الثانية من ولاية حوثرة وما انطوت عليه من الحوادث

السنة الثانية من ولاية حوثرة على مصر وهى سنة تسع وعشرين ومائة — فيها خرج بحَضْرَموت[1] طالبُ الحق عبد الله بن يحيى الكندىّ الأعور، تغلّب عليها وآجتمع عليه الأباضيةُ ، ثم سار الى صَنْعاء وبها القاسم بن عمر الثقفىّ فوقع بينهم قتال كثير ، انتصر فيه طالب الحق وهرب القاسم وقُتل أخوه الصَّلْت، وآستولى طالب الحق على صَنْعاء وأعمالها، ثم جهّز إلى مكّة عشرة آلاف وبها عبد الواحد ابن سليمان بن عبدالملك بن مروان فغلبوا على مكة وخرج[2] منها عبدالواحد المذكور. وفيها كتب آبن هبيرة أمير العراق[3] إلى عامر بن ضُبارة فسار حتى أتى خراسان[4] وقد ظهر بها أبو مسلم الخُراسانى صاحب دعوة بنى العباس فى شهر رمضان ، وكان قد ظهر هنالك عبد الله بن معاوية الهاشمى فقبض عليه أبو مسلم وسجنه وسجن معه خلقا من شيعته . وفيها توفى سالم بن أبى أُميّة أبو النَّضْر مولى عمر بن عبيد الله ابن مَعْمَر التَّيْمىّ ، من الطبقة الرابعة من تابعى أهل المدينة ، كان يَفِد على عمر بن عبد العزيز ويَعِظُه ، فقال له يوما : يا أمير المؤمنين ، عبدٌ خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكتَه ، وأسكنه جنّته عصاه مرة واحدة فأخرجه من الجنّة بتلك الخطيئة الواحدة ، وأنا وأنتَ نعصى الله كل يوم مرارا ، ونتمنّى على الله الجنّة ! وكانت وفاته بالمدينة .

---

(١) فى ابن الأثير : «الحضرمى» . (٢) فى ف : « وتزح » . (٣) فى ف : «العراقين» . (٤) كذا فى ف وفى م « حتى أتى خراسان ونهاوند وقد ظهر بها الخ » وقد أشير فى هامش م الى ما فى الفتوغرافية .

ذِكْر مَنْ ذكر الذهبيّ وفاته فى هذه السنة ، قال : فيها توفى أَزْهر بن سعيد الحَرازِىّ بحِمْص، والحارث بن عبد الرحمن بالمدينة، وخالد بن أبى عِمران التُّجِيبىّ قاضى إفريقيّة، وسالم أبو النَّضْر المدنىّ، وعلى بن زيد بن جُدعان التَّيْمىّ، وقيس ابن الحجاج السُّلَفىّ، ومطر بن طَهْمَان الورّاق، ويحيى بن أبى كَثِير اليمانىّ، وبشر ابن حرب النَّدَبىّ وآخرون . ٥

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثلاثة أذرع وتسعة عشر إصبعا ، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وثلاثة عشر إصبعا .

***

السنة الثالثة من ولاية حوثرة وما حدث فيها من الحوادث

السنة الثالثة من ولاية حوثرة بن سهيل على مصر وهى سنة ثلاثين ومائة — فيها اصطلح نصر بن سيّار وجُديع بن علىّ الكِرمانىّ على قتال أبى مُسلم الخراسانىّ، ١٠ فدس أبو مسلم الخراسانىّ إلى ابن علىّ الكرمانىّ من خدعه واجتمعا وقاتلا نصر بن سيّار فقوِى جيش أبى مسلم الخراسانى وتقهقر نصر بن سيّار بين يديه، فأخذ أبو مسلم أثقاله ثم أخذ مَرْوَ وقتل عاملها شيبان الحَرورىّ(١)، فأقبلت سعادة بنى العباس وأخذ من يومئذ أمر بنى أميّة فى إدبار، ثم استولى أبو مسلم فى هذه السنة على أكثر مدن خراسان ، ثم ظفر بعبد الله بن معاوية الهاشمىّ فقتله، ثم كتب نصر بن سيّار ١٥ إلى ابن هُبيرة نائب العراق يستنجده ويستصرخ به إلى الخليفة مروان الحمار . وفيها استولى جيشُ طالب الحق على مكة، فكتب عبد الواحد أمير المدينة إلى الخليفة مروان الحمار يخبره بخذلان أهل مكة ، ثم جهّز جيشا إلى مكّة فبرز لحربهم أعوانُ

(١) كذا فى ابن الأثير والطبرى والذهبىّ، والحرورىّ : الخارجىّ ، وفى الأصلين « المخزومى » وهو تحريف من الناسخ . ٢٠

طالب الحق وعليهم أبو حمزة وآلتقى الجمعان بقُدَيْد(١) فى صفر فانهزم جيش عبد الواحد وساق أبو حمزة فآستولى على المدينة أيضا ، وقُتل يوم وقعة القُدَيْد هذه ثلثمائة نفس من قريش : منهم حمزة بن مُصْعب بن الزبير بن العوّام، وابنه عِمارة، وآبن أخيه مُصْعب حتى قالت بعض النوائح :

ما للزمان وما لِيَه * أفنى قُدَيْدُ رجاليه

ثم إنّ مروان الحمار بعث جيشا عليه عبد الملك بن محمد بن عطية ، فسار ابن عطيّة المذكور وآلتقى مع أبى حمزة مقدّم عساكر طالب الحق فكسره ، وقتل أبْرَهة الذى كان ولّاه طالب الحق على مكة عند بئر ميمونة ، فبلغ طالبَ الحقّ فأقبل من (١٦٩) اليمن فى ثلاثين ألفا ، فخرج إليه عبد الملك بن محمد المذكور بعساكر مروان فكانت بينهم وقعة عظيمة انهزم فيها طالبُ الحقّ، ثم آلتقوْا ثانيا، وثالثا قتل فيها طالبُ الحقّ فى نحو من ألف حَضْرمى، وبعث عبد الملك بن محمد برأسه إلى الخليفة مروان الحمار . وفيها كانت زلازل شديدة بالشام وأخربت بيت المقدس وأهلكت(٢) أولاد شدّاد بن أوس فيمن هلك، وخرج أهل الشأم إلى البرّيّة وأقاموا أربعين يوما على ذلك، وقيل : كان ذلك فى سنة إحدى وثلاثين ومائة . وفيها توفّى الخليل ابن أحمد بن عمرو الفَراهيدى أبو عبد الرحمن النحوىّ البصرىّ .

ذكر وفاة الخليل ابن أحمد

قال ابن قَرَأُوعلى : ولم يكن بعد الصحابة أذكى من الخليل هذا ولا أجمع، وكان قد برع فى علم الأدب، وهو أوّل من صنّف العَروض، وكان من أزهد الناس .

قلت : ولعل ابن قرأوغلى واهم فى وفاة الخليل هذا، والذى أعرفه أنه كان فى عصر أبى حنيفة وغيره . وذكر الذهبىّ وفاته فى سنة ستين ومائة ، وقال ابن

---

(١) قديد : اسم موضع قرب مكة . (٢) فى الذهبى : « ووقع منزل شدّاد بن أوس على من كان معه » وشدّاد هذا ابن أخى حسان بن ثابت كما فى الطبقات لابن سعد .

خِلّكان: كانت ولادته يعنى الخليل فى سنة مائة من الهجرة وتوفّى فى سنة سبعين ومائة وقيل خمس وسبعين ومائة ، وقال ابن قانع فى تاريخه المرتّب على السنين : إنه توفى سنة ستين ومائة، وقال ابن الجَوْزى فى كتابه الذى سماه "شذور العقود": إنه مات سنة ثلاثين ومائة وهذا غلط قطعا، والصحيح انه عاش لبعد الستين ومائة، و يقال: إنه كان له ولدٌ فدخل عليه فوجده يُقَطّع بيت شعر بأوزان العروض ، فخرج إلى الناس فقال : إنّ أبى جُنّ فدخلوا إليه وأخبروه، فقال مخاطبا لابنه :

لو كنتَ تعلم ما أقول عذرتَنى * أو كنتَ تعلم ما تقول عذلتُكا
لكن جهلتَ مقالتى فعذلتَنى * وعلمتُ أنك جاهل فعذرتُكا

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربعة أذرع وثلاثة عشر إصبعا ، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وأربعة أصابع ونصف إصبع .

*
* *

السنة الرابعة من ولاية الحوثرة وما انطوت عليه من الحوادث

السنة الرابعة من ولاية الحوثرة على مصر الى شهر رجب ،ومن رجب حكمها المغيرة بن عبيد الله الآتى ذكره وهى سنة إحدى وثلاثين ومائة — فيها كانت وقعة بين ابن هُبَيرة و بين عامر بن ضُبَارة ، فالتقوا بنواحى أَصبهان فى شهر رجب فقُتل ابن ضبارة فى المصافّ .

وذكر محمد بن جرير الطبرىّ : أن عامر بن ضُبَارة كان فى مائة ألف، ثم بعث ابن هبيرة الى مروان الحمار يخبره بقتله عامرَ بن ضُبَارة وطلب منه المدد فأمدّه بأمير مصر صاحب الترجمة حوثرة بن سهيل الباهلىّ بعد أن عزله عن إمرة مصر و بعثه فى عشرة آلاف من قيس ، ثم تجمّعت جيوش مروان الحمار بنَهاوند وعليهم مالك ابن أَدْهَم فضايقهم قَحْطَبة أربعة أشهر حتى خرجوا بالأمان فى شوّال، ثم قَتل قحطبةُ وجوها من عسكر أهل مصر، ثم أقبل قحطبة يريد العراق فخرج اليه متولّيها ابن هبيرة

(١٧٠) وانضم اليه المصريون والمنهزمون حتى صار فى ثلاثة وخمسين ألفا ونزل جَلُولاء ، ونزل قحطبة فى آخر العام بخانِقِين[1]، فوقع بين الطائفتين عدّة وقائع و بقُوا على ذلك الى السنة الآتية . وفيها كان الطاعون العظيم، هلك فيه خلق كثير، حتى قيل : إنه مات فى يوم واحد سبعون ألفا قاله ابن الجَوْزِىّ ، وكان هذا الطاعون يُسمّى :
٥ "طاعون أسلم بن قتيبة" .

قال المدائنىّ : كان بالبصرة فى شهر رجب وآشتدّ فى رمضان ثم خف فى شوّال وبلغ كلَّ يوم ألفَ جنازة، وهذا خامس عشَرَ طاعونًا وقع فى الإسلام حسبما تقدّم ذكره فى هذا الكتاب، قال المدائنىّ : وهذا كله فى دولة بنى أميّة، بل نقل بعض المؤرّخين أن الطواعين فى زمن بنى أمية كانت لا تنقطع بالشأم حتى كان خلفاء
١٠ بنى أميــة اذا جاء زمن الطاعون يخرجون الى الصحراء ، ومن ثَمّ آتخــذ هشام بن عبد الملك الرُّصــافة منزلا ، وكانت الرّصــافة بلدة قديمة للروم، ثم خفّ الطاعون فى الدولة العباســية، فيقال : إن بعض أمراء بنى العباس بالشأم خطب فقال : احمدوا الله الذى رفع عنكم الطاعونَ منذ ولِينا عليكم، فقام بعضُ من له جُرأة فقال : إن الله أعدل من أن يجمعكم علينا والطاعون اه . وفيها تحوّل أبو مســلم الخراسانىّ
١٥ عن مَرْوٍ ونزل نَيْسابور واســتولى على عامة خراسان . وفيهــا توفّى واصل بن عَطاء أبو حُذَيْفة البصرىّ مولى بنى مخزوم ، وقيل : مولى بنى ضَبّة ، ولد سنة ثمانين بالمدينة، وكان أحد البلغاء لكنه كان يَلْثَغ بالراء يبدلها غينا، وكان لاقتداره على العربية وتوسّعه فى الكلام يتجنّب الراء فى خطابه ، وفى هــذا المعنى يقول بعض الشعراء :

ذكر وفاة واصل بن عطاء رأس المعتزلة

وجعلت وصلى الراءَ لم تنطق به * وقطعتَنى حتى كأنك واصــل

---

٢٠ [1] كذا فى م وخانقين : بلدة فى نواحى الســواد فى طريق همذان من بغــداد . وفى ف : «خافقين» بالفاء، وخافقين اسم موضع معروف كما فى ياقوت .

وواصل هذا هو رأس المعتزلة، والخوارجُ لما كفّرت بالكبائر، قال واصل: بل الفاسق لا مؤمن ولا كافر منْزلة(١) بين المنزلتين، فلذلك طرده الحسن البصرى، عن مجلسه، فجلس عند واصل عمرو بن عبيد واعتزلا مجلسَ الحسن البصرى فمن يومئذ قيل لهم: المُعْتزِلة.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثلاثة أذرع وتسعة أصابع، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وأربعة أصابع.

ذكر ولاية المُغِيرة بن عبيد الله على مصر

ذكر ولاية المغيرة ابن عبيدالله ونسبه وبعض حوادثه

هو المغيرة بن عبيد الله بن المغيرة بن عبيد الله بن سعد(٢) بن حكم(٣) [بن مالك(٤)] بن حُذَيفة بن بدر بن عمرو بن جُوَيّة بن لَوْذان بن ثعلبة بن [عدىّ(٤)] بن فَزَارة الفزارىّ.

وقال صاحب «البغية»: المغيرة بن عبيد الله بن مسعدة خالف فى الجدّ. اه. ولّاه الخليفة مروان الحمار على مصر بعد عَزْل حوثرة وتوجّهه الى العراق نَجْدةً لابن هبيرة، فقدِم المغيرةُ الى مصر فى سادس عشر من شهر رجب سنة إحدى وثلاثين ومائة على الصلاة. وقال صاحب «البغية»: ولّاه مروان بن محمد على الصلاة فقدم يوم الأربعاء لست بقين من رجب سنة إحدى وثلاثين ومائة فجعل على شرطته ابنَه عبد الله وكان ليّنا محبّبا للناس.

وقال غيره: ولما دخل مصر أقام بها مدّة يسيرة وخرج الى الاسكندرية واستخلف على صلاة مصر أبا الجراح الحَرَشى(٦)، ثم عاد بعد مدّة ولم تطُل مدّته،

(١) كذا فى ابن خلكان وفى الأصلين: «بمنزلة» فلعل الباء زيادة من الناسخ. (٢) فى الكندى: «مسعدة». (٣) فى الكندى: «حكمه». (٤) الزيادة عن الكندى.
(٥) كذا بهامش م وفى النسختين: «من الشأم». (٦) كذا فى الأصلين والمقريزى (ج ١ ص ٣٠٢) بالحاء المهملة وفى الكندى بالجيم المعجمة.

وتوفى يوم السبت ثانى عشر جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين ومائة وآستخلف ابنه الوليد بن المغيرة على إمرة مصر وصلاتها فلم يُقِرّه الخليفةُ مروان الحمار على ذلك، وولّى مصر عبد الملك بن مروان بن موسى ، فكانت ولاية المغيرة على مصر عشرة أشهر إلا أياما ثلاثة[(١)] .

٥ وقال صاحب « البغية » : وتوفّى يوم السبت لاثنتى عشرة ليلة خلت من جُمادى الأولى وذكر السنة، فكانت ولايته عشرة أشهر، فأجمع الجمع على أن يولّوا عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حُدَيْج على الشرطة الى أن يأتى أمرُ مروان ابن محمد، وانصرف الوليد للنصف من جُمادى الآخرة، وكان المغيرة ديّنا فاضلا عَدْلا محبّبا للرعيّة، وهو أجَلّ أمراء بنى أميّة وولِى لهم الأعمالَ الجليلةَ، وحضَر وقعة ١٠ شَهْرَزُور[(٢)]، لما وجّه قَحْطَبة أبا عون عبد الملك بن يزيد الخُراسانى ومالك بن طَريف الخُرَاشى فى أربعة آلاف الى شَهْرزُور وبها عثمان بن سُفْيان، والمغيرة هذا على مقدّمة عبد الله بن مروان بن محمد فنزلوا[(٣)] على فرسخين من شهرزور وقاتلوا عثمان وانهزم عثمان وقُتل، وقام أبو عون ببلاد الموصل ، وقيل إن عثمان لم يُقتل وهرب هو والمغيرة هذا الى عبد الله بن مروان وغنم أبو عون عسكره وقتل من أصحابه مَقْتلة ١٥ عظيمة، ثم سيّر قَحْطبة العساكر الى أبى عون فآجتمع معه ثلاثون ألفا، ولما بلغ مروانَ الخليفةَ خبرُ أبى عون سار بنفسه بجميع عساكر ممالكه وأقبل نحو أبى عون فوقع له حروب وأمور يطول شرحها .

(١) فى ف : « قليلة » . (٢) كذا فى الطبرى . وفى الأصلين : «طرف» .
(٣) فى ف : «فعدلوا» .

ذكر ولاية عبد الملك بن مروان على مصر

ذكر ولاية عبد الملك بن مروان ونسبه وبعض الحوادث

هو عبد الملك بن مروان بن موسى بن نُصير اللَّخْمى أمير مصر، ولّاه الخليفة مروان بن محمد بن مروان المعروف بالحمار على الصلاة والخراج معا بعد موت المغيرة ابن عبيد الله الفَزارىّ، وكان عبد الملك هذا قد ولِى خراجَ مصر قبل أن يَلِىَ الإمرة والصلاة، فلما مات المغيرة جمع له مروان الخراج والصلاةَ، وذلك فى جمادى الآخرة ٥ سنة آثنتين وثلاثين ومائة ، ولمـا تمّ أمره جعل أخاه معاوية على الشُّرْطة ، ثم ولى عِكْرِمةَ بن عبد الله الخَوْلانىّ، ثم إن عبد الملك المذكور أمر بآتخاذ المنابر فى الجوامع ولم يكن قبـل ذلك منبر، وإنمـا كانت ولاة مصر يخطُبون على العِصِى إلى جانب القبلة، ثم خرج عليـه قِبْط مصر بعد ذلك وآجتمعوا(١) على قتاله فحاربهم وقتل كثيرا منهم وآنهزم من بَقِى [منهم](٢) ثم خالف بعد ذلك فى أيامه عمرُو بن سُهيل بن عبد العزيز بن ١٠ مروان على مروان الحمار ودعا لنفسـه واجتمع عليه جمع من قَيْس فى الحَوْف الشرقى من أعمال مصر، فبعث اليهم عبد الملك هذا [بجيش](٢) فلم تقع بينهم حرب، وبينما هم فى ذلك إذ قدم عليهم الخليفة مروان الحمار من أرض الشام وقد انهزم من أبى مسلم الخراسانى صاحب دعوة بنى العباس فى يوم الثلاثاء لثمانٍ بقين من شـوّال ، وقيل لثلاث بقين من شوّال سنة اثنتين وثلاثين ومائة . ولمـا دخل مروان مصر وجد ١٥ أهل الحوف الشرقى من بلاد مصر وأهل الاسكندرية [والصعيد](٢) قد صاروا مُسَوِّدة — أعنى صاروا من أعوان بنى العباس ولبسوا السواد — فعزم مروان الحمار على تعدية النيل فعدّى الى الجيزة وأحرق الجسرين والدار المذهّبة(٣) وبعث بجيش الى الاسكندرية

---

(١) فى ف : «أجمعوا» . (٢) زيادة عن ف . (٣) هى دار عبد العزيز ابن مروان كما فى الكندى . ٢٠

فاقتتلوا مع من كان بها بالكِرْيَوْن[1] ، وبينما هو فى ذلك خالفت القبط ، فبعث اليهم مروان مَنْ قاتلهم أيضا وهزمهم ، ثم بعث جيشا الى الصعيد ، وبينما هو فى ذلك قدم صالح بن على بن عبد الله بن عباس فى طلب مروان ومع صالح أبو عون عبد الملك بن يزيد ، وكان قدومُ عبد الملك الى الديار المصرية فى يوم الثلاثاء النصف من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة المذكورة فلم يثبُت مروان الحمار لصالح المذكور ، وتوجّه الى بُوصير بالجيزة ومعه عبد الملك صاحب مصر وغيره من حواشيه وأمرائه وأقاربه من بنى أمية ، فلحقه صالح بها فالتقاه مروان الحمار بمن معه وقاتله حتى انهزم وقُتل فى يوم الجمعة لتسع بقين من ذى الحجة ، ثم عاد صالح بن على المذكور ودخل الفسطاط فى يوم الأحد لثمان خلون من المحرّم سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وبعث برأس مروان الى الشام والعراق وزالت دولةُ بنى أمية .

وأما عبد الملك بن مروان أمير مصر صاحب الترجمة فانه كان لما ولى مصرَ أحسن السيرةَ ولم يُفحِش فى حق بنى العباس فأمّنه صالح وأمّن أخاه معاويةَ وعفا عنهما ، ثم قتل حَوْثَرة بن سُهَيل وحَسّان بن عَتَاهية اللذين كانا كل منهما ولى على مصر قبل عبد الملك ، وعبد الملك هذا هو آخر أمير ولى مصر من قِبَل بنى أمية وزالت فى هذه السنة بقتل مروان الحمار دولةُ بنى أمية ، وبُويع السفّاح عبدُالله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بالخلافة ، وهو أوّل خلفاء بنى العباس ، ولا بد من ذكر كيفية انفصال دولة بنى أمية وابتداء دولة بنى العباس فى هذه الترجمة فإن ذلك من أعظم ما يُذكر من الوقائع وإن كان ذلك غيرَ ما نحن فيه من شَرْط هذا الكتاب فنذكره على سبيل الاستطراد فى ترجمة عبد الملك أمير مصر فانه آخر من ولى من أمراء بنى أميّة .

(١) الكريون : موضع قرب الاسكندرية ، وقيل واد ، وقيل خليج يشق من نهر مصر قال كثير عزة :

نزلت سراعا غيرها وكأنها * دوافع بالكريون ذات قلوع

ذكر بيعة السفّاح بالخلافة

ذكر بيعة السفاح بالخلافة وبعض الحوادث

لما كان المحرّم سنة آثنتين وثلاثين ومائة بلغ ابنَ هُبَيرة أميرَ العراقين لبنى أمية أن قَحْطبة أحدَ دُعاة بنى العباس توجّه نحو المَوْصل يريد الكوفة فرحل ابن هبيرة بأصحابه نحو الكوفة، وسار كل منهما حتى تواقعا، فجاءت قحطبةَ طعنةٌ فوقع (١٧٣) فى الفرات فهلك ولم يعلم به قومُه، وانهزم أيضا أصحاب ابن هبيرة وغرق خلق منهم فى المخايض.

وقال بَيْهس بن حبيب: [قلت][1] لجمع الناس بعد أن جاوزنا الفراتَ: من أراد الشام فهَلُمّ[2] فذهب معه جمع من الناس، ونادى آخرُ: من أراد الجزيرةَ، فتبعه خلق، ونادى آخرُ: من أراد الكوفةَ، فذهب كل جند الى ناحية[3]، فقلت: من أراد واسط فهَلُمّ فاجتمعنا على ابن هُبَيرة وسرْنا حتى دخلنا واسط يوم عاشوراءَ وأصبح وأصبحوا المسوِّدة وقد فقدوا قائدهم قحطبة، ثم آستخرجوه من الماء وأمّروا عليهم ابنَه الحسن فقصد بهم الكوفة فدخلوها يوم عاشوراء أيضا وهرب متولّيها من قبل بنى أميّة وهو زِيَاد بن صالح، فاستعمل آبنُ قحطبة على الكوفة أبا سَلَمة الخَلّال ثم قصد واسط فنزلها وخندق على جيشه، فعبّأ آبنُ هبيرة عساكره فالتقوْا فانهزم عسكر ابن هبيرة وتحصّنوا بواسط، وقتل فى الوقعة حكيم بن المُسَيّب الجَدَلى، ثم وثب أبو مسلم صاحب دعوة بنى العباس على ابن الكِرْمانى فقتلَه بنَيْسابور وجلس فى دَسْت الملك وخطب للسفّاح وأخذ فى أسباب بيعة السفّاح بالخلافة، فلما كان يوم ثالث شهر ربيع الأوّل من سنة اثنتين وثلاثين ومائة بويع بالخلافة فى دار مولاهم الوليد

---

(١) زيادة يقتضيها السياق. (٢) فى ف: «عنق» والعنق: الجماعة من الناس.
(٣) فى م: «ناحيته».

ابن سعد ولم ينتطح في ذلك عنزان ، وبلغ ذلك خليفة الوقت مروان بن محمد بن مروان الأموى المعروف بالحمار، فسار من الشام في مائة ألف حتى نزل الرأس دون الموصل ، فجهز السفاح عمه عبد الله بن على في جيش فالتقى الجمعان على كشاف[1] في جمادى الآخرة فانكسر مروان وتقهقر الى الجزيرة وقطع وراءه الجسر وقصد الشام ليتقوى ويلتقى[2] ثانيا بالمسودة، ودخل عبد الله بن على العباسى الجزيرة فاستعمل عليها موسى بن كعب التميمى ثم طلب الشام مجدا ، وأمده السفاح بعمه الآخر صالح ابن على ، فسار عبد الله حتى نزل دمشق فعجز مروان عن ملاقاته ، وفر الى غزة فحوصرت دمشق مدة ثم أخذت في شهر رمضان ، وقتل خلق من بنى أمية وجندهم لا يدخل تحت حصر ، فلما بلغ مروان ذلك هرب الى مصر ثم قتل في آخر السنة ببوصير حسبما ذكرناه ، وهرب ابناه عبد الله وعبيد الله الى النوبة ، ووقع ماذكرناه في ترجمة عبد الملك أمير مصر من قتل حوثرة وحسان وغير ذلك .

قال محمد بن جرير الطبرى : كان بدء أمر بنى العباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر عنه ، أعلم العباس عمه أن الخلافة تؤول الى ولده ، فلم يزل ولده يتوقعون ذلك . وعن رشيد بن كريب[3] أن أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية خرج الى الشام فلقى محمد بن على بن عبد الله بن عباس فقال : يابن عم ، إن عندى علما أريد أن أبديه اليك فلا تطلعن عليه أحدا ، إن هذا الأمر الذى يرتجيه الناس فيكم ، قال : قد علمته فلا يسمعنه منك أحد .

وروى المدائنى عن جماعة أن الامام محمد بن على بن عبد الله بن عباس قال : لنا ثلاثة أوقات : موت يزيد بن معاوية ، ورأس المائة ، وفتق بإفريقية ، فعند

(١) كشاف بالضم : قلعة بين الزاب والشط قريبة من مصب الزاب في الشط وهى من إربل على نحو مرحلتين في جهة الغرب ، وبالقرب من كشاف مروج ومراع وهى منازل للتتر (راجع تقويم البلدان لأبى الفدا اسماعيل) . (٢) في م : «ليتوقى» . (٣) كذا في الطبرى . وفي الأصلين : «رشد» .

ذلك يدعو لنا دُعاة ثم تُقبِل أنصارُنا من المشرق حتى تَرِد خيولُهم المغربَ؛ فلما قُتل يزيد بن أبى مُسلم بإفريقيّة ونقَضت البربر، بعث محمد الإمامُ رجلا الى خراسان وأمره أن يدعوَ الى الرِّضَى من آل محمد صلى الله عليه وسلم ولا يُسمّى أحدا ثم توجّه أبو مسلم وغيرُه وكتب الى النُّقَباء فقَبِلوا كتبَه، ثم وقع فى يد مروانَ الحمارِ كتابُ إبراهيم بن محمد الإمام الى أبى مسلم، جواب كتاب يأمره بقتل كل من يتكلّم بالعربيّة بخراسان فقبض مروانُ على إبراهيم، وقد كان مروان وُصِف له صِفةُ السّفاح التى كان يجدها فى الكتب، فلما جِىء بإبراهيم قال: ليست هذه الصفة التى وجدتُ، ثم ردّهم وشرع فى طلب الموصوف له، فإذا بالسفاح وإخوته وعُمومته قد هربوا الى العراق، فيقال: إن ابراهيم كان قد نَعَى اليهم نفسَه وأمرهم بالهرب فساروا حتى نزلوا فى الحُميمة[(1)] فى أرض البَلْقاء، ثم قدِموا الكوفة فأنزلهم أبو سَلَمة الخَلّال دارَ الوليد بن سعد، فبلغ الخبرُ أبا الجَهْم، فآجتمع بموسى بن كعب وعبد الحميد بن رِبْعِيّ وسَلَمة بن محمد وابراهيم بن سلمة وعبد الله الطائى وإسحاق بن ابراهيم وشُراحيل [وعبد الله][(2)] بن بَسّام وجماعة من كبار شيعتهم، فدخلوا على آل العباس فقالوا: أيكم عبد الله بن محمد ابن الحارثيّة؟ فأشاروا الى السفاح فسلّموا عليه بالخلافة، ثم خرج السفاح يوم جمعة على بِرْذَون أبلق فصلّى بالناس بالكوفة ثم عاد السفاح الى المنبر ثانيا وقال: الحمد لله الذى اصطفى الاسلام لنفسه فشرّفه، وكرّمه وعظّمه، واختاره لنا، وأيّده بنا، وجعلنا أهلَه وكَهْفَه وحِصْنَه، والقُوّامَ به والذابّين عنه. ثم ذكر قرابتهم فى آيات من القرآن الشريف الى أن قال: فلما قبض الله نبيّه قام بالأمر أصحابه الى أن وثب بنو حرب وبنو مروان، فجاروا وآستأثروا فأملى الله لهم حينا حتى آسفوه فآنتقم منهم

(1) كذا فى الطبرى وهو الموافق لما فى كتب التاريخ وهى قرية على مرحلة من الشوبك من أرض الشراة من أعمال عمان فى أطراف الشام كانت منزل بنى العباس (راجع معجم البلدان لياقوت وتقويم البلدان لأبى الفدا اسماعيل) . وفى الأصلين: «خيمة» وهو تحريف. (2) الزيادة عن الطبرى وابن الأثير فى حوادث سنة ١٣٢

بأيدينا، وردّ علينا حقّنا، لِيَمُنّ بنا على الذين ٱستُضعِفوا فى الأرض، وختم بنا كما افتتح بنا ، وما توفيقنا أهلَ البيت إلا بالله . يأهلَ الكوفة، أنتم محل محبّتنا، ومنزل مودّتنا، أنتم الذين لم تتغيروا[1] عن ذلك ولم يُثْنِكم عنه تحامُلُ أهل الجور، فأنتم أسعد الناس بنا ، وأكرمهم علينا، وقد زدت فى أُعطياتكم مائة مائة[2] فاستعدوا فأنا السفاح المُبيح والثائر المُبير[3] .

وكان السفاح مَوْعوكا بجلس، فقام عمّه داود بن علىّ فخطب وأبلغ وقال : إن أمير المؤمنين نصره الله نصرا عزيزا إنما عاد الى المنبر لأنه كَرِه أن يخلط بكلام الجمعة غيره، وإنما قطعه عن ٱستتمام الكلام شدّة الوَعْك فادعوا له بالعافية، فقد أبدلكم الله بمروان عدوّ الرحمن وخليفةِ الشيطان المتّبِع لسلفه المفسدين فى الأرض الشابَّ المُتكهِّل وسمّاه، فضجّ الناس له بالدعاء[4] .

وأما ابراهيم بن محمد (أعنى أخا السفاح) الذى وقع له مع مروان ما ذكرناه، فان مروان قتله بعد ذلك غِيلة ، وقيل : بل مات فى السجن بحرّان بالطاعون، انتهى ما أوردناه من انفصال الدولتين

⁂

حوادث السنة الأولى من ولاية عبد الملك بن مروان بن موسى

السنة الأولى من ولاية عبد الملك بن مروان بن موسى على مصر وهى سنة اثنتين وثلاثين ومائة — فيها كانت وقائع كثيرة بالعراق وغيره قُتل فيها خلائق، ففى المحرّم كانت الوقعة بين قَحْطَبة وٱبن هُبَيرة حسبما تقدّم ذكره فى أوّل بيعة السفّاح. وفيها فى ثالث شهر ربيع الأوّل بُويع السفاح عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله

(١) فى ف : «لم تفترقوا» (٢) كذا فى الأصلين وتاريخ الاسلام للذهبى . وفى الطبرى : «مائة درهم» (٣) وردت هذه الخطبة بإسهاب فى الطبرى (قسم ٣ ج ١ ص ٢٩) .
(٤) وردت هذه الخطبة أيضا فى الطبرى (قسم ٣ ج ١ ص ٣٢).

ابن عباس بالخلافة، وقد تقدّم أيضا . وفيها كانت قِتْلة مروان الحمار، وقد تقدّم ذكره أيضا، وهو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أميّة بن عبد شمس آخر خلفاء بنى أميّة، وكنيته أبو عبد الملك، القائم بحق الله، وأمّه أمّ ولد كُرْدِيّة، كان يُعرف بالحمار وبالجَعْدىّ، وتسميتُه بالجَعْدىّ نسبة لمؤدّبه جَعْد بن درهم، وبالحمار، يقال فلان أصبر من حمار فى الحروب، ولهذا لقّب بالحمار، فانه كان لا يَفْتُر عن محاربة الخوارج، وقيل : سمّى بالحمار لأن العرب تسمّى كل مائة سنة حِمارا، فلما قارب ملك بنى أمية مائة سنة لقبوا مروان هذا بالحمار، وأخذوا ذلك من قوله تعالى فى موت حمار العُزَيْر : ﴿وَٱنْظُرْ إِلى حِمَارِكَ ... الآية﴾ وكان مولد مروان الحمار سنة اثنتين وسبعين بالجزيرة وأبوه متولّ عليها من قِبَل ابن عمه الخليفة عبد الملك بن مروان، فنشأ مروان فى دولة أقاربه وولِى الولايات الجليلة، وافتتح عدّة فتوحات حتى وثب على الأمر بعد ابراهيم بن الوليد، وبُويع بالخلافة سنة سبع وعشرين ومائة، فلم يتهنّ بالخلافة لكثرة الحروب، وظهرت دعوةُ بنى العباس وكان من أمرها ما كان وآنقرض بموته دولة بنى أميّة . وفيها توفّى خلائقُ يطول الشرح فى ذكرهم ممّن قُتل فى الحروب وأيضا من أعوان بنى أميّة وغيرهم . وفيها توفّى ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس أخو الخليفة السفاح لأبيه، وقد تقدّم ذكر واقعته مع مروان الحمار فى أمر الكتاب، وأمه أم ولد بربريّة اسمها أسلم، وكان أبوه محمد أوصى اليه بالعهد فانه كان بُويع سرا فادركته المنيّة، وكان شِيعتهم يكاتبونه من خراسان حتّى وقع له مع مروان ما حكيناه، وحبسه الى أن مات فى هذه السنة وقيل فى الماضية، وبعد موته انضمت شيعته على عبد الله السفّاح . وفيها قُتل سعيد بن عبد الملك بن مروان أبو محمد، وكان يعرف بسعيد الخير، قتل بسيف عبد الله بن علىّ العباسى عمّ السفّاح، وكان ديّنا خيّرا ولى لأقاربه خلفاء بنى أمية

أعمالا جليلة . وفيها توفّى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان كان شجاعا ديّنا كريما، وكان ولى العراق وحفر بالبصرة نهرا يعرف بنهر ابن عمر . وفيها توفّى محمد ابن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم أبو عبد الملك الأنصارى، ولى قضاءَ المدينة. وفيها توفّى محمد بن عبد الملك أخو سعيد لأبَوَيْه، تقدّمت ترجمته فى ولايته على (١٧٦) مصر سنة خمس ومائة . وفيها توفى يزيد بن عمر بن هبيرة بن معاوية الأمير أبو خالد، ٥ وقيل أبو عمرو الفزارىّ، ولى الأعمالَ الجليلة وغزا القسطنطينية مع مَسْلَمة بن عبد الملك وجمع له بين العراقين سنة ثلاث ومائة وكان خطيبا شاعرا شجاعا، وكان السفاح أمّنه فبعث إليه أبو مسلم الخُراسانى وحرّضه على قتله فأمر بقتله فقُتل هو وابنه داود وكاتبه عمرُ بن أيوب وعِدّةٌ من مواليه .

١٠ § أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثلاثة أذرع وأربعة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وإصبع واحد .

ذكر ولاية صالح بن علىّ العباسىّ الأولى على مصر

ذكر ولاية صالح ابن على العباسى ونسبه وبعض الحوادث

هو صالح بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمىّ العبّاسىّ، أوّل من ولى مصر من قِبَل خلفاء بنى العباس ، مولدُه بالسَّوَاد وقيل بالشَّرَاة[1] من أرض ١٥ البَلْقاء سنة ست وتسعين من الهجرة ، وولى مصر من قبل ابن أخيه أمير المؤمنين عبد الله السفّاح بعد قتل مروان الحمار فى أوّل محرّم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وقد تقدّم ذكر قتاله مع مروان فى ترجمة عبد الملك بن مروان بن موسى أمير مصر ولما ولى صالح مصر بعث ببيعة أهل مصر لأمير المؤمنين عبد الله السفّاح، ثم أخذ صالح فى إصلاح أمر مصر وقبض على جَمْع كثير من المصريين الأمويّين، منهم

٢٠ (١) الشراة بالشين المعجمة : صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم (راجع معجم البلدان لياقوت وتقويم البلدان لأبى الفدا اسماعيل) . وفى الأصلين : بالسين المهملة وهو تحريف .

عبد الملك بن مروان بن موسى أمير مصر وأخوه ، وقتل كثيرا من شيعة بنى أميّة وحمل طائفة منهم إلى العراق وقُتلوا بقَلَنْسُوَة من أرض فِلَسْطِينَ ، وأمر للناس بأعطياتهم للقاتلة والعيال ، وقسّم الصدقات على الأيتام والمساكين وأبناء السبيل ، وزاد فى المسجد زيادة هائلة ، وجعل على شرطته ابنَ هانئ الكِنْدىّ (١) ، ثم ورد عليه بعد مدّة طويلة كتاب السفاح بإمارته على فلسطين والاستخلاف على مصر ، فاستخلف على مصر أبا عون عبد الملك ، وخرج منها فى شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وسار معه عبدُ الملك بن مَرْوان بن موسى ، الذى كان أمير مصر ، مكرما وعدّةٌ من أهل مصر — تأتى بقية ترجمة صالح بن على هذا فى ولايته الثانية على مصر إن شاء الله تعالى — فكانت ولاية صالح على مصر فى هذه المرّة سبعة أشهر وأياما .

*
* *

السنة التى حكم فيها صالح بن على وما وقع فيها من الحوادث

السنة التى حكم فيها صالح على مصر وهى سنة ثلاث وثلاثين ومائة — فيها آستعمل الخليفة السفّاحُ على البصرة عمّه سليمان بن على ، وآستعمل على مكة خاله زياد بن عبيد الله . وعلى اليمن ابنَ خاله محمد بن زياد بن عبيد الله . وفيها وجّه السفاح على إفريقية محمّد بن الأشعث . وفيها خرج ببُخارا شَريك بن شَيْخ المَهْرىّ (٢) ، وكان قد نقم على أبى مسلم الخراسانى تجبّره فجهّز إليه أبو مسلم جيشا فحاربوه وقتلوه . وفيها خرج طاغية الروم قسطنطين بجيوشه وأخذ مَلَطْيَة وهدم السور والجامع . وفيها قتَل عبدُ الله بن على عمّ السفاح الخليفة خلقًا كثيرا من قوّاد بنى أمية . وفيها توفّى داودُ بن على بن عبد الله بن العباس عمّ [الخليفة] (٣) السفاح ، وكان ولى المدينة ومكّة



---

(١) هو محصن بن هانىء كما فى الكندىّ ص ٢٩٨ (٢) كذا فى الطبرى . وفى الأصلين : «المهدىّ» ولعله تحريف . (٣) زيادة عن ف .

وحجّ بالناس فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وهو أوّل أمير حجّ بالناس من بنى العباس، وقتل داودُ هـذا أيضا فى ولايته خلقا من بنى أميّة وأعوانهم، ثم مات بعد أشهر، وآستخلف حين آحتُضر على عمله ولدَه موسى، فاستعمل السفّاح على مكة خاله زيادًا المقـدّم ذكره، وموسى[1] بن داود على إمرة المدينـة لا غير. وفيها قُتل عبد الرحمن ابن يزيد بن المهلب بن أبى صُـفْرة. وفيها قتل عبد الله بن على عمّ السفاح ثعلبـةَ وعبد الجبار ابنى أبى سَلمة بن عبد الرحمن.

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم أربعة أذرع وثمانية أصابع، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وتسعة أصابع.

ذكر ولاية أبى عَوْن الأُولى على مصر

ذكر ولاية أبى عون الاولى ونسبه وبعض الحوادث

هو أبو عون، واسمه عبد الله وقيل عبد الملك بن يزيد الأمير أبو عون، أصله من أهل جُرْجان ولِى صلاةَ مصر وخَرَاجَها باستخلاف صالح بن علىّ بن عبد الله بن العباس له فى مُسْتَهَلّ شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائة، وآستمرّ أبو عون بمصر إلى أن وقع الوباءُ بها فخرج منها، وآستخلف على مصر صاحب شرطته عِكْرِمةَ بن عبد الله ابن عمرو بن قَحْزَم (وقحزم بفتح القاف وسكون الحاء المهملة وفتح الزاى وبعـدها ميم) ثم عاد أبو عون إلى مصر بعد الوباء وأقام بها إلى أن خرج منها ثانيا إلى دمياط فى سنة خمس وثلاثين ومائة، وآستخلف على مصر عكرمة أيضا وجعل على الخَرَاج عَطاء بن شُرَحْبيل. وفى هـذه السنة خرج القبط عليه بسمنود بالوجه البحرى من

(١) فى الأصلين: «أبا موسى» بزيادة «أبى» وهو خطأ. لأنه هو موسى بن داود بن علىّ المتقـدّم.

أعمال مصر فبعث إليهم أبو عون جيشا لحاربوهم وقتلوهم، وفى أيام أبى عون هـذا سكنت أمراء مصر العسكر[١] .

وسببُه أنه لما قدِم صالح بن على العبّاسى وأبو عون هـذا بجموعهم إلى مصر فى طلب مروان الحمار نزلت عساكرهما الصحراء جنبَ جبل يَشْكُرُ الذى هو الآن جامع أحمد بن طولون وكان فضاءً ، فلما رأى أبو عون ذلك أمر أصحابه بالبناء فيه فبنوا وبَنى هو به أيضا دار الإمارة ومسجد عوف بجامع العسكر[٢]، وعملت الشرطة[٣] أيضا فى العسكر وقيل لها الشرطة العليا، وإلى جانبها بنى الأمير أحمد بن طولون جامعه[٤] الموجود الآن، وسمى من يومئذ ذلك الفضاء

(١) كذا فى تاريخ ابن عبد الحكم وولاة مصر وقضاتها للكندى والمقريزى . وفى الأصل : « المعسكر » . وكان العسكر يمتد على شاطئ النيل والنيل وقتئذ أقرب الى الشرق من موضعه الحالى لأنه كان يجرى بجانب المرتفع المشيد عليه جامع عمرو بن العاص ثم ابتعد عنه على توالى الزمن نحو خمسمائة متر .

وكان العسكر يحده جنوبا كوم الجارح حيث تمتد الآن قناطر المجرى (العيون) وشمالا شارع مراسينا الى ميدان السيدة زينب حيث قناطر السباع أمام المشهد الزينبي وغربا بين شارعى السد والديورة وشرقا خط تصورى يمتدّ من مصطبة فرعون بجوار مسجد الجاولى بشارع مراسينا الى باب السيدة نفيسة المعروف قديما بباب المجدم وعلى عهد المقريزى لم يبق للعسكر ذكر بل كان اسم القطائع هو المعروف (راجع المقريزى ج ١ ص ٣٠٥ وج ٢ ص ٢٦٥ وتاريخ ووصف الجامع الطولونى تأليف محمود عكوش افندى بلجنة الآثار العربية المطبوع بمطبعة دار الكتب المصرية) . (٢) هذا الجامع بناه الفضل بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس (راجع المقريزى ج ٢ ص ٢٦٤) . (٣) كذا فى الأصلين وهو الموافق لما جاء فى المقريزى (ج ٢ ص ٢٦٥) . (٤) هذا الجامع العظيم هو الثالث فى ترتيب المساجد التى أقيمت فيها صلاة الجمعة فى مصر بعد الفتح . بناه على جبل يشكر المعروف الآن بالكبش فى الجهة الجنوبية من القاهرة بينها وبين الفسطاط فى حىّ السيدة زينب الآن وهو أقدم مساجد مصر بلانزاع بل أقدم آثارها العربية بعد مقياس النيل بجزيرة الروضة وقد كانت الشعائر الدينية معطلة فيه الى أن توجهت ارادة حضرة صاحب الجلالة ملك مصر «فؤاد الأوّل» لإعادة إقامتها فى هذا الجامع التاريخى الجليل فصلى فيه صلاة الجماعة يوم الجمعة ٢٢ رجب سنة ١٣٣٦ (٣ مايو سنة ١٩١٨) وبهذه المناسبة أجريت فيه أعمال التصليح والترميم ولا تزال عناية جلالته تتوالى بهذا الجامع فأمر حفظه الله بنزع ملكية المبانى اللازمة ليصبح الجامع خاليا من جهاته الأربع فى وسط ميدان عرضه من كل جهاته عشرون مترا غير الميادين التى ستفتح أمام أبوابه العمومية وقد أزيلت المبانى من الجهة الشرقية واستبدلت بها الآن حديقة ولا يزال العمل جاريا لاحياء وتجديد هذا المسجد نظرا لما يشتمل عليه من بدائع الصناعة الشرقية ، ونفائس التحف الفنية القديمة التى تعتبر نموذجا للمجهودات الشرقية والفن العربى القديم (راجع تاريخ ووصف الجامع الطولونى تأليف محمود عكوش افندى) .

العسكر وصار منزلا لأمراء مصر من بعد أبى عون وصار العسكر مدينة ذات أسواق ودور عظيمة، وفيه أيضا بنى الأمير أحمد بن طولون بيمارستانه[1]، وكان البيمارستان المذكور بالقرب من بركة قارون[2] التى صارت الآن كيمانا وبعضها بركة على يسار من مشى من حدرة ابن قميحة[3] يريد قنطرة السد، وعلى هذه البركة بنى كافور الإخشيدى دارا[4] صرف عليها مائة ألف دينار وسكنها، وزادت العمائر فى العسكر إلى أن ولى أحمد بن طولون وقدم إلى مصر من العراق، فنزل على عادة الأمراء بدار الإمارة بالعسكر، فما زال بها أحمد بن طولون الى أن بنى القصر والميدان[5]

(١٧٨)

(١) لم يبق من آثار أحمد بن طولون غير جامعه العظيم الذى اعتنت به الآن لجنة حفظ الآثار العربية أكبر عناية . وقد ذكر جميع آثاره سعيد القاص فى قصيدته التى ذكرها الكندى فى كتابه الولاة والقضاة (ص ٢٥٧) والمقريزى (ج ١ ص ٣٢٣) . وقد ورد فيها عن مارستانه ما نصه :

ولا تنس «مارستانه» وآتساعه ✽ وتوسعة الأرزاق للحول والشهر
وما فيه من قوامه وكفاته ✽ ورفقهم بالمعتفين ذوى الفقر
فللميت المقبور حسن جهازه ✽ وللحىّ رفق فى علاج وفى جبر

(وراجع المقريزى أيضا ج ٢ ص ٤٠٥) . (٢) راجع ما كتب عن هذه البركة فى الخطط التوفيقية للرحوم على مبارك باشا (ج ٢ ص ١١٨) . (٣) تقع خلف جامع ابن طولون ومدرسة صرغتمش يصعد منها الى قلعة الكبش وشارع الزيادة (راجع الخطط التوفيقية ج ٢ ص ١١٨) .
(٤) راجع الكلام عن دار كافور الاخشيدى فى الخطط التوفيقية (ج ٢ ص ١١٩) .

(٥) القصر والميدان — لما قدم أحمد بن طولون من العراق أميرا على مصر سنة ٢٥٤ ﻫ نزل دار الامارة بالعسكر وكان لها باب الى الجامع، ولما ضاق عليه العسكر لكثرة أتباعه وحاشيته، ويحتمل أنه رآه غير حصين، تحوّل عنه وآتخذ لاقامته مكانا منعزلا فسيح الأرجاء حيث يوجد الآن ميدان صلاح الدين الذى عرف بالرميلة وقره ميدان والمنشية . وكان فضاء يمتدّ الى ما وراء جامع السلطان حسن الآن فأمر بحرث ما فيه من قبور اليهود والنصارى واختط موضعها قصرا عظيما يحميه من ورائه الشرف الذى بنيت عليه القلعة وكان وقتئذ يكاد يكون مهجورا . وليس فى وسعنا تعيين موقعه على وجه أوضح من ذلك لأن أقوال أصحاب الخطط عنه لم يرد فيها إلا أنه كان تحت قبة الهواء التى صار مكانها قلعة الجبل المعروفة الآن بقلعة القاهرة .

وحوّل أحمد بن طولون السهل الممتد بين هذا القصر وجبل يشكر الى ميدان كبير يضرب فيه بالصوالجة (الكرة) وتأنق فى بنائه تأنقا زائدا وقد خربا ولم يبق لهما أثر . وكان البدء بهدم الميدان فى شهر رمضان سنة ٢٩٣ ﻫ (راجع الكندى ص ٢٦٣ وتاريخ ووصف الجامع الطولونى تأليف محمود عكوش افندى المهندس بلجنة حفظ الآثار العربية) .

بالقطائع[1] وتحول اليها ، ودام بها الى أن مات وولى ابنه خمارويه بن أحمد بن طولون وجعل دار الإمارة بالعسكر ديوان الخراج ، يأتى ذكر ذلك فى ترجمتهما إن شاء الله تعالى .

فلما زالت دولة بنى طولون وولى محمد بن سليمان الكاتب الآتى ذكره سكن بدار فى العسكر عند المصلّى القديمة حيث الكوم المطلّ الآن على قبر القاضى بكّار[2] بن قتيبة ، ومازالت الأمراء بعد ذلك تنزل بالعسكر الى أن قدم القائد جَوْهر المُعِزّى من المغرب الى مصر وبنى القاهرة المُعِزّية فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة . انتهى أمر العسكر وسبب بُنْيانه باختصار ، وهذا التعريف بالعسكر مقدّمة لما يأتى بعد ذلك من سكن أمراء مصر به .

وأما أبو عون فانه لما أرسل وحارب القبط وقتلهم بسمنود عاد الى مصر ، وبينما هو كذلك فى أموره ورد عليه كتاب الخليفة أبى العباس عبد الله السفّاح بعزله وولاية صالح بن على العباسى ثانيا على مصر على الصلاة والخراج ، ومع ذلك ولاية فِلَسطين أيضا والغرب ، ثم وردت الجيوش من قبل السفّاح مع صالح بن على لغزو المَغْرب ، وكانت ولاية أبى عون على مصر فى هذه المرة الأولى ثلاث سنين إلا

---

(١) كانت القطائع تمتد غربى قلعة الجبل يحدها من الشمال خط ينطبق عليه شارع الصليبة ومن الغرب نواحى المشهد الزينبى ومن الجنوب العسكر . وبقيت القطائع عامرة الى أن وقعت الشدة العظمى ، ويراد بها الوباء والفتن التى حلت بمصر فى عهد المستنصر الفاطمى مدة سبع سنين من سنة ٤٥٧ — ٤٦٤ ﻫ ، فخربت هى والعسكر وظاهر مصر مما يلى القرافة ثم نقل ما فى هذه الأماكن من الأنقاض وصارت فضاء وكيانا فيما بين مصر والقاهرة وفيما بين مصر والقرافة .

(٢) هو بكار بن قتيبة ولاه المتوكل القضاء فى مصر سنة ٢٤٦ ﻫ فبق بها الى أن توفى سنة ٢٧٠ ﻫ . وقد أفرد له أحمد بن عبد الرحمن بن برد ترجمة فى ذيل كتاب الولاة والقضاة للكندى (ص ٤٧٧) وابن خلكان (ج ١ ص ١٠٣ ، ١١٤) وابن حجر « رفع الإصر عن قضاة مصر » (ص ٢٦) .

أربعة أشهر، ويأتى بقية ترجمة أبى عون هذا فى ولايته الثانية على مصر إن شاء الله تعالى .

* * *

حوادث السنة الأولى من ولاية أبى عون

السنة الأولى من ولاية أبى عون على مصر وهى سنة أربع وثلاثين ومائة — على أنه حكم مصر أشهرا من سنة ثلاث وثلاثين ومائة التى ذكرناها فى حوادث صالح بن على . اهـ . فيها (أعنى سنة أربع وثلاثين ومائة) تحوّل الخليفة السفّاح من الحيرة ونزل الأنبارَ وسكَنها . وحجّ بالناس فى هذه السنة عيسى بن موسى العبّاسى . وفيها كانت حروب كثيرة من جهة ملك الصين وغيره كما هى بعوائد أوائل الدول، والسفّاح مشغول فى تمهيد الممالك فى هذه السنة والخالية .

وأما عمّال السفاح فى هذه السنة : على الشأم عبد الله بن على عمّ السفاح ، وعلى مصر أبو عون صاحب الترجمة ، وعلى الجزيرة وأذْرَبيجان أخو الخليفة السفاح ، وعلى ديوان الأموال خالد بن بَرْمك، وعلى خراسان أبو مسلم الخراسانىّ، وعلى البصرة سليمان بن على عمّ السفاح . وفيها توفى يزيد بن يزيد[1] بن جابر الأزدىّ، كان من الزهاد الخائفين البكّائين ، أثنى عليه الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه . وفيها توفّى يونس بن عبيد أبو عبد الله مولى عبد القيس من الطبقة الرابعة من تابعى أهل البصرة، كان يحدّث ثم يقول: أستغفر الله ثلاثا . وفيها كان الطاعون بالرّىّ وأعمالها ومات فيه خلق كثير .

(١٧٩)

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستة أذرع وستة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وعشرة أصابع .

(١) كذا فى الطبقات وتقريب التهذيب . وفى الأصلين : «يزيد بن أبى يزيد» .

+ + +

حوادث السنة الثانية من ولاية أبى عون

السنة الثانية من ولاية أبى عون على مصر وهى سنة خمس وثلاثين ومائة — فيها خلع زياد طاعة الخليفة السفاح بما وراء النهر فتهيأ لحربه أبو مسلم الخراسانى ، وبعث نصر بن راشد الى ترمذ (١) ليحصّنها ، فقاتلته طائفة من الخوارج ، وسار أبو مسلم وحارب زياد بن صالح المذكور وقبض عليه .

وذكر الذهبى هذه الواقعة فى سنة خمس وثلاثين ومائة . وفيها أيضا كانت حركة ملك الصين ، وكان زياد بن صالح المذكور متولّى سمرقند فتهيأ لقتاله وكتب الى أبى مسلم الخراسانى بذلك ، ووقع لهم معه أمور وحروب الى أن انهزم ملك الصين ، كل ذلك قبل خروج زياد بن صالح عن الطاعة . وفيها توفّيت رابعة (٢) العدويّة البصرية الزاهدة العابدة ، وكانت مولاة لآل عتيك ، وكان سفيان الثورى وأقرانه يتأدّبون معها ، وكانت رابعة تصلّى الليل كله فإذا طلع الفجر هجعت فى مُصَلّاها هجعةً خفيفة حتى يُسْفِر الفجر ثم تَثِب الى الصلاة وتقول : يا نفس كم تنامين (٣) ، والى كم لا تقومين ، يوشك أن تنامين نومة لا تقومين منها إلا بصرخة (٤) . وفيها قُتِل سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموىّ ، وكان سليمان مُبَايِنًا لمروان الحمار والتجأ لبنى العباس فأمّنه السفّاح وصار يجالسه ، فأرسل اليه أبو مسلم الخراسانى يقول : قد بقى من الشجرة الملعونة فرع ، فى كلام طويل ، فلم يلتفت السفاح الى كلامه فدسّ أبو مسلم الى سُدَيْف الشاعر مالا وقال له : قل فى هذا المعنى شعرا ، فأنشد سديف المذكور السفّاحَ وأشار الى سليمان :

---

(١) ترمذ : مدينة مشهورة من أمهات المدن راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقى .

(٢) هى أم الخير رابعة بنت اسماعيل كما فى وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ١ ص ٢٥٦) .

(٣) فى ابن خلكان : « تنامين » .

(٤) فى ابن خلكان : « لصرخة » .

لا يَغُرَّنْك ما تَرى من رجالٍ * إن تحت الضلوع داءً دَوِيًّا
فضَعِ السيفَ وٱرفعِ السَّوْطَ حتى * لا تَرى فوق ظهرها أُمَوِيًّا

فكان ذلك سبب قتله فضرب السفّاحُ عنقَه وعنق ولَدَيْه وصلَبهم . وفيها تُوفّى عطاء الخراسانى البَجَلىّ أبو عثمان بن أبى مسلم مَيْسرة مولى المهلّب بن أبى صُفْرة من الطبقة الثانية من تابعى أهل الشام، كان عالما زاهدا فقيه أهل خراسان .

§أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربعة أذرع واثنا عشر إصبعا ، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وثلاثة أصابع .

ذكر ولاية صالح بن علىّ العباسىّ ثانيا على مصر

ذكر ولاية صالح ابن على الثانية

وليها ثانيا من قِبَل السفاح فقدم مصر بجيوش كثيرة من فلسطين لغزو بلاد المغرب ، وكان قدومه الى مصر فى يوم خامس شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ومائة ، ولما دخل مصر أقرّ عكرمة على شرطته بالفسطاط وجعل على شرطته بالعسكر يزيد بن هانىء الكندى ، وولّى أبا عون المعزولَ عن إمرة مصر جيوشَ المغرب وقدّمه صالحُ المذكور أمامه الى نحو إفريقيّة ، وكان خروج أبى عون بجيوشه الى نحو المغرب فى جُمادى الآخرة من سنة ست وثلاثين وجُهّزت المراكب من اسكندرية الى بَرْقة ، وبينما هم فى ذلك قدِم الخبر بموت أمير المؤمنين عبد الله السفاح فى ذى الحجة وٱستخلاف أبى جعفر المنصور، فأقرّ أبو جعفر المنصور عمّه صالح بن على هذا على عمل مصر على عادته وكتب الى أبى عون بالرجوع عن غزو إفريقية ، فأرسل صالح الى أبى عون بالخبر، فأقام أبو عون ببرقة أحد عشر شهرا ثم عاد الى مصر بجيشه ، فجهّزه صالح هذا الى فلسطين لحرب الخوارج بها ، فسار أبو عون وحاربهم وهزمهم وقتل منهم مَقْتَلة عظيمةً ، وسيّر الى مصر

منهم ثلاثة آلاف رأس، ثم خرج صالح بن على بعد ذلك من مصر الى فلسطين واستخلف ابنه الفضل على صلاة مصر، فسافر حتى بلغ بلبيس ثم رجع الى مصر وأقام بها الى أن خرج منها ثانيا لأربع خلون من شهر رمضان سنة سبع وثلاثين ومائة فلق أبا عون فأمّره على صلاة مصر وخراجها معا ومضى إلى فلسطين، ودخل أبو عون الفسطاط لأربع بقين من شهر رمضان من سنة سبع وثلاثين ومائة ٥ وسكن العسكر ودام على إمرة مصر، واستمرّ صالح بن على بفلسطين الى أن أمّره المنصور بالتوجّه لغزو الروم فى سنة ثمان وثلاثين ومائة فخرج صالح حتى نزل مرج دابق، وأقبلت جيوش الروم مع ملكهم قسطنطين فى مائة ألف، فلقيه صالح هذا بالمسلمين ونصره الله تعالى على الروم فقتل منهم وسبى وغنم، ثم حجّ بالناس فى سنة إحدى وأربعين ومائة ثم غزا الرومَ والصائفة غير مرة، وهو الذى بنى ١٠ حصن دابق ومات وهو عامل حمص بقنّسرين، وقيل مات بعين أباغ[1]، وقد بلغ ثمانيا وخمسين سنة، واستخلف ابنه الفضل على حمص فأقرّه الخليفة أبو جعفر المنصور على ذلك، وكان صالح صالحا فاضلا، وله رواية أسند عن أبيه، وروى عنه ابناه اسماعيل وعبد الملك، وهو عم السفاح والمنصور.

*
* *
١٥

حوادث السنة الأولى من ولاية صالح بن على الثانية

السنة الأولى من ولاية صالح بن على العبّاسىّ الثانية على مصر وهى سنة ست وثلاثين ومائة — على أن أبا عون حكم منها أشهرا على مصر. فيها بايع أهل دمشق هاشمَ بن يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان لمّا بلغهم موت السفّاح. وحكى الذهبى ذلك فى سنة سبع وثلاثين ومائة اه. فتوجّه صالح ابن على من فلسطين بالجيوش الى الشام، فلما أظلّهم صالح بالجيوش وهربوا ملك

(١) عين أباغ: واد وراء الانبار على طريق الفرات الى الشام.

صالح الشام بعد أمور صدرت . وفيها دعا عبد الله بن على العباسى عمّ السفاح لنفسه وقال : إن السفاح قال : من آنتَدب لمروان الحمار فهو ولىّ عهدى من بعـدى، وعلى هـذا خرجتُ ، فلمـا بلغ الخليفةَ أبا جعفر المنصور ذلك قال لأبى مسـلم الخراسانى : فإنمـا هو أنا وأنت ، فسار أبو مسـلم نحو عبـد الله بن على المذكور ٥ فوقع له معه وقْعة هائلة كاد أن ينهزم فيها أبو مسلم، ثم كان النصر له وانهزم عبد الله (١٨١) ابن على، فلما بلغ المنصورَ ذلك بعث لأبى مسـلم الخراسانى بولاية مصر والشأم معا فأظهر أبو مسـلم الغضبَ وقال : يولّينى مصرَ والشام وأنا لى خراسان! وعزم على الشر، وقيل : بل شتم المنصور لمـا جاءه من عنـده مَنْ يُحصِى الغنائمَ ، وأجمع على الخلاف ثم طلب خراسان ، وخرج المنصور الى المدائن وكتب الى أبى مسلم ليَقْدَم ١٠ عليه فى طريقه، فردّ عليه الجواب : إنه لم يبق لأمير المؤمنين عدوّ، وقد كنّا نروى عن ملوك آل ساسان(١) أنه أخوف ما يكون الوزراء اذا سكنت الدَّهْمـاء ؛ فنحن نافرون من قربك ، حريصون على الوفاء بعهـدك ما وفَيتَ، فإن أرضاك ذلك فإنّا أحسـن عبيدك ، و إن أبيتَ نقضتُ ما أبرمتُ من عهدك(٢) . فردّ عليـه المنصور الجواب يطمّنه مع جرير بن يزيد البجلى ، وكان واحد وقته لخدعه .

١٥ وأما عبد الله بن على وأخوه عبد الصمد، فقصد عبدُ الصمد الكوفة فاستأمن له عيسى بن موسى فأمّنه المنصور ، وتوجّه عبد الله بن على الى أخيه سليمان بن على متولّى البصرة فآختفى عنده ، والصحيح أن هذه الفتنة كان ابتداؤها فى أواخر هذه السـنة غير أن الوقعة والهرب كانا فى سنة سبع وثلاثين ومائة . وفيها توفّى الخليفة أمير المؤمنين أبو العباس عبد الله السـفاح بن محمد بن على بن عبـد الله بن العباس ٢٠ الهاشمىّ العبّاسى . أوّل خلفاء بنى العباس، مات فى ذى الحجـة وله ثلاث وثلاثون

(١) كذا فى الطبرى وتاريخ الاسلام للذهبى . وفى الأصل : « خراسان » وهو تحريف .
(٢) ورد هذا الخطاب فى الطبرى باسهاب (ج ١ ص ١٠٣ من القسم الثالث) .

سـنة ، وكانت خلافته أربع سنين[(١)]، فانه ولي فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة قبل قتل مروان الحمار، و به كان انقراض دولة بنى أميـة، وكان أبوه محمـد بن على، بُويع بالخلافة قبل موته بسنتين[(٢)] فلم يتمّ أمره ، وعهد عند موته لابنه السفاح[(٣)] هـذا قبل أبى جعفر المنصور، وكان أسنّ من السفّاح ولما مات [السفّاح][(٤)] هذا، ولى أخوه أبو جعفر المنصور الخلافة من بعده . ٥

§ أمر النيـل فى هذه السنة — المـاء القديم أربعـة أذرع وثمـانية أصابع ، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وثمانية أصابع .

***

حوادث السنة الثانية من ولاية صالح بن على الثانية

السـنة الثـانية من ولاية صالح بن على العباسى على مصر وهى سنة سبع وثلاثين ومائة — فيهـا قدم الخليفة أبو جعفر المنصور الكوفةَ وتأخّر بعده أبو مسلم ١٠ الخراسانى بأيام ؛ وكانا تلك السـنة معًا فى الحج فأتاهما الخبر بموت السفّاح و بخلافة المنصور . وقد ذكرنا خروجَ عبد الله بن على العباسىّ على أبى جعفر المنصور فى العام المـاضى وهو وهم، و إن كان خروجه كان فى آخر السنة المـاضية فما واقعه أبو مسلم إلا فى هذه السنة . اهـ . وفيهـا حجّ بالناس اسماعيل بن على وهو أمير الموصـل ، وكان أمير المدينـة فى هذه السنة زياد بن على ، وأمير مكة العباس بن عبـد الله ، ١٥ ومات فى آخر السـنة ، فأضاف أبو جعفر المنصور مكة الى زياد ، وكان على

---

(١) فى الطبرى (ق ٣ ج ١ ص ٨٨) : كانت ولايته من لدن قتل مروان بن محمد الى أن توفى أربع سنين ومن لدن بويع له بالخلافة الى أن مات أربع سنين وثمانيـة أشهر ، وقال بعضهم : وتسعة أشهر .
(٢) فى ف : « بسنين » . (٣) كذا فى الاصول وهو تحريف ظاهر، إذ أن محمد بن على أوصى لأبنـه ابراهيم بن محمد الذى قتله مروان بحرّان، وابراهيم هذا هو الذى أوصى لأخيه السفاح . ٢٠
(٤) زيادة عن ف .

الكوفة عيسى بن موسى العباسى ، وعلى البصرة سليمان بن على عم المنصور ، وعلى خراسان أبو داود ، وعلى مصر صالح صاحب الترجمة ، وعلى الجزيرة حُمَيد بن قَحْطبة .

قتل أبى مسلم الخراسانى

وفيها قتل الخليفة أبو جعفر المنصور أبا مسلم الخراسانى وولّى أبا داود خالد بن ابراهيم خراسان عِوَضه ، واسم أبى مسلم عبد الرحمن وهو صاحب دعوة بنى العباس ٥ وأحد من قام بأمرهم حتى تمّ له ذلك ووطّأ لهم البلاد وقتل العباد وقصّة قِتْلته تطول . وكان أبو مسلم شابا جبّارا مقداما شجاعا عارفا صاحبَ رأى وتدبير ودهاء ومكر وعقل وحِذق ، قيل إنه كان يجامع فى السنة مرة واحدة مع كثرة جواريه ، فقيل له فى ذلك ، فقال : يكفى الشخص أن يجنّ فى السنة مرة . ويحكى أن أبا جعفر المنصور لما قتله أدرجه فى بِساط وطلب جعفرَ بن حنظلةَ ، فقال ١٠ أبو جعفر المنصور : ما تقول فى أمر أبى مسلم؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كنتَ أخذتَ من رأسه شعرة فاْقتل ثم اْقتل ، فقال المنصور : وفّقك الله هاهو فى البساط ، فلما نظر اليه قتيلا قال : يا أمير المؤمنين ، هذا أوّل[1] خلافتك ، فأنشد المنصور :

فألقت عصاها واستقربها النوى * كما قرّ عينًا بالإياب المسافرُ[2]

ثم أنشد المنصور ثانيا و بين يديه وجوه دولته وأعوانُ مملكته وأعيانُها ١٥ وأقاربُه :

زَعمتَ أنّ الدَّيْن لا يُقتضى * فاَسْتَوفِ بالكَيْل أبا مُجْرِمِ

اِشربْ بكأس كنتَ تَسقى بها * أمَرّ فى الحَلْق من العَلْقمِ

واْختُلف فى اسم أبى مسلم واسم أبيه ، فقيل : اسمه عبد الرحمن بن مسلم بن شقيرون بن إسفنديار ، وقيل : عبد الرحمن بن عثمان بن يَسار ، وقيل : عبد الرحمن

(١) فى الطبرى (ق ٣ ج ١ ص ١١٦) : عدّ من هذا اليوم لخلافتك . (٢) ذكر الآمدى ٢٠ أن البيت لمعقر بن حمار البارقى . وقال ابن برى : هذا البيت لعبد ربه السلمى ، و يقال لسليم بن ثمامة الحنفى (راجع لسان العرب مادة عصا) .

ابن محمد . وسمّاه أبو بكر الخطيب إبراهيم بن عثمان بن يسار بن سَدوس بن جودر[1] من ولد يَزْدَجِرْد[2] . وقيل : إنما سماه عبدُ الرحمن الإمامُ إبراهيم بن محمد بن على العبّاسىّ ، وكنّاه : أبا مسلم ، وكانت كنيته : أبا اسحاق ، وكان مولده سنة مائة بأصْبهان . اه . وفيها توفّى صفوان بن صالح بن صفوان أبو عبد الملك الدمشقىّ الثقفىّ ولد سنة ست وسبعين ، وكان فقيها زاهدا عابدا ، وكان يؤذّن بجامع دمشق .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربعة أذرع وستة أصابع ، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وستة أصابع .

ذكر ولاية أبى عون الثانية على مصر

ذكر ولاية أبى عون الثانيـة

كانت ولايتُه هذه الثانية على مصر من قِبَل صالح بن علىّ العباسىّ لما توجّه الى فلسطين كما تقدّم ذكره ، ثم أقرّه الخليفةُ أبو جعفر المنصور على إمْرة مصر على صلاتها وخراجها معا ، وكان يوم دخول أبى عون المذكور الى مصر يوم سادس عشرين شهر رمضان من سنة سبع وثلاثين ومائة ، وجعل على شُرطته عِكْرِمة بن عبد الله وعلى الدواوين عطاءَ بن شُرَحْبيل ، ودام أبو عون على صلاة مصر وخَراجها معا الى أن قدم الخليفةُ أبو جعفر المنصور الى بيت المقدس ، فكتب بطلب أبى عون المذكور الى عنده ببيت المقدس وأمره بأن يَسْتخْلِف على مصر ، فاستخلف أبو عون المذكور عكرمةَ على الصلاة وعطاءَ بن شرحبيل على الخراج ، وخرج من مصر فى النصف من شهر ربيع الأوّل سنة إحدى وأربعين ومائة ، فلما وصل أبو عون الى المنصور ببيت المقدس عزله عن إمرة مصر وولّى عليها موسى بن كعب ، فكانت ولايته

(١٨٣)

(١) فى ابن خلكان (ج ١ ص ٣٩٧) : «جودرن» بزيادة النون . (٢) فى ابن خلكان : «بزرجمهر» .

هذه الثانية على مصر ثلاث سنين وستة أشهر، ودام أبو عون فى صحبة الخليفة أبى جعفر المنصور، وحضر وقعة الرّاوَنْديّة مع المنصور، والرّاوندية : قوم من أهل خراسان على رأى أبى مسلم صاحب الدعوة يأتى ذكرهم فى الحوادث فى سنة الواقعة مع المنصور .

٥

* * *

حوادث السنة الأولى من ولاية أبى عون الثانية

السنة الأولى من ولاية أبى عون الثانية على مصر وهى سنة ثمان وثلاثين ومائة — فيها بعث أبو جعفر المنصور لقتال مُلَبَّد الشَّيْبانىّ خازمَ بن خُزَيمة، فسار خازم فى ثمانية آلاف فارس، وكان ملبّد هذا قد خرج على المنصور من أوّل خلافته فالتقوا فقُتل ملبّد بعد حروب كثيرة . وفيها غزا صالح بن علىّ الروم على دابق[1]، وقد تقدّم ذكرُ ذلك فى ترجمته وأخذ مَلَطْيَة، وكانت الروم أخذوها من مدّة سنين . وفيها حجّ بالناس الفضلُ بن صالح بن علىّ العباسىّ من الشام من عند أبيه . وفيها توفّى زيد ابن واقد الدمشقىّ ؛ وفيها ظهر عبد الله بن على العباسىّ وبعث بالبَيْعة مع أخيه سليمان متولّى البصرة إلى أبى جعفر المنصور فأمنه أبو جعفر المذكور وعفا عنه . وفيها دخل عبد الرحمن[2] بن معاوية الأُموىّ الى الأندلس واستولى عليها وامتدّت أيامُه وبقيت الأندلُس فى يد أولاده الى بعد الأربعمائة، وكان هرب من بنى العباس الى المغرب ودخل الأندلسَ، فسُمِّىَ بعبد الرحمن الداخل، يأتى ذكرُه وذكرُ أولاده من بعده فى عدّة أماكن من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

١٠

١٥

وذكر الذهبىُّ وفاةَ جماعة كثيرة فى هذه السنة، قال : وتوفّى زيد بن واقد القرشىّ بدمشق، وسُهَيل بن أبى صالح فى قول، وسليمان بن فَيْرُوز أبو إسحاق

٢٠

(١) دابق : قرية قرب حلب من أعمال عزاز بينها و بين حلب أربعة فراسخ عندها مرج معشب نزه كان ينزله بنو مروان اذا غزوا الصائفة الى ثغر المصيصة . (٢) هو عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان .

الشيبانىّ[1] فى قول، والعَلاء بن عبد الرحمن المَدَنىّ، وعبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله المخزومىّ فى قول، وعَلْقَمَة بن أبى علقمة فى قول، وعمرو بن أبى عمرو مولى المطلب فى قول، وليث بن أبى سُلَيْم فى قول[2]، والمِسْوَر بن رِفاعة القُرَظىّ المَدَنىّ.

§ أمر النيل فى هذه السنة الماء القديم ثلاثة أذرع وأربعة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وسبعة أصابع. ٥

* * *

حوادث السنة الثانية من ولاية أبى عون الثانية

السنة الثانية من ولاية أبى عون الثانية على مصر وهى سنة تسع وثلاثين ومائة — فيها خرج جعفر بن حَنْظلة البَهْرانى[3] فأتى مَلَطْيَة وهى خراب فعسكر بها، وأقبل الأمير عبد الواحد فنزل على مَلَطْية فزرع أرضها وطبخ كِلْسا لبناء سورها، ثم خرج عنها لأمر اقتضى ذلك، فأرسل طائفة الروم من أحرق الزرع. وفيها خرج الأمير ١٠ صالح بن على المقدّم ذكره والعباس بن محمد فأوغلا فى بلاد الروم، وغزَتا معهما أُمّ عيسى ولُبابةُ أختا الأمير صالح بن على المذكور وعمّتا المنصور الخليفة، وكانتا نَذَرتا إن زال ملكُ بنى أميّة أن تُجاهدا فى سبيل الله، وبعد هذا العام لم يكن غزو (١٨٤) الى سنة ست وأربعين ومائة لاشتغال الخليفة المنصور بخروج ابنىْ عبد الله بن الحسن عليه. وفيها عزل المنصور عمّه سليمانَ بن علىّ عن البصرة وولّى عليها سفيانَ ١٥ ابن سعيد. وفيها اختفى عبدُ الله بن علىّ وابنُه خوفا على أنفسهما، وعبدُ الله هذا هو الذى كان خرج على المنصور واختفى عند أخيه سليمان الذى عُزِل عن البصرة فى هذا العام ثم ظفر به المنصور وسجنه. وفيها حجّ بالناس العباسُ ابن أخى المنصور.

(١) كذا فى ف وتاريخ الاسلام للذهبى. وفى م: «الشيرازى».

(٢) فى م: «فى قولٍ مطين». (٣) كذا فى الطبرى وابن الأثير فى كثير من المواضع. ٢٠ وفى الأصلين: «المهرانى» بالميم ولعله تحريف.

وفيها فى قول صاحب المرآة : وصل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان الى جزيرة الأندلس وملكها ، ويُسمى عبد الرحمن الداخل ، وكنيتُه أبو المُطَرِّف[1]، وأمُّه أمُّ ولدٍ وبُويع بالأندلس فى هذه السنة ، وهو أوّل الخلفاء من بنى أمية وأقام عليها ثلاثا وثلاثين سنة ، وقد تقدّم ذكر عبد الرحمن هذا فى الماضية فى قول الذهبى . وفيها وسّع الخليفةُ أبو جعفر المنصور المسجدَ الحرامَ مما يَلِى دار النَّدْوة . وفيها توفّى عثمان بن عبد الأعلى بن سُراقة الأزْدِىّ قاضى دمشق فى أيام الوليد بن يزيد . وفيها توفى عمرو بن مُهَاجر بن دينار أبو عُبَيْد ، من الطبقة الرابعة من تابعى أهل الشام .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثلاثة أذرع وأحد عشر إصبعا ، مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعا وعشرون إصبعا .

***

حوادث السنة الثالثة من ولاية أبى عون الثانية

السنة الثالثة من ولاية أبى عون الثانية على مصر وهى سنة أربعين ومائة — فيها بَنَى المَصِّيصةَ[2] جبريلُ بن يحيى وسكّنها الناسَ . وفيها ثار جَمْعٌ من جند خراسان على أميرها أبى داود خالد بن إبراهيم ليلا حتى وصلوا الى داره فأشرف عليهم وجعل يُنادى أصحابَه فانكسرت به آجُرّة فوقع من أعلى داره فانكسر ظهرُه ومات من الغد ، فبعث الخليفةُ أبو جعفر المنصور على إمرة خراسان عِوَضَه عبدَ الجبّار بن عبد الرحمن

(١) كذا فى ف . وفى م : «الطرف» .

(٢) عبارة ابن الأثير فى حوادث سنة ١٤٠ ما نصه : «وفيها أمر المنصور بعمارة مدينة المصيصة على يد جبريل بن يحيى وكان سورها قد تشعث من الزلازل ... الخ» وهى مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين انطاكية و بلاد الروم تقارب طرسوس وهى خصبة جدا على شرف من الأرض ينظر منها الجالس فى مسجد الجامع الى قرب البحر نحو أربعة فراسخ ومنها القراء المصيصية المشهورة (راجع معجم البلدان لياقوت وتقويم البلدان لأبى الفدا اسماعيل) .

الأزدىّ ، فسار المذكور وقبض على جماعة من أهل خراسان وقتلهم . وفيها توجّه الأميرُ عبدُ الوهاب بن إبراهيم بن محمد العبّاسىّ ابن أخى الخليفة أبى جعفر المنصور الى مَلَطْية فأقام بها سنة حتى بناها ورَمّ شَعَثَها وأسكنها الناسَ . وفيها حجّ بالناس الخليفةُ أبو جعفر المنصور وعاد من الحج فزار بيت المقدس وسلك الشامَ فى طريقه ونزل الرَّقّة فقتل بها منصورَ بن جعفر العامرىّ ثم سار الى الهاشميّة وهى مدينة الكوفة وأمر بالشروع فى بناء مدينة بغداد وٱختطّها . ٥

مدينة بغداد وبناؤها

وذكر الذهبىّ بناءَ بغداد فى سنة خمس وأربعين ومائة قال : وفى هذه السنة أُسّسَتْ مدينة السلام بغداد وهى التى تُدعى مدينة المنصور، سار المنصور يطلب موضعا يتّخذه بلدا فبات ليلةً موضعَ القصر، فطاب له المبيت ولم يرَ إلا ما يُحبّ ، فقال : ها هنا ابنوا فإنه طيّب ويأتيه مادّةُ الفرات ودجلة والأنهار ، فخطّ بغداد ووضع أوّل لَبِنَة بيده وقال : بسم الله وبالله والحمد لله آبنوا على بركة الله ؛ وسأل راهبًا هناك عن أمر الأرض وصحّتها وقال : هل تجدون فى كتابكم[1] أن تُبْنى ها هنا مدينة ؟ قال : نعم؛ يبنيها مِقْلاصٌ[2]، قال : فأنا[3] كنت أُدعى بذلك، وطلب المنصورُ الصُّنّاع والفَعَلة من البلاد وأحضر المهندسين والحكماء والعلماء، وكان فيمن أُحْضِر حَجّاج بن أرْطاة وأبو حنيفة، ورُسِمت له بالرماد سورُها وأبوابُها وأسواقُها، ثم بُنِيت حتى كَمَل المُهِمُّ منها فى عام والباقى فى أربع سنين ، وكانت بقعة بغداد مزرعة تُدعى المباركة لستين نفسا فعوّضهم المنصورُ عنها وأرضاهم، وقيل : إنه ليس فى الدنيا مدينة مدوّرة سواها، وعمِل فى وسطها دار المملكة بحيث إنه اذا كان فى قصره كان ١٠ ١٥

(١) فى ف : « كتبكم » . (٢) ذكر ياقوت فى معجمه فى الكلام على بغداد (ج ١ ص ٦٨) : أن مقلاص اسم لص وأن أبا جعفر كان يدعى بهذا الاسم فى كلام كثير . ٢٠
(٣) فى ف : «فاذا» .

جميع أطراف البلد إليه سَواء، وسكنها المنصور ونقل إليها خزائنَه، وقيل مَسَحتُها مائة وثلاثون جَرِيبا، وأنفق عليها[(١)] مائة ألف ألف درهم .

وقال بدر المعتضدىّ قال لنا أمير المؤمنين : انظروا كم سَعَة مدينة المنصور؟ فحسبنا فإذا هي ميلان مكسران في ميلين ، وقيل : مسافة ما بين كل باب و باب ألف ومائتا ذراع، وكلّها مبنية بالآجر واللّبِن، واللّبِنة ذراع في ذراع، وزنتها مائة رطل وسبعة عشر رطلا . ولها أربعة أبواب بين الباب والباب ثمانية وعشرون برجا وعليها سُوران، ثم بنى الجامعَ والقصر، وفى صدر القصر القبّةُ الخضراء، آرتفاعها ثمانون ذراعا، ودامت حتى سقَط رأسُها في ليلة مطر ورعد في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة؛ وكان لا يدخل هذه المدينة أحدٌ[(٢)] راكبا سوى المنصور وابنه محمد المهدىّ .

وقال الصُّولى قال أحمد بن أبي طاهر[(٣)] : ذَرْع بغداد — يعنى الجديدة — ذَرْع الجانبين ثلاثة وخمسون ألف جريب ، وفى نسخة أخرى غير رواية الصّولى : أنها من الجانبين ثلاثة وأربعون ألف جَرِيب وسبعمائة، قال الصّولى وذكر آبن أبي طاهر[(٤)] : أن عدد حَمّاماتها كانت ذلك الوقت ستين ألفا ، وقال : أقلّ ما يدير كل حمام خمسة أنفس، وذكر أن بإزاء كل حمّام خمسةَ مساجد .

قال الذهبىّ : وكذا نقَل الخطيبُ في تاريخه، وما أعتقد أنا هذا قط ولا عُشْر ذلك، ثم قال الخطيب : حدّثنى هلال بن الحسن[(٥)] قال : كنت بحضرة جدّى إبراهيم

---

(١) فى ف : ثمانية عشر ألف ألف وفى ياقوت : أنه أنفق عليها ثمانية عشر ألف ألف دينار وفى رواية أخرى : أربعة ألف ألف وثمانمائة وثلاثة وثمانين ألف درهم . (٢) قال ياقوت : لم يدخلها أحد راكبا إلا داود بن على عم المنصور متفرسا وكان يحمل فى محفة وكذلك محمد المهدى ابنه . (راجع معجم البلدان ج ١ ص ٦٨٤) . (٣) كذا فى هامش م وهو الموافق لما فى كتاب بغداد لأحمد ابن أبى طاهر المتقدم وفيما سيأتى وفى م : أحمد بن طاهر وفى ف : أحمد بن أبى صالح وكلاهما تحريف . (٤) كذا فى الذهبى وهو الصواب . وفى الأصول: «يريد» بالراء . (٥) فى الذهبى : «المحسن» بالميم .

ابن هلال الصابى فقال تاجر : يذكر أن ببغداد اليوم ثلاثة آلاف حمّام فقال جَدّى : سبحان الله! هذا سُدُس ما كنّا عددناه وحصرناه زمن الوزير المهلّبيّ، ثم كانت فى دولة عَضُد الدولة بن بُوَيْه خمسة آلاف . ونقل ابنُ خِلّكان أن استكمال بغداد كان فى سنة تسع وأربعين ومائة، وهى بغداد القديمة التى بالجانب الغربىّ على دجلة، وبغدادُ اليوم هى الجديدة بالجانب الشرقىّ؛ وفيها دار الخلافة . انتهى كلام الذهبى ٥ وغيرُه باختصار . وقد خرجنا عن المقصود فى هذا الكتاب لكثرة الفوائد . وفيها توفّى منصور بن جَعْوَنة بن الحارث بن خالد العامرىّ كان ممّن خرج على بنى العباس وآمتنع عن بَيْعتهم . (١٨٦)

وذكر الذهبىّ وفاةَ جماعة فى هذه السنة قال : وفيها توفى أيّوب أبو العَلاء القصّاب، وداود بن أبى هند[(١)] فى أوّلها، وأبو حازم[(٢)] سلمة بن دينار الأعرج، وسُهَيْل ١٠ ابن أبى صالح، وسعد بن إسحاق بن كعب، وصالح بن كَيْسان، وعُرْوة بن رُوَيْم. وقيل : وفيها توفّى عمارة بن غَزِيّة الأنصارىّ، وعمرو[(٣)] بن قيس السَّكُونىّ الحِمصىّ .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمسة أذرع وثلاثة أصابع، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وعشرون إصبعا ونصف .

ذكر ولاية موسى بن كَعب على مصر ١٥

موسى بن كعب وولايته على مصر

هو موسى بن كعب الأمير أبو عُيَيْنة التَّميمىّ، أحد نقباء بنى العباس ، ولاه الخليفةُ أبو جعفر المنصور على إمْرة مصر بعد عَزْل أبى عون ، فدخل مصرَ

---

(١) هو داود بن أبى هند القشيرىّ كما فى تقريب التهذيب . (٢) كذا فى ف وتاريخ الاسلام للذهبى وتهذيب التهذيب . وفى م : « أبو حازم سلمة » وهو تحريف . (٣) كذا فى ف وتاريخ الاسلام للذهبى والطبرى . وفى م : « عروة بن قيس السلونى » وهو خطأ . ٢٠

لأربع عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين ومائة وسمّاه صاحب "البُغْيَة" موسى بن كعب بن عُيَيْنة . اهـ .

قلت : ووُلّى على صلاة مصر وخراجها معا ، ونزل العسكرَ المقدّمَ ذكرُه وسكنه ، وجعل على شُرْطته عِكْرِمةَ بن عبد الله و باشر أمرَ[1] مصر بحُرمة وافرة ، ونَهى الجندَ[2] أن يتوجّهوا اليه أو يتكلّموا معه إلا فى أمر مُهِمّ ولا يفعلوا به كما كانوا يفعلون[3] بالأمراء من قبله ، فانتهوْا عنه حتى إنه لم يُمَكِّن[4] أحدا أن يجتاز ببابه إلا من له عنده حاجة أو أُذِن له فى ذلك . وموسى هذا هو أوّل من بايع أبا العباس السفّاح بالخلافة فى مبدأ أمره وأخرجه إلى الناس ، وكان هو القائم بأمر بنى العباس مع أبى مسلم الخراسانىّ ، وكان موسى هذا يسافر إلى البلاد ويدعو الناسَ للقيام مع بنى العباس حتى قَبَض[5] عليه أسد بن عبد الله القَسْرىّ عاملُ خراسان يوم ذاك لبنى أمية ، فأمر به أسدٌ فأُلْجِم بلجام وكُسِرت أسنانه وعُوقب ثم أُطْلِق بعد شدائد ، فلما صار الأمر الى بنى العباس أمالوا الدنيا عليه ، وكان قاسى الأهوال بسبب دعوتهم وعُذِّب وحُبِس كما سيأتى ذكره ، وكان يقول لما ولِى مصرَ : كانت لنا أسنان وليس عندنا خبز ، فلما جاء الخبز ذهبت الأسنان ، وكان أبو جعفر المنصور يعظّمه ويُجِلّ مِقداره ، وكان جعله على شُرْطَته ثم ولّاه مصرَ مُكْرهًا وأضاف له السِّند ، فلم تطُل مدّتُه على إمْرة مصر وعزَله أبو جعفر المنصور فى ذى القَعْدة كما سيأتى ذكرُه بمحمد بن الأشعث ، وكتب إليه المنصور : إنى عزلتُك عن غير سخط ، ولكن بلغنى أنّ عاملا[6]

(١) كذا فى ف . وفى م : «وباشر أمره» . (٢) فى الكندى (ص ١٠٨) : وجوه الجند . (٣) فى ف : «وينهى الجند عن الرواح اليه والكلام معه» . (٤) كذا فى ف . وفى م : «حتى إنه لم يكن أحد الخ» . (٥) فى ف : «قبض برقبته» .
(٦) كذا فى الكندى (ص ١٠٨) وهو المناسب للقام . وفى الأصول : «غلاما» .

يُقْتَل بمصر يقال له موسى، فكرِهت أن تكونه ؛ فأخذ موسى كلامَ المنصور لغرض من الأغراض، فقُتل بعد ذلك بسنين موسى بن مُصْعَب ، فى خلافة محمد المهدى كما سيأتى ذكره إن شاء الله، ولما صُرِف موسى بن كعب عن إمْرة مصر آستخلف على الجند خالد بن حبيب وعلى الخراج نَوْفَل بن الفُرات ، وخرج موسى هذا من مصر لستٍّ بَقِين من ذى القعدة سنة إحدى وأربعين ومائة ، وكانت ولايتُه على مصر سبعة أشهر وأياما ، ولما خرج من مصر سار حتى قدِم على الخليفة أبى جعفر المنصور فأكرم الخليفةُ نُزُلَه وولّاه على الشُّرطة ثانيا ، ومات بعد مدّة يسيرة، وقيل : إنه توجّه مريضا فمات فى أثناء قدومه ولم يَلِ الشرطةَ ولا غيرَها، وعلى القولين فإنه مات فى هذه السنة رحمه الله تعالى .

وأما أمرُ موسى هذا مع أسد وكان ذلك فى سنة سبع عشرة ومائة فإنه كان خرج هو وسليمان بن كَثِير ومالك بن الهَيْثم ولاهِزُ بن قُرَيْظ وخالد بن إبراهيم وطَلْحة ابن زُرَيْق فدَعَوا الناسَ لبنى العباس، فظهر أمرُهم فقَبَض عليهم أسدُ بن عبد الله وقال لهم : يافَسَقَة، ألم يقُل الله تعالى : ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ فقال له سليمان بن كَثِير : نحن والله كما قال الشاعر :

لو بغير الماء حلْقِى شَرِقٌ * كنتُ كالغَصّانِ بالماء آعتصارى[1]

صِيدتْ واللهِ العقارب بيديك .

إنا أُناس من قومك وإنّ المُضَرِيّة رفعوا إليك هذا لأننا كنا أشدَّ الناس على قُتَيْبة آبن مُسْلم فطلبوا بثأرهم، فحبسهم وأطلَق من كان معهم من أهل اليمن لأنه كان

(١) كذا فى الطبرى فى حوادث سنة ١١٧ واللسان فى مادتى : «شرق وعصر» والاعتصار : الاستغاثة . والبيت لعدىّ بن زيد وهو المناسب للمعنى ، وفى الأصلين : «بالماء الزلال» .

منهم ، وأراد قتل من كان من مُضَر، فدعا موسى بن كعب هذا وألجمه بلجام حمار وجذب اللجام فتحطمت أسنانه ودُقّ وجهه وأنفُه ، ثم دعا لاهز بن قُرَيْظ وضربه ثلثمائة سوط[1] .

* * *

حوادث سنة ١٤١

السنة التى حكم فيها موسى بن كعب على مصر وهى سنة إحدى وأربعين ومائة فيها كان عزله وولايته . وفيها كانت وقعة الرَّاوَنْدِيّة ببغداد، وهم قوم من خراسان على رأى أبى مسلم الخراسانى، يقولون بتناسخ الأرواح، فيزعمون أن روح آدم عليه السلام حلّت فى عثمان بن نَهِيك، وأنّ المنصور هو ربهم، وأنّ الهيثم بن معاوية هو جبريل، وأتوا قصرَ المنصور وجعلوا يطوفون به، فقبض المنصورُ على مائتين منهم وحبسهم فغضب الباقون، فعمدوا الى نَعْش فارغ وحملوه يزعمون أنها جنازة ومرّوا بها على باب السجن، فشدّوا على أهل السجن بالسلاح حتى فتحوا باب السجن، وأخرجوا أصحابهم وقصدوا المنصور، فخرج اليهم المنصور على غفلة فكانت بينهم وقعةٌ كاد المنصور أن يُقتل فيها ، وقُتل عثمان بن نَهِيك بسهم ثم وضع المنصورُ فيهم السيفَ . وفيها عزل الخليفة أبو جعفر المنصور زياد[2] بن عبيد الله الحارثى عن مكة والمدينة والطائف وولّى محمدَ بن خالد بن عبد الله القَسْرىّ المدينةَ، وولى الهيثم بن معاوية مكّةَ والطائف . وفيها توفى موسى بن عقبة بن أبى عَيّاش المَدَنىّ أبو محمد صاحب المغازى مولى آل الزبير بن العوّام، ومَغازِيه فى مجلد صغير، أدرك سَهْلَ بن سعد وحدّث عن أم خالد بنت خالد وعن عُرْوة وكُرَيْب وأبى سَلَمة بن عبد الرحمن والأعرج وحمزة بن عبد الله بن عمرو الزهرى وخَلْق ، وحدّث عنه ابنُ جُرَيْج والإمامُ مالك وعبد الله بن المبارك وابن عُيَيْنة وغيرهم .

(١) ورد هذا الخبر فى الطبرى بتوسع عما هنا فى حوادث هذه السنة .
(٢) كذا فى الطبرى فى غير موضع . وفى الأصلين : « عبد الله » .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ذراعان وخمسة أصابع، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وثمانية أصابع .

ذكر ولاية محمد بن الأشعث على مصر

ولاية محمد بن الأشعث

هو محمد بن الأَشْعَث بن عُقْبة بن أُهْبان الخُزاعىّ أمير مصر، وليهـا من قِبَل المنصور بعـد عزْل موسى بن كعب التميمىّ، ولّاه أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور على الصـلاة والخراج معا وقدِم مصرَ فى يوم الاثنين خامس ذى الحجّـة من سنة إحدى وأربعين ومائة، وولّى على شرطته المُهَاجر بن عثمان الخُزَاعىّ ثم عزَله وجعل عِوَضه محمدَ بن معاوية الكلاعىّ مكانه. ولمـا آستقرّ محمد بن الأشعث هذا فى إمرة مصر، أرسل الخليفة أبو جعفر المنصور الى نَوْفل بن الفُرات أن يَعْرِض على محمـد بن الأشعث ضَمانَ خَراج مصر، فإن ضمِنه فأشْهِد عليه وأشخص الىّ الشهادة، وإن أبَى فكن أنتَ على الخراج عادتك، فعرض نَوْفل على ابن الأشعث هذا الكلامَ فأبَى من الضَّمان، فانتقل نوفلٌ إلى الدواوين ففقد محمدُ بن الأشعث مَنْ عنده فسأل عنهم، فقيل له : هم عند صاحب الدواوين ، فنَـدِم ابنُ الأشعث على ما وقع منه من تَرْك الخراج، ثم جهّز آبنُ الأشعث جيشا بعَث به الى المغرب فانهزم الجيشُ ، وخرج آبنُ الأشعث يوم الأضحى سنة اثنتين وأربعين ومائة وتوجّه إلى الاسكندرية وآستخلف محمدَ بن معاوية صاحبَ شرطته على الصـلاة ولم يكن إلا القليل ووَرَد عليه البريدُ بعزله عن إمرة مصر، وولى مصرَ عوضه حُمَيْـدُ بن قَحْطَبة وذلك فى أوائل سنة ثلاث وأربعين ومائة ، وخرج محمد بن الأشعث بعد عزله عن مصر وتوجّه الى الخليفة المنصور فأكرمه أبو جعفر المنصـور وجعله من أكابر أمرائه، ودام عنده حتى وجّهه المنصورُ مع ابنه محمـد المهدىّ إلى غزو الروم فتوجّه محمـدُ بن

الأشعث مع المهدىّ هو والحسن بن قَحْطَبة، فمرض ابن الأشعث فى أثناء الطريق ومات، فكانت ولايتُه على مصر سنةً واحدة وشهرا واحدا، وكان عنده نَبَاهةٌ وشجاعة ومعرفة، وهو أحد أكابر أمراء بنى العباس، وقد تقدّم ذكره فى عدّة وقائع، منها واقعة جَهْوَر[1] بن مَرّار[2] العِجْلىّ، وأمره أنه خلع الخليفة المنصور بالرّىّ. وكان سبب ذلك أن جهورا لما هزم سُنباذ حوى ما كان فى عسكره، وكان فيه خزائن أبى مسلم الخراسانى فلم يوجهها الى المنصور، ثم خاف من المنصور فخلَعَه من الخلافة، فوجّه اليه أبو جعفر المنصور محمدَ بن الأشعث هذا فى جيش عظيم، فسار محمد هذا الى نحو الرّىّ، ففارقها جهور وسار نحو أصبهان، ودخل محمد الرىّ وملَك جهور أصبهانَ، فأرسل اليه محمد عسكرا وبقى هو بالرّىّ، فأشار على جهور بعضُ أصحابه أن يسير فى نُخْبة من عسكره الى جهة محمد بن الأشعث فانه فى قلّة، فإن ظفر به فلم يكن [لمن][3] بعده بقية، فسار جهور إليه مُجِدّا، وبلغ محمدا خبره فحذر واحتاط[4] وأتاه عسكر من خراسان فقوِىَ بهم فالتقَوْا بقصر الفيروزان[5] بين الرىّ وأصبهان فاقتتلوا قتالا عظيما، ومع جهور نخبة فرسان العجم، فهُزم جهور وقُتل من أصحابه خَلْقٌ كثير، فهرب جهور ولحق بأذْرَبِيجان ثم قُتل بعد ذلك بأسبار[6] قتلَه أصحابُه وحملوا رأسَه الى أبى جعفر المنصور، ولمحمد هذا عدّةُ مواقف وأمور يطول شرحها.

(١) كذا فى الطبرى (ص ١١٩ من القسم الثالث) وفتوح البلدان للبلاذرى (ص ٣٣٩ طبعة أوربا) ومعجم البلدان لياقوت (ص ٥٠٦ ج ٣ طبعة أوربا) وفى الأصلين وابن الأثير: «جمهور». (٢) كذا فى الطبرى وابن الأثير وفى الأصلين: «مراد» بالدال. (٣) زيادة عن ابن الأثير. (٤) كذا فى ابن الأثير وفى الأصلين: «واحتاطه» بالهاء. (٥) ذكر ياقوت أن فيروزان من قرى أصبهان ثم من ناحية النخان من أحسن القرى وأطيبها هواء وماء، كثيرة الفواكه المعجبة وفيها جامع طيب. (٦) كذا فى م وهو الموافق لما فى ياقوت وهى قرية على باب جَىّ مدينة أصبهان ويقال لها: أسباردبس. وفى ف: أسبادروا وفى الطبرى وابن الأثير: أسباذرو ولم نعثر عليهما فى الكتب التى بين أيدينا.

*
* *

حوادث سنة ١٤٢

السنة التى حكم فيها محمد بن الأشعث على مصر وهى سنة آثنتين وأربعين ومائة — فيها خرج عُيَيْنة بن موسى متولّى السند عن الطاعة، فخرج الخليفةُ أبو جعفر المنصور الى البصرة وجهّز عمرو بن حفص العَتَكى على السّند لمحاربة آبن موسى المذكور، فسار وغلَب على الهند والسّند . وفيها نقض إصْبَهْبَذ طَبَرِسْتان وقَتل من بها من المسلمين، فآنتدِب لحربه خازم بن خُزَيْمة ورَوْح بن حاتم وأبو الخصيب مرزوق مولى المنصور، فحاصروه حتى ظفِروا بالمدينة وقتَلوا وسَبَوا[1]، فلما رأى إصْبَهْبَذ ذلك مَصّ سُمًّا كان فى خاتمه فهلك، وكان من جملة السَّبْى شَكْلَة أمُّ إبراهيم ابن المهدى الآتى ذكرُها وذكرُه فى الحوادث . وفيها ولّى الخليفةُ أبو جعفر المنصور أخاه العباس بن محمد على الجزيرة . وفيها توفّى حُمَيْد بن أبى حُمَيْد الطويل كان ثقةً كثيرَ الحديث، أَسْنَد عن أنس وغيره، وروى عنه الإمامُ مالكٌ وغيرُه .

وذكر الذهبىّ وفاةَ جماعة فى هذه السنة، قال : وفيها توفّى أَسْلَم المِنْقَرىّ، وحبيب بن أبى عَمْرة القَصّاب، والحسن بن عبيد الله، والحسن بن عمرو الفُقَيْمى، وأبو هانئ حُمَيْد بن هانئ الخَوْلانى المصرىّ، وحُمَيْد الطويل فى قول، وخالد الحَذّاء، وسعد بن إسحاق بن كعب فى قول، والأمير سليمان بن على بن عبد الله بن العبّاس، وعاصم بن سليمان الأحول، وعمرو بن عُبَيْد المُعْتَزِلىّ .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماءُ القديم ذراعان وإصبع واحد، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا وثلاثة عشر إصبعا .

---

(١) فى ف : «وسلبوا» .

ذكر ولاية حُمَيْد بن قَحْطَبة على مصر

حميد بن قحطبة وولايته على مصر

هو حميد بن قحطبة بن شَبِيب بن خالد بن مَعْدان الطائى أمير مصر، وليها من قبل الخليفة أبى جعفر المنصور بعد عَزْل محمد بن الأشعث فى أوائل سنة ثلاث وأربعين ومائة، جمع له أبو جعفر المنصور صلاة مصر وخراجها معا ، فدخَل الى مصر فى عشرين ألفا من الجند يوم الجمعة لخمس خَلَوْن من شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين ومائة ، فجعل على الشرطة محمد بن معاوية بن بحير ، وقبل أن تطول مدّتُه بمصر ورد عليه عسكر آخر من قِبَل الخليفة لغزو إفريقية ، وكان قدومُ العسكر المذكور إلى مصر فى شوّال من السنة ، فجهّز حميد العساكر وجعل عليهم أبا الأحوص العَبْدِىّ ، وكان العسكر ستة آلاف فارس، فتوجّه أبو الأحوص بمن معه من العساكر حتى التقى مع أبى الخطاب الأَنْماطى بِبَرْقَة فتقاتلا ، فانهزم أبو الأحوص بمن معه إلى جهة الديار المصرية ، فخرج حُمَيْد بن قحطبة بنفسه حتى وصل إلى برقة والتقى مع أبى الخطاب المذكور، فقاتله حتى هزمه وقتل أبا الخطاب المذكور وجماعةً من أصحابه ، ثم عاد الى مصر منصورا ، فأقام بها الى أن قدم الى مصر علىّ بن محمد بن عبد الله ابن حسن بن الحسن داعيةً لأبيه فدَسّ[1] اليه حميد هذا فتغيب ، فكتب ذلك لأبى جعفر المنصور فغضِب وصرَفه عن إمرة مصر فى ذى القعدة بيزيد بن حاتم ،

(١٩٠)

---

(١) كذا فى الأصلين والمقريزى (ج ١ ص ٣٠٦) والكلام مقتضب غير مفهوم وقد وردت هذه العبارة فى الكندى (ص ١١١) هكذا : وقدم الى مصر على بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن فى إمرة حميد بن قحطبة داعية لأبيه وعمه فنزل على عسامة بن عمرو المعافرى ، فذكر ذلك صاحب السكة لحميد بن قحطبة وقال : ابعث إليه نخذه . فقال حميد : هذا كذب . ودس عليه فتغيب ، ثم بعث اليه من الغد فلم يجده فقال لصاحب السكة : ألم أعلمك أنه كذب . وكتب بذلك صاحب السكة الى أبى جعفر فعزله وسخط عليه ... الخ» .

فخرج حُمَيْد بن قَحْطَبَة من مصر لثمان بقين من ذى القعدة سنة أربع وأربعين ومائة ، وكانت ولايتُه على مصر سنة واحدة وشهرين إلا أياما . ولما خرج حميد بن قحطبة المذكور من مصر توجّه الى الخليفة أبى جعفر المنصور فأكرمه الخليفةُ وجعله من جملة أمرائه ، ووجّهه بعد ذلك لغزو إرْمينيّة فى سنة ثمان وأربعين ومائة فسار ثم عاد ولم يَلْقَ حربا ، ثم أرسله الخليفةُ أبو جعفر المنصور أيضا فى سنة آثنتين وخمسين ومائة لغزو كابُل ، ثم ولّاه بعد ذلك إقليم خُراسان مدّة ، ثم نقلَه الى عمل خُرَاسان فأقام بها مدّة طويلة الى أن مات فى خلافة المهدىّ سنة تسع وخمسين ومائة ، وكان أميرا شجاعا مقْداما عارفا بأمور الحروب والوقائع ، وتنقّل فى الأعمال الجليلة ، مُعَظَّما عند بنى العباس ، وقد تقدّم ذكرُ ما حضره حُمَيْد هذا مع أبيه قَحْطَبة من الوقائع فى آبتداء دعوة بنى العبّاس ، ثم قام هو وأخوه الحسن بن قحطبة فى دعوتهم ، وقاتلوا جيوشَ مروان بن محمد الى أن هزموه وتمّ أمرُ بنى العباس ؛ فعرفوا لحُمَيْد ذلك ، وولّوه الأعمالَ الجليلةَ الى أن مات فى التاريخ المقدّم ذكره .

* * *

حوادث السنة الأولى من ولاية حميد بن قحطبة

السنة الأولى من ولاية حُمَيْد بن قَحْطَبَة على مصر وهى سنة ثلاث وأربعين ومائة — فيها بلغ المنصورَ أن الدَّيْلم قد أوقعوا بالمسلمين وقتلوا منهم خلائق ، فندَب أبو جعفر المنصور الناسَ للجهاد . وفيها عزل المنصور الهَيْثم عن إمرة مكة بالسَّرىّ ابن عبد الله بن الحارث بن العباس العباسىّ . وفيها حجّ بالناس عيسى بن موسى ابن محمد بن علىّ الهاشمىّ العبّاسىّ أمير الكوفة .

ابتداء تدوين العلوم وتصنيفها

قال الذهبيّ : وفى هذا العصر شرع علماءُ الإسلام فى تدوين الحديث والفقه[(١)] والتفسير، وصنّف ٱبنُ جُرَيْج التصانيفَ بمكة ، وصنّف سعيد بن أبى عَرُوبَة وحمّاد بن سلمة وغيرهما بالبصرة، وصنّف أبو حنيفة الفقهَ والرأىَ بالكوفة، وصنّف الأَوْزَاعىّ بالشام ، وصنّف مالك الموطأ بالمدينة، وصنف ٱبنُ إسحاق المَغَازى ، ٥ وصنّف مَعْمَر باليمن، وصنّف سُفْيَان الثَّوْرىّ كتابَ الجامع ، ثم بعد يسير صنّف هشام كتبه ، وصنّف الليثُ بن سعد وعبدُالله بن لَهِيعة، ثم ٱبنُ المبارك والقاضى (١٩١) أبو يوسف يعقوب وابنُ وهب، وكثُر تبويب العلم وتدوينه ،ورُتِّبت ودوِّنت كتبُ العربية واللغة والتاريخ وأيّام الناس ، وقبل هذا العصر كان سائر العلماء يتكلّمون عن حفظهم ويروُون العلمَ عن صحف صحيحة غير مرتّبة ؛ فسَهُل ولله الحمد تناولُ ١٠ العلم فأخذ الحفظُ يتناقص، فلله الأمرُ كله ٱنتهى كلام الذهبيّ . وفيها توفّى سليمان ابن طَرْخان أبو القاسم التّيمىّ، من الطبقة الرابعة من تابعى [أهل][(٢)] البصرة ، كان من العبّاد المجتهدين، وكان يصلّى الغداةَ بوُضوء العشاء سنين عديدة . وفيها توفّى يحيى ابن سعيد أبو سعيد الأنصارىّ القاضى الفقيه، من الطبقة الخامسة من أهل المدينة، قدِم على الخليفة أبى جعفر المنصور بالكوفة فٱستقضاه على الهاشميّة .

---

١٥ (١) لم يدون فى عصر بنى أمية غير قواعد النحو وبعض الأحاديث وأقوال فقهاء الصحابة فى التفسير ، ويروى أن خالد بن يزيد وضع فى هذا العصر كتبا فى الفلك والكيمياء ، وأن معاوية استقدم عبيد بن سارية من صنعاء فكتب له كتاب (الملوك والأخبار الماضية) وأن وهب بن منبه والزهرى وموسى ابن عقبة كتبوا فى ذلك كتبا ، ولكن ذلك لم يقنع الباحثين فى تاريخ العلوم وتصنيفها أن يعتبروا عصر بنى أمية عصر تصنيف ، اذ لم تتم فيه كتب جامعة حافلة مبوبة مفصلة ، وإنما كان كل ذلك مجموعات تدوّن ٢٠ حسب ورودها وتفاوتوا فيها (راجع ما كتبه الأستاذ الشيخ احمد الاسكندرى المدرّس بمدرسة دار العلوم فى كتابه تاريخ آداب اللغة العربية فى العصر العباسى المطبوع بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٣٠ عن التدوين والتصنيف فى العصر العباسى الأول من ص ٧١ — ٧٤) .

(٢) الزيادة عن نسخة ف .

§ أمرُ النيل فى هذه السنة — الماء القديم ذراعان وثلاثة أصابع، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وعشرة أصابع سواء .

* * *

حوادث السنة الثانية من ولاية حميد بن قحطبة

السنة الثانية من ولاية حُمَيد بن قَحْطَبة على مصر وهى سنة أربع وأربعين ومائة — فيها غزا محمد بن أبى العباس السفّاح الدَّيْلَمَ بجيش الكوفة والبصرة وواسط والجزيرة . وفيها قدم محمدُ المهدىّ ابنُ الخليفة على أبيه أبى جعفر المنصور من خُراسان وقد بنى بابنة عمه رَيْطَة بنت السفّاح . وفيها حجّ بالناس الخليفةُ ابو جعفر المنصور، وخلّف على العسكر خازم بن خُزَيمة، فاستعمل على المدينة رِيَاح بن عثمان المُزَنىّ وعزل محمدا القَسْرىّ. وكان المنصور قد أهمّه شأنُ محمد وابراهيم آبنى عبد الله بن حسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، لتخلّفهما عن الحضور الى عنده مع الأشراف، وما كفاه ذلك حتى قيل له : إن محمد بن عبد الله المذكور ذكر أن المنصور لما حجّ قبل أن يَلِى الخلافةَ فى حياة أخيه السفّاح وكان ممّن بايع له ليلةَ آشتُور[1] بنو هاشم بمكة فيمن يعقدون له الخلافة حين[2] آضطرب ملك بنى أمية . قلت : لعلّ ذلك كان قبل أن يَلِى السفّاحُ الخلافةَ وقبل قتل مروان الحمار . اهـ . وكان أبو جعفر المنصور سأل زيادا متولّى المدينة عنهما قبل ذلك، فقال : ما يُهِمّك [من أمرهما][3] يا أمير المؤمنين، أنا آتيك بهما، فضمّنه إياهما فى سنة ست وثلاثين ومائة ولم يف زياد بالضّمانة، وصار المنصور فى أمر عظيم من جهة عبد الله وآبنيه ، وطال عليه الأمرُ، وعبدُ الله وولداه

(١) اشتور القوم : تشاوروا . (٢) كذا فى تاريخ الاسلام للذهبى . وفى الأصلين : «حتى» وهى تحريف من الناسخ . (٣) الزيادة عن ابن الأثير وتاريخ الاسلام للذهبى فى ذكر سنة ١٤٤ .

فى آختفائهم، حتى قبض المنصورُ على عبد الله المذكور وحبَسه وحبس معه جماعةً كثيرة من بنى حسن، وهم حسن وابراهيم آبنا حسن بن الحسن، وحسن بن جعفر ابن حسن بن الحسن، وسليمان وعبد الله ابنا داود بن حسن بن الحسن، وسهيل وإسحاق ابنا ابراهيم المذكور، وعيسى بن حسن بن الحسن، وأخوه علىّ القائم(١)؛ فقيّد المنصورُ الجميعَ وحبَسهم ، [وجهِر(٢) على المنبر بسبّ محمد بن عبد الله وأخيه فسبّح النـاسُ وعظّموا ما قال ، فقال رياح : ألصق الله بوجوهكم الهوان، لأكتبنّ الى خليفتكم غشّكم وقلّة نصحكم ، فقالوا : لا نسمع منك يآبن المحدودة(٣) ، وبادروه يرمونه بالحصى، فنزل وآقتحم دار مروان وأغلق الباب، نخفّ بها الناس ، فرموه وشتموه ثم إنهم كفّوا، ثم إن آل حسن حُملوا فى أقيادهم إلى العراق] . وفيها توفى صالح بن كَيْسان أبو محمد، من الطبقة الرابعة من أهل المدينة(٤)، كان يؤدّب [ولد(٥)] عمرَ بن عبد العزيز بن مروان وأولادَ الوليد بن عبد الملك، ثم ضمّه عمر بن عبدالعزيز الى نفسه، وكان قد جمع بين الفقه والحديث والدين والمروءة. وفيها توفى عبد الله بن

(١) فى الطبرى فى حوادث هذه السنة : « العابد » .

(٢) العبارة المحصورة ما بين المربعين منقولة عن تاريخ الاسلام للذهبى فى ذكر سنة ١٤٤ ويؤيدها ماورد فى الطبرى فى حوادث هذه السنة . وقد وردت فى الأصلين هكذا : «ثم جهز المنصور عليا بسبب محمد بن عبد الله المذكور وأخيه ابراهيم ، فسار وظفر بهما بعد ذلك وحبسهما ، على ما يأتى ذكره » وورد فى ف بدل «عليا» كلمة «على» ولا يخفى ما فى عبارة المؤلف من خطأ وتحريف .

(٣) فى الطبرى : « يابن المحدود» .

(٤) كذا فى م وتهذيب التهذيب . وفى ف : «الكوفة» .

(٥) الزيادة عن تهذيب التهذيب (ص ٤ ج ٣٩٩) .

شُبْرُمة الضبّىّ أبو شُبْرُمة، من الطبقة الرابعة من أهل الكوفة، كان فقيها ديّنا حسن الخلق قليل الحديث .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ذراعان وأحد عشر إصبعا ، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا واثنا عشر إصبعا .

انتهى الجزء الأوّل من النجوم الزاهرة

ويليه الجزء الثانى

وأوّله ذكر ولاية يزيد بن حاتم على مصر

فهرس

الجـــزء الأول من النجوم الزاهرة

فى ملوك مصر والقـاهرة

مشتملات الفهـــرس

١ — فهرس الولاة الذين تولوا مصر من سنة الفتح الى سنة ١٤٤ ه .

٢ — فهرس الأعلام .

٣ — فهرس القبائل والأمم والبطون والعشائر والأرهاط .

٤ — فهرس أسماء البلاد والجبال والأودية والأنهار وغير ذلك .

٥ — فهرس وفاء النيل .

٦ — فهرس الغزوات والوقائع والأيام المشهورة .

٧ — فهرس أسمـاء الكتب وقد ميزنا الكتب التى ذكرها المؤلف بهـذه النجمة (*)

٨ — فهرس الموضوعات الواردة فى الكتاب وهى التى كتبت على هوامش صحفـه .

ملاحظـات

(١) لم نتبع فى ترتيب هـذه الفهارس حذف صـدور الكنى من أسماء الأعلام ولفظ ذو وذات كما هى عادة واضعى الفهارس للكتب العربيـة ، ولكننا تسهيلا للبحث، بعد الاسترشاد برأى كثير من المفكرين، راعينا صدور هذه الكنى فى الترتيب ووضعناها فى الحرف الذى يبتدئ به، فمثـلا وضعنا لفظ «أبو القاسم» و«أم الخير» ونحوهما فى حرف الألف كما وضعنا اسم «ذو الحمار» مثلا فى حرف الذال و «بنو أميـة» فى حرف البـاء كالترتيب الذى اتبعناه فى فهارس كتاب الأغانى .

(٢) الرقم الأول يدل على رقم الصفحة، والثـانى يدل على عدد السطر، فمثـلا ٤٥ : ٨ يدل على صفحة ٤٥ سطر ٨

(٣) اذا تكرر الاسم فى الصفحة الواحدة فى عدة أسطر اكتفى بذكر أول ســطر وقع فيـــه .

فهرس الولاة الذين تولوا مصر من سنة الفتح الى سنة ١٤٤ هـ

فهـــرس الأعـــلام

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(ذ)

(ر)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ن)

فهرس القبائل والأمم والبطون والعشائر والأرهاط

(ا)

(ب)

(ت)

(خ)

فهرس أسماء البلاد والجبال والأودية والأنهار وغير ذلك

(ا)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ك)

(ل)

(م)

فهرس وفاء النيل من سنة الفتح الى سنة ١٤٤ هـ

					ص		س
وفاء النيل في سنة		٢٠	هـ		٧٥	:	١٢
»	»	٢١	هـ		٧٦	:	١١
»	»	٢٢	هـ		٧٧	:	٤
»	»	٢٣	هـ		٧٨	:	١٣
»	»	٢٤	هـ		٧٩	:	٥
»	»	٢٥	هـ		٨٣	:	١٩
»	»	٢٦	هـ		٨٤	:	٩
»	»	٢٧	هـ		٨٥	:	١١
»	»	٢٨	هـ		٨٥	:	٢٠
»	»	٢٩	هـ		٨٦	:	١٧
»	»	٣٠	هـ		٨٧	:	٢٠
»	»	٣١	هـ		٨٨	:	١٣
»	»	٣٢	هـ		٩٠	:	١٣
»	»	٣٣	هـ		٩١	:	٩
»	»	٣٤	هـ		٩٢	:	٥
»	»	٣٥	هـ		٩٣	:	١٧
»	»	٣٦	هـ		١٠٢	:	١٢
»	»	٣٧	هـ		١١٣	:	١
»	»	٣٨	هـ		١١٧	:	١٧
»	»	٣٩	هـ		١١٩	:	١
»	»	٤٠	هـ		١٢٠	:	١٦
»	»	٤١	هـ		١٢٢	:	١
»	»	٤٢	هـ		١٢٢	:	١٣
»	»	٤٣	هـ		١٢٥	:	١
»	»	٤٤	هـ		١٢٦	:	١٥
»	»	٤٥	هـ		١٣١	:	٨
»	»	٤٦	هـ		١٣٢	:	٤
»	»	٤٧	هـ		١٣٣	:	١٥
»	»	٤٨	هـ		١٣٧	:	١٣
»	»	٤٩	هـ		١٣٨	:	١١
وفاء النيل في سنة		٥٠	هـ		١٤١	:	٧
»	»	٥١	هـ		١٤٢	:	١٨
»	»	٥٢	هـ		١٤٣	:	١٩
»	»	٥٣	هـ		١٤٥	:	١
»	»	٥٤	هـ		١٤٦	:	١٦
»	»	٥٥	هـ		١٤٨	:	١
»	»	٥٦	هـ		١٤٩	:	١
»	»	٥٧	هـ		١٤٩	:	١٥
»	»	٥٨	هـ		١٥٢	:	٥
»	»	٥٩	هـ		١٥٣	:	٩
»	»	٦٠	هـ		١٥٤	:	١٣
»	»	٦١	هـ		١٥٦	:	١٢
»	»	٦٢	هـ		١٥٧	:	١٣
»	»	٦٣	هـ		١٦٢	:	٤
»	»	٦٤	هـ		١٦٤	:	١٩
»	»	٦٥	هـ		١٧١	:	١٢
»	»	٦٦	هـ		١٧٩	:	٦
»	»	٦٧	هـ		١٨١	:	٨
»	»	٦٨	هـ		١٨٢	:	١٠
»	»	٦٩	هـ		١٨٥	:	١
»	»	٧٠	هـ		١٨٦	:	١
»	»	٧١	هـ		١٨٧	:	١٥
»	»	٧٢	هـ		١٨٩	:	٦
»	»	٧٣	هـ		١٩١	:	٤
»	»	٧٤	هـ		١٩٢	:	١٨
»	»	٧٥	هـ		١٩٥	:	٤
»	»	٧٦	هـ		١٩٦	:	٤
»	»	٧٧	هـ		١٩٧	:	٧
»	»	٧٨	هـ		١٩٨	:	١٧
»	»	٧٩	هـ		٢٠٠	:	٦

فهرس(*) الغزوات والوقائع والأيام المشهورة

(*) لم نلاحظ فى ترتيب هذا الفهرس لفظ غزوة و يوم ووقعة ونحو ذلك لئلا تقع كل الغزوات والوقائع فى هذه الحروف وقد كتبناها بحرف أصغر إشارة الى ذلك .

فهـــرس أسماء الكتب

(ا)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(ف)

(ق)

(ك)

فهــــرس الموضــــوعات

اســـــتدراك

يضاف هذا الاسم على فهرس الأعلام فى صفحة ٣٦١ سطر ٣٤ :

ابن هبيرة الشيبانى — ١٤٥ : ٧

وقع بصفحة ٥٣ هذا الشعر فى وصف مصر هكذا :

وتربتهـا تبر يلوح وعنـــبر * يفوح وتَلْقى بعــدَ بعدٍ حياتِها
زمردةً خضراء قد زين قرطها * بلؤلؤة بيضاء من زهراتها

ولم يرد هـذا الشعر إلا فى النسخة الأوربية وقـد أشير الى تلك بهـامش الصفحة ٥٢ وقد بحثنا عنـه فى مرجع آخر فلم نوفق اليه، ونستظهر أن يكون الصواب فيه هكذا :

وتربتهـا تبر يلوح وعنـبر * يفوح وتُلقَى بعدَ بُعدٍ حياتها
زمردةً خضراءَ ... ... * ... ...الخ

إصـــلاح خطـــأ

وقع أثناء الطبع بعض أغلاط مطبعية نذكرها هنـا ليستدركها القرّاء فى بعض النسخ التى وقعت فيها .

ص	س	خطأ	صواب
٣٦	١٠	أُكتب	أَكتب
٤٩	١٧	لأخيه فارق : لك	لأخيه : فارق لك
٨١	٤	محمد بن حذيفة	محمد بن أبى حذيفة
٨٢	٢٠	قتادة بن أنس	قتادة عن أنس
٨٨	٦	يزيد	زيد
٩٥	٨	محمد بن حذيفة	محمد بن أبى حذيفة
١٠١	بالهامش	مما فى كتّاب	نبذة من كتّاب
١١٨	١٣	ابن أشرس	أشرس
١٤٣	٥	قول بن الأثير	قول ابن الأثير
١٥٧	٢٠	ذى الحمـار	ذو الحمـار
١٦٠	١٥	سالم بن زياد	سلم بن زياد
١٦٤	بالهامش	بن الحكم	ابن الحكم
١٧٣	٦	البعث	البعيث
١٧٥	٩	زيد	يزيد
١٨١	١٢	ىمـان	ثمـان

ص	س	خطأ	صواب
١٨٩	١٥	المِنْجنيق	المَنْجنيق
١٩١	١٠	ابن أبى ذؤيب	ابن أبى ذئب
١٩٨	٨	آوستخلف	وآستخلف
٢٠٥	بالهامش	الثانية عشرة	الثامنة عشرة
٢٢٤	٢٠	(ج ١٠ ص ٧)	(ج ٧ ص ١٠)
٢٥٣	٢١	الثالثة	السابقة
٢٦٤	٦	عليه	عليه (١)
٣٠٤	٥	أبو الإصبع	أبو الأصبغ
٣١٣	٥	أسلم بن قتيبة	سلم بن قتيبة
٣٢٠	١٢	شُرَاحيل	شَرَاحيل
٣٢١	١٧	لحطبة	لخطبة
٣٤٠	٥	جعفر	جعونة

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلي سابقاً)

يظلُّ للاتجاه العربيّ في التاريخ سَمْتُه الخاص، وتفرُّده وتميُّزه، وبخاصة وهو يسوق لنا الأحداثَ اعتمادًا على رؤية المؤرِّخ ذاتِه، لا روايةً أو نقلاً، ومن ثَمّ أصبح لمثل هذه الكتابات التاريخية أثرُها الكبير والبارز في التعرُّف على التاريخ في واقـعيته وبكامل حيويته.

وفي ضوءِ هذا المفهوم؛ فإن لكتاب "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقـاهرة" للمؤرِّخ العظيم ابـن تغري بـردي أهميته التاريخية الكبرى، إذ يعدُّ الكتابُ (بأجزائه الستة عشر) واحدًا من أهم ما كتبـه المؤرخون في العصر المملوكي، ومن أبرز الكتب التي قَدّمتْ لعصرها حدثًا بحدث، وواقعةً في إثر واقـعة، وهو اتجاه لم يقتحمه في التاريخ العربي سوى عدد قليل مِمّن كُتب لهم حظٌّ للكتابة فيه.

و الهيئة العامة لقصور الثقافة وهي تقـدّم هذا الكتاب المتميّز في إطار "الحملة القومية للقراءة للجميع" لَتعِدُ القارئ العربي أن تواصل مسيرتَها في إشباع رغبة القراءة لديه، وفي تزويده بالمزيد من الكتب القيِّمة على مدار العام.

الغلاف . . . د. خالد سرو

فوتوغرافيا . . . محمد المـ



www.gocp.gov.eg
www.qatrelnada.com.eg
www.althaqafahalgadidah.com.eg
www.odabaaelaqaleem.com

الثمن : خمسة جنيهات